

(سلسلة تقريـب التراث الإسلامي إلى القارئ المعاصر ٢٧)

كتاب

غريب الحديث

للإمام الخطّابي رحمه الله (٣١٩ - ٣٨٨هـ)

الجزء الثاني

خدمه وعلق عليه

محمّد عليّ أبو زهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُتُبُ أَبِي عُبَيْدٍ وَابْنِ قَتَيْبَةَ وَالْخَطَّابِي
فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ
أَمّهَاتُ الْكُتُبِ
ابن الأثير

بداية الجزء الثاني تكملة غريب حديث النبي صلى الله عليه وسلم

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ الَّذِي يَرْوِيهِ ابْنُ عُمَرَ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ سَرِيَّةً، فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَجَازَ الْمُسْلِمُونَ جَيْضَةً، فَأَتَيْنَا الْمَدِينَةَ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ الْفَرَّازُونَ، فَقَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ، وَأَنَا فِتْنُكُمْ"^١.

قوله: أنتم العَكَارون، يريد أنتم الكَرَارون، والعَكَرُ: الانصراف بعد المضى، يقال: عَكَرْتُ عَلَى الشَّيْءِ، بمعنى عَطَفْتُ عَلَيْهِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

ولما رأيتُ النفسَ جاشتْ عَكَرْتُهَا على مِسْحَلٍ وَأَيُّ سَاعَةِ مَعَكَرٍ^٣

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا وَهُوَ يَقْلِي ثَوْبَهُ، فَجَعَلَ يَلْتَقِطُ الْبَرَاعِيثَ وَيَدْعُ الْقَمْلَ، فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْخُذُ هَؤُلَاءِ وَتَدْعُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: أَبْدَأُ بِالْفُرْسَانِ ثُمَّ أَعَكِرُ عَلَى الرَّجَالَةِ.

^١ رواه أبو داود والترمذي والشافعي في مسنده والبيهقي في السنن الصغير والحميدي في المسند.

^٢ هو شريح بن قرواش العبسي: شاعر جاهلي.

^٣ انظر الحماسة، وفيها بعده: (عشية نازلت الفوارس عنده ... وزل سنائي عن شريح بن مسهر) يعني: لما هاجت نفسي عطفًا على مسحل رددتها عليه ودافعت عنه، وطعنت شريحًا فلم يعمل فيه سنائي لأنه كان دارعًا.

وقوله: جَاضَ الْمُسْلِمُونَ جَيْضَةً، فسره أبو عبيد، ومعناه: مالوا مَيْلَةً وحادوا حَيْدُودَةً، يقال: جاض الرجلُ عن الشيء، وجاض عنه، إذا حاد عنه حَذْرًا أو حَوْفًا. قال أبو عبيدة: خرج أعرابيٌّ وكانت له امرأةٌ تَفْرُكُهُ، وكان يصلفُها، فأتبعته نواةً وقالت: شَطَّتْ نَوَاكِ ونَأَى سَفْرُكِ، ثم أتبعته روثًا وقالت: رَثَيْتِكَ وراثَ خَبْرِكَ، ثُمَّ أَتَبَعْتَهُ حِصَاةً وقالت: حاصِرِ رِزْقِكَ وحُصِّ أَثْرَكَ.

وقوله: "أنا فِعْتُكُمْ" تأويلُ قوله جل ثناؤه: {أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِئَةٍ} يمهّد بذلك عذرهم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِي قِصَّةِ حُنَيْنٍ أَهَمُّ حَرَجُوا بِدُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ^٢ يَتَبَهَّنُونَ بِهِ.

وأحسبه غلطًا، إنما هو فيما أحسبه يتبهنسون به، والتبهنس: كالتبخر في المشي، يُرادُ أنهم كانوا يُفُودون به راحلته على رُودٍ ومَهَلٍ، فيحكون سيرة

^١ تفرّكه: تبغضه. يصلفها: يبغضها.

^٢ دريد بن الصمة: شاعر عربي من قبيلة بني جشم من هوازن، عرف بأنه شجاع من صناديد العرب وهو من المعمرين في الجاهلية. كان سيد بني جشم بن معاوية، وفارسهم وقائدهم، وغزا نحو مائة غزوة لم يهزم في واحدة منها. وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية في يوم حنين.

الْمُتَبَحِّرِ، ويشبه أن يكون الكاتب قد مَشَقَّ السِّينَ^١ من يَتَبَهَّنُونَ فتوهمه الراوي يتبهَّنُونَ.

وروى الواقدي عن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ الزُّهْرِيِّ في إسناده لَهُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا دُرَيْدًا يَوْمَ حُنَيْنٍ يَقَادُ بِهِ فِي شَجَارٍ، فَقَالَ: بَأَيِّ وادٍ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: بَأَوْطَاسٍ، قَالَ: نَعَمْ جَالُ الْحَرْبِ؛ لَا حَزْنَ ضَرِسٍ وَلَا سَهْلٍ دَهْسٍ، مَا لِي أَسْمَعُ رِغَاءَ الْبَعِيرِ وَيُعَارِ الشَّاءَ؟ قِيلَ: ساق مالكُ بْنُ عَوْفٍ مع الناسِ الطُّعْنِ وَالْأَمْوَالَ، فَقَالَ: ما هذا يا مالكُ؟ قَالَ: أردتُ أن أُحْفِظَ النَّاسَ وَأَنْ يُقَاتِلُوا عَنْ أَهْلِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَأَنْقَضَ بِهِ، وَقَالَ: راعي ضأنٍ ما له ولِلْحَرْبِ؟ وَقَالَ: أَنْتِ مُحِلٌّ بِقَوْمِكَ وَفَاضِحٌ عَوْرَتِكَ، لو تَرَكْتَ الطُّعْنَ فِي بِلَادِهِمْ وَالنَّعْمَ فِي مَرَاتِعِهَا ثُمَّ لَقِيتَ الْقَوْمَ بِالرِّجَالِ عَلَى مَثُونِ الْحَيْلِ وَالرِّجَالِ بَيْنَ أَضْعَافِ الْحَيْلِ أَوْ مُتَقَدِّمَةً دَرِيَّةً أَمَامَ الْحَيْلِ كانَ الرَّاي.

الشَّجَارُ: مَرْكَبٌ يُهَيَّأُ لِلنِّسَاءِ^٢، وَهُوَ أَعْوَادٌ يُخَالَفُ بَيْنَهَا، وَهُوَ الْمَشَجَرُ أَيْضًا، فَإِنْ غَشِيَ بِغِشَاءٍ صَارَ هَوْدَجًا.

وَالضَّرْسُ: الْحَشِينُ الَّذِي يَعْقِرُ الْقَوَائِمَ.

^١ كتبها قصيرة ولم يظهرها.

^٢ هو الهودج الصغير.

والدهس: اللين الذي تسوخ فيه الأرجل، قال الأصمعي: الدهاس كل لين ليس يبلغ أن يكون زملاً وليس بثراب ولا طين.

والظعن: النساء، يقال للمرأة: الظعينة؛ لأنها تظعن مع زوجها إذا ظعن. وقوله: أحفظ الناس، أي أذمهم للحرب، من الحفيظة، يقال: هذا أمرٌ مُحْفَظ.

قال الشاعر^١:

أخوك الذي لا تملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتائف^٢
وقوله: أنقض به، أي صقق بإحدى يديه على الأخرى حتى سيع لها نقيض، وهو الصوت، ويقال: بل أراد بالانقاض أن ينقر بلسانه في فيه، كما يزجر الحمار ونحوه.

^١ هو القطامي: عمرو بن شبيب بن عمرو بن عبّاد التغلبي المشهور بالقطامي التغلبي: من شعراء قبيلة تغلب في الإسلام من أهل الجزيرة. كان شاعراً فحلاً رقيق الحواشي حلو الشعر، وكان زفر بن الحارث الكلابي أسره في الحرب التي كانت بينهم وبين تغلب، فمن عليه وأعطاه مئة من الإبل ورد عليه ماله.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (دعاني الهوى إذ شرق الحي غدوةً وما كنت تدعوني الخطوب الضعائف).

وراعي ضأن: يَسْتَجْهَلُهُ وَيُقَصِّرُ بِهِ عَنْ زُبَّةٍ مِّنْ يَقُودِ الْجِيُوشِ وَيَسُوسُهَا،
ويقال: أَجْهَلُ مِنْ رَاعِي ضَأْنٍ.

وقوله: أَنْتَ مُحِلٌّ بِقَوْمِكَ، يريد أَنَّكَ قَدْ أَبْجَتَ حَرِيمَهُمْ وَعَرَّضْتَ بِهِمُ لِلْهَلَاكِ،
يقال: أَحَلَّ الرَّجُلُ، إِذَا خَرَجَ مِنْ حُرْمَةٍ كَانَ فِيهَا، فَهُوَ مُحِلٌّ، وَأَحْرَمَ: إِذَا
اعْتَصَمَ بِحُرْمَةٍ، فَهُوَ مُحْرِمٌ، قَالَ زُهَيْرٌ^١:

وَكَمْ بِالْقَنَانِ مِنْ مُحِلِّ وَمُحْرِمِ

أَرَادَ بِالْمُحِلِّ الَّذِي يَحِلُّ قَتْلُهُ، وَبِالْمُحْرِمِ الَّذِي يَحْرُمُ قَتْلُهُ.

وقوله: دَرِيَّةٌ أَمَامَ الْخَيْلِ، أَي مُقَدِّمَةٌ لَهَا وَسِتْرٌ دُونَهَا، وَالدَّرِيَّةُ: الْبَعِيرُ الَّذِي
يَسْتَتِرُ بِهِ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْمِيَ الْوَحْشَ فَيَتْرِكُهُ يَرْعَى مَعَ الْوَحْشِ حَتَّى إِذَا
بَسَّتْ^٢ بِهِ الْوَحْشُ وَأَمَكَنْتْ مِنْ مَقَاتِلِهَا رِمَاهَا، وَهِيَ الدَّرِيعةُ أَيْضًا، قَالَ
الشاعر^٣:

وَلِلْمَنِيَّةِ أَسْبَابٌ تُقْرَهُهَا كَمَا تُقْرَبُ لِلْوَحْشِيَّةِ الدُّرْعُ

^١ سبق قبل قليل.

^٢ أنست إليه.

^٣ هو الراعي النميري، في قصيدته التي مطلعها: (عَادَ الْهُمُومُ وَمَا يَدْرِي الْحَلِيُّ بِهَا وَاسْتَوْرَدْتَنِي كَمَا
يُسْتَوْرَدُ الشَّرْعُ).

^٤ الذرْع جمع، واحدها ذريعة، وهو بغير يستتر به الرامي فإذا قربت الوحش رماها.

وأما الدريئة، مهموزة، فالحلقة التي يُتعلّم عليها الطعان، قال عمرو بن معديكرب^١:

ظللْتُ كأبي للرماحِ دريئةٌ أقاتلُ عن أبناءِ جرِّمٍ
وفرت^٢

وفي "يتبهنون" وجه آخر، وهو أن تكون الرواية يتيمنون به: أي يتبركون برأيه ومشهده، أو يتهبون به، قال الأصمعي: جاء فلان يتهبي، إذا جاء ينقش يديه، والأول أشبهه، والله أعلم. ويدل على ذلك ما رواه إبراهيم بن مسعد عن محمد بن إسحاق قال: حضر حنيناً دريد بن الصمة شيخ كبير فان ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخاً مجرباً محرباً.

^١ عمرو بن معديكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصي النفس، أيها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وَمُرِدٌ عَلَى جُرْدٍ شَهَدْتُ طِرَادَهَا قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ ذَرَّتْ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيَّ قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَوْتًا بِاللَّيْلِ، يَعْنِي رَجُلًا يَقْرَأُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ: "أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟"^١.
قوله: أَتَقُولُهُ: يريد: أَتَظُنُّهُ؟ قَالَ الشاعِرُ^٢:

مَتَى تَقُولُ الْقُلُوصَ الرَّوَاسِمَا يَلْحَقْنَ أُمَّ عَاصِمِ
وَعَاصِمَا^٣

أي متى تَظُنُّ الْقُلُوصَ تَلْحَقُهُمَا، وَلِذَلِكَ نَصَبَ الْقُلُوصَ.

قَالَ الْفَرَاءُ: الْعَرَبُ تَجْعَلُ مَا بَعْدَ الْقَوْلِ مَرْفُوعًا عَلَى الْحِكَايَةِ فَتَقُولُ: قُلْتُ: عَبْدُ اللَّهِ ذَاهِبٌ، وَقُلْتُ: إِنَّكَ قَائِمٌ، هَذَا فِي جَمِيعِ الْقَوْلِ، إِلَّا فِي أَتَقُولُ وَحَدَّهَا

^١ رواه أحمد، في حديث طويل، وفيه: فَإِذَا صَوْتُ الرَّجُلِ يَقْرَأُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا؟" فَقَالَ بُرَيْدَةُ: أَتَقُولُهُ مُرَائِيًا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ، أَلَا بَلْ مُؤْمِنٌ مُنِيبٌ".

^٢ الرجز لهديبة بن خشرم العذري: من شعراء بادية الحجاز، وهو شاعر فصيح مقدم، وكان راوية الحطيئة، وأكثر شعره ما قاله في أواخر حياته حين سجن وقبيل قتله، وكان هديبة قد قتل زيادة بن زيد العذري في خلاف نشب بينهما فقتل به قودًا، وشعر هديبة في رويته وبديهته سواء عند الأيمن والخوف، لقدرة وسكون جأشه وقوة غريزته، عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان وتوفي نحو سنة ٥٠ هـ.

^٣ في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (لَقَدْ أَرَانِي وَالْعُلَامَ الْحَارِمَا نُزْجِي الْمَطِيَّ ضَمْرًا سَوَاهِمَا). القلص: جمع القلوص، وهي الفتية من الإبل. الرواسم: التي تسير سيرًا شديدًا. أم قاسم: كنية أخت زياد بن زيد العذري. يقول: متى نظن القلص التي تسير سيرًا شديدًا، تحمل أم قاسم وابنتها؟

في حرف الاستفهام، فإنهم يُزَلُّونها منزلةً أتظنّ، فيقولون: أتقول إنك خارج؟
ومتى تقول إن عبد الله منطلق؟ وأنشد^١:

أَمَا الرَّحِيلُ فُدُونْ بَعْدَ عَدِيٍّ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا

بنصبِ الدَّارِ، كأنه قال: فمتى تظنُّ الدَّارَ تجمعنَا.

وَعَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَرَادَ أَنْ يَعْتَكِفَ، فَلَمَّا انصَرَفَ إِلَى
الْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَعْتَكِفَ إِذَا أَحْبَبَتْ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَرَبِيبَ، فَقَالَ:
"الْبِرُّ تَقُولُونَ بِهِنَّ؟" ثُمَّ انصَرَفَ فَلَمْ يَعْتَكِفْ^٢.

قوله: "الْبِرُّ تَقُولُونَ بِهِنَّ" معناه البِرُّ تظنون بهن؟

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ النَّاسَ قُحِطُوا عَلَى عَهْدِهِ، فَخَرَجَ
إِلَى بَقِيعِ الْعُرْقَدِ، فَصَلَّى بِأَصْحَابِهِ رُكْعَتَيْنِ، جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ فِيهِمَا، ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ
ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ ضَاخَتْ بِلَادُنَا وَاعْبَرَتْ أَرْضُنَا وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، اللَّهُمَّ
ارْحَمْ بَهَائِمَنَا الْحَائِمَةَ، وَالْأَنْعَامَ السَّائِمَةَ، وَالْأَطْفَالَ الْمُحْتَلَةَ"^٣. فِي كَلَامٍ غَيْرِ
هَذَا.

^١ البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قال الخليلُ غداً تصدُّعنا أو
بعده، أفلا تُشيعُنَا).

^٢ رواه البخاري.

^٣ انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر.

قوله: ضاحت بلادنا، إنما هو فاعلت، من ضحا المكان، إذا برز للشمس، وضحي الرجل يضحى، إذا أصابه حر الشمس، قال الله تعالى: {وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى} والضحيان: البارز للشمس، يريد أن السنة قد أحرقت النبات والشجر، فبرزت الأرض للشمس.

وقوله: هامت دوابنا، أي عطشت، والهيمان: العطشان، والحائمة: هي التي تتأب أماكن الماء فتحوم عليه، أي تطوف ولا ترد، يريد أنها لا تجد ماء ترد.

وعن الزبير بن بكار قال: كان عمر بن أبي ربيعة عفيفاً يصف ويقف ويحوم ولا يرد، قال الشاعر^١:

^١ هو قيس بن الملوح الملقب بمجنون ليلى (٢٤ - ٦٨ هـ): شاعر غزل، من المتيمن، من أهل نجد. عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب. لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلى العامرية التي نشأ معها وعشقها فرفض أهلها ان يزوجوها به، فهم على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز. وهو أحد القيسيين الشعراء المتيمنين، والآخر هو قيس بن ذريح مجنون لبنى. توفي سنة ٦٨ هـ وقد وجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحمل إلى أهله.

وَإِنَّ بَنَّا لَوْ تَعْلَمِينَ لَعُلَّةٌ إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ
غَلِيلٌ^١

والأطفال المَحْتَلَّة هم الذين انقطع رضاعهم، والحْتَلُّ: سوء الرضاع، قَالَ ذُو الرُّمَّة^٢:

بِهَا الذَّبُّ مَحْزُونًا كَانَ عَوَاءُهُ عَوَاءُ فَصِيلٍ آخِرَ اللَّيْلِ مُحْتَلٍّ

والحْتَلُّ أَيضًا: سوءُ الحال، ومنه قِيلَ لِزِدَالَةِ النَّاسِ: الحُثَالَةُ، وَيُقَالُ: لِلصَّبِيِّ السَّيِّئِ الغِدَاءِ: الجَحْنُ والجَدْعُ، قَالَ أَوْسٌ^٣:

تُصِمْتُ بِالمَاءِ تَوَلَّبًا جَدْعًا^٤

يقول: تُسَكِّتُ وَلَدَهَا بِالمَاءِ مِنَ الجوع.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَالجَحْنُ: البَطِيءُ الشَّبَابِ، وَهُوَ المُقَرَّمُ، قَالَ الرَّاجِزُ:

^١ فِي دِيوانِهِ مِنَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَحْبَبًا عَلَيَّ حُبِّي وَأَنْتِ بَحِيلَةٌ وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ لِي لَا يُجِبُّ بَحِيلٌ).

^٢ فِي دِيوانِهِ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (قَفَ العَيْسَ فِي أَطْلالِ مِئَةِ فَاسَأَلِ ... رَسوماً كَأَخْلاقِ الرِّداءِ المُسَلْسَلِ).

^٣ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، فِي دِيوانِهِ مِنَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَيُّهُمُ النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَحَذَرِينَ قَدْ وَقَعَا).

^٤ وَقِتامه: (وَدَاثُ هِدْمِ عَارٍ نَوَاشِرُها تُصِمْتُ بِالمَاءِ تَوَلَّبًا جَدْعًا).

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عِيَالًا دَرْدَقًا مُقْرَمِينَ وَعَجُوزًا
سَمَلَقًا^١

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ قَوْمًا أَسْلَمُوا عَلَى عَهْدِهِ فَقَدِمُوا
بَلْحَمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَتَحَيَّشَتْ أَنْفُسُ أَصْحَابِهِ مِنْهُ، وَقَالُوا: لَعَلَّهُمْ لَمْ يُسْمُوا،
فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: "سَمُوا أَنْتُمْ وَكُلُوا"^٢.

قوله: تَحَيَّشَتْ، معناه نَفَرَتْ، يقال: حَاشَتْ نَفْسُهُ تَحِيْشُ حَيْشًا، وَسَمِعْتُ
بَعْضَهُمْ يَرْوِيهِ: بَجَيَّشَتْ، بِالْجِيمِ، فَإِنْ صَحَّ فَمِنْ قَوْلِهِمْ جَاشَتْ نَفْسُهُ، أَيْ
جَبَّتْ، وَجَاشَتْ نَفْسُ الْجَبَانِ، إِذَا ارْتَدَّتْ مِنَ الرَّعْبِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ الرجز في أمالي القالي: وبعده:

لا ذنب لي كنت أمراً مفتحاً ... أغيذ نؤام الضحى غرونقا
أتبع ظلي حينما تصفقا ... أشكو إلى الله عيالاً دردقا
مقرميين وعجوزاً سملقا ... إذا رأني أخذت لي مطرقا
تقول ضرب الشيخ أدنى للتعنى

^٢ رواه البخاري بألفاظ قريبة.

^٣ هو عمرو بن معديكرب، وقد سبق قبل قليل.

وجاشت إليّ النفس أول مرّة فردّت على مكروهاها
فاستقرت^١

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنّ رجلاً أتاه فقال: إنّ ابن أخي قد عرب بطنه، فقال: "اسق ابن أخيك عسلاً"^٢.

قال أبو زيد: يُقال: عربت معدته، تعرب عرباً، وذريت ذرياً، فهي عربيّة وذريته، أي فسدت.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنّ أمّ سلمة قالت: كنت معه، فدخلت شاة لحار لنا، فأخذت قرصاً تحت دبر لنا، ففطمت إليها فأخذته من بين لحبيها، فقال رسول الله: "ما كان ينبغي لك أن تُعنقها، إنّهُ لا قليل من أذى الجار"^٣.

التعنق: الأخذ بالعنق مع شدة العصر لها، وبه سمي جحر الضبّ العانق، وهو جحر مملوء تراباً، فإذا خاف شيئاً دخل تحت ذلك التراب فتعنق: أي دسّ عنقه فيه ومضى حتى يتواري.

^١ اعترض بعضهم فقال: لولا أنه جبن لما جاشت إليه النفس.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

^٣ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني.

ورواه لي بعضهم: تُعْنِكِيهَا، وفسره، من قولهم: اعتنك البعير، إذا ارتطم في رمل لا يقدر على الخلاص منه، ولا أراه محفوظاً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَبْسُطَ اللَّهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ"^١.

قوله: يُنْسَأُ فِي أَثَرِهِ، معناه يُؤَخَّرُ فِي أَجَلِهِ، وَسُمِّيَ الْأَجَلُ أَثَرًا؛ لِأَنَّهُ تَابِعُ الْحَيَاةِ وَسَائِئُهَا، قَالَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ^٢:

يَسْعَى الْفَتَى لِأُمُورٍ لَيْسَ يُدْرِكُهَا وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَاهْمٌ مُنْتَشِرٌ
وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُجَارِ أَخَاكَ وَلَا تُشَارِهِ"^٣.

قوله: "لَا تُجَارِ أَخَاكَ" هُوَ مِنَ الْجِرَاءِ فِي الْخَيْلِ، وَهُوَ أَنْ يَتَجَارَى الرَّجُلَانِ لِلْمَسَابِقَةِ، يَقُولُ: لَا تَطَاوَلْهُ وَلَا تُغَالِبْهُ، وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ سَأَلَ مَا الْحِلْمُ؟ فَقَالَ: أَنْ تَكُونَ ذَا أَنَاةٍ، وَأَنْ تَلَايِنَ الْوَلَاةَ، فَقِيلَ: مَا الْحُرْقُ؟ قَالَ: مَجَارَاةُ أَمِيرِكَ، وَمُمَارَاةُ مَنْ يَضِيرُكَ.

^١ متفق عليه.

^٢ في يوانه في قصيدته التي مطلعها: (لَوْ كُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ شَيْءٍ لَأَعْجَبَنِي سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَحْبُودٌ لَهُ الْقَدْرُ).

^٣ ذكره الألباني في ضعيف الجامع.

وقوله: "لا تُشارِه" أي لا تُتَلَجِّه، يقال: قد اسْتَشْرَى الرجل، إذا لَجَّ في الأمر، فإن شَدَّدته كان وزنه مُفَاعَلَةً، من الشَّرَّ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَأَلَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيَّ عَنْ رَجُلٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَتْ امْرَأَتُهُ الَّتِي كَانَتْ تُشَارُهُ وَتُهَارُهُ وَتَزَارُهُ وَتَمَارُهُ، فَتُشَارُهُ مِنَ الشَّرِّ، وَتُهَارُهُ مِنَ الْهَرِيرِ، وَتُزَارُهُ مِنَ الزَّرِّ، وَهِيَ الْعَضُّ، وَتَمَارُهُ مَعْنَاهُ تَلَوَّى عَلَيْهِ، وَمِنْهُ الشَّيْءُ الْمُمَرُّ، وَهُوَ الْمَقْتُولُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي تَرْوِيهِ قَيْلَةُ^١، أَنَّهُ قَالَ لَهَا: "أَيَعْلَبُ أُحَيْدُكُمْ أَنْ يُصَاحِبَ صُؤَيْبُهُ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، فَإِذَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى اسْتَرْجَعَ ثُمَّ قَالَ: رَبِّ أُسْنِي مَا أَمْضَيْتَ وَأَعَيَّتِي عَلَى مَا أَبَقَيْتَ"^٢.

قَوْلُهُ: "أُسْنِي" مَعْنَاهُ عَوَّضُنِي^٣. وَالْأَوْسُ: الْعَوَّضُ.
قَالَ زُوْبَةُ^٤:

يا قائدَ الجيشِ وزينَ المجلسِ أُسْنِي فَقَدْ قَلَّتْ رِفَادُ الْأَوْسِ

^١ قيلة بنت مخزومة التميمية: صحابية.

^٢ انظر: التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة - السفر الثاني.

^٣ آسَةٌ: عَوَّضُهُ مِمَّا فَقَدَهُ. مِثْلُ: بَاسِ يَبُوسُ بَوْسًا، وَالْوَاحِدَةُ بَوْسَةٌ وَهِيَ الْقُبْلَةُ.

^٤ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ أَرْجُوْزَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَيْسِ الذَّنْبِيِّ وَأَنَّ عَلَى السَّنَدِ، وَمَطْلَعُهَا: (يَا أَيُّهَا الرَّائِدُ ذُو التَّلْمُسِ أَهْدِ إِلَى الذَّنْبِيِّ غَيْرَ الْمُهْلِسِ).

وَيُقَالُ: أَنَا أَسْتَمِيسُ اللَّهَ مِنْكَ أَحَا، أَي أَسْتَبْدِلُهُ بِكَ أَحَا، وَاللَّهُ مُسْتَأْسٌ، أَي مُسْتَعَاضٌ، قَالَ الْجَعْدِيُّ^١:

لَيْسْتُ أَنَا سَا فَأَهْلَكْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَا سَا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهِ هُوَ الْمُسْتَأْسَا

وَرُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ طَرِيقِ الْمُقْرِي فَقَالَ: رَبِّ أَثْنِي، مَكَانَ قَوْلِهِ: أُسْنِي:
"رَبِّ أَثْنِي عَلَى مَا أَمْضَيْتَ وَأَعْنِي عَلَى مَا أَبْقَيْتَ".

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ
مِنْ قَوْلٍ لَا يُسْمَعُ"^٢.

قَوْلِهِ: "لَا يُسْمَعُ" أَي لَا يُجَابُ وَلَا يُقْبَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُصَلِّي: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ
حَمَدَهُ، مَعْنَاهُ الدُّعَاءُ بِقَبُولِ الْحَمْدِ وَاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، قَالَ شَتِيرُ بْنُ الْحَارِثِ
الضَّبِّي^٣:

^١ النابغة الجعدي، في ديوانه وهما مطلع القصيدة، وبعدهما: (وَعِشْتُ بِعَيْشَيْنِ إِنَّ الْمُنُونَ تَلَقَى
المعاشِ فِيهَا حِسَاسَا).

^٢ رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده.

^٣ البيت، لشمير بن الحارث الضبي، في "تاج العروس" ١١ / ٢٢٧ (مادة: سمع)، و"نوادير أبي زيد"
ص ١٢٤، وهو شاعر جاهلي.

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَلَّا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا
أَقُولُ^١

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: معناه يَقْبَلُ مَا أَقُولُ، وعلى هذا المعنى يُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى}، يريد والله أعلم الكُفَّارَ، أي إنك لا تقدرُ أن تَهْدِيَهُمْ وتوفِّقَهُم لقبول الحق، وقد كانوا يسمعون كلامَ الله بأذانهم إذا تَلَّى عليهم، إلا أنهم إذ لم يقبلوه صاروا كأن لم يسمِعوه، قَالَ الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ^٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا"^٣.

فيه قولان: أحدهما أن يكون معنى الوراثة فيهما أن تبقى صحَّتهما عند ضعف الكبر؛ فيكونا وارثي سائر الأعضاء والباقيين بعدها. وقال نَضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: معناه أَبْقِيَهُمَا معي حَتَّى أَمُوتَ، وقال غيره: أراد بالسَّمْعِ وَعْيِي ما يَسْمَعُ والعَمَلُ به، وبالْبَصَرِ الاعتبار بما يرى ويبصر.

^١ وهو مطلع القصيدة، والدليل على أن (يسمع) بمعنى (يستجيب) قوله في البيت الثاني: (ليحملني على فرسٍ فإيَّي ضعيف المشي للأدنى حمول). انظر القصيدة في نوادر أبي زيد.

^٢ وهو مثل معناه: يسمعُ الحَسَنَ ويتصاممُ عن القبيح.

^٣ أخرجه الترمذي والنسائي والطبراني في (الدعاء)، وصحح الألباني إسناده.

والآخِرُ أن يكون دعا بذلك للأعقاب والأولاد، والأوَّلُ أصحُّ. وقوله: "واجعله الوارث" بلفظ الواحد، وقد تقدّم ذكرُ الأسماع والأبصار بلفظ الجماعة، فيه وجهان: أحدهما أن تكون الهاء راجعةً إلى ضمير الفعل وهو الاستمّاع بهما، والوجهُ الآخر أن تكون الإشارةُ بها إلى واحدٍ واحدٍ من كلِّ سَمِعٍ ومن كلِّ بَصَرٍ، قال الشاعر^١:

إنَّ شرَّ الشبابِ والشَّعرِ الأسدُ ودَّ ما لم يُعاصَ كان جُنُونًا

ولم يُقل: يُعاصيًا، لأنّه أرادَ ما لم يُعاصَ كلُّ واحدٍ منهما.

- في حديثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ يَبْدُو إِلَى هَذِهِ التَّلَاعِ، وَإِنَّهُ أَرَادَ الْبَدَاوَةَ مَرَّةً فَأَرْسَلَ إِلَيَّ نَاقَةً مُحْرَمَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ^٢.

التَّلَاعُ: جَمْعُ تَلَعَةٍ، وَهِيَ مَسِيلُ الْمَاءِ مِنْ فَوْقَ إِلَى أَسْفَلَ. وَيُقَالُ لِمَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ تَلَعَةٌ، وَكَذَلِكَ لِمَا انْخَفَضَ مِنْهَا.

^١ هو حسان بن ثابت. والبيت في ديوانه مطلع القصيدة. وبعده: (ما التصابي على المشيب وقد قلبت من ذاك أظهرًا وبطونا).

^٢ رواه مسلم.

والبداوة الخُروجُ إلى البادية، وفيها لَعَتَان، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْبِدَاوَةُ وَالْحِضَارَةُ بِالْكَسْرِ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْبِدَاوَةُ وَالْحِضَارَةُ بِالْفَتْحِ، وَأَنْشَدَ^١:

فَمَنْ تَكُنِ الْحِضَارَةُ أَعْجَبْنُهُ فَأَيَّ رِجَالِ بَادِيَةٍ تَرَانَا

وَالنَّاقَةُ الْمُحَرَّمَةُ: هِيَ الَّتِي لَمْ تُرَكَّبْ وَلَمْ تُدَلَّلْ، وَيُقَالُ: سَوَّطُ مُحَرَّمٍ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُكْمَلْ دِبَاغُهُ، قَالَ مَالِكُ بْنُ حُرَيْمٍ^٢:

فَإِنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لِلْمَرْءِ مُفْسِدٌ تَحْرُزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعُ
الْمُحَرَّمُ^٣

وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُبَالِغْ فِي دِبَاغِهِ كَانَ أَشَدَّ لَضْرِبِهِ، وَيُقَالُ: أَعْرَابِيٌّ مُحَرَّمٌ، إِذَا لَمْ يُجَالِطِ أَهْلَ الْحَضَرِ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنْشَدَ الْأَخْفَشُ أَبُو الْخَطَّابِ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ^٤:

^١ هو للقطامي التغلبي، والبيت في ديوانه مطلع القصيدة. وبعده: (وَمَنْ رَبَطَ الْجِحَاشَ فَإِنَّ فِينَا قِنَا سُلْبًا وَأَفْرَاسًا حِسَانًا).

^٢ مالك بن حريم بن مالك الهمداني: شاعر همدان في عصره وفارسها وصاحب مغازيها، جاهلي يماني كان يقال له (مفرغ الخيل) ويعد من فحول الشعراء وهو صاحب البيت المشهور: (متى تجمع القلب الذكي وصارماً = وأنفأ حمياً تحتنبك المظالم) وهو أحد وصافي الخيل المشهورين وله أخبار.

^٣ في ديوانه من أبياته التي مطلعها: (وَأُنْبِئْتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبٍ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ).

^٤ نسب للأعشى. ولم أجده في ديوانه.

قالت قتيلة: ما له قد جُلِّلت شيبًا شَوَّأته

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: قَالَ أَبُو عَمْرٍو لِأَبِي الْخَطَّابِ لَمَّا أَنْشَدَهُ: شَوَّأته! صَحَّفْتِ، إِنَّمَا هِيَ سَرَّأته، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتِ الرَّاءَ مُنْتَفِخَةً فَصَيَّرْتَهَا وَاوًا، فَعَضِبَ أَبُو الْخَطَّابِ وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: بَلْ هُوَ شَوَّأته وَإِنَّمَا هُوَ الَّذِي صَحَّفَ، وَقَالَ:

وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ هَذَا بِالْيَمَامَةِ مِنْ عِدَّةٍ مِنَ النَّاسِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: فَأَخَذْنَا بِقَوْلِ أَبِي عَمْرٍو، فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مُحَرَّمٌ^١ مِنْ آلِ الرَّبِيزِ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ، فَقَالَ: أَقْشَعَرَّتْ شَوَاتِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ أَبَا الْخَطَّابِ وَأَبَا عَمْرٍو أَصَابَا جَمِيعًا، وَسَرَّأَتْ كِلَيْ شَيْءٍ أَعْلَاهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ؛ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوِّءِ وَتَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبْعَانِ"^٢.

قوله: "تقع من الجائع موقعها من الشَّبْعَانِ" يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّ شِقَّ التَّمْرِ لَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ وَلَا يَبِينُ لَهُ كَبِيرُ مَوْقِعِ مِنَ الْجَائِعِ إِذَا أَكَلَهُ، كَمَا لَا يَبِينُ أَثَرُهُ عَلَى الشَّبْعَانِ إِذَا تَنَاوَلَهُ، يَقُولُ: فَلَا تَعْجِزُوا أَنْ تَتَصَدَّقُوا بِهِ مَعَ قِلَّةِ حَظِّهِ وَعَدَمِ غَنَائِهِ، وَالْوَجْهُ الْآخِرُ أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الطَّعَامِ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَإِنَّ فِيهِ عَلَى قَلْبِهِ مَا يَمْسِكُ مِنَ الرَّمَقِ، كَمَا أَنَّ لَهُ أَنْ يَكْظَّ عَلَى الشَّبْعِ،

^١ مُحَرَّمٌ: فَصِيحٌ لَمْ يَخَالِطْ أَهْلَ الْحَضَرِ.

^٢ انظر معجم شيوخ ابن الأعرابي، باب الدال.

يقول: فلا تستقلُّوا من الصدقة شيئاً وإن قلَّ؛ فإنَّ القليلَ منه إذا اجتمع إلى مثله لم يلبث أن يُشبعَ الجائع.

- في حديثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، مَا شَكَرَ اللهُ عَبْدٌ لَّا يَحْمَدُهُ"^١.

الحمد: نوعٌ، والشُّكر: جنسٌ، فكلُّ حَمْدٍ شُكْرٌ وليس كلُّ شُكْرٍ حمداً. وهو على ثلاث منازل: شُكْرُ الْقَلْبِ، وهو الاعتقادُ بأن الله وليُّ النِّعَمِ، قَالَ اللهُ تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}.

وشُكْرُ اللِّسَانِ، وهو إظهارُ النِّعْمَةِ بالذِّكْرِ لها والشِّنَاءِ عَلَى مُسَدِّهَا، قَالَ اللهُ: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} وهو رأسُ الشُّكْرِ المذكور في الحديث.

وشُكْرُ الْعَمَلِ، وهو إدَابُ النِّفْسِ بالطَّاعَةِ، قَالَ اللهُ تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا}. وقام رَسُولُ اللهِ حتى تَفَطَّرَتْ قدماه فقبل له: يا رَسُولَ اللهِ أليس قد غَفَرَ اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قَالَ: "أفلا أكونُ عبداً شكوراً"^٢. وقد جمع الشَّاعرُ أنواعه الثلاثةَ فَقَالَ:

أفادتكم النِّعماءُ مِنِّي ثلاثةٌ
يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

^١ أخرجه البيهقي في (الآداب) والبعوي في (شرح السنة)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف الجامع.

^٢ متفق عليه.

ويقال: إِنَّ الْحَمْدَ مَا كَانَ عَلَى غَيْرِ مَقَابَلَةٍ، وَالشُّكْرَ عَنِ مَقَابَلَةٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ أَنَّهُ لَمَّا أُخْبِرَ بِشَكْوَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ^١: حَرَجَ عَلَى جِمَارِهِ يَعْفُورَ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَدِيفَهُ، فَمَرَّ بِمَجْلِسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ، وَكَانَتْ الْمَدِينَةُ إِتْمًا هِيَ سَبَاحٌ وَبَوغَاءُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ جَاءَتْ الْعَجَاجَةُ^٢، فَجَعَلَ ابْنُ أَبِيٍّ طَرْفَ رِدَائِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَقَالَ: يَذْهَبُ مُحَمَّدٌ إِلَى مَنْ قَدْ أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِهِ، فَأَمَّا مَنْ لَمْ يُخْرِجْهُ وَكَانَ قُدُومُهُ كَثًّا مِنْحَرِهِ فَلَا يَعْشَاهُ^٣.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْبَوغَاءُ: الثَّرْبَةُ الرَّخْوَةُ الَّتِي كَأَنَّهَا ذَرِيرَةٌ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الدَّقْعَاءُ وَالتَّرْبَاءُ وَالتَّرْيَاءُ: الثَّرَابُ، وَأَرَاهُ قَالَ اللَّيْنِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رَيْعَةَ^٤:

فِي ظِلِّ دَانِيَةِ الْغُصُونِ وَرَيْقَةٍ نَبَتَتْ بِأُجْهِرِ طَيْبِ الثَّرْيَاءِ

^١ سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري: من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسبًا، وهو زعيم الخزرج قبل الإسلام. صحابي أسلم مبكرًا، وشهد بيعة العقبة، وعاش إلى جوار الرسول، واشتهر بالكرم والجود هو وابنه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي، وقيل عن سعد: «كان الرجل من الأنصار ينطلق إلى داره، بالواحد من المهاجرين، أو بالاثنتين، أو بالثلاثة. وكان سعد بن عبادة ينطلق بالثمانين».

^٢ الغبار.

^٣ رواه البخاري ومسلم، بألفاظ قريبة، في حديث طويل.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (حَدَّثَ حَدِيثَ فَتَاةٍ حَيٍّ مَرَّةً بِالْجِرْعِ بَيْنَ أَذَاخِرِ وَخَرَاءِ).

وقوله: كَثَّ مِنْحَرِهِ، إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: رَعِمَ أَنْفِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

وَمَوْلَاكَ لَا يُهْضَمُ لَدَيْكَ فَإِنَّمَا هَضِيمَةُ مَوْلَى الْقَوْمِ كَثُّ الْمَنَاخِرِ

وَأَرَى أَصْلَ هَذَا مِنَ الْكَثْكَثِ، وَهُوَ التُّرَابُ، يُقَالُ لِلكَاذِبِ: فِيهِ الْكَثْكَثُ، وَالْكَثْكَثُ، يُقَالُ ذَلِكَ بِفَتْحِ الْكَافِ وَكَسْرِهَا، وَحَكَى اللَّحْيَانِيُّ عَنْ أَعْرَابِيٍّ فَصِيحٌ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِي؟ قَالَ: مَا كَتَّكَ وَأَرْغَمَكَ هَكَذَا؟ قَالَ: بِالْتَاءِ الَّتِي هِيَ أَخْتُ الطَّاءِ، وَيَشْبَهُ أَنْ يَكُونَا لُغَتَيْنِ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ حِمَارُهُ الْيَعْفُورَ لِغُفْرَةِ لَوْنِهِ، وَالْغُفْرَةُ حُمْرَةٌ يَخَالِطُهَا بِيَاضٌ، يُقَالُ: أَعْفُرُ وَيَعْفُورُ، وَأَخْضَرُ وَيَخْضُورُ، وَأَصْفَرُ وَيَصْفُورُ، وَأَحْمُ وَيَحْمُومُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

كَأَنَّهُمْ لِلنَّازِرِ الْمُتِيرِ عِيدَانُ شَطِيٍّ دِجْلَةٌ الْيَخْضُورِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ كَانَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ أَصْلٌ فَلْيَتَمَسَّكَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَجْعَلْ لَهُ بِهَا أَصْلًا وَلَوْ قَصْرَةً"^٣.

^١ هو حسان بن ثابت، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وإن سعيد الجد من بات ليلةً وأصبح لم يؤشب ببعض الكباثر).

^٢ هو غيلان بن حريث، انظر: شرح أبيات سيبويه: وصف ظعنًا تحملت وسارت، وشبه الهوادج على الإبل بالعُيدان من النخل، الذي قد طال وفات المتناول، كأنهم للإنسان الذي ينظر إليهم، والمتير: المتير بالهمز وبغير الهمز: هو الذي يديم النظر.

^٣ رواه الطبراني في المعجم الكبير، ورجاله لا بأس بهم.

أراد بالقَصْرَةِ: النَّحْلَةَ، وتُجمع على القَصْر والقَصْرَات، وقرأ الحسن: {إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ} فسروه كأعناق النخل.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى: "إِنَّمَا بَعَثْتُكَ أَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرُوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ"^١.

قوله: لا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، يريد أن القرآن وإن مُجِي رَسْمُهُ بِالْمَاءِ وَعُغْسِلَ لم يذهب عن الصُّدُورِ ولم يُنْسَخَ حِفْظُهُ مِنَ الْقُلُوبِ، وكان أهل الكتب المتقدمة لا يكاد الواحد منهم يجمع كتابه حِفْظًا بَقَلْبِهِ، ويقال: إن اليهود إنما قالت الفِرْيَةِ وَالْقَوْلَ الْمُنْكَرَ فِي عَزْرِي تَعْجُبًا مِنْهُ حِينَ اسْتَدْرَكَ التَّوْرَةَ حِفْظًا وَأَمْلَاهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، بعدما درست في عهد بُحْتَنَصَّرَ، فأما هذه الأمة فقد منَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بَأَنْ يَسَّرَ لَهُمْ ذِكْرَ الْكِتَابِ وَتَكْفُلَ بِحِفْظِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.

^١ رواه مسلم، في حديث طويل.

وقوله: تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانُ، معناه - والله أعلم - تَجْمَعُهُ حِفْظًا وَأَنْتَ نَائِمٌ
 كما تَجْمَعُهُ وَأَنْتَ يَقْظَانُ، من قولهم: قرأتُ في الحوضِ، أي جَمَعْتُهُ فِيهِ، وما
 قرأتِ الناقَةُ جَنِينًا، أي لم يشتمل رحمها على ولدٍ، قال الشاعر^١:

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ
 جَنِينًا^٢

وقال حميد بن ثور^٣:

أَرَاهَا غُلَامَاهَا الْخَلَا فَتَشَدَّرْتُ مِرَاحًا وَلَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا وَلَا دَمَاءَ

^١ هو عمرو بن كلثوم: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود: شاعر جاهلي، ولد في شمالي جزيرة العرب في بلاد ربيعة. وتحوّل فيها وفي الشام والعراق ونجد. وكان من أعز الناس نفساً، وهو من الفُتاك الشجعان. ساد قومه (تغلب) وهو فتى، وعُمر طويلاً. وهو الذي قتل الملك عمرو بن هند. أشهر شعره معلقته التي مطلعها: ألا هَيِّ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا، يقال: إنَّهَا كَانَتْ فِي نَحْوِ أَلْفِ بَيْتٍ، وإنَّهَا بَقِيَ مِنْهَا مَا حَفِظَهُ الرَّوَاةُ، وَفِيهَا مِنَ الْفَخْرِ وَالْحِمَاةِ الْعَجَبُ. مات في الجزيرة الفراتية.

^٢ من معلقته الشهيرة: (أَلَا هَيِّ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي حُمُورَ الْأَنْدَرِينَا).

^٣ حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري: شاعر مخضرم عاش زمناً في الجاهلية وشهد حُنيناً مع المشركين، وأسلم ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقيل أدرك زمن عبد الملك بن مروان.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا هَيِّمَا مِمَّا لَقِيْتُ وَهَيِّمَا وَوَيْحاً لِمَنْ لَمْ أَلَقَ مِنْهُنَّ وَيْحَمَا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ كَانَ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ يُحْشُ عَلَيْهَا فِي بَيْدَاءِ ذِي الْحُلَيْفَةِ، إِذْ عَدَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ فَاَنْتَرَعَ شَاءَ مِنْ غَنَمِهِ، فَجَهَّجَاهُ الرَّجُلُ فَرَمَاهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اسْتَنْقَذَ مِنْهُ شَاتَهُ^١. وَذَكَرَ الْقِصَّةَ فِي كَلَامِ الذَّنْبِ، قَالَ: فَقَالَ الذَّنْبُ: أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ أَنْ تَنْتَرَعَ مِنِّي شَاءَ رُزِقْتَهَا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ! فَقَالَ الذَّنْبُ: أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ هَذَا الرَّسُولُ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا حَلَا وَيُحَدِّثُهُمْ بِمَا هُوَ آتٍ، فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ قَوْلَ الذَّنْبِ سَاقَ غَنَمَهُ يُحَوِّزُهَا حَتَّى جَاءَ الْمَدِينَةَ^٢.

قوله: يُحْشُ عَلَيْهَا، إِنَّمَا هُوَ يَهْشُ بِأَهَاءِ، وَهَشُّ أَنْ تُضْرَبَ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ بَعْضًا حَتَّى يَتَحَاتَّ وَرْفُهَا فَتَرَعَاهُ الْغَنَمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَهَشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي}، وَهَاءُ وَالْحَاءُ أُخْتَانِ فِي قُرْبِ الْمَخْرَجِ.

وقوله: جَهَّجَاهُ، إِنَّمَا هُوَ جَهَّجَهُ، أَبَدَلَ الْهَاءَ هَمْزَةً، يُقَالُ: جَهَّجَهُتُ السَّبْعَ، إِذَا زَجَرْتَهُ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْإِطَنْابَةِ^٣:

^١ رواه أحمد في المسند ورواه البخاري ومسلم، وليس عندهم جميعاً كلام الذئب عن رسول الله بين الحرتين.

^٢ انظر: سيرة ابن إسحاق، والطبقات الكبرى لابن سعد.

^٣ عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر، من قبيلة الخزرج، أمه الإطنابة بنت شهاب بن زبَّان من بني القين بن جسر. شاعر جاهلي قديم، وأحد فرسان العرب، ويقال: إنه كان ملكاً على المدينة

والضاريين الكبش يبرق بيضه ضرب المجهجِه عن حياض
الآبل^١

وفيه لغة أخرى: هَجَّجْتُ، وهو في زجر الإبل أكثر، وأما العنم وإنما يقال
في الزجر لها: حاحيتُ، قال امرؤ القيس^٢:

قَوْمٌ يُحَاوِنُ بِالْبِهَامِ وَنَسْدٍ حَوَانٌ قِصَارٌ كَهَيْئَةِ الْحَجَلِ^٣

وقوله: يحوزها أي يسوقها، قال الشاعر^٤:

يَحُوزُهُنَّ وَلَهُ حُوزِيٌّ كَمَا يَحُوزُ الْفَتَّةَ الْكَمِيَّ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كُلُّ صَعَارٍ مَلْعُونٌ"^٥.

في الجاهلية، ملكه عليها النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وفي بعض الأخبار أنه كان ملك الحجاز.
وهو أحد الشعراء الذين نُسبوا إلى أمهم لا إلى أبيهم.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (صرمت ظليمة حُلتي ومراسلي وتباعدت ضناً بزادِ الراحلي).

^٢ في ديوانه من أبياته حين نزل في بني عدوان بعد مقتل أبيه، ومطلعها: (بُدُلْتُ مِنْ وَائِلٍ وَكُنْدَةَ
عَد ... وَأَنْ وَقَهْمَا، صَمِي ابْنَةُ الْجَبَل).

^٣ البهام: أولاد الضأن والبقر.

^٤ هو العجاج، يصف ثوراً وكلاباً، في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (بَكَيْتَ وَالْمَحْتَرِنُ الْبَكِيَّ
وَأَمَّا يَأْتِي الصِّبَا الصِّيَّ).

^٥ انظر: المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث لأبي موسى المدني.

ذَكَرَهُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ قَالَ: بَلَغَنِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَفَسَّرَهُ فَقَالَ: هُوَ النَّمَّامُ، وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنَّ الصَّعَّارَ ذُو الْكَبْرِ وَالْأُجْبَةَ، لِأَنَّهُ يَمِيلُ بِخَدِّهِ وَيُعْرِضُ عَنِ النَّاسِ بِوَجْهِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا}. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ:

أَلَا يَا عَيْنُ فَابْكِي لِي سُمِيرًا إِذَا صَعِرَتْ مِنَ الْعَضْبِ الْأُتُوفُ
وَسُمِيرًا: أَخُوهُ، قَالَ الْمُتَلَمَّسُ^٢:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مِيلِهِ فَتَقَوَّمَا

وَرَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَّاجُ: ضَفَّازٌ، قَالَ: وَمَعْنَاهُ النَّمَّامُ، مُشْتَقٌّ مِنَ الضَّفْزَفِ، وَهُوَ شَعِيرٌ يُجَشُّ لِيُعَلِّقَهُ الْبَعِيرُ.

وَقِيلَ لِلنَّمَّامِ: ضَفَّازٌ، لِأَنَّهُ يُرَوِّرُ الْقَوْلَ كَمَا يُهَيِّأُ هَذَا الشَّعِيرُ لَعَلْفِ الْإِبِلِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: "إِنَّهُ أَفْحَجُ
أَعْوُرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَتْ بِنَاتِيَةٍ وَلَا جَحْرَاءَ"^٣.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ أَيْبَاتٍ مُطْلَعَهَا: (أَلَا يَا عَيْنُ مَا فَابْكِي سُمِيرًا إِذَا ظَلَّ الْمَطْيُ لَهَا صَرِيْفًا).

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيْدَةٍ يُعَاتَبُ فِيهَا خَالَهُ الْحَارِثُ بْنُ التَّوْعَمِ الْيَشْكُرِيُّ وَمُطْلَعَهَا: (تُعَيِّرُنِي أُمَّتِي رِجَالًا
وَلَنْ تَرَى ... أَحَاكِرِمَ إِلَّا بَأْنَ يَتَكْرَمًا).

^٣ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَهُ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْفَحْجُ تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الْفَخِذَيْنِ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَفْحَجٌ، قَالَ: فَإِذَا كَثُرَ لَحْمُ الْفَخِذَيْنِ فَتَبَاعَدَا مَا بَيْنَهُمَا فَذَلِكَ الْبَدْدُ، وَرَجُلٌ أَبْدٌ وَامْرَأَةٌ بَدَاءٌ. وَقَوْلُهُ: مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، أَي ذَاهِبُ الْبَصَرِ مِنْ غَيْرِ بَحْقٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ مَسِيحًا لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْبَصَرِ مِنْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، جَاءَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ.

وقوله: ليست نباتة ولا جحراء، يريد أنها ليست بمنجخرة غائرة.

ورواه نعيم بن حماد عن بقة بن الوليد فقال: جحراء، الحاء قبل الجيم، فإن كان محفوظاً فمعناه أنها ليست بصلبة متحجرة، لكنها رخوة لينة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، جَائِزَتُهُ يَوْمَهُ وَلَيْلَتُهُ، وَلَا يَثْوِي عِنْدَهُ؛ حَتَّى يُجْرِحَهُ"^١.

قوله: جائزته يومه وليلته، تفسيره ما قال مالك بن أنس وسئل عن قوله: "جائزته يومه وليلته" قال: يُكْرِمُهُ وَيُتِحُّهُ وَيُخْصُّهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ضِيَافَةً.

قسم صلى الله عليه وسلم أمره إلى ثلاثة أقسام: إذا نزل به الضيف أتحفه في اليوم الأول وتكلف له على قدر وجده، فإذا كان اليوم الثاني قدم إليه ما

^١ رواه البخاري ومسلم.

يَحْضُرُهُ، فإذا جاوز مُدَّةَ الثَّلَاثِ كَانَ مُحَيَّرًا بَيْنَ أَنْ يَتِمَّ عَلَى وَتَيْرَتِهِ وَيَبْنَ أَنْ يُمْسِكَ، وجعله كالصَّدَقَةِ النَّافِلَةِ.

وقوله: لَا يَتَوَيَّعُ عِنْدَهُ حَتَّى يُجْرَجَهُ، فَإِنَّ التَّوَاءَ الْإِقَامَةُ بِالْمَكَانِ، يَقُولُ: لَا يُقِيمُ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ حَتَّى يُضَيِّقَ صَدْرَهُ، وَأَصْلُ الْحَرْجِ الضِّيْقُ، وَقَدْ رُوِيَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ: "وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْتِمَّهُ"، قَالُوا وَكَيْفَ يُؤْتِمُّهُ؟ قَالَ: "يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ يَفْرِيهِ"^١، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ"^٢.

وَأَنَا أَنْكَرُ هَذَا التَّفْسِيرَ وَأُرَاهُ غَلَطًا؛ وَكَيْفَ يَأْتِمُّ فِي ذَلِكَ وَهُوَ لَا يَتَّسِعُ لِقِرَاهِ وَلَا يَجِدُ سَبِيلًا إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا الْكُلْفَةُ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا}.

وَوَجْهُ الْحَدِيثِ أَنَّهُ إِنَّمَا كَرِهَ لَهُ الْمَقَامَ عِنْدَهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ لِئَلَّا يَضْيُقَ صَدْرُهُ بِمَقَامِهِ فَتَكُونَ الصَّدَقَةُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْمَنِّْ وَالْأَدَى؛ فَيُبْطَلُ أَجْرُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّْ وَالْأَدَى}.

^١ وهو في رواية البخاري ومسلم.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الْعُلُوطَاتِ^١، وَيُرْوَى الْأُغْلُوطَاتِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: هِيَ صَعَابُ الْمَسَائِلِ.

الْعُلُوطَاتُ: جَمْعُ عُلُوطَةٍ: وَهِيَ الْمَسْأَلَةُ الَّتِي يَبْعَثُ بِهَا الْمَسْئُولُ فَيُعْلَطُ فِيهَا، كَرِهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْتَرِضَ بِهَا الْعُلَمَاءُ فَيُعَالَطُوا لِيُسْتَرْزَلُوا وَيُسْتَسْقَطَ رَأْيُهُمْ فِيهَا، يُقَالُ: مَسْأَلَةٌ عُلُوطٌ، إِذَا كَانَ يُعْلَطُ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ: شَاةٌ حُلُوبٌ وَفَرَسٌ رَكُوبٌ، إِذَا كَانَتْ تُرْكَبُ وَتُحَلَبُ، فَإِذَا جَعَلْتَهَا اسْمًا زِدْتَ فِيهَا الْهَاءَ فَقُلْتَ عُلُوطَةٌ، كَمَا يُقَالُ: رَكُوبَةٌ وَحُلُوبَةٌ، وَتَجْمَعُ عَلَى الْعُلُوطَاتِ، كَمَا تُجْمَعُ الْحُلُوبَةُ عَلَى الْحُلُوبَاتِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

أَوْدَى الزَّمَانُ حُلُوبَاتِي وَمَا جَمَعْتُ كَفَّايَ مِنْ سَبَدِ الْأَمْوَالِ وَاللَّبَدِ

وَالْأَعْلُوطَةُ: أَفْعُولَةٌ، مِنَ الْعَلَطِ، كَالْأَحْدُوثةِ وَالْأَحْمُوقةِ وَنَحْوِهَا.

^١ رواه أحمد وأبو داود، بسند فيه مقال.

^٢ هو عمرو بن مسعود الثقفي، أخو الصحابي عروة بن مسعود، وكان صديق أبي سفيان بن حرب، وكان ينزل عليه إذا أتى الطائف. وعاش عمرو إلى أن أسن، ثم وفد على معاوية لما استخلف وأنشده أبياته التي منها هذا البيت، ومطلعها: (أَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرًا هَامَةً لَعْدِ أَزْقُو لَدَى جَدِّثِي أَوْ لَا فَبَعْدَ عَدِّ).
أو لا فبعد عد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ دَعَا عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى^١ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلَابِكَ"، فَخَرَجَ عُتَيْبَةُ فِي تَجَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِمَكَانٍ مِنَ الشَّامِ يُقَالُ لَهُ الزَّرْقَاءُ، لَيْلًا، فَعَدَا عَلَيْهِ الْأَسَدُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ فَأَخَذَ بِرَأْسِهِ فَضَعَمَهُ ضَعْمَةً فَدَعَاهُ^٢.

الضَّعْمُ: شِدَّةُ الْعَضِّ عَلَى الشَّيْءِ وَالتَّنَاوُلُ لَهُ بِالْأَسْنَانِ، وَبِهِ سُمِّيَ الْأَسَدُ ضَيْعَمًا، قَالَ زُوْبَةُ^٣ يَصِفُ بَعِيرًا:

أَشْدَقُ يَفْتَرُّ افْتِرَارَ الْأَفْوَهِ عَنِ عَصَلَاتِ الضَّيْعَمِيِّ الْأَجْبِهِ

العَصَلَاتُ: الْأَسْنَانُ الْعَوْجُ.

وَالضَّيْعَمِيُّ: الشَّدِيدُ الْعَضِّ، وَيُحْكَى أَنْ كَثِيرًا دَخَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ، فَأَنْشَدَهُ، فَالْتَمَّتْ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ: كَيْفَ تَرَى؟ فَقَالَ: حِجَازِيٌّ مُجَوِّعٌ مَقْرُورٌ، دَعَنِي أَضَعَمَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ كَثِيرٌ: مَنْ

^١ ابن أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم.

^٢ رواه ابن عساکر في تاريخه، وفي إسناده كلام.

^٣ في ديوانه من أرجوزته في نفسه، ومطلعها: (قالت أُبَيْلَى لِي وَوَمَّ أُسْبَهَ مَا السِّنُّ إِلَّا عَقْلَةُ الْمَدَلَّةِ).

هذا يا أمير المؤمنين؟ فَقَالَ هذا الأخطل، فَقَالَ له: فَهَلَّا ضَعَمْتَ الَّذِي يَقُولُ^١:

لَا تَطْلُبَنَّ خَوْوَلَةً فِي تَغْلِبٍ فَالزَّيْجُ أَكْرَمُ مِنْهُمْ أَحْوَالًا

فَسَكَتَ الْأَخْطَلُ وَمَا أَجَابَهُ بِحَرْفٍ.

وقوله: فَدَعَّه، أي شَدِخَهُ، والفدغ: الشدخ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ الَّذِي يَرْوِيهِ الْأَعْمَشُ عَنْ طَلْحَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْسَجَةَ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ: "زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ"^٢.

قوله: "زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ" الْمَعْنَى: زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَقَدَّمَ الْأَصْوَاتَ، عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي قَلْبِ الْكَلَامِ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ.

يقال: عَرَضْتُ النَّاقَةَ عَلَى الْحَوْضِ، أي عَرَضْتُ الْحَوْضَ عَلَى النَّاقَةِ، وَإِذَا طَلَعْتُ الشَّعْرَى وَاسْتَوَى الْعُودُ عَلَى الْحِرْبَاءِ، أي اسْتَوَى الْحِرْبَاءُ عَلَى الْعُودِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ هو جرير، في قصيدته التي يهجو فيها الأخطل، ومطلعها: (حَيِّ الْغَدَاةَ بِرَأْمَةِ الْأَطْلَالِ رَسْمًا تَحْمَلُ أَهْلُهُ فَأَحَالًا).

^٢ رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، بإسنادٍ صحيحٍ.

^٣ هو خداح بن زهير الهوازني (كما في الصحاح): من بني عامر بن صعصعة، من أشرف هوازن وشجعانهم، وفارس من فرسان قيس عيلان في حرب الفجار ضد كنانة، كان يغلب على شعره

وَتَرَكِبُ حَيْلٍ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحَ بِالضَّيَاطِرَةِ
الْحُمْرِ^١

وَأَمَّا هُوَ: تَشْقَى الضَّيَاطِرَةَ بِالرِّمَاحِ.
وقال الفرزدق^٢:

عَدَاةٌ أَحَلَّتْ لَابِنِ أَصْرَمِ طَعْنَةً حُصَيْنِ^٣ عَبِيطَاتِ السَّدَائِفِ وَالْحُمْرِ
رَوَى الْأَثَرُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ حَضَرَ يُونُسَ وَالْكَسَائِيَّ فَأَلْقَاهُ يُونُسُ عَلَيَّ
الْكَسَائِيَّ، فَرَفَعَ الْكَسَائِيُّ الطَّعْنََةَ وَنَصَبَ الْعَبِيطَاتِ وَرَفَعَ الْحُمْرَ، فَقَالَ يُونُسُ
لِلْكَسَائِيَّ: لَمْ رَفَعْتَ الْحُمْرَ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ: وَحَلَّتْ لَهُ الْحُمْرُ، فَقَالَ يُونُسُ: مَا

الفخر والحماسة. في حرب الفجار قتل فرسان قريش أباه زهيراً الملقب بـ(فارس الضحياء) فكان
خداش يكثر من هجاء قريش وقد قتل خمسة من أشرف قريش ثاراً لأبيه.

^١ في الاختيارين: المفضليات والأصمعيات، من قصيدته التي مطلعها: (أيا راكباً، إما عرضت فبلغن
عقبلاً، وأبلغ، إن عرضت، أبا بكر).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (رعت ناقتي من أم أعين رعيةً ... يُشِلُّ بِهَا وَضَعًا إِلَى
الحقْبِ الضَّفْرِ).

^٣ حصين بن أصرم: رجل أقسم ألا يأكل لحماً، وألا يشرب خمراً حتى يقتل ابن الجون الكندي،
فطعنه طعنة قاتلة أحلَّتْ لَهُ أَكْلَ اللُّحُومِ وَشَرِبَ الخمر.

أَحْسَنَ مَا قَلْتِ وَلَكِنْ سَمِعْتُ الْفَرَزْدَقَ يُنْشِدُهُ فَنَصَبَ الطَّعْنَاءَ وَرَفَعَ الْعَيْطَاتِ
وَالْحَمَرَ، جَعَلَ الْفَاعِلَ مَفْعُولًا وَالْمَفْعُولَ فَاعِلًا، كَقَوْلِ الْآخَرِ^١:

كَانَتِ عُقُوبَةٌ مَا فَعَلْتَ كَمَا كَانَ الزَّانِءُ عُقُوبَةَ الرَّجْمِ

وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا كَانَ الرَّجْمُ عُقُوبَةَ الزَّانِئِ.

وَإِنَّمَا تَأَوَّلْنَا الْحَدِيثَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ لَا يُجُوزُ عَلَى الْقُرْآنِ - وَهُوَ كَلَامُ
الْخَالِقِ - أَنْ يُزَيَّنَ صَوْتُ مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ بِالْتَّزْيِينِ لَعِيْرِهِ وَالتَّحْسِينِ لَهُ أَوْلَى.

وَقَدْ تَوَقَّيْ هَذِهِ الرِّوَايَةَ قَوْمٌ لِأَنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ مَذْهَبٍ مِنْ يَقُولُ بِاللَّفْظِ^٢.

وَعَنْ شُعْبَةَ قَالَ: نَهَانِي أَيُّوبُ أَنْ أُحَدِّثَ: زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، وَرَوَاهُ مَعْمَرٌ
عَنْ مَنْصُورٍ عَنِ طَلْحَةَ فَقَدَّمَ الْأَصْوَاتَ عَلَى الْقُرْآنِ، وَعَنِ الْبَرَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
قَالَ: "زَيَّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ".

وَهَكَذَا رَوَاهُ سُهَيْلُ بْنُ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِتَقْدِيمِ الْأَصْوَاتِ
عَلَى الْقُرْآنِ. وَالْمَعْنَى: أَشْغَلُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْهَجُوا بِقِرَاءَتِهِ وَاتَّخَذُوهُ زِينَةً
وَشِعَارًا، وَلَمْ يُرِدْ تَطْرِيبَ الصَّوْتِ بِهِ وَالتَّحْزِينَ لَهُ؛ إِذْ لَيْسَ هَذَا فِي وُسْعِ كُلِّ
أَحَدٍ، فَلَعَلَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا أَرَادَ التَّزْيِينَ لَهُ أَفْضَى بِهِ إِلَى التَّهْجِينِ، وَإِنَّمَا

^١ هو النابغة الجعدي، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أبلغ فشيئاً والحريش فما ذا ردّي
أيديكم ستمي).

^٢ المقصود باللفظ هو قول القائل: "إن اللفظ بالقرآن مخلوق"، أو ما يعرف بمسألة خلق القرآن.

المعنى في ذَلِكَ ما ذكرناه لقوله: "ليس مِنَّا مَنْ لم يتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ"^١، إِنَّمَا هُوَ أَنْ يُلْهَجَ بتلاوته كما يُلْهَجُ النَّاسُ بِالْغِنَاءِ وَالطَّرْبِ عَلَيْهِ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ صَاحِبُنَا، أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ فِرَاسٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ هَذَا فَقَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَتَعَنَّ بِالرُّكْبَانِي، وَهُوَ النَّشِيدُ بِالتَّمْطِيطِ وَالْمَدِّ إِذَا رَكِبَتْ الْإِبِلَ وَإِذَا تَبَطَّحَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَإِذَا جَلَسَتْ فِي الْأَفْنِيَةِ وَعَلَى أَكْثَرِ أَحْوَالِهَا، فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ أَحَبَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ هِجْرَاهُمْ^٢ مَكَانَ التَّغْنِي بِالرُّكْبَانِي.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ وَحْشٌ^٣، فَإِذَا حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ لَعِبَ وَجَاءَ وَذَهَبَ، فَإِذَا جَاءَ رَضِيَ فَلَمْ يَتَرَمَّرْ مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْبَيْتِ^٤.

^١ رواه البخاري.

^٢ شاغلهم ودأبهم وعاداتهم.

^٣ حيوان بري مستأنس.

^٤ رواه أحمد، والذهبي وابن كثير، بإسناد صحيح.

قوله: لم يترمّم، معناه لم يتحرّك ولم يبرح مكانه^١، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ^٢:
 صَلْحَدًا لَوْ أَنَّ الْجِنَّ تَعْرِفُ تَحْتَهُ وَضَرَبَ الْمَغْيِي دُقَّهُ مَا
 تَرَمَّرَمَا^٣

وقد يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُبَيَّنًا مِنْ: رَامَ يَرِيمٌ، إِذَا بَرِحَ الْمَكَانَ، إِلَّا أَنَّ التَّكْرِيرَ أَكْثَرُهُ إِنَّمَا يَجْرِي فِي الْمُضَعَّفِ دُونَ الْمَعْتَلِ، وَقَدْ جَاءَ فِي أَحْرَفٍ، إِلَّا أَنَّهَا يَسِيرَةٌ، وَيُقَالُ فِي مَثَلٍ: تَعَطَّعَ عِظِي ثُمَّ عِظِي، وَيُقَالُ: حَضَّحَضَّتْ الْإِنَاءَ، وَأَصْلُهُ مِنْ حَضَّتْ، وَنَحْنَحْتُ الْبَعِيرَ، إِذَا أَنْحَتَهُ، وَقَدْ يَكُونُ تَرَمَّرَمَ بِمَعْنَى تَحَرَّكَتْ مِرْمَتَهُ، بِالصَّوْتِ أَوْ بِالْقَضْمِ أَوْ نَحْوِ، ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ^٤:

وَمُسْتَعَجِبٌ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْ زَيْنَتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرَمِ
 أَي لَمْ يَنْطِقْ.

^١ حتى لا يُؤذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَوْتِهِ أَوْ حَرَكَتِهِ، وَهَذَا مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لِلْحَيَوَانَاتِ؛ أَنْ تَتَأَذَّبَ فِي حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تَكْرِمًا لَهُ، وَإِظْهَارًا لِلْمُعْجَزَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَيَوَانَاتِ لَهُ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَلَا هَيْمًا مِمَّا لَقَيْتُ وَهَيْمًا وَوَيْحًا لِمَنْ لَمْ أَلْقَ مِنْهُنَّ وَيْحَمَا).

^٣ الصلخد: الغليظ الشديد.

^٤ قيل هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ شَقَّ الْمَشَاعِلَ يَوْمَ حَيْبَرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَجَدَ أَهْلَ حَيْبَرَ يَنْتَبِدُونَ فِيهَا^١.

المشاعِلُ: الرِّقَاقُ، واحِدُهَا مِشْعَلٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمِشْعَلُ شَيْءٌ مِنْ جُلُودِ لَهُ أَرْبَعُ قَوَائِمٍ يُنْتَبَدُ فِيهِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٢:

أَضَعَنْ مَوَاقِيتَ الصَّلَوَاتِ عَمَدًا وَحَالَفَنْ الْمَشَاعِلَ وَالْجِرَارَا

وَأَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ^٣ قَالَ: قَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ: اللَّهُمَّ امْتَنِي مِيتَةَ أَبِي خَارِجَةَ، فَقِيلَ: وَكَيْفَ مَاتَ أَبُو خَارِجَةَ؟ قَالَ: أَكَلَ بَدَجًا وَشَرِبَ مِشْعَلًا وَنَامَ فِي الشَّمْسِ فَلَقِيَ اللَّهَ شَبْعَانَ رِيَّانَ دِفَّانَ.

وَالْبَدَجُ: الْحَمَلُ^٤، قَالَ الرَّاجِزُ^٥:

قَدْ هَلَكْتَ جَارَتُنَا مِنَ الْهَمَجِ وَإِنْ تَجَمُّعَ تَأْكُلُ عَتُودًا^٦ أَوْ بَدَجٍ

^١ أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١٦٩٤٠.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (نبت عينك عن طلل بخزوى ... عفته الريح وامتنح القطارا).

^٣ أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب، وهو أستاذ الخطابي، رحمهما الله.

^٤ الحروف الصغيرة.

^٥ هو أبو محرز المحاربي، واسمه عبيد. كما في اللسان.

^٦ العتودُ من الماعز: ما قوي وأتى عليه حوُل.

ومن أوعية الخمر الدُّوَارِع، وهي زِقَاقُ صِغَارٍ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لَا وَاحِدَ لَهَا مِنْ لَفْظِهَا. وَأَخْبَرَنِي الرَّهْنِيُّ قَالَ: قَالَ ثَعْلَبُ: وَاحِدُهَا ذَارِعٌ، وَأَنْشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ:

كَأَنَّ الذَّرَاعَ الْمَشْكُولَ فِيهِ سَلِيبٌ مِنْ رِجَالِ الدَّيْلَانِ^١

فَأَمَّا الْحَمِيتُ فَهُوَ مَا يُجْعَلُ فِيهِ السَّمْنُ وَالزَّيْتُ وَنَحْوُهُمَا، وَمِثْلُهُ النَّحْيُ، وَفِي مَثَلٍ: "أَشْعَلُ مِنْ ذَاتِ النَّحْيَيْنِ"، وَلَهَا قِصَّةٌ^٢.

^١ الديلان قرية بالسند. قال ابن منظور: شبه سواد الزق بالأسود المشلح من رجال السند. والمشلح: العريان الذي أخذ ثيابه.

^٢ هي امرأة من بني تميم الله بن ثعلبة، كانت تبيع السمن في الجاهلية، فأتاها رجلٌ يبتاع منها سمنًا، فلم يرَ عندها أحدًا، وسأومها فحَلَّتْ نَحْيًا، فنظر إليه ثم قال: أمسك به حتى أنظر إلى غيره، فقالت: حُلِّ نَحْيًا آخِرٌ، ففعل، فنظر إليه فقال: أريد غير هذا فأمسك به، ففعلت، فلما شَعَلَ يديها ساوَرَهَا فلم تقدر على دَفْعِهِ حتى قضى ما أراد وهرب، فقال:

وَذَاتِ عِيَالٍ وَاقْتِرِينَ بِعَقْلِهَا ... حَلَجْتُ لَهَا جَارَ اسْتِهَا حَلَجَاتٍ

شَعَلْتُ يَدَيْهَا إِذَا أَرَدْتُ خِلَاطَهَا ... بِنَحْيَيْنِ مِنْ سَمْنٍ ذَوِي عَجْرَاتٍ

فَأَحْرَجْتُهُ رِيَّانَ يَنْطَفُ رَأْسُهُ ... مِنْ الرَامِكِ الْمَدْمُومِ بِالْمَقْرَاتِ

فكان لها الويلات من ترك سمنها ... ورجعتها صفرًا بغير نبات

فَشَدَّتْ عَلَى النَّحْيَيْنِ كَمَا شَحِيحَةً ... عَلَى سَمْنِهَا وَالْمَتَكُ مِنْ فَعْلَاتِي

وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ لِبَعْضِ الْأَعْرَابِ^١:

تَسْأَلُ كُلُّ حُرَّةٍ نَحِيئِنِ وَإِنَّمَا تَسْأَلُ عُكَّتَيْنِ
ثُمَّ تَقُولُ اشْتَرِ لِي قُرْطَيْنِ قَرَطَكَ اللَّهُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ

عَقَارَبًا صُمًَّا وَأَرْقَمَيْنِ

فَأَمَّا هَيْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشُّرْبِ فِي النَّقِيرِ وَالْمُرْقَتِ وَالْحَنْتَمِ، وَإِبَاحَتُهُ أَنْ يُشْرَبَ فِي السِّقَاءِ الْمُوَكَّأِ، فَقَدْ فَسَّرَهَا أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْمَعْنَى فِيهَا وَلَا السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ فَرَّقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُوَكَّأِ، وَالْمَعْنَى فِي ذَلِكَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ النَّقِيرَ وَالْمُرْقَتَ وَالْحَنْتَمَ أَوْعِيَةٌ ضَارِيَةٌ تُسْرِعُ بِالسِّدَّةِ إِلَى الشُّرَابِ، وَقَدْ يَحْدُثُ فِيهِ التَّغْيِيرُ وَلَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ مِنْ شُرْبِ الْمُحَرَّمِ، فَنَهَى عَنْ اسْتِعْمَالِهَا اسْتِبْرَاءً لِلشَّكِّ وَأَخْذًا بِالْيَقِينِ فِيهِ. فَأَمَّا الْمُوَكَّأُ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ السِّقَاءُ الرَّقِيقُ الْجِلْدُ الَّذِي لَمْ يُرْتَبِّبْ، فَإِذَا انْتَبَذَ فِيهِ وَأَوْكِيَ رَأْسُهُ لَمْ يُدْرِكِ الشُّرَابَ وَلَمْ يَشْتَدَّ حَتَّى يَنْشَقَّ السِّقَاءُ، فَلَا يَخْفَى حِينَئِذٍ تَغْيِيرَهُ، وَقَدْ رَوَيْنَا هَذَا الْمَعْنَى عَنْ ابْنِ سِيرِينَ: مَنْ أَوْكَا السِّقَاءَ لَمْ يَبْلُغِ السُّكْرَ حَتَّى يَنْشَقَّ السِّقَاءُ.

^١ في لسان العرب الرجز لأبي القمقام الأعرابي، وفيه قصة، قال أبو القمقام الأعرابي: غبت غيبة عن أهلي فقدمت إليَّ امرأتين عكنتين صغيرتين من سمن ثم قالت لي: حلني اكسني، فقلت... الأبيات.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "اسْتَقِيمُوا لِقُرَيْشٍ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَضَعُوا سُيُوفَكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ فَأَبِيدُوا خَضْرَاءَهُمْ"^١.

الخَوَارِجُ وَمَنْ يَرَى رَأْيَهُمْ يَتَأَوَّلُونَهُ فِي الْخُرُوجِ عَلَى الْأُمَّةِ، وَيَحْمِلُونَ قَوْلَهُ: "مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ" عَلَى الْعَدْلِ فِي السِّيَرَةِ، وَإِنَّمَا الْاسْتِقَامَةُ هَهُنَا الْإِقَامَةُ عَلَى الْإِسْلَامِ، يُقَالُ: أَقَامَ وَاسْتَقَامَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، كَمَا يُقَالُ: أَجَابَ وَاسْتَجَابَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، وَقَالَ الشَّاعِرُ^٢:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ
مُجِيبٌ^٣

وَالْمَعْنَى: اسْتَقِيمُوا لَهُمْ مَا أَقَامُوا عَلَى الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يُبَدِّلُوهَا، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا تَأَوَّلْنَاهُ فِي الْاسْتِقَامَةِ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَعَنْ ابْنِ نُمَيْرَانَ الْبَجَلِيِّ قَالَ:

^١ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ورجاله ثقات.

^٢ هو كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار: كعب بن سعد بن عمرو الغنوي: من بني عَنِيّ. شاعر جاهلي حلوا الديباجة أشهر شعره (بائيته) في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَقُولُ ابْنَةُ الْعَبْسِيِّ قَدْ شَبِتَ بَعْدَنَا وَكُلُّ امْرِئٍ بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ).

قُرِئَتْ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } قَالَ: هُمْ الَّذِينَ لَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا.

ويؤيد هذا المعنى حديثه الآخر عن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "سَيَلِيكُمُ أَمْرَاءُ تَقْشَعُرُ مِنْهُمُ الْجُلُودُ وَتَشْمِئُزُّ مِنْهُمُ الْقُلُوبُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُفَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: "لَا، مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ".^١

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "الْأَيْمَةُ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبْرَارُهَا أَمْرَاءُ أَبْرَارِهَا، وَفُجَّارُهَا أَمْرَاءُ فُجَّارِهَا"^٢، عَنْ عَلِيٍّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "النَّاسُ تَبَعُ لِقُرَيْشٍ؛ خِيَارُهُمْ تَبَعُ خِيَارِهِمْ وَشَرَارُهُمْ تَبَعُ لِشَرَارِهِمْ"^٣، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى جِهَةِ الْإِحْبَارِ عَنْهُمْ لَا عَلَى طَرِيقِ الْحُكْمِ فِيهِمْ، يَقُولُ: إِذَا صَلَحَ النَّاسُ وَبَرُّوا وَلِيَهُمُ الْأَبْرَارُ، وَإِذَا فَسَدُوا وَفَجَرُوا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْأَشْرَارَ.

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ: "كَمَا تَكُونُونَ كَذَلِكَ يَسَلِّطُ عَلَيْكُمْ"^٤.

^١ رواه أبو يعلى في المسند، وروى مسلم الجملة الأخيرة "لَا مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ".

^٢ أخرجه الحاكم وأحمد، والنسائي في السنن الكبرى، وابن أبي شيبه، وصحح إسناده الألباني، وشعيب الأرنؤوط.

^٣ متفق عليه.

^٤ رواه الديلمي في مسند الفردوس والبيهقي بلفظ: "كما تكونوا يولِّ عليكم". وضعفه غير واحد من أهل العلم منهم الألباني.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُنَيْفًا سَأَلَهُ عَنْ نَحْرِ الْإِبِلِ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَعْوِي رُؤُوسَهَا وَيَفْتُقُ لَبَتَهَا^١.

قوله: يَعْوِي رُؤُوسَهَا، أَي يَعْطِفُهَا وَيَلْوِي أَعْنَاقَهَا لِتَبْرُزَ اللَّبَةُ وَهِيَ الْمَنْحَرُ، يُقَالُ: عَوَيْتُ النَّاقَةَ، إِذَا عُجِّتَهَا، قَالَ الْقُطَامِيُّ^٢:

فَرَحَلْتُ يَعْمَلَةَ النَّجَاءِ شِمْلَةً تُرْضِي الرِّمِيلَ إِذَا الرِّمَامُ عَوَاهَا^٣

ويقال: عَوَيْتُ الْحَبْلَ: إِذَا ثَبَيْتَهُ، وَيُقَالُ: إِذَا سَمَّيْتَ الْعَوَاءَ؛ لِانْعِطَافِهَا، وَهِيَ خَمْسَةُ كَوَاكِبَ، كَأَنَّهَا أَلْفٌ مَعْطُوفَةٌ الذَّنْبَ.

^١ رواه أبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث: ع و ي.

^٢ القُطَامِيُّ: عمير بن شبيب بن عمرو بن عباد، من بني جشم بن بكر، التغلبي الملقب بالقُطَامِيُّ. شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. كان صغيراً في أيام شهرة الأخطل، وأن الأخطل حسده على أبيات من شعره. ونقل أن القُطَامِيُّ أول من لقب (صريع الغواني) بقوله: (صريع غوان راقهنّ ورقنه لدن شبّ حتى شاب سود الذوائب) ومن شعره البيت المشهور: (قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل).

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (حلّ الشقيق من العميق طعائناً فنزلن رامةً واحتلكن نواها).

^٤ العَوَاءُ: منزلٌ من منازل القمر.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَرَوِيهِ جَابِرٌ، فِي رَجْمِ مَاعِزٍ: أَنَّهُ لَمَّا أَدْلَقْتَهُ الْحِجَارَةَ جَمَزَ^١. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: فَرَمَيْنَاهُ بِجَلَامِيدِ الْحَرَّةِ حَتَّى سَكَتَ^٢.

قوله: أَدْلَقْتَهُ: أَي عَضَّتْهُ وَأَوْجَعَتْهُ.

قوله: جَمَزَ: أَي أَسْرَعَ يُهْرَوُلُ.

وقال بعضُ السلفِ لرجُلٍ: اتَّقِ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يُجَمَزَ بِكَ، يُرِيدُ الْمَشْيَ السَّرِيعَ فِي جَنَازَتِهِ، قَالَ الْكَسَائِيُّ: النَّاقَةُ تَعْدُو الْجَمَزَى وَالْوَلَقَى، وَهُوَ الْعَدُوُّ الَّذِي كَأَنَّهُ يَنْزُو، قَالَ غَيْرُهُ: نَاقَةٌ جَمَزَى وَبَشَكَى وَوَثَبَى، أَي سَرِيعَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

وَحَيْلٌ تَلَاقَيْتُ رِبْعَاهَا بِعِجْلَةٍ جَمَزَى
الْمُدَّخَرُ^٤

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ رواه مسلم.

^٣ هو أُبَيُّ بْنُ سُلَيْمٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ زَبَانَ الضَّبِّيُّ: شاعر جاهلي.

^٤ هو من أبياته في وصف الناقة، وقد رواها صاحب الحماسة، والشاهد مطلع الأبيات، وبعده: (جَمُومُ الْجَرَاءِ إِذَا عُوْقِبَتْ ... وَإِنْ نُوزِقَتْ بَرَزَتْ بِالْحُضْر). جموم الجراء: أي غير نافذة الجري، إذا عوقبت: أي طلب منها عقب وهو الجري بعد الجري، وإن نوزقت: من النزق وهو النشاط أي جرت معها الخيل الجري الأول برزت عليهم بالخصر أي بالجري الشديد، والمعنى: أنها لا ينفد

وقال رؤبة^١:

فإن تَرَبِّيَ الْيَوْمَ أُمَّ حَمَزٍ قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي
وَجَمَزِي^٢

وقوله: حتى سَكَتَ: يريد سُكُوتَ المَوْتِ، يُقال: أَسَكَتَ اللهُ نَأْمَتَهُ، إذا دعا عَلَيْهِ بالموت.

قَالَ الْمُتَمَلِّسُ يَذْكُرُ مَقْتَلَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ^٣:

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ دَاءَهَا أَخَذُ الرِّجَالَ بِحَلْقِهِ حَتَّى
سَكَتَ^٤

جربها إذا طلب منها جري بعد جري وإذا جرت الخيل معها سبقتها بعدوها في أول جري تلك الخيل.

^١ في ديوانه يصف ضعفه في كبره بعد عنفوانه وقوته، من أرجوزته التي مطلعها: (يَا أَيُّهَا الْجَاهِلُ دُو التَّنَزِّي لَا تُوعِدِيَّ حَبَّةً بِالنَّكْرِ).

^٢ العنق والجمز: نوعان من السير السريع، ولكن الجمز أشد، فهو أقرب إلى الوثب منه إلى السير. المعنى: إنك تربي اليوم - يا أم حمزة - وقد اختلطت خطواتي بسبب الكبر.

^٣ لم أجده في ديوان المتلمس.

^٤ قيل في كيفية قتل عدي حين وشى به أعداء له إلى النعمان الثالث بما أوغر صدره فسجنه وقتله بأن خنقه النعمان بنفسه في السجن.

وقال الأصمعي: سَكَتَ الرَّجُلُ، إِذَا لَمْ يَتَكَلَّمْ، وَأَسَكَتَ، إِذَا أَطْرَقَ، وَأَنْشَدَ^١:

أُبُوكَ الَّذِي أَجْدَى عَلَيَّ بِنَصْرِهِ فَاسَكَتَ عَنِّي بَعْدَهُ كُلُّ قَائِلٍ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِي يَدَيْهِ مَالٌ يَتَمَامِي، فَاشْتَرَى بِهِ حُمْرًا، فَلَمَّا نَزَلَ تَحْرِيمُهَا انْطَلَقَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَصَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "أَهْرَقَهَا"، وَكَانَ الْمَالُ تَحْزَ عَشْرَةَ آلَافٍ"^٢.

قوله: تَحْزَ عَشْرَةَ آلَافٍ: أَي قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: يُنَاهِزُ الشَّرْفَ، أَي يُطَالِعُهُ، وَنَاهِزَ الْغُلَامُ الْحُلْمَ، إِذَا قَارَبَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ للراعي النميري، يمدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَمَانَيْتُ وَأَسْتَبْكَاكَ رَسْمُ الْمَنَازِلِ بِقَارَةِ أَهْوَى أَوْ بِسَوَاقَةِ حَائِلِ).

^٢ رواه البيهقي في السنن والدارمي في المسند بألفاظ قريبة.

^٣ هو عبید الله بن قيس الرقيات: من بني عامر بن لؤي. شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيماً في المدينة، وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة. وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. وأخباره كثيرة معجبة.

تُرْضَعُ شِبْلَيْنِ فِي مَعَارِهَا قَدْ نَاهَزَا لِلْفِطَامِ أَوْ
فُطْمًا^١

وفي الحديث من الفقه أنه لم يأمره بالاستيناء بها حتى تتخلل، وفيه أن الوصي لا غرامة عليه فيما لم يتجن يده.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ أُتِيَ بِشَارِبِ حَمْرٍ فَحَفِقَ بِالتَّعَالِ وَبُهِزَ بِالأَيْدِي"^٢.

قوله: بُهِزَ، أَي وُجِّى، وَالبُّهُزُ: الدَّفْعُ العَنيفُ، قَالَ رُوْبَةُ^٣:

صَكِّي حِجَاجِي رَأْسِهِ وَبُهْزِي

وفيه من الفقه أن حد السكران أخف الحدود، وأنه لا يضرب ضرباً مبرحاً كما يضرب في سائر الحدود.

وفي حديث آخر: أَنَّهُ أُتِيَ بِشَارِبٍ فَقَالَ: "بَكْتَوْه" فَبَكْتَوْه^٤.

^١ في ديوانه من قصيدة يمدح فيها عبد العزيز بن مروان، ومطلعها: (طَرَفْتُهُ أَسْمَاءُ أَمَ حَلَمًا أَمَ لَمْ تَكُنْ مِنْ رِحَالِنَا أَمَّا).

^٢ رواه أحمد، وأبو يعلى، بألفاظ متقاربة.

^٣ في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (يَا أَيُّهَا الجَاهِلُ ذُو التَّنَزِّي لَا تُوعِدْنِي حَيَّةً بِالنَّكْرِ).

^٤ رواه الشافعي في مسنده، وأبو داود.

والتبكيثُ ههنا التقرُّيعُ باللسان، وهو أن يُقال له: أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ، أَمَا حَشَيْتَ اللَّهَ، أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ النَّاسِ، ونحو هذا من الكلام.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ أَنَّهُ قَالَ: "أَمَا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فِي تَفْتُنُونَ وَعَيِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ"^١.

قوله: "بي تفتنون"، أي تُمْتَحَنُونَ، يُرِيدُ سُؤَالَ الْمَلِكِ إِيَّاهُ، وهو قوله: "مَنْ رَبُّكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ".

وأخبرني أبو عُمَرَ عَنْ ثَعْلَبِ بْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: يُقَالُ: فَتَنْتُ الْفِضَّةَ، إِذَا أَدْخَلْتَهَا النَّارَ لَتَعْرِفَ بِهَا جُودَهَا، هَذَا أَصْلُ الْفِتْنَةِ.

وقوله: غَيْرَ مَشْعُوفٍ: أَي غَيْرَ فَرْعٍ وَلَا مَدْعُورٍ.

وَالشَّعْفُ: الْفَرْعُ، وَقَدْ يُسْتَعَارُ فَيُوضَعُ مَوْضِعَ الْحُبِّ، يُقَالُ: شُعِفَ فُلَانٌ بِفُلَانَةٍ، إِذَا أَحَبَّهَا فَوَجَدَ بِهَا كَمَا يَجِدُ الْفَرْعُ فِي قَلْبِهِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الشَّعْفُ: أَنْ يَذْهَبَ الْحُبُّ بِالْقَلْبِ.

قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ^٢:

^١ رواه أحمد وابن ماجه، في حديث طويل، وصحح الألباني إسناده في صحيح الترغيب.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أُبَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي).

لَتَقْتُلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلَ الطَّالِي
قَالَ: فَشَعَفُ الْمَرَأَةِ مِنَ الْحُبِّ، وَشَعَفُ الْمَهْنُوءَةِ مِنَ الدُّعْرِ، شَبَّهَ لَوْعَةَ الْحُبِّ
وَجَوَاهُ بِذَلِكَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا إِسْعَادَ وَلَا عَقْرَ فِي
الْإِسْلَامِ"^١.

قَوْلُهُ: لَا إِسْعَادَ: مِنْ إِسْعَادِ التِّسَاءِ فِي الْمَنَاحَاتِ، وَهُوَ أَنْ تَقُومَ الْمَرْأَةُ فِي
الْمَاءِ فَتَقُومَ مَعَهَا أُخْرَى فَيُقَالُ: قَدْ أَسْعَدْتَهَا، وَهِيَ مُسْعِدَةٌ.

وَيُرْوَى فِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلَانَةَ أَسْعَدَتْنِي، أَفَأَسْعِدُهَا؟ فَقَالَ: "لَا"، وَهِيَ عَنِ النَّيَّاحَةِ.
فَالْإِسْعَادُ خَاصٌّ فِي هَذَا الْمَعْنَى، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^٢:

^١ أخرجه ابن حبان في صحيحه، في حديث طويل، وأبو داود وأحمد، مقتصرين على (لا عقر في الإسلام).

^٢ هو للخنساء: تُمَاضِرُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الشَّرِيدِ، أَشْهَرُ شَوَاعِرِ الْعَرَبِ، وَأَشْعَرُهُنَّ عَلَى
الْإِطْلَاقِ. مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، عَاشَتْ أَكْثَرَ عَمْرِهَا فِي الْعَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَدْرَكَتْ الْإِسْلَامَ فَاسْلَمَتْ.
وَوَفَدَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَعَ قَوْمِهَا بَنِي سَلِيمٍ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَسْتَنْشِدُهَا
وَيَعِجِبُ شَعْرَهَا، فَكَانَتْ تَنْشُدُ وَهُوَ يَقُولُ: هِيَ يَا خِنْسَاءُ! أَكْثَرَ شَعْرَهَا وَأَجُودَهُ رِثَاؤَهَا لِأَخْوِيهَا
(صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية.

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أُسْعِدِينِي^١

وكقول الأحوص^٢:

بَكَيْتُ الْهَوَى جَهْدِي فَمَنْ شَاءَ لَامَنِي وَمَنْ شَاءَ آسَى فِي الْبِكَاءِ وَأَسْعَدَا^٣
فَأَمَّا المساعدة فهي عامة في كل معونة، ويقال إنها مأخوذة من وَضَعَ الرَّجُلُ
يَدَهُ عَلَى سَاعِدِ صَاحِبِهِ إِذَا تَمَاشَى فِي حَاجَةٍ.

وقوله: لَا عَقْرُ، فهو مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عَقْرِ الْإِبِلِ عَلَى قُبُورِ
الْمَوْتَى، كانوا إذا مات الرَّجُلُ الشَّرِيفُ الْجَوَادُ عَقَرُوا عِنْدَ قَبْرِهِ، وكانوا يقولون
إِنَّ صَاحِبَ الْقَبْرِ كَانَ يَعْقُرُهَا لِلْأَضْيَافِ يَقْرِيبُهُمْ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَيُكَافَأُ عَلَيْهِ بِمَثَلِ
صَنِيعِهِ، ويُقالُ إِتَمَّا كانوا يعقرونها لتطعمها السباع والطير عند قبره فيُدعى

^١ في ديوانها وهو مطلع القصيدة، وتامه: (أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أُسْعِدِينِي لِرَبِّ الدَّهْرِ وَالزَّمَنِ
العَضُوضِ).

^٢ الأحوص: عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، من بني ضبيعة: شاعر هجاء،
صافي الديباجة، كان معاصراً لجرير والفرزدق. وهو من سكان المدينة. وفد على الوليد بن عبد
الملك (في الشام) فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته، فرده إلى المدينة وأمر بجلده،
فجلده، ونفي إلى (دهلك) وهي جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من يسخطون
عليه. فبقي بها إلى أن أطلقه يزيد بن عبد الملك. فقدم دمشق فمات فيها. ولقب بالأحوص لضيق
في مؤخر عينيه.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا لَا تُلْمُهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَدَّلَا فَقَدْ غَلَبَ الْمِحْرُوزُ أَنْ
يَتَجَلَّدَا).

مُطْعِمًا حَيًّا وَمَيِّتًا، ويقال: بل كَانَ مِنْ مَدَّهَبِهِمْ أَنَّ صَدَى الْمَيِّتِ يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامَ، وذلك من تُرْهَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وقد تَتَابَعَ الشُّعْرَاءُ فِي هَذَا فَقَالَ بَعْضُهُمْ وَمَرَّ عَلَيَّ قَبْرِ النِّجَاشِيِّ^١ فَعَقَّرَ نَاقَتَهُ^٢:

نَحَرْتُ عَلَيَّ قَبْرِ النِّجَاشِيِّ نَاقَتِي بِأَبْيَضَ عَضْبٍ أَخْلَصْتَهُ صَيَاقِلُهُ

عَلَيَّ قَبْرِ مَنْ لَوْ أَنِّي مِتُّ قَبْلَهُ لَهَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ قَبْرِي رَوَاحِلُهُ

وقال حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^٣ وَمَرَّ بِقَبْرِ رَبِيعَةَ بْنِ مُكَدَّمٍ^٤:

^١ النجاشي هو الشاعر الإسلامي: قيس بن عمر بن مالك الحارثي، وصاحب البيتين هو أخوه خديج بن عمرو بن مالك الحارثي، وهو أيضاً شاعر إسلامي، ومن شعره الأبيات الآتية التي رثى بها من لوعة الحزن أخاه النجاشي حيث قال:

من كان يبكي هالكاً فعلى فتي ثوى بلوى لحج وأبت رواحله

فتى لا يطيع الزاجرين عن الندى وترجع بالعصيان عنه عواذله

سأبكي عليه ما بقيت وراءه كما كان يبكي ساق حراً حلائله

^٢ الخبر والبيتان في الكامل للمبرد، بلا نسبة.

^٣ في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (نَفَرْتُ قُلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُيِّتَ عَلَيَّ طَلِقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبِ).

^٤ ربعة بن مكدم الفراسي الكناني: فارس عربي من قبيلة كنانة، وأحد فرسان العرب المعدودين في الجاهلية وصاحب الفرس: اللطيم. اشتهر بلقب حامي الطعائن حياً وميتاً وضربت به العرب المثل في الشجاعة والنجدة فقالوا: أشجع من ربعة بن مكدم وأحمى من مجير الظعن. وكان يعقر على قبره في الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد في الجاهلية غيره.

لا يَبْعَدَنَّ رِبِيعَةَ بِنُ مُكَدَّمٍ وَسَقَى الْعَوَادِي قَبْرَهُ بَدْنُوبٍ
 نَفَرْتُ قَلُوصِي مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ
 لَوْلَا السِّقَاؤُ وَبُعْدُ حَرْقِ مَهْمِهِ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ
 وقال زيادُ الأعجمُ^١ يرثي المُغيرةَ بنَ المهلبِ^٢، أنشدنيهِ أبو عُمَرَ:
 إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرْوَةَ ضَمِنَا قَبْرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
 فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كُومَ الْهَيْجَانِ وَكَلَّ طَرْفِ
 ومثله كثيرٌ.

وكان من مذاهبهم أن يَعْمِدُوا إِلَى راحلةِ أُمِّتٍ فَيَعْقُلُوهَا عَلَى قَبْرِهِ لَا يَسْقُوهَا
 حَتَّى تَهْلِكَ عَطْشًا، وكانوا يُسْمَوْنَها البليَّةَ، قال الشاعر^٤:

^١ زياد الأعجم ابن سليمان، أبو أمانة العبدى، المعروف بزياد الأعجم: من شعراء الدولة الأموية وأحد فحول الشعر العربي بخراسان، كانت في لسانه عجمة فلقب بالأعجم.

^٢ مات المغيرة بن المهلب بخراسان وكان قد استخلفه أبوه المهلب على عمله بخراسان فمات في رجب سنة اثنتين وثمانين.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قلْ للقوافلِ والعُزاةِ إذا عَزَوْا ... والباكرينِ وللمُجَدِّ الرَّائِحِ).

^٤ هو أبو زيد الطائي: حرمله بن المنذر بن معد يكر بـ بن حنظلة، يتصل نسبة ييعرب بن قحطان: شاعر جاهلي من قبيلة طيئ في اليمن، هاجرت قبيلته إلى الحجاز واستولت على جبلي أجأ وسلمى فغرفا بجبل طيئ وكان جده (النعمان بن حية بن سعة) قد ولي ملك الحيرة من قبل كسرى. وهو من المعمرين ويروى أنه عاش مائة وخمسين عاماً وأدرك الإسلام وأسلم واستعمله عمر

كالبلايا رؤوسها في الولايا مآخات السَّموم حرَّ
الخدود^١

والولايا: البراذعُ، واحدها وليَّةٌ، كانوا يُعلِّقونها في أعناقها، وكان من تأويلهم في ذلك أنَّ صاحبها يُحشر في القيامة عليها، وأنَّ مَنْ لَمْ يُفعل بِهِ ذَلِكَ بعد موته حُشِرَ ماشياً، وكان هذا صنيعَ مَنْ يُوْمِنُ بالبعث منهم، ورووا في هذا الجُريَّة^٢ بِنِ أَشِيمِ الفُقْعَسِيِّ^٣ أَنَّهُ أوصى ابنه سعدًا عند موته فقال:

يا سَعْدُ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَإِنِّي أُوصِيكَ؛ إِنَّ أَخَا الوَصَاةِ الأَقْرَبِ
لا أَعْرِفُ أَبَاكَ يُحْشِرُ بَعْدَكُمْ نَقَبًا يَحْرُ عَلَى اليَدَيْنِ وَيُنْكَبُ
وَإِحْمِلْ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ وَتَقِ الخِيَانَةَ إِنَّ ذَلِكَ أَصُوبُ

بن الخطاب على صدقات قومه بني طيِّء وفي بعض الروايات أنه بقي على النصرانية ولم يعتنق الإسلام بينما تقول روايات أخرى إنه أسلم على يد صديقه الحميم الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وكان قد رثى عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب. ورافق الوليد في اعتزاله علياً ومعاوية فأقام معه نديماً في الرقة ثم توفي بعده بقليل ودفن إلى جانبه هناك.

^١ في ديوانه من قصيدته التي يرثي فيها ابن أخته اللجلاج، ومطلعها: (إِنَّ طَوَلَ الحَيَاةِ غَيْرُ سُعودِ وَضَلالٌ تَأْمِيلٌ نَيْلُ الخُلودِ).

^٢ في الأصل المطبوع: خزيمه. والتصويب من أغاني الأصفهاني.

^٣ جريبة بن أشيم بن عمرو بن وهب بن دثار بن فقعس الأسدي ثم الفقعسي، كان أحد شياطين بني أسد وشعرائها في الجاهلية، ثم أسلم.

فلعلّ^١ لي بمّا جمعت مطيةً في الحشرِ أركبها إذا قيل أركبوا
فأما الحديث في مُعاقرة الأعراب، فهي أن يتبارى الرجلان فيَعْقِر كلُّ واحدٍ
منهُما، يُجاوِدُ به صاحبه، فأكثرهما عَقْرًا أجودهما، تُهي عن أكله؛ لأنه بمّا
أهلٌ به لغير الله.

- في حديث النبي أنّه لاعنَ بينَ عُوْمِرٍ وأمرأته، ثُمَّ قَالَ: "انظروا فإنّ جاءت
به أسحَمَ أَحْتَمَ فلا أَحْسِبُ عُوْمِرًا إلا قد كَذَبَ عَلَيْهَا"، فَجَاءَتْ بِهِ عَلَى
النَّعْتِ الَّذِي نَعْتَهُ بِهِ^٢ فَكَانَ يُنْسَبُ بَعْدُ إِلَى أُمِّهِ.

الأسحَمُ: الأسودُ، والسُّحْمَةُ: السَّوَادُ، والأحْتَمُ: الخالص السواد، وأراه شَبَّهَ
بلون العُراب؛ لأنَّ العُراب يُسَمَّى حاتِمًا، قَالَ الشاعر^٣:

ولقد عَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَعْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ
فإذا الأَشَائِمُ كالأَيَا من والأَيَامُنُ كالأَشَائِمِ

^١ في المطبوعة: فلقل.

^٢ يعني أبيض مثل الرجل الذي أغمها أنه زنى معها. وقد سبق ذكر هذه القصة وتخريجها.

^٣ هو المرقش الأكبر: عوف بن سعد بن مالك ابن ضبيعة، من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي،
من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها (أسماء) وقال فيها شعراً كثيراً. وكان يحسن الكتابة.
وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره. ولد باليمن، ونشأ بالعراق. واتصل مدة بالحارث أبي شمر
الغساني ونادمه ومدحه. واتخذ الحارث كاتباً له. وتزوجت عشيقته أسماء برجل من بني مراد،
فمرض المرقش زمناً، ثم قصدها فمات في حياها.

وكذاك لا شرٌّ ولا حَيْدٌ رُّ عَلَى أَحَدٍ

ويقال: إِنَّهُ سُمِّيَ حَاتِمًا؛ لِأَنَّهُ فِي مَذْهَبِهِمْ يَحْتِمُ بِالْفِرَاقِ، كَمَا سَمَّوْهُ غُرَابَ الْبَيْنِ.
- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ تَقْصِيسِ الْقُبُورِ
وَتَكْلِيلِهَا^٢.

أما التقصيص: فإنه التجصيص، ومنه الحديثُ في الحائضِ إِذَا لَا تَغْتَسِلُ حَتَّى
تَرَى الْقَصَّةَ الْبَيْضَاءَ^٣، يُرِيدُ النِّقَاءَ.

وأما التَّكْلِيلُ: فمعناه بناء الكِللِ عليها، وهي القِبابُ والصَّوامِعُ التي تُبْنَى عَلَى
القُبُورِ.

وقال الدَّبَرِيُّ: قَالَ بَعْضُهُمْ: التَّكْلِيلُ أَنْ يَطْلَى عَلَيْهِ شَيْءٌ يُشْبِهُ الْقَصَّةَ، قَالَ
غَيْرُهُ: إِنَّمَا هُوَ التَّكْلِيسُ، وَالْكَلسُ الصَّارُوجُ، قَالَ عِدِيُّ بْنُ زَيْدٍ^٤:

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بُغَاءِ الْخَيْرِ تَعْقَاذُ التَّمَائِمِ).

^٢ رواه مسلم بلفظ: تجصيص.

^٣ رواه مالك في الموطأ.

^٤ عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي التميمي (ت ٣٥ ق هـ): شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة، فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، الذي جعله ترجماناً بينه وبين العرب، فسكن المدائن ولما مات كسرى وولي الحكم هرمز أعلى شأنه ووجهه رسولاً إلى ملك الروم طيباريوس الثاني في القسطنطينية، فزار

شَادَهُ مَرَمْرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلِطَّيْرٍ فِي ذُرَاهُ
وَكُورًا^١

وكان الأصمعيُّ يُنشده: وَحَلَّلَهُ، بالخاء مُعجِمة، أي صيرَ الكِلْسَ في خلل الحجارة، وكان يتعجب مِمَّن رَوَاهُ بالجيم ويقول: متى رأوا حصناً مصهرجاً؟! - فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَصَابَ هَوَازِنَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَلَمَّا هَبَطَ مِنْ ثَنِيَّةِ الْأَرَاكِ ضَوَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَهُ عَنَّايمَهُمْ، حَتَّى عَدَلُوا نَاقَتَهُ إِلَى سَمْرَاتٍ، فَمَرَّشَنَ ظَهْرَهُ^٢.

قوله: ضَوَى إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ: أي مَالُوا إِلَيْهِ، يُقَالُ: ضَوَيْتُ إِلَى فُلَانٍ، أَضَوَيْتُ إِلَيْهِ ضُويًّا، إِذَا أُوَيْتَ إِلَيْهِ.

وقوله: مَرَّشَنَ ظَهْرَهُ، فَإِنَّ الْمَرَّشَ الْحَدَشُ الْحَفِيفُ، كَالْتَنَاوُلِ بِالْأَضَافِيرِ وَنَحْوِهَا، وَيُقَالُ: فُلَانٌ يَمْتَرِشُ الطَّعَامَ، إِذَا كَانَ يَتَنَاوَلُهُ مِنْ أَطْرَافِ الصَّحْفَةِ، وَكَذَلِكَ

بلاد الشام، ثم تزوج هنداً بنت النعمان. وشى به أعداء له إلى النعمان بما أوغر صدره فسجنه وقتله في سجنه بالحيرة.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أرواحٌ مُودَّعٌ أم بُكُورُ لَكَ فاعلم لأبيِّ حَالٍ تَصِيرُ).

^٢ رواه ابن زنجويه بهذا اللفظ في كتاب الأموال: ١١٣٩.

يَمْتَرِشُ الْمَالَ، إِذَا كَانَ يَكْسِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَمِثْلُهُ يُقْتَرِشُ الْمَالَ، وَيُقَالُ:
إِنَّمَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا لِلتَّجَارَةِ وَجَمْعِ الْمَالِ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

إِحْوَةٌ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا فِي حَدِيثٍ مِنْ عَهْدِهِمْ
وَقَدِيمٍ^٢

والتَّقْرِيشُ أَيْضًا: التَّفْتِيشُ، وَقَالَ مَعْرُوفُ بْنُ حَرْبٍ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ قُرَيْشًا لِأَنَّهُمْ
كَانُوا يُفْتِشُونَ الْحَاجَّ عَنْ حَلَّتِهِمْ فَيَسُدُّونَهَا؛ يُطْعِمُونَ جَائِعَهُمْ وَيَكْسُونَ عَارِيَهُمْ
وَيَجْمِلُونَ الْمُتَقَطَّعَ بِهِ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ^٣:

أَيُّهَا الشَّامِثُ الْمُقَرَّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ

^١ هو الحارث بن حلزة اليشكري: شاعر من بادية العراق، من عظماء قبيلة بكر بن وائل، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل ف قيل «أفخر من الحارث بن حلزة»، ولم يبق لنا من أخباره إلا ما كان من أمر الاحتكام إلى عمرو بن هند (في ٥٥٤ - ٥٦٩ م) لأجل حل الخلاف الذي وقع بين قبيلتي بكر وتغلب. توفي سنة ٥٨٠ م.

^٢ في ديوانه من أبياته التي مطلعها: (قريبي يا خل ويحك درعي ... لقحت حربنا وحررتهم).

^٣ في معلقته الشهيرة: (أذنتنا بينها أسماء ... ربنا أو يمل منه التواء).

ويقال: بل سُمِّيَتْ فُرَيْشًا لأنها تَقَرَّشَتْ، أي اجتمعتْ بعد التفرُّق، وكانوا مُتَبَدِّدِينَ فِي الْأَرْضِ حَتَّى جَمَعَهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ فِي الْحَرَمِ، فَسُمِّيَ بِذَلِكَ مُجْمَعًا، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يُدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقِبَائِلَ مِنْ
فَهْرٍ^٢

وهذا راجعٌ إلى المعنى الأول.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى وَحَاتِمٌ سُلَيْمَانَ، فَتُجَلِّي وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا وَتَخْطُمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْحَاتِمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْإِخْوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُونَ لِهَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُونَ لِهَذَا: يَا كَافِرُ"^٣.

^١ هو الأخضر اللهي: الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب، من قريش: شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أموياً بعد ما كان بينهما، فأكرمه. وكان شديد السمرة، جاءته من جدته وكانت حبشية. ويقال له (الأخضر) لذلك. واللهي نسبة إلى أبي لهب. في شعره رقة. توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك.

^٢ في ديوانه، وهو بيت مفرد.

^٣ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ٨٥٤١.

قوله: "تَخْطِمَ أَنْفَ الْكَافِرِ"، يريد أَنَّهَا تَسِمُ أَنْفَهُ بِسِمَةِ يُعْرَفُ بِهَا، وَالْحِطَامِ: سِمَةٌ فِي عُرْضِ الْوَجْهِ إِلَى الْحَدِّ، قَالَ النَّضْرُ بْنُ شَيْبَةَ: يُقَالُ: جَمَلٌ مَخْطُومٌ حِطَامٍ وَمَخْطُومٌ حِطَامَيْنِ، عَلَى الْإِضَافَةِ، قَالَ: وَزَيْمًا وَسِمَ بِحِطَامٍ وَرَبَّمَا وَسِمَ بِحِطَامَيْنِ. وقوله: أهل الإخوان: يُرِيدُ الْإِخْوَانَ الَّذِي يُنْصَبُ لِلطَّعَامِ وَيُؤْكَلُ عَلَيْهِ، قَالَ الشاعر^١:

وَمَنْحَرٍ مِفْنَاثٍ يُجْرُّ حَوَازِمَهَا وَمَوْضِعِ إِخْوَانٍ إِلَى جَنْبِ
إِخْوَانٍ^٢

يُرِيدُ جَفْنَةً إِلَى جَنْبِ جَفْنَةٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي قِصَّةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ حِينَ لَاعَنَ امْرَأَتَهُ، فَلَمَّا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَالَ: "إِنْ جَاءَتْ بِهِ أَرْبِصَحَ أَتَيْبِحَ فَهُوَ هِلَالٌ"^٣.

^١ هو العريان بن سهلة الجرمي: من شعراء الجاهلية، وقصيدته في (الحماسة) تنقل صورة واقعية لرجل بخيل (امرئ السوء) وآخر كريم (امرئ الصدق).

^٢ في "الحماسة" من قصيدته التي مطلعها: (مررت على دار امرئ السوء حوله لبون كعيدانٍ بحائط بستان).

^٣ أخرجه أبو داود وأحمد بإسناد صحيح، في حديث طويل، والبخاري بألفاظ قريبة منهما: (جاء هلال بن أمية - وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم - إلى أهله عشاءً، فوجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينيه، وسمع بأذنيه، فلم يُهَجِّجْهُ، حتى أصبح، ثم غدا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

الأرْبُصِح: تصغير الأرسح، وهو الخفيف الأليتين، أُبدلت سِينُهُ صادًا، أو يكون تصغير الأرصع، أُبدلت عَيْنُهُ حَاءً، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الأَرْصَعُ والأَرْسَحُ، قَالَ: والأَزْلٌ مثله، وأنشد^١:

فِي الْقَلْبِ مِنْهُ لِكُلِّهِنَّ مَوْدَةٌ إِلَّا لِكُلِّ دَمِيمَةٍ زَلَاءٍ^٢

والأُتَيْبِجُ: مُفَسَّرٌ فِي كِتَابِ أَبِي عُبَيْدٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ إِيْتَابِ النِّسَاءِ فِي أَدْبَارِهِنَّ، فَقَالَ: "حَلَالٌ"، فَلَمَّا وُلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: "كَيْفَ قُلْتَ؟ فِي أَيِّ

فقال: يا رسول الله، إِنِّي جِئْتُ أَهْلِي عِشَاءً فَوَجَدْتُ عَنْدَهُمْ رَجُلًا، فَرَأَيْتُ بَعْضِي، وَسَمِعْتُ بِأُذُنِي، فَكِرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِهِ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ: {وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاهُمْ...} فَفَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا، وَقَضَى أَلَّا يُدْعَى وَلَدَهَا لِأَبٍ، وَلَا يُرْمَى وَلَا تُرْمَى، وَمَنْ رَمَاهَا، أَوْ رَمَى وَلَدَهَا فَفَعَلِيهِ الْحُدُّ، وَقَضَى أَنْ لَا يَبْتَ لَهَا عَلَيْهِ، وَلَا تُوتَ؛ مِنْ أَجْلِ أُمَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ مِنْ غَيْرِ طَلَاقٍ، وَلَا مُتَوَقِّعٍ عَنْهَا. وَقَالَ: إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُصَيْهَبُ أُرَيْسِحُ أُتَيْبِجُ حَمَشَ السَّاقِينَ فَهُوَ لَهْلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَوْرَقُ جَعْدًا جُمَالِيًّا، حَدَجَّ السَّاقِينَ، سَابِعَ الْأَلَيْتَيْنِ، فَهُوَ لِلذِّي زُمَيْتٌ بِهِ. فَجَاءَتْ بِهِ أَوْرَقُ جَعْدًا جُمَالِيًّا حَدَجَّ السَّاقِينَ سَابِعَ الْأَلَيْتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْلَا الْأَيْمَانُ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ).

^١ هو لأبي النَّجْم: الْفَضْلُ بْنُ قَدَامَةَ الْعَجَلِيِّ الْبَكْرِيِّ (٦٥ - ١٣٠ هـ): مِنَ الرَّجَازِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ مِنْ بَنِي عَجَلٍ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَلَهُ مَدَائِحٌ فِي هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (عَلِقَ الْهُوَى بِجَبَائِلِ الشَّعْنَاءِ... وَالْمَوْتُ بَعْضُ حَبَائِلِ الْأَهْوَاءِ).

الْحُرْزَتَيْنِ أَوْ فِي أَيِّ الْحُرْزَيْنِ". وَفِي غَيْرِهِ هَذِهِ الرَّوَايَةُ: "أَوْ فِي أَيِّ الْحُصْفَتَيْنِ أَمِنْ دُبْرَهَا فِي قُبْلَهَا فَفَنَعَمْ أَمْ مِنْ دُبْرَهَا فِي دُبْرَهَا فَلَا"^١.

كُلُّ ثَقْبٍ مُسْتَدِيرٌ حُرْبَةٌ، وَالْجَمِيعُ حُرْبٌ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٢:

كَأَنَّهُ حَبَشِيٌّ يَبْتَغِي أَثْرًا أَوْ مِنْ مَعَاشَرَ فِي آذَانِهَا

وَالْحُرْزَةُ مِثْلُ الْحُرْبَةِ، وَهُوَ مِنْ حَزَزِ الْأَدِيمِ، فَالْحُرْزَةُ بَفَتْحِ الْخَاءِ: الطَّعْنَةُ بِالْإِشْفَى،

وَالْحُرْزَةُ الثَّقْبَةُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: سَيَّرِينَ فِي حُرْزَةٍ، تُرِيدُ حَاجَتَيْنِ فِي حَاجَةٍ.

وَالْحُصْفَةُ مِثْلُ الْحُرْزَةِ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِكَ: خَصَفْتُ النَّعْلَ، وَمِنْهُ الْمِحْصَفُ، وَهُوَ

الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُثَقَّبُ بِهَا النَّعَالُ، قَالَ الْهَدَلِيُّ يَصِفُ الْعُقَابَ^٤:

حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى فِرَاشِ عَزِيْزَةٍ سَوْدَاءَ رَوْتَةٌ أَنْفِهَا كَالْمِخْصَفِ

^١ أخرجه ابن ماجه (١٩٢٤)، وأحمد في (المسند) (٢١٤/٥)، والنسائي في (الكبرى) (٣١٧/٥)، وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع وإرواء الغليل.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عينك منها الماء ينسكب... كأنه من كلى مفريّة سرب).

^٣ أي كأن الظليم - حين خضع يأكل - حبشي يتبغي أثراً.

^٤ لأبي كبير، وسبق تخريجه وشرحه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ: "آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَدْعَجُ إِحْدَى يَدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ تَدْرَدَرُ"^١.

الدُّعْجَةُ عند العامَّة سَوَادُ الْحَدَقَةِ فَقَطْ، وهي عند العرب السَّوَادُ العامُّ، يُقال: رَجُلٌ أَدْعَجٌ، إِذَا كَانَ أَسْوَدَ الْجِلْدِ، وَلَيْلٌ أَدْعَجٌ، أَي أَسْوَدٌ مُظْلَمٌ، قَالَ الشاعِرُ^٢:

حَتَّى تَرَى أَعْنَاقَ صُبْحِ أَبْلَجَا تَسُورُ فِي أَعْجَازِ لَيْلٍ أَدْعَجَا

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي قِصَّةِ الْمُلاَعَنَةِ: "إِنْ جَاءَتْ بِهِ أُمَيْعِرٌ سَبْطًا فَهُوَ لِرُؤُوسِهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَدْيَعَجٌ جَعْدًا فَهُوَ لِلَّذِي يُتَّهَمُ"، فجاءت بِهِ أَدْيَعَجٌ^٣.

فالأَدْيَعَجُ: تَصْغِيرُ الأَدْعَجِ، وهو الأَسْوَدُ.

والأُمَيْعِرُ: تَصْغِيرُ الأَمْعَرِ، وهو الأَحْمَرُ.

والسَبْطُ: التَّامُّ الخَلْقِ.

والجَعْدُ: القَصِيرُ.

^١ متفق عليه.

^٢ هو العجاج الراجز، في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا من طلل كالأحمي أحمجا).

^٣ رواه الشافعي بهذا اللفظ في مسنده: ١٣٣٦.

وإنما تأوُّنا الخبرَ في قصَّة الخوارج على سواد الجلد لأنَّه قد رُوِيَ في خبرٍ آخر: "أَيْتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدٌ"^١. وفي خبر آخر: "رَجُلٌ أَسْمَرٌ". ويُقال في معناه: رجل دُغمان، ودُحْسُمان، ويُقالُ دُحْمَسَانُ، و"ليلٌ دُحْمَسٌ ودُحْمَسٌ"، قال أبو نُحَيْلَةَ الرَّاجِزُ^٢:

وَأَدْرَعِي جِلْبَابَ لَيْلٍ دُحْمَسٍ^٣

وَمِنْهُ حَدِيثُ حَمْرَةَ بِنِ عَمْرِو الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: أَنْفَرَ بِنَا فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ دُحْمَسَةٍ، فَأَضَاءَتْ إِصْبَعِي حَتَّى جَمَعُوها عَلَيْهَا ظُهُورَهُمْ^٤.

^١ رواه البخاري ومسلم، في حديث طويل.

^٢ أبو نُحَيْلَةَ الرَّاجِزِ (ت ١٤٥ هـ): أبو نُحَيْلَةَ بن حزن بن زائدة بن لقيط بن هدم، من بني جَمَّان: شاعر راجز، كان عاقاً لأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام فاتصل بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد، فأغنوه. ولما نكب بنو أمية وقامت دولة بني العباس انقطع إليهم ولقَّب نفسه بشاعر بني هاشم، ومدحهم وهجا بني أمية، واستمر إلى أن قال في (المنصور) أرجوزة يغيره فيها بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، فسخط عليه عيسى؛ فهرب يريد خراسان، فأدركه مولى لعيسى فدبجه وسلخ وجهه.

^٣ وبعده: أَسْوَدَ دَاجٍ مِثْلَ لَوْنِ السُّنْدُسِ.

^٤ رواه ابن قانع في معجم الصحابة عن حَمْرَةَ الْأَسْلَمِيِّ.

ومثل هذا حديثه الآخر عن أنس قال: كَانَ عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءَ حِنْدِسٍ، فَتَحَدَّثْنَا عِنْدَهُ، حَتَّى إِذَا حَرَجَا أَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا فَمَشَى فِي ضَوْئِهَا، فَلَمَا تَفَرَّقَ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصَاهُ فَمَشَى فِي ضَوْئِهَا^١.

يُقَالُ لَيْلَةٌ حِنْدِسٌ: أَي شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وليلةٍ مِنَ اللَّيَالِي حِنْدِسٍ لَوْنُ حَوَاشِيهَا كَلَوْنِ السُّنْدِسِ

ويُقَالُ: لَيْلَةٌ غَيْهَبٌ وَعَيْهَمٌ: أَي مُظْلِمَةٌ، وَلَيْلَةٌ دَيْجُورٌ وَدِيَجُوجٌ، مِثْلَهُ.

ويُقَالُ: لَيْلَةٌ طَحْيَاءٌ بَيْنَهُ الطَّخَاءُ، إِذَا كَانَ فِيهَا سَحَابٌ وَلَا قَمَرٌ، فَتَشْتَدُّ ظُلْمَتُهَا، وَقَالَ:

وليلةٍ طَحْيَاءٍ يَرْمَعُلُ^٢ فِيهَا عَلَى السَّارِي نَدَى مُحْضَلٌ

كَأَمَّا طَعْمٌ سُرَاهَا الخُلُّ

وقوله: "مِثْلُ نَدَى الْمَرْأَةِ تَدْرَدَرٌ" أَي تَضَطَّرَبَ وَتَتَحَرَّكَ، وَمِنْهُ دَرْدُورُ الْمَاءِ^٣.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَصْحَابَهُ أَسْرُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ وَمَعَهُ نَاقَةٌ يُقَالُ لَهَا الْعَضْبَاءُ، فَمَرَّ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي

^١ رواه ابن حبان في صحيحه، والبخاري ولم يذكر اسم الصحابين.

^٢ يرمعل: يسيل. ارمعل دمعته: سال.

^٣ الدوامه.

وَتَأَقِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَلَامَ تَأْخُذُنِي وَتَأْخُذُ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ قَالَ: "نَأْخُذُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفٍ" وَكَانَ ثَقِيفٌ قَدْ أَسْرُوا رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا مَضَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَادَاهُ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: "مَا شَأْنُكَ؟" قَالَ: "إِنِّي مُسْلِمٌ، فَقَالَ: "لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ"، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي إِنِّي ظَمْآنٌ فَاسْقِنِي، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ: "هَذِهِ حَاجَتُكَ" أَوْ قَالَ: "هَذِهِ حَاجَتُهُ" قَالَ: فَقَدِيَ الرَّجُلُ بَعْدَ بِالرَّجُلَيْنِ^١.

قوله: أَخَذَتْ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ، فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما ما ذَهَبَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَذَكَرَهُ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ فَقَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَأْخُوذَ مُشْرِكٌ مُبَاحٌ الدَّمُ وَالْمَالُ، وَلَمَّا كَانَ حَبْسُهُ حَلَالًا بَعِيرٌ جِنَايَةٌ جَازٌ أَنْ يُجْبَسَ بِجِنَايَةِ غَيْرِهِ؛ لِاسْتِحْقَاقِهِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ.

وَالْقَوْلُ الْآخَرُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنِ ابْنِ الْمُنْذِرِ قَالَ: قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: قَوْلُهُ: "أَخَذَتْ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ" دَلَالَةٌ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مُوَادَعَةٌ أَوْ صُلْحٌ، فَتَقَضَّتْ ثَقِيفُ الْمُوَادَعَةِ وَالصُّلْحِ، وَتَرَكَ بَنُو عَقِيلِ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ وَمَنْعَهُمْ مِنْ صَبِيْعِهِمْ ذَلِكَ فَصَارُوا كَأَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ.

^١ رواه مسلم في حديث طويل.

وفيه وجهٌ ثالث: وهو أن يكون معناه: أُخِذَتْ لِتُدْفَعَ بِكَ جَرِيرَةٌ خُلْفَائِكَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَأُضْمِرَهُ فِي الْكَلَامِ، كَقَوْلِهِ^١:

مَنْ شَاءَ دَلَّى النَّفْسَ فِي مَهْمِهِ ضَنْكٍَ وَلَكِنْ مَنْ لَهُ
بِالْمَضِيقِ^٢

يُرِيدُ: مَنْ لَهُ بِالْخُرُوجِ مِنَ الْمَضِيقِ، وَيُدَلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ:
فُقِدِي بَعْدَ بِالرَّجْلَيْنِ، وَالْمَعْنَى: أُخِذَتْ لِئُسْتَنْقَذَ بِكَ مَنْ أَسْرَتْهُ ثَقِيفٌ.

وقوله: "لو قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ" معناه: لو أَسَلَمْتَ قَبْلَ الْإِسَارِ أَفَلَحْتَ الْفَلَاحَ التَّامَّ بِأَنْ تَكُونَ مُسْلِمًا حُرًّا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُسِرَ كَافِرًا كَانَ عَبْدًا وَإِنْ أَسْلَمَ، فَأَمَّا فِدَاؤُهُ إِيَّاهُ بِالرَّجْلَيْنِ وَرُدُّهُ إِلَى دَارِ الْكُفْرِ بَعْدَ إِظْهَارِهِ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى خَاصٌّ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ غَيْرُ صَادِقٍ فِي قَوْلِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً، أَلَا تَرَاهُ حِينَ اسْتَطْعَمَهُ وَاسْتَسْقَاهُ قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ؟ فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ

^١ هو للمهلل، عدي بن ربيعة التغلبي، الملقب الزبير أبو ليلى. سمي بالمهلل لأنه أول من هلهل الشعر (أي رققه). عاش في شبه الجزيرة العربية. وبعد حرب البسوس رحلت تغلب إلى شمال العراق والجزيرة الفراتية وديار ربيعة فعاشوا هناك.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (جَارَتْ بَنُو بَكْرٍ، وَمَنْ يَعْدِلُوا ... وَالْمَرْءُ قَدْ يَعْرِفُ قَصْدَ الطَّرِيقِ).

انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَلَا سَبِيلَ إِلَى عِلْمِ مَا فِي الضَّمَائِرِ، فَمَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قَبْلَ مَنْهُ
وَوُكِّلَتْ سِرِّيَّتُهُ إِلَى رَبِّهِ.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ أَنَّهُ أَسْرَ ثُمَامَةَ بِنَ أَثَالٍ فَأَبَى أَنْ يُسَلِّمَ قَصْرًا، فَأَعْتَقَهُ
فَأَسْلَمَ، فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ لِلْإِمَامِ أَنْ يُمَنَّ عَلَى الْأَسِيرِ مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ وَلَا مَالٍ.
وقوله: قَصْرًا، مَعْنَاهُ حَبْسًا عَلَيْهِ وَإِجْبَارًا، يُقَالُ: قَصَرْتُ نَفْسِي عَلَى الشَّيْءِ
إِذَا حَبَسْتَهَا عَلَيْهِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: { حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ }، أَي
مُحْبُوسَاتٌ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ مُخَدَّرَاتٌ.

وَمِنْهُ حَدِيثُ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدِ الْأَشْهَلِيَّةِ^٢ أَنَّهُمَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ فَوَاعِدُ
بُيُوتِكُمْ وَحَوَامِلُ أَوْلَادِكُمْ، فَهَلْ نُشَارِكُكُمْ فِي الْأَجْرِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: "نَعَمْ إِذَا أَحْسَنْتُنَّ تَبِعَلَّ أَزْوَاجُكُمْ وَطَلَبْتُنَّ مَرْضَاهُمْ". وَيُقَالُ: امْرَأَةٌ
قَصُورَةٌ وَقَصِيرَةٌ، أَي مُخَدَّرَةٌ، أَنَشِدَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَشِدْنَا ثَعْلَبَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ^٣:

^١ روى البخاري ومسلم قصة إسلامه في حديث طويل.

^٢ أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصارية الأوسية الأشهلية وهي صحابية جلييلة وابنة عمه معاذ بن جبل. وهي أم عامر وأم سلمة الأنصارية الأشهلية.

^٣ هو لكثير، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عفا رابعٌ من أهله فالظواهرُ فأكنافُ هرشى
قد عفت فالأصافُ).

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَّبَتْ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَيَّ وَلَمْ تَعْلَمْ بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنِتُّ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أُرِدْ قِصَارَ الْخَطَا؛ شَرُّ النِّسَاءِ الْبَهَاتِرُ
الْبَهَاتِرُ: الْقِصَارُ، يُقَالُ لِلْقَصِيرِ: بُهْتٌ وَبُهْتٌ.^١
وقال آخر^١:

أَحِبُّ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ قَصِيرَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ قَصِيرٌ
أراد بالقصيرة المُخَدَّرَة، وقصّر نسبها أن تُعرَف بأول آبائها، كقول رُوبَة:
أَتَيْتُ النَّسَابَةَ الْبَكْرِيَّ فَقَالَ: مَنْ أَنْتِ؟ قلت ابْنُ الْعَجَّاجِ، قال: قصرت
وعرفت، فَقَالَ رُوبَة^٢:

قَدْ نَوَّهَ الْعَجَّاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمٍ إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
وقد يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ قَسَرَ الْعَلْبَةَ وَالْقَهْرَ، أَبْدَلَ السِّينَ صَادًا؛ عَنِ
الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: اخْتَلَفَ رَجُلٌ مِنْ مُضَرَ وَرَجُلٌ مِنْ رَبِيعَةَ؛ فَقَالَ الْمُضَرِّي:
السُّرُّ، وَقَالَ الرَّبِيعِيُّ: الصُّرُّ، فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ قُضَاعَةَ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: لَا أَقُولُ
كَمَا قُلْتُمَا إِمَّا هُوَ الرَّفْرُ. وقد قرئ: الصِّرَاطُ وَالسِّرَاطُ، وَرُوي عَنْ بَعْضِهِمْ

^١ هو كثير أيضاً، وهو في ديوانه بيت مفرد.

^٢ في ديوانه من أرجوزة يمدح فيها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ومطلعها: (يا أَيُّهَا
الكَاسِرُ عَيْنِ الْأَعْضَنِ وَالْقَاتِلِ الْأَقْوَالِ مَا لَمْ يَلْفَنِي).

الزَّراطُ، وهذه الحروف متقاربة في مخارجها من اللِّسان، فلذلك جَرَى فيها الإبدال.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ فَاطِمَةَ خَرَجَتْ فِي تَعْرِيزَةِ بَعْضِ جِيرَانِهَا عَلَى مَيْتِ هُمْ، فَلَمَّا انْصَرَفَتْ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ: "لَعَلَّكَ بَلَعْتَ مَعَهُمُ الْكُرَى؟" قَالَتْ: مَعَادَ اللَّهِ وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكَرُ فِيهَا مَا تَذْكَرُ^١.

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْرَابِيُّ وَقَالَ: سَأَلْتُ رِبِيعَةَ عَنِ الْكُرَى فَقَالَ: الْقُبُورُ.

وَأَخْبَرَنَا أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي دَاوُدَ بِإِسْنَادِهِ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ الْكُدَى، بِالْدَالِ.

أَمَّا الْكُرَى وَقَوْلُ رِبِيعَةَ إِنَّهَا الْقُبُورُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: كَرَوْتُ الْأَرْضَ، إِذَا حَفَرْتَهَا، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَنَّ الْأَنْصَارَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِي نَهْرٍ يَكْرُونُهُ هُمْ سَيْحًا، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ قَالَ: "مَرَّحَبًا بِالْأَنْصَارِ مَرَّحَبًا بِالْأَنْصَارِ"^٢.

يُقَالُ: كَرَوْتُ نَهْرًا، إِذَا اسْتَحْدَثْتَ حَفْرَهُ، وَكْرَيْتَهُ، وَكَرَوْتُ الْبئرَ إِذَا طَوَيْتَهَا، فَالْكَرَى جَمْعُ كُرْيَةٍ، وَهُوَ مَا يُكْرَى مِنَ الْأَرْضِ، كَالْحُفْرَةِ لِمَا يُحْفَرُ، وَمِثْلُهَا الْأُكْرَةُ، يُقَالُ: أَكْرْتُ، بِمَعْنَى حَفَرْتُ، وَبِهِ سُمِّيَ الْأَكْرَارُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ أخرجه أبو داود، والنسائي، وضعف إسناده الألباني.

^٢ أخرجه النسائي في (السنن الكبرى)، وأخرجه مسلم مختصراً.

^٣ هو العجاج، في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَعَجَبِرَ وَعَوَّرَ الرَّحْمَنُ مَنْ وَلى الْعَوْرَ). وقام الشاهد: (عَزَاؤُهُ وَيَهْتَمِرُنْ مَا ائْتَمَرَ مِنْ سَهْلِهِ وَيَتَأَكَّرُنْ الْأَكْرَ).

وَيَتَأَكَّرَنَ الْأُكَّرَ

وفي بعض الحديث: نُحِّي عَن الْمُؤَاكِرَةِ، وهي الْمُحَابِرَةُ^١.

وأما الكُدَى فهو جمع كُدِيَّةٍ، وهي الْقِطْعَةُ الصُّلْبَةُ من الأَرْضِ تُحْفَرُ فِيهَا الْقُبُورُ، ويقال: ما هُوَ إِلَّا ضَبُّ كُدِيَّةٍ، وذلك أَنَّهُ لَا يَتَخَذُ جَحْرَهُ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الصُّلْبَةِ؛ لِئَلَّا يَنْهَارَ عَلَيْهِ، وقال بعض الأعراب:

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا يَعْلَمُ الضَّبُّ أَنَّهَا عَدِيَّةٌ تُرْبِ الطِّينِ طَيِّبَةً الْبَقْلِ
بَنَى بَيْتَهُ فِي رَأْسِ نَشْزٍ وَكُدِيَّةٍ وَكُلُّ امْرِئٍ فِي حَرْفَةِ الْعَيْشِ ذُو عَقْلِ
وَكَدْيٌ وَكَدَاءٌ: جِبْلَانٌ بِمَكَّةَ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

^١ المِحَابِرَةُ: أَنْ يُعْطِيَ الْمَالِكُ الْفَلَاحَ أَرْضًا يَزْرَعُهَا عَلَى بَعْضِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، كَالثُّلْثِ أَوْ الرَّبْعِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

^٢ هو عبيد الله بن قيس الرقيات: عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيماً في المدينة، وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة. وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. وأخباره كثيرة معجبة.

أَنَّ ابْنَ مُعْتَلِجِ الْبَطَا ح كُدِّيَهَا
فَكَدَائِبَهَا

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ^٢ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَلْقَى الْعَدُوَّ غَدًا وَلَيْسَ مَعَنَا مُدَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَرِنُ وَأَعْجَلْ مَا أَهْرَ الدَّمَّ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَكُلُوا مَا لَمْ يَكُنْ سِنٌّ أَوْ ظُفْرٌ"^٣.

هَكَذَا قَالَ ابْنُ دَاسَةَ: أَرِنُ، مَكْسُورَةٌ الرَّاءِ، عَلَى وَزْنِ عَرْنِ.

وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ: أَرِنُ، سَاكِنَةُ الرَّاءِ، عَلَى وَزْنِ عَرْنِ.

وهذا حرفٌ طالما استتبت فيه الرواة وسألت عنه أهل العلم باللُّغة فلم أجد عند واحدٍ منهم شيئاً يُقَطَّعُ بصحته، وقد طلبتُ له مخرجاً فرأيتُه يتجه لوجه:

^١ في ديوانه من قصيدته في مدح عبدالعزيز بن مروان، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (فَالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ قَالَ مُسْتَرِّقٌ مِنْ بَطْحَائِبِهَا).

^٢ رافع بن خديج (ت ٧٤ هـ): صحابي من الأنصار، وأحد رواة الحديث النبوي. شهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاهد كلها بعد بدر، وعمر حتى توفي في المدينة المنورة في خلافة ابن الزبير.

^٣ رواه البخاري، في حديث طويل.

أحدها أن يكون مأخوذاً من قولهم: أَرَانَ الْقَوْمُ، فَهُمْ مُرِينُونَ، إِذَا هَلَكْتَ مَوَاشِيَهُمْ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: أَهْلِكْتَهَا دَبْحًا وَأَزْهَقْتَ أَنْفُسَهَا بِكُلِّ مَا أَهْرَ الدَّمَّ غَيْرِ السِّبِّ وَالظُّفْرِ، هَذَا إِذَا رَوَيْتَهُ أَرِنُ، بِكَسْرِ الرَّاءِ، عَلَى مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنْ يُقَالَ: ائْرُنْ، مَهْمُوزٌ عَلَى وَزْنِ اعْرُنْ، مِنْ أَرِنَ يَأْرِنُ أَرْنًا، إِذَا نَشِطَ وَخَفَّ، يَقُولُ: خِفَّ وَاعْجَلَ لِمَلًّا تَقْتَلُهَا حَنْقًا، وَذَلِكَ أَنْ غَيْرَ الْحَدِيدِ لَا يَمْوِرُ فِي الذِّكَاةِ مَوْرَهُ، وَالْأَرْنُ الْحِفَّةُ وَالنَّشَاطُ، وَيُقَالُ: فِي مِثْلِ: سَمِنَ فَأَرِنَا، أَي بَطِرَ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: الْعَرِصُ وَالْهَبِصُ وَالْأَرْنُ وَالْتَّرْمُعُ وَالْتَّقْلُزُّ، كُلُّهُ النَّشَاطُ، وَقَدْ هَبِصَ وَعَرِصَ وَأَرِنَ، وَرَجُلٌ أَرُونٌ: أَي نَشِيطٌ حَفِيفٌ، وَمُهْرٌ أَرُونٌ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ^٢:

يَظَلُّ خِبَاؤُنَا وَكَأَنَّ حَبْلًا بِهِ مُتَعَلِّقٌ مُهْرًا أَرُونًا

وَالْوَجْهُ الثَّلَاثُ: أَنْ يَكُونَ ارْنُ، بِمَعْنَى أَدِمِ الْحَزَّ وَلَا تَقْتَرُ، مِنْ قَوْلِكَ: رَنَوْتُ النَّظَرَ إِلَى الشَّيْءِ، إِذَا أَدَمْتَهُ، وَكَأَنَّ رَنُونًا: دَائِبَةٌ لَا تَقْتَرُ وَلَا تَنْقَطِعُ، أَوْ يَكُونُ أَرَادَ: أَدِمِ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَرَاعِهِ بِبَصْرِكَ لَا يَزِلُّ عَنِ الْمَذْبَحِ.

^١ عند الميبداني: سَمِنَ فَأَرِنَ، الْأَرْنُ: النَّشَاطُ، يُقَالُ: أَرِنَ فَهُوَ أَرِنٌ وَأَرُونٌ مِثْلَ مَرِحٍ وَمُرُوحٍ. يَضْرِبُ لِمَنْ تَعَدَّى طَوْرَهُ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ وَهُوَ بَيْتٌ مَفْرَدٌ نَقَلَهُ جَامِعُ الدِّيْوَانِ عَنِ الْخَطَّابِيِّ.

قَالَ: وَأَقْرَبُ مِنْ هَذَا كُفْلُهُ أَنْ يَكُونَ: أَرْزًا، بِالزَّي: أَي شُدَّ يَدَكَ عَلَى الْحَزِّ
وَاعْتَمَدَ بِهَا عَلَيْهِ، مِنْ قَوْلِكَ: أَرْزَ الرَّجُلُ إِصْبَعَهُ، إِذَا أَتَاخَهَا فِي الشَّيْءِ، وَأَرْزَتْ
الْجَرَادَةُ إِزْرَازًا، إِذَا أَدْخَلَتْ ذَنْبَهَا فِي الْأَرْضِ لَكِي تَبْيِضَ، وَارْتَزَّ السَّهْمُ فِي
الْجِدَارِ، إِذَا ثَبَتَ، هَذَا إِنْ سَاعَدْتَهُ الرَّوَايَةُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَهُ
بِفَصِيلٍ مَحْلُولٍ - أَوْ مَحْلُولٍ - سَبِيٍّ الْحَالِ مَهْزُولٍ، فَقَالَ: هَذَا مِنْ صَدَقَةِ بَنِي
فُلَانٍ، فَقَالَ: "لَا بَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِي إِبْلِهِ" فَبَلَغَ الرَّجُلَ دُعَاءَ النَّبِيِّ، فَجَاءَ بِنَاقَةٍ
كَوْمَاءَ يَتْلُهَا، حَتَّى انْتَهَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَتَلَّهَا إِلَيْهِ فَدَعَا لَهُ فِيهِ وَفِي إِبْلِهِ
بِالْبَرَكَةِ^١.

قَوْلُهُ: فَصِيلٍ مَحْلُولٍ، هُوَ الْمَضْرُورُ الْمَنْهُوكُ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَلٌّ، إِذَا كَانَ بَادِي
الضَّرِّ وَالْهُزَالِ، قَالَ الشَّنْفَرِيُّ^٢:

فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي حَلٌّ

وَتَوَثَّبَ حَلٌّ، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ مِنْهُ الْبَلَى، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْفَقِيرُ حَلِيلًا، قَالَ زُهَيْرٌ^٣:

^١ رواه الطبراني في الكبير.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لَقَتِيلًا دَمُهُ مَا يُطْلُ).

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قَفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْمُرْهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ
وَالْدِيمُ).

وإن أتاه حليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا
حرمٌ^١

وفيه وجه آخر: وهو أن يكون المَحْلُولُ هُوَ الَّذِي فُطِمَ حَدِيثًا؛ وذلك أنهم إذا أرادوا فِطَامَهُ عَمَدُوا إِلَى خِلَالِ فَشْدُوهُ فَوْقَ أَنْفِهِ وَتَرَكَوه نَاتِمًا مِنْهُ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ الرَّضَاعُ نَحْسَ الْخِلَالِ ضَرَعَ النَّاقَةَ فَرَبَّنَتْهُ، فَيُهْزَلُ عِنْدَ ذَلِكَ الْفَصِيلِ، وَأَمَّا الْمَحْلُولُ فَهُوَ الَّذِي حُلَّ عَنْ أَوْصَالِهِ اللَّحْمُ فَعَرِيَ مِنْهُ.

وقوله: فَتَلَّهَا إِلَيْهِ، معناه أَنَاخَهَا إِلَيْهِ، مِنْ قَوْلِكَ: تَلَلْتُ الرَّجُلَ، إِذَا صَرَعْتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}.

وكلُّ شيءٍ أَلْقَيْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا لَهُ جِثَّةٌ فَقَدْ تَلَلْتَهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ التَّلُّ مِنَ التُّرَابِ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ يَصِفُ الظَّلِيمَ^٢:

كَأَنَّهُ بِالْيَدِ لَمَّا أَنْ دَمَجَ مُرَوِّقٌ فِي الرِّيحِ مَتَلُولُ الشَّرْحِ

يُرِيدُ حِبَالَةَ رِوَاقِ مُلْقَى الشَّرْحِ.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الْآخِرُ أَنَّهُ قَالَ: «أُتَيْتُ بِمَفَاتِيحِ الْأَرْضِ فَتَلَلْتُ فِي يَدِي^٣، أَيِ الْأَقْيَتِ إِلَيَّ وَتُرِكَتْ فِي يَدِي.

^١ الحرم الذي يُحْرَمُ النَّاسُ وَلَا يُعْطُونَ مِنْهُ.

^٢ في ديوانه ونقله جامع الديوان عن الخطابي.

^٣ رواه أحمد بهذا اللفظ، في مسند أبي هريرة، ورواه البخاري ومسلم، بلفظ (فوضعت في يدي).

وَمِثْلُهُ حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ" فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أُؤْتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي يَدِهِ^١.

والكَوْمَاءُ: المرتفعة السنّام، يقال: كَوَّمْتُ الشَّيْءَ، إِذَا جَعَلْتَهُ بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ، وَكَوَّمْتُ الثَّرَابَ، إِذَا جَمَعْتَهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سُؤَيْدَ بْنَ غَفَلَةَ^٢ قَالَ: أَتَانَا مُصَدِّقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ بِبِنَاقَةٍ مُلْمَلَمَةٍ، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهَا^٣.

الْمُلْمَلَمَةُ: وَهِيَ الْمُسْتَدِيرَةُ سِمْنَا، أُخِذَتْ مِنَ اللَّمِّ، وَهُوَ الْجَمْعُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} أَي: أَكْلًا كَثِيرًا مُجْتَمِعًا.

^١ متفق عليه.

^٢ سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر أبو أمية الجعفي الكوفي: أدرك زمن النبي، وأسلم في حياته وسمع كتابه إليهم، لكن لم يلتق به، وقيل له صحبة. روى الحديث، وشهد اليرموك.

^٣ أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزكاة باب ما يأخذ المصدق من الإبل، بإسناد حسن، وأخرجه أبو داود

والنسائي، وهو في "مسند أحمد".

وَأَمَّا رَدُّهَا لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى الْمُصَدِّقَ عَنْ أَخْذِ خِيَارِ الْمَالِ، وَهِيَ صَاحِبَ الْمَالِ أَنْ يُعْطِيَ مِنْ زُدَّالْتِهِ، وَلَكِنْ وَسَطًا بَيْنَهُمَا لَا يَضُرُّ بِأَهْلِ الصَّدَقَةِ وَلَا يُجْحِفُ بِأَرْبَابِ الْمَالِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سَعَرَ بْنَ دَيْسَمٍ^١، قَالَ: كُنْتُ فِي غَنَمٍ لِي، فَجَاءَ رَجُلَانِ عَلَيَّ بَعِيرٍ فَقَالَا: إِنَّا رَسُولَا رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكَ لِتُؤَدِّيَ صَدَقَةَ غَنَمِكَ، فَقُلْتُ: مَا عَلَيَّ فِيهَا؟ فَقَالَا: شَاءَ، فَأَعْمَدُ إِلَى شَاءَةٍ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهَا مُتَلَفَةً مَحْضًا وَشَحْمًا، فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِمَا، فَقَالَا: هَذِهِ شَاءَةٌ شَافِعٍ، وَقَدْ تَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ شَافِعًا^٢.

وَعَنِ ابْنِ سَعْرِ الدُّؤَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ^٣ قَالَ: كُنْتُ فِي غَنَمٍ لِي، فَجَاءَ رَجُلٌ، يَعْنِي مُصَدِّقَ النَّبِيِّ، فَجِئْتُهُ بِشَاءَةٍ مَآخِضٍ، حَيْرٌ مَا وَجَدْتُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: لَيْسَ حَقْنَا فِي هَذِهِ، فَقُلْتُ: فَفِيمَ حَقُّكَ؟ قَالَ: فِي الثَّنِيَةِ وَالْجَدْعَةِ اللَّجْبَةِ^٤.

^١ سَعَرَ بْنَ دَيْسَمٍ، الْعَامِرِيُّ، الْكِنَانِيُّ، وَيُقَالُ: الدُّؤَلِيُّ، جَاهِلِيٌّ إِسْلَامِيٌّ، قَدِمَ الشَّامَ تَاجِرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَعَايَنَ مَلِكَ آلِ حَفْصَةَ .

^٢ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَحْمَدُ .

^٣ تَرَجَمْتُهُ السَّابِقَةَ .

^٤ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ .

المُحَضُّ: اللبن، قَالَ الحَظِيئَةُ^١:

فَرَوْا جَارَكَ العَيْمَانَ لَمَّا جَفَوْتُهُ وَقَلَّصَ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ مَشَافِرُهُ
سَنَامًا وَمَحْضًا أَنْبَتَا اللَّحْمَ فَانْتَسَتْ عِظَامُ امْرِئٍ مَا كَانَ يَشْبَعُ طَائِرُهُ^٢
وَأَمَّا قَوْلُهُ: مَحَاضًا، فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ مَخْضَتِ الشَّاةُ مَحَاضًا وَمَحَاضًا، إِذَا دَنَا نِتَاجُهَا،
يُرِيدُ أَنَّهَا قَدْ امْتَلَأَتْ حَمَلًا وَسِمْنَا.

والمخاضُ في غير هذا الإِبِلِ الحَوَامِلُ، وَاحِدُهَا حَلْفَةٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، كَمَا
قَالُوا لِلوَاحِدَةِ مِنَ النِّسَاءِ امْرَأَةً.

وَاللَّحْبَةُ: الَّتِي لَا لَبَنَ لَهَا، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ الَّتِي أَتَى عَلَيْهَا بَعْدَ نِتَاجِهَا أَرْبَعَةٌ
أَشْهُرٍ فَخَفَّ لَبْنُهَا.

وَالشَّافِعُ: تَفْسِيرُهُ فِي الْحَدِيثِ هِيَ الَّتِي فِي بَطْنِهَا وَكَلْدٌ، يُرِيدُ أَنَّهَا بَوَلَدِهَا قَدْ
صَارَتْ شَفْعًا.

^١ الحَظِيئَةُ: جَرُولُ بْنُ أَوْسِ بْنِ مَالِكِ الْعَبْسِيِّ: شَاعِرٌ مَخْضَرٌ، أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ. كَانَ هَجَاءً
عَنيفًا، لَمْ يَكِدْ يَسْلَمُ مِنْ لِسَانِهِ أَحَدًا. وَهَجَا أُمَّهُ وَأَبَاهُ وَنَفْسَهُ. وَأَكْثَرَ مِنْ هَجَاةِ الزَّبْرَقَانَ بْنِ بَدْرِ،
فَشَكَاهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، فَسَجَنَهُ عَمْرٌ بِالْمَدِينَةِ، فَاسْتَعَطَفَهُ بِأَبْيَاتٍ، فَأَخْرَجَهُ وَنَهَاهُ عَنْ هَجَاةِ
النَّاسِ، فَقَالَ: إِذَا تَمَوْتَ عِيَالِي جَوْعًا.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (عَفَا مُسْحَلَانُ مِنْ سُلَيْمِي فَحَامِرُهُ تُمَشِّي بِهِ ظِلْمَانُهُ
وَجَاذِرُهُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْمًا يُؤْمُونَ بِالْبَيْتِ، وَرَجُلٌ مُتَعَوِّذٌ بِالْبَيْتِ، قَدْ لَجَأَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ حُسِفَ بِهِمْ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ الطَّرِيقُ قَدْ تَجَمَّعَ التَّاجِرَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالْمُسْتَبْصِرَ وَالْمَجْبُورَ؟ قَالَ: "يَهْلِكُونَ مَهْلِكًا وَاحِدًا وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى"^١.

الْمُسْتَبْصِرُ: الْمُسْتَبِينُ لِلشَّيْءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ}: أَي كَانُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، يَرِيدُ أَنْ تِلْكَ الرُّفْقَةُ قَدْ تَجَمَّعَ مِنْ لَيْسَ قَصْدُهُ الْإِلْحَادَ فِي الْحَرَمِ مِنْ عَابِرِ سَبِيلٍ وَتَاجِرٍ وَمُسْتَبْصِرٍ بِالْحَقِّ مَفَارِقَ لَهُمْ فِي النَّيَّةِ وَالْقَصْدِ.

وَالْمَجْبُورُ: مَنْ جَبَرُوهُ كَرْهًا عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ، يُقَالُ: جَبَرَهُ وَأَجْبَرَهُ، لُغْنَانٌ، وَأَعْلَاهُمَا بِالْأَلْفِ، أَنْشَدَنِي أَبُو عَمْرٍو عَنْ ثَعْلَبٍ:

قَدْ أَجْبَرَ الْقَاضِي بِحُكْمِ فَضْلِ أَنْ يَمْحَنُوهَا بَثْلَاثٍ أَدِل

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "حَيْرُ الْحَيْلِ الْأَذْهَمُ الْأَفْرَحُ الْمُحَجَّلُ الْأَرْثَمُ طَلُقُ الْيَدِ الْيُمْنَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَذْهَمَ فَكَمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْءِ"^٢.

^١ رواه البخاري ومسلم، بألفاظ قريبة من هذا.

^٢ رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه.

الأقرح من الخيل: ما كان في جبهته قرحة، وهي بياض يسير في وسط الجبهة.
والأرثم: ما كان بحفلة وأنفه بياض، كأنه رثم به أي لطخ.
قال الشاعر^١:

كَأَنَّ مَارَهَا بِالْمِسْكَ مَرْتُومٌ^٢

فإن كان البياض بالحفلة ولم يفس إلى الأنف فهو ألمظ؛ لأن لسانه يناله
إذا تلمظه.

والمحجل: أن يكون في قوائمه تحجيل، وهو بياض يبلغ الرسع، أخذ من
الحجل، وهو الخلل.

قوله: طلق اليد اليمنى، أي مطلقها، ويقال في هذا: ممسك الأيسر مطلق
الأيمن، وهو مستحب، وممسك الأيمن مطلق الأيسر، وهو مكروه، ويقال:
بعير طلق اليمين غير مقيد، وجمعه أطلاق، ورجل طلق الوجه وطلق الوجه،
وهو طليق اللسان وطلق وطلق، ورجل طلق اليمين، إذا كان سخياً، وقد
طلقت يده ولسانه طلوقة وطلوقاً.

^١ هو ذو الرمة، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أأن ترسمت من حرقاء منزلة ماء الصبابة
من عينك مسجوم).

^٢ وقامه: (تثني النقب على عزين أرنية شماء مارها بالمسك مرتوم).

"وكان رَسُولُ اللَّهِ يَكْرَهُ الشِّكَالَ فِي الْخَيْلِ" ^١: وهو أن تكون يدا الفرس وإحدى رجليها مُحَجَّلَةً ^٢، قَالَ الشاعر:

أُبْغِضُ كُلَّ فَرَسٍ مَشْكُورٍ تَعَادَتِ الثَّلَاثُ بِالتَّحْجِيلِ
مِنْهُ وَرَجُلٌ مَا بَهَا تَشْكِيلٌ

فوصفه بهذا النعت.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ إِبْلِيسُ فِيهِ أَدْحَرُ وَلَا أَدْحَقُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، إِلَّا مَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ" قِيلَ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ؟ قَالَ: "أَمَّا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزِعُ الْمَلَائِكَةَ" ^٣.

قوله: أَدْحَرُ، معناه أذلُّ وأبعدُ، يُقال: دَحَرْتُ الرَّجُلَ، إِذَا طَرَدْتَهُ وَنَحَيْتَهُ عَنِ الْمَكَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {فَتَلَقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا}.

يريد، والله أعلم: مَهْجُورًا مُقْصَى.

وَالدَّحِقُ: قَرِيبٌ مِنَ الدَّحْرِ، يُقال: أَدْحَقَهُ اللَّهُ، أَي أَبْعَدَهُ، وَرَجُلٌ دَحِيقٌ سَحِيقٌ، أَي مُبْعَدٌ مَطْرُودٌ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ^٤:

^١ رواه مسلم والنسائي.

^٢ هو أن يكون من الخيل ثلاث فوائم مُحَجَّلَةً وواحدة مُطْلَقَةً.

^٣ أخرجه مالك في الموطأ، والبيهقي في (شعب الإيمان) باختلاف يسير.

^٤ لم أجده في ديوانه.

رَجَمْتِكَ فِي الشَّعْرِ حَتَّى خَضَعَ تَ وَصِرْتَ لِحَيْنِكَ فَذَا دَحِيْقًا

وقوله: يَرِغُ الملائكة، يريد أنه جاء يَتَقَدَّمُهُمْ فيكفُّ رِيْعَانَهُمْ^١.

ومن هذا قَوْلُهُمْ: وَرَعْتُ الرَّجُلَ عَنِ الضَّلَالَةِ، وَوَرَعْتُ الْقَلْبَ عَنِ الهَوَى، قَالَ عُمَرُ بْنُ أَبِي رِيْعَةَ^٢:

رَعِ الْقَلْبَ وَاسْتَبَقِ الحَيَاءَ فَإِنَّمَا يُبَعِّدُ أَوْ يُدِينِ الرَّبَابَ المَقَادِرُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ فُرْسَانًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ مُسَوِّمِينَ، وَفُرْسَانًا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ مُعَلِّمِينَ، فَفُرْسَانُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ قَيْسٌ؛ إِنَّ قَيْسًا ضِرَاءُ اللهِ"^٣.

المُسَوِّمُ: المُعَلِّمُ، يُقَالُ: سَوَّمَ الفَارِسُ فَرَسَهُ، إِذَا أَعْلَمَهُ بَعْلَامَةً يُعْرِفُ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ، وَالاسْمُ مِنْهُ السُّوْمَةُ.

^١ وَرِيْعَانُ السَّرَابِ: مَا اضْطَرَبَ مِنْهُ، يَعْنِي أَنَّ جَبْرِيلَ يَسُوِي صَفْوَفَهُمْ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (يَقُولُ عَتِيْقٌ إِذْ شَكُوْتُ صَبَابَتِي وَبَيَّنَّ دَاءً مِنْ فُوَادِي مُخَامِرٍ).

^٣ رَوَاهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي فَضَائِلِ الشَّامِ، وَضَعَفَ الألباني إسناده، فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ.

والضِّرَاءُ: جمع ضِرْوٍ، وهو من السِّبَاعِ ما لهج بالفرائس، ومن الكلاب ما ضَرِيَ بالصَّيْدِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^١:

مُقَرَّعٌ أَطْلَسُ الْأَطْمَارَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضِّرَاءُ وَإِلَّا صَيْدَهَا نَشَبُ

المُقَرَّعُ: الخفيف الشعر، وأما الضِّرَاءُ - مفتوحة الضاد - فهو ما وارك من شَجَرٍ.

ويقال: فُلَانٌ يَمْشِي الضِّرَاءَ، إِذَا كَانَ يَحْتَلِ الصَّيْدَ فِي اسْتِخْفَاءٍ حَتَّى يَأْخُذَهُ، قَالَ الكُمَيْتُ^٢:

وَإِنِّي عَلَى حُجِّي لَهُمْ وَتَطْلُعِي إِلَى نَصْرِهِمْ أَمْشِي الضِّرَاءَ وَأَخْتَلُ

وقيسٌ توصف بالفروسة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ الْقَارِي قَالَ: كَانَ يُقَالُ: يُسَوِّدُ السَّيِّدَ فِي تَيْمِمِ الْحِلْمِ، وَفِي قَيْسٍ بِالْفُرُوسَةِ، وَفِي رَبِيعَةَ بِالْحُودِ.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب).
 (سرب).

^٢ في ديوانه "الهاشميات" من قصيدته التي مطلعها: (ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مُدبرٌ بعد الإساءة مُقبل).
 (الإساءة مُقبل).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: "إِنَّ جَمَعَ فُرَيْشٍ عِنْدَ هَذِهِ الضَّلَعِ الْحَمْرَاءِ مِنَ الْجَبَلِ"^١.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ وَصَافَنَاهُمْ إِذَا عُثْبَةُ بْنُ رَيْعَةَ يَسِيرُ فِي الْقَوْمِ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، وَهُوَ يَنْهَى عَنِ الْقِتَالِ وَيَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيمِينَ، يَا قَوْمُ اعْصُبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي وَقُولُوا جَبْنُ عُثْبَةَ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبِنِكُمْ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ لَوْ غَيْرَكَ يَقُولُ هَذَا لِأَعْضُثْتَهُ^٢، قَدْ مَلَى جَوْفَكَ رُعبًا. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: قَدْ مَلَى سَحْرُكَ، فَقَالَ عُثْبَةُ: إِيَّاي تَعْنِي يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ، سَتَعْلَمُ أَئِنَّا الْيَوْمَ أَجْبُنُ^٣، فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الضَّلَعُ: جُبَيْلٌ صَغِيرٌ لَيْسَ بِمُنْقَادٍ، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ ضَلَعًا لِجَمَلِهِ وَأَنْحِرَافِهِ، تَمَثِيلًا لَهُ بِضَلَعِ الْإِنْسَانِ، وَالضَّلَعُ الْمَيْلُ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُكَ: ضَلَعُكَ مَعَ فُلَانٍ، أَي صَعُوكَ وَمَيْلُكَ إِلَيْهِ، قَالَ النَّابِغَةُ^٤:

أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخُنْكَ أَمَانَةٌ وَتَتْرُكُ عَبْدًا ظَالِمًا وَهُوَ ضَالَعٌ

^١ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب المغازي والسير: ٩٩٥٣.

^٢ أعضضته: قلت له كلمةً مستقبحةً (أي قلت له اعضض بأير أيليك).

^٣ رواه أحمد والبخاري، في حديث طويل. وروى أبو داود منه طرفًا.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عفا ذو حسى من فرثي فالقوارغ فجنبنا أريك فالتلاغ الدوافع).

وقوله: صَافَنَّاہُمْ، أي واقفناهم في مركز القتال، والصَّافِنُ الواقفُ، ومنه الحديث: "مَنْ سَرَّهٗ أَنْ يَقُومَ لَهُ الرَّجَالُ صُفُونًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^١.

وقال حميد بن ثور^٢:

كَأَنَّ سُمُومَهَا سَرَعَانُ نَارٍ إِذَا مَا شَمْسُهَا صَفَنَتْ صُفُونًا

يُقَالُ: صَفَنَ الْفَرَسُ، إِذَا قَامَ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ}.

فَأَمَّا قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ^٣:

فَلَمَّا تَصَافَنَّا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشْتُ إِلَى غَضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجِرَاضِمِ

فَالْتَصَافُنُ: أَنْ يُطْرَحَ فِي الْإِنَاءِ حَجْرٌ ثُمَّ يُصَبَّ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مَا يَغْمُرُهُ، لِئَلَّا يَتَغَابَنُوا، يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْأَسْفَارِ عِنْدَ ضَيْقِ الْمَاءِ وَإِعْوَاذِهِ، وَاسْمُ تِلْكَ الْحِصَاةِ الْمُقْلَةُ.

^١ أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

^٢ في ديوانه، من قصيدة مطلعها: (وَبِالْأَجْرَاعِ مِنْ كَنْفِي بَرَامٍ دِمَاءٌ لَا تُكَلِّفُكَ الْيَمِينَا).

^٣ في ديوانه من قصيدة وقدم من الأيمامة ودليله رجل من بلعبر فضل به فقال في مطلعها: (وما نحنُ إن جازت صدورُ ركابنا بأول من عرت هداية عاصم).

وقوله: أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ، أَي مُسْتَقْتِلِينَ، وَالْمُسْتَمِيتُ الَّذِي يُقَاتِلُ عَلَى الْمَوْتِ، قَالَ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ^١:

بِكَفِّي مَا جَدٍ لَا عَيْبَ فِيهِ إِذَا لَقِيَ الْكَرْهَةَ يَسْتَمِيتُ

وقوله: اعْصَبُوهَا بِرَأْسِي، يُرِيدُ الْحَرْبَ، وَهِيَ تُؤْتَتْ، أَوْ يَكُونُ أَرَادَ السُّبَّةَ الَّتِي تَلْحَقُهُمْ بِالْفِرَارِ مِنَ الْحَرْبِ وَالْجُنُوحِ إِلَى السَّلْمِ، فَأَضْمَرَهَا فِي الْكَلَامِ اعْتِمَادًا عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَا.

وقوله: مُلِئْتُ سَحْرُكَ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يَقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا جَبُنَ وَانْكَسَرَ: قَدْ انْتَفَخَ سَحْرُهُ^٢، قَالَ: وَالسَّحْرُ مَا تَعَلَّقَ بِالْخُلُقِومِ وَالرِّثَّةِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَنَارٍ كَسَحْرِ الْعَوْدِ يَرْفَعُ ضَوْؤَهَا مَعَ اللَّيْلِ هَبَّتْ الرِّيحُ الصَّوَارِدِ

^١ فِي الْحِمَاسَةِ هِيَ لِلزَّبِيرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ، وَمَطْلَعُهَا: (وَلَوْلَا الْحَمْسُ لَمْ يَلْبَسْ رَجَالٌ ... ثِيَابَ أَعْرَةَ حَتَّى يَمُوتُوا).

^٢ وَمِنْهُ حَدِيثٌ عَائِشَةَ عِنْدَ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللَّهُ بَيْنَ سَحْرِي وَخَرِي وَدُفْنِي فِي بَيْتِي.

وقال أبو عبيدة في قوله: {إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ} يريد من له سحرٌ مما تعلقَ بالخلقُوم، قال: وكلُّ من احتاجَ إلى غذاء فهو مُسحَرٌ، وأنشد للبيد^١:

فإن تسألينا فيم نخنُ فإننا عَصَافِيرُ من هذا الأنام
المُسحَرِ^٢

ويقال: انصرف الرجلُ من حاجته صريمَ سحرٍ، إذا صار آيسًا منها، قال قيسُ بنُ الخطيم^٣:

تقولُ ظِعِينِي لَمَّا اسْتَقَلَّتْ أَتَرُكُ مَا جَمَعْتَ صَرِيمَ سَحْرِ

وأما قوله: يا مُصَفِّرَ اسْتِه، فقد قيلَ إنه نَسَبَه إلى التَّوَضِيعِ والتَّانِيثِ، وقد قال فيه بعضُ الأنصار:

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَحْوَكُمْ غَزَا بَدْرًا بِمِجْمَرَةٍ
وَتَوَّرَ^٤

^١ في ديوانه من قصيدته يذكر من فقد من قومه ومن سادات العرب، ويتأمل في سطوة الموت وضعف الإنسان إزاءه، ومطلعها: (أَعَاذِلْ قَوْمِي فَاعْدُلِي الْآنَ أَوْ ذَرِي ... فَلَسْتُ وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنِّي بِمُقْصِرٍ).

^٢ عَصَافِيرُ: أي ضعاف. مسحَرٌ: أي مغلل بالطعام والشراب.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَمْ حَيَالُ لَيْلِي أُمِّ عَمْرٍو وَلمْ يُلِمِمَ بِنَا إِلا لِأَمْرِ).

^٤ والمجمره: إناء يوضع فيه الجمر مع البخور. والتور: إناء يشرب فيه.

وقد قيل إنّه لم يُرد به ذاك، وإمّا هُوَ كلمةٌ، يُقال للرجل المُتَرَف الذي يُؤثّر الراحةَ ويميل إلى التَّعَمُّم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ لَمَّا رَأَى كَثْرَةَ اسْتِشَارَةِ النَّبِيِّ أَصْحَابَهُ يَوْمَ بَدْرٍ ظَنَّ أَنَّهُ إِيمًا يَسْتَنْطِقُ الْأَنْصَارَ شَفَقًا أَنْ لَا يَسْتَحْلِبُوا مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ مِنْ أَمْرِهِ، فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ. وَفِيهِ أَنَّ حَوَاتِ بْنَ جُبَيْرٍ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ الصَّفْرَاءَ فَأَصَابَ سَاقَهُ نَصِيلٌ حَجَرٍ فَرَجَعَ فَضْرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ بِسَهْمِهِ^١.

يقال: أَحَلَبَ الْقَوْمُ واستَحْلَبُوا، إِذَا اجْتَمَعُوا لِأَمْرٍ وَتَعَاوَنُوا عَلَيْهِ، قَالَ الْأُمَوِيُّ:
يقال: هُمْ يَخْفِشُونَ عَلَيْكَ وَيُحْلِبُونَ عَلَيْكَ، أَي يَجْتَمِعُونَ عَلَيْكَ.
قَالَ الْكُمَيْتُ^٢:

عَلَى تِلْكَ إِجْرِيَّاي^٣ وَهِيَ ضَرِيَّتِي وَإِنْ أَجَلَبُوا طَرًّا عَلَيَّ وَأَحْلَبُوا

يُقَالُ: فَلَانَ عَلَى إِجْرِيَاءَ حَسَنَةً: أَي حَالٍ وَطَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ.

^١ نقله الذهبي في تاريخه عن الواقدي.

^٢ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبْتُ وَلَا لَعْبًا مِثِّي أَدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ).

^٣ والإجرياء: العادة والطبيعة والخلق، ووزنه: (إفعيلي).

وقوله: أَحَلَبُوا: أي أَعَانَ بعضهم بَعْضًا، والنَّصِيلُ: حجرٌ مُحَدَّدُ الأَطْرَافِ كأنه نصل؛ لِحَدَّتْهُ.

وفي قِصَّةِ بَدْرِ بهذا الإسناد أن أبا سفيان خرج في ثلاثين فارسًا حتى نزل بجبل من جبال المدينة، فبعث رجلين من أصحابه فأحرقوا صورًا من صيران العرَبِ، فخرج رسول الله في أصحابه حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ فَأَعْدَرُوهُ^١. يُقَالُ: أَعْدَرْتُ الشَّيْءَ وَأَعْدَرْتُهُ، إِذَا خَلَفْتَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

كَأَهَا أُمُّ سَاجِي الطَّرْفِ أَخْدَرَهَا مُسْتَوْدَعٌ حَمَرَ الوَعَسَاءِ مَرخُومٌ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَأَعْتَشَى فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ^٣.
قوله: اعْتَشَى: يُرِيدُ أَنَّهُ سَارَ فِي وَقْتِ العِشَاءِ.

^١ انظر كتب السيرة.

^٢ هو ذو الرمة، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (أَنَّ تَرَسَّمَتْ مِنْ حَرَقَاءَ مَنزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ).

^٣ رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى.

قَالَ الشَّاعِرُ^١:

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُعْتَفِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعَنَّ الدُّجَى حَتَّى يُرَى اللَّيْلُ
يَنْجَلِي^٢

ومثله: اغتدى، إذا سارَ عُدوةً، وابتكر، إذا سار بُكرةً، واستحَرَ، إذا سار
سُحرةً، قَالَ زُهَيْرٌ^٣:

بَكَرَنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرَنَ بِسُحْرَةٍ فَهَنَّ لَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْقَمِّ

وفسره بعضهم فقال: يريد أنه نزل ليتعشى أو ليصلي العشاء، وهذا غلط،
لأنَّ في الخبر أنَّ زيادًا الصُّدَائِيَّ قَالَ: اعْتَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فَاَنْقَطَعَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَلَزِمْتُهُ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الْأَذَانِ أَمَرَنِي
فَأَذَنْتُ، فَلَمَّا نَزَلَ لِلصَّلَاةِ لِحِقِهِ أَصْحَابُهُ، فَأَرَادَ بِلَالٌ أَنْ يُقِيمَ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ
أَحَا صُدَاءَ هُوَ أَذْنٌ وَمَنْ أَذَّنَ فَهُوَ يُقِيمُ"^٤.

^١ هو مزاحم بن الحارث العقيلي: شاعر غزل بدوي عاش في العصر العباسي. توفي في العام (١٢٠) للهجرة) كان من الشجعان المعروفين من بني عقيل كان في زمن جرير والفرزدق وكان شعره جيداً.
قال الشاعر ذو الرمة عنه: «يقول وحشياً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثله».

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليلي عوجا بي على الربع نسأل متى عهدُه بالظاعنِ
المتحَمِّل).

^٣ في ديوانه من معلقته الشهيرة: (أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالميتلم).

^٤ رواه الخمسة إلا النسائي، ولفظه لأحمد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْحِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْحُكْمُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالِدَّعْوَةُ فِي الْحَبْشَةِ"^١.

الدَّعْوَةُ: الْأَذَانُ، وَجَعَلَهُ فِي الْحَبْشَةِ تَفْضِيلًا لِبِلَالٍ مُؤَدِّئِهِ، وَجَعَلَ الْحُكْمَ فِي الْأَنْصَارِ لِأَنَّ أَكْثَرَ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: مُعَاذُ وَأَبِيُّ بَنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَغَيْرُهُمْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَنَعَ طَعَامًا فِي تَزْوِيجِ فَاطِمَةَ، وَقَالَ لِبِلَالٍ: "أَدْخِلِ النَّاسَ عَلَيَّ زُقَّةً زُقَّةً"^٢.

قوله: "زُقَّةً زُقَّةً"، أَي فَوْجًا فَوْجًا وَزُمْرَةً زُمْرَةً، وَأَرَاهَا سُمِّيَتْ زُقَّةً لِزَيْفِنِهَا، وَهُوَ إِقْبَالُهَا فِي سُرْعَةٍ، وَمِنْهُ زَيْفُ النَّعَامَةِ، يُقَالُ: زَفَتِ النَّعَامَةُ تَزِفُ زَفِيفًا، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ: {فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ} أَي: يُسْرِعُونَ.

وَأَخْبَرَنِي أَبُو عَمْرٍ^٣ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ قَالَ: يُقَالُ لِلْجَمَاعَةِ: كُبْكُبَةٌ وَكَبْكَبَةٌ، وَهَلْتَاةٌ، وَزَرَفَةٌ، وَغَيْثَرَةٌ، وَبِرْزِيقٌ، وَصَتٌّ وَصَتِيْتُ، وَلَمَةٌ، وَلُمْعَةٌ، وَثُبَّةٌ، وَحَضِيرَةٌ، وَثُلَّةٌ، وَوَلْدَةٌ، وَقِدَّةٌ، وَصَرْمٌ، وَعُنُقٌ مِنَ النَّاسِ، وَعَنْوٌ وَأَعْنَاءٌ، وَفَنُوٌ

^١ أخرجه الترمذي، وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

^٢ أخرجه الطبراني في حديث طويل في قصة زواج فاطمة وعلي رضي الله عنهما.

^٣ أبو عمر الزاهد غلام ثعلب.

وأفناء، وعزوة وأعرءاء، وقنيف من الناس، وهم الأخلاط والأشابات. وروى غير أبي عمر: هلهاء: بالثاء المثناة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ تُؤْتَى عَلَى حَرْفٍ^١، حَتَّى شَرِيَ أَمْرُهُمَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ}^٢.

قوله: شَرِيَ أَمْرُهُمَا، أَي عَظُمَ أَمْرُهُمَا وَارْتَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِكَ: شَرِيَ الْبَرْقُ، إِذَا تَتَابَعَ لِمَعَانِهِ ثُمَّ كَثُرَ، حَتَّى قِيلَ لِكُلِّ مَنْ لَجَّ فِي أَمْرٍ وَتَمَادَى فِيهِ: قَدِ شَرِيَ فِي الْأَمْرِ وَاسْتَشْرَى فِيهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُحَدِّثُهُ قَيْلُهُ^٣: أَنَّهَا حَرَجَتْ بِابْنَتِهَا تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ، قَالَتْ: فَلَحِقْنَا أَثُوبَ بِنِّ أَزْهَرَ - عَمُّ بَنَاتِهَا - يَسْعَى بِالسَّيْفِ صَلْتًا، فَوَأَلْنَا إِلَى حِوَاءِ ضَحْمٍ، قَالَتْ: وَمَضَيْتُ إِلَى أُخْتِ لِي نَاكِحِ

^١ الحرف: الطرف والناحية، والمعنى إتيانها على جنب، وقيل: معنى على حرف ألا يتمكن منها تمكن المتوسط المتبحر في الأمر. والشرح: أن يتمكن منها، من شرح الأمر، وهو فتح ما انغلق منه. وشرح المرأة إذا سلقها على قفاها ثم غشيها.

^٢ انظر "مسند أحمد" ٦/ ٣٠٥ و"سنن الترمذي"، كتاب التفسير ٥/ ١٩٨ "٢٩٧٩" والدارمي في "سننه" ١/ ٢٥٦ والطبري ٤/ ٤١٢ "٤٣٤٥".

^٣ قبيلة بنت مخزومة العنبرية: صحابية.

فِي بَنِي شَيْبَانَ أَبْتَعِيَ الصَّحَابَةَ، فَذَكَرُوا حُرَيْثَ بْنَ حَسَّانِ الشَّيْبَانِيَّ، فَنَشَدَتْ عَنْهُ فَسَأَلَتْهُ الصُّحْبَةَ، وَذَكَرَتْ قُدُومَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنَّه لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِالذَّهْنَاءِ اعْتَرَضَتْ فِيهِ، فَأَمَرَ أَنْ لَا يَكْتُبَ لَهُ، فَتَمَثَّلَ حُرَيْثُ فَقَالَ: كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ كَمَا قَالَ: "حَتَفَهَا ضَانٌّ تَحْمِلُ بِأُظْلَافِهَا"^٢.

فِي حَدِيثٍ ذَكَرَ سَائِرُهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ.

قَوْلُهَا: وَالنَّا، وَمَعْنَاهُ: لَجَأْنَا إِلَيْهِ، يُقَالُ: وَآلَ الرَّجُلِ إِلَى الْمَكَانِ، إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ. وَالْمَوْئِلُ: الْمَلْجَأُ وَالْمَهْرَبُ، يُقَالُ: لَا وَآلَتْ نَفْسُهُ، أَي لَا نَجَتْ، وَفُلَانٌ يُوَائِلُ، أَي يُسَابِقُ وَيُبَادِرُ لِيَنْجُو، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ^٣:

وَقَدْ أَحَاذِرُ رَبَّ الْبَيْتِ عَفَلْتُهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مَتِي ثُمَّ لَا يَمِيلُ

أَي: لَا يَنْجُو.

^١ مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة، وأصله أن رجلاً وجد شاة، ولم يكن معه ما يذبحها به، فضربت بأظلافها الأرض فظهر سكين، فذبحها به.

^٢ رواه الطبراني في الكبير، في حديث طويل.

^٣ في ديوانه من قصيدته الشهيرة التي مطلعها: (وَدَعَّ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مَرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ؟).

والحواء: بُيوتٌ مجتمعة على ماءٍ، وتُجمَعُ على أحوية، قال ذو الرُّمَّة^١:

إلى لوائحٍ من أطلالٍ أحويةٍ كأنَّها خللٌ موشيةٌ

فُشِب^٢

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ عَمْرٍو بْنِ تَغْلِب^٣ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَفِضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَتَفْشُو التَّجَارَةُ، وَيَطْهَرَ
الْقَلَمُ". قَالَ عَمْرٌو: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَبِيعُ الْبَيْعَ فَيَقُولُ حَتَّى اسْتَأْمَرَ تَاجِرَ بَنِي
فُلَانٍ، وَيِلْتَمَسُ فِي الْحِوَاءِ الْعَظِيمِ الْكَاتِبَ فَمَا يُوجَدُ.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عينك منها الماء يسكب كأنه من كلى مفرية سرب).

^٢ يريد: مع لوائح: وهو ما لاح من الأطلال. والأحوية: أبياتٌ مجتمعة، الواحد حواء. والخلل: بطائن أجفان السيوف الموشاة، قشب: جدد، موشية: من الوشي.

^٣ عمرو بن تغلب النمري: من النمر بن قاسط، ويقال: العبدي، من عبد القيس، من أهل جوثا قرية من قرى البحرين. له صحبة.

^٤ رواه النسائي، وصحح إسناده الألباني.

قولها: ناكح في بني شيبان، تريد أنها ذات زوج، وقد تسقط الهاء في مثل هذا من نعت المؤنث إذا أرذت الحال الزاهنة، كقولك: امرأة طالق وحامل، فإذا جعلته للمستقبل قلت: حاملة وطالقة، قال الأعشى^١:

أجارتنا بيني فإنك طالق

وقولها: فنشدت عنه، أي سألت عنه وطلبت، يقال: نشدت الضالة أنشدها، إذا طلبتها، وأنشدتها، إذا عرفتها.

قال الأصمعي: ضلَّ بغير رجلٍ من الأعراب فجعل ينشده وهو يقول: من وجدته فهو له، فقيل: له فما تتعنى في طلبه؟ قال: فأين فرحة الوجدان.

وأما قوله: حتفها ضأن تحمل بأظلافها، فإنه مثل، ضربته لها ولصنيعها به حين اعترضت عليه في الدهناء وحالت بينه وبينها، وأصل هذا أن التعمان بن المنذر عمد إلى كبش فعلق في عنقه مديئة، ثم أرسله ونذر أن يقتل من عرض له، فكان الكبش يسرح ولا يمسه، ثم إنه مرَّ على علباء بن أرقم

^١ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وتامه: (يا جارتى بيني فإنك طالق كذاك أمور الناس غادٍ وطارقة).

الشُّكْرِيُّ^١ فَقَالَ: كَبِشْ يَحْمِلُ حَتْفَهُ بِأُظْلَافِهِ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ فَذَبَحَهُ وَاشْتَوَاهُ،
وَقَالَ شِعْرًا طَوِيلًا فِيهِ^٢:

أُحَوِّفُ بِالنَّعْمَانِ حَتَّى كَأَنِّي قَتَلْتُ لَهُ خَالًا كَرِيمًا أَوْ ابْنَ عَمِّ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَسُولًا
إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَنَزَلَ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَبَلَّغَهُ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ أَهْلُ مَكَّةَ
لَأَبِي سُفْيَانَ: مَا أَتَاكَ بِهِ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَ: أَتَانِي بِشَرٍّ؛ سَأَلَنِي أَنْ أُحْلِيَ مَكَّةَ
لِجَعَسِيْسِ أَهْلِ يَثْرِبَ.

الجعاسيس: اللِّغَامُ، واحدهم جُعْسُوسٌ، قَالَ الرَّاعِي^٣:

ضِعَافُ الْفُؤَى لَيْسُوا كَمَنْ يَبْنِي الْعَلَا جَعَسِيْسُ قَصَّارُونَ دُونَ الْمَكَارِمِ

فَأَمَّا الْجُعْسُوشُ، بِالشِّينِ مُعْجَمَةٌ، فَهُوَ الطَّوِيلُ الدَّقِيقُ، قَالَه الْأَصْمَعِيُّ.

^١ عِلْبَاءُ بْنُ أَرْقَمَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عِجْلِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ كَعْبِ بْنِ يَشْكُرَ بْنِ بَكْرِ وَائِلِ.

^٢ الْبَيْتُ ضَمِنَ آيَاتٍ فِي الْأَصْمَعِيَّاتِ، مَطْلَعُهَا: (أَلَا تِلْكَمَا عَرَسِي تَصُدُّ بِوَجْهِهَا ... وَتَزْعُمُ فِي جَارَاتِهَا أَنْ مَنْ ظَلَمَ)

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ حِينَ سَأَلَ أَوْسُ بْنُ مِغْرَاءَ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيَّ وَابْنَ السِّمِطِ، فَقَالَ الرَّاعِي فِي صَلَاحِهِمْ: (فَإِنْ كُنْتَ يَا ابْنَ السِّمِطِ سَأَلَمْتَ دُونَنَا وَقَيْسُ أَبُو لَيْلَى فَلَمَّا نُسِئْنَا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَلَّى إِلَى بَعِيرٍ مِنَ الْمَعْنَمِ، فَلَمَّا انْقَلَبَ تَنَاوَلَ قَرْدَةً مِنْ وَبَرِ الْبَعِيرِ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَقَالَ: "إِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِي مِنْ عَنَائِكُمْ مَا يَرِنُ هَذِهِ، إِلَّا الْحُمْسُ، وَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ".^١

الْقَرْدَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْوَبَرِ تَنْسَلُ مِنْهُ، قَالَ زُوْبَةُ^٢:

مَدَّ بِحَيْطِي قَرْدٍ وَصُوفٍ

وَيُقَالُ إِنَّ الْقَرْدَ أَرْدَأُ الصُّوفِ وَالْوَبَرَ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣ يَهْجُو قَوْمًا:

لَوْ كُنْتُمْ مَاءً لَكُنْتُمْ زَبَدًا أَوْ كُنْتُمْ صَوْفًا لَكُنْتُمْ
قَرْدًا^٤

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي التَّفْرِيطِ فِي الْحَاجَةِ وَهِيَ مُمَكِّنَةٌ ثُمَّ تُطَلَّبُ بَعْدَ الْفَوْتِ قَوْلُهُمْ:

^١ أخرجه النسائي، وأبو داود، والطبراني في (مسند الشاميين) بلفظ (وبرة) بدل (قردة)، وصحح الألباني إسناده.

^٢ لم أجده في ديوانه، وعنده أرجوزة على الوزن والقافية مطلعها: (قَالَتْ سُلَيْمَى إِذْ رَأَتْ حُفُوفِي مَعَ اضْطِرَابِ اللَّحْمِ وَالشُّشُوفِ).

^٣ هو عمر بن لجأ التيمي: عمر بن لجأ بن حدير ابن مصاد التيمي، من بني تميم بن عبد مناة: من شعراء العصر الأموي. اشتهر بما كان بينه وبين (جرير) من مفاخرات ومعارضات. وهو الذي يقول فيه جرير: (أنت ابن برزة منسوب إلى لحأ... عند العصارة والعيدان تعتصر) وبرزة أمه. مات بالأهواز.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (فُقَيْمٌ يَا شَرَّ تَمِيمٍ مَحْتِدَا لَوْ كُنْتُمْ مَاءً لَكُنْتُمْ زَبَدًا).

عَثَرْتُ عَلَى الْعَزْلِ بِأَحْرَهُ فَلَمْ تَدْعُ بِنَجْدٍ قَرَدَهُ
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَأَصْلُهُ أَنْ تَدْعَ الْمَرْأَةُ الْعَزْلَ وَهِيَ تَجِدُ مَا تَغْزِلُهُ مِنْ قَطْنٍ أَوْ
 كِتَّانٍ، حَتَّى إِذَا فَاتَهَا تَبَعَتْ الْقَرَدَ فِي الْقُمَامَاتِ تَلْتَقِطُهَا فَتَغْزُلُهَا.
 وَيُقَالُ: سَنَامٌ قَرْدٌ، أَي جَعْدُ الْوَبَرِ، قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ^١ يَصِفُ نَاقَةَ:
 لَهَا قَرْدٌ كَجَثْوِ النَّمْلِ جَعْدٌ تَعَصُّ بِهِ الْعِرَاقِي وَالْقُدُوخُ
 وَالْعِرَاقِي: عِيدَانُ الرَّحْلِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ لِعَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ابْنِ اسْمِهِ
 عَبْدُ اللَّهِ، فَأَصَابَتْهُ رَمِيَّةٌ يَوْمَ الطَّائِفِ، فَضَمِنَ مِنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ لِأُمِّهِ وَدَخَلَ
 عَلَيْهَا وَهِيَ نَسْوَةٌ: "أَبْشِرِي بِعَبْدِ اللَّهِ خَلْفًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ" فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَسَمَّتهُ
 عَبْدَ اللَّهِ، فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ^٢.

قَوْلُهُ: ضَمِنَ مِنْهَا، أَي زَمِنَ، يُقَالُ: ضَمِنَ الرَّجُلُ ضِمَانَةً، وَرَجُلٌ ضَمِنَ،
 وَرِجَالٌ ضَمِنَى، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "مَنْ أَكْتَتَبَ ضَمِنًا بَعَثَهُ اللَّهُ زَمِنًا"^٣، وَهَذَا فِي
 الرَّجُلِ يُضْرَبُ عَلَيْهِ الْبَعْثُ فَيَتَعَالَلُ وَيَتِمَارِضُ وَلَا يَسُ بِهِ مَرَضٌ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَمِنْ لَيْلَى وَجَارَتْهَا تَرَوْحُ وَكَيْسَ لِحَاجَةِ مِنْهَا مُرِيخُ).

^٢ رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي تَارِيخِهِ: ١٢٢.

^٣ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ.

وأخبرني أبو عُمَرَ عن أبي العباس ثعلب أن أعرابياً جاء إلى صاحب القَرْضِ
فَقَالَ:

إِنْ تَكْتَبُوا الضَّمْنَ فَإِنِّي لَضَمِّنٌ مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ وَدَاءٍ مُسْتَكِنٍ

وقوله: وهي نَسْوَةٌ، أي مَظْنُونٌ بها الحَمْلُ، قال الأصمعي: يقال للمرأة أَوَّلُ
مَا تَحْمَلُ: قَدْ نُسِئَتْ، فهي نَسَاءٌ، قَالَ غَيْرُهُ: امْرَأَةٌ نَسَاءٌ، ونِسَاءٌ نِسَاءٌ، جَمْعُ
نَسَاءٍ، وفيها ثلاثُ لُغَاتٍ: نَسَاءٌ ونُسَاءٌ ونِسَاءٌ، وإنما قيل لها نَسَاءٌ لِأَنَّ
حَيْضَهَا تَأَخَّرَ عَنْ وَقْتِهِ، مِنْ نَسَاءَ فُلَانٌ الشَّيْءَ إِذَا أَخَّرَهُ، ومنه النَسِيئَةُ فِي
الْبَيْعِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} وهو تَأْخِيرُهُمُ الْأَشْهُرَ
الْحَرَامَ إِلَى أَشْهُرِ الْحِلِّ وَاسْتِحْلَاثَهُمْ فِيهَا الْقِتَالَ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

أَلَسْنَا النَّاسِيئِينَ عَلَى مَعَدٍّ شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا

وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: نَسَأَ اللهُ فِي أَجَلِهِ، وَأَنْسَأَهُ اللهُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ صَالِحٍ قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ تَحْتِ أَبِي الْعَاصِ
بِنِ الرَّبِيعِ، فَلَمَّا حَرَجَ رَسُولُ اللهِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَرْسَلَهَا إِلَى أَبِيهَا وَهِيَ نَسْوَةٌ،

^١ هو عُمَيْرُ بْنُ قَيْسٍ، الشهير بِجَدْلِ الطَّعَانِ: أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ بْنِ عُنْمِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ،
قَالَ يَفْحَرُ بِالنِّسَاءَةِ عَلَى الْعَرَبِ، فِي آيَاتٍ مَطْلَعُهَا: (لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدًّا أَنْ قَوْمِي ... كِرَامُ النَّاسِ أَنْ
لَهُمْ كِرَامًا).

فَأَنْفَرَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ بَعِيرَهَا حَتَّى سَقَطَتْ، فَنَفِثَتِ الدِّمَاءَ مَكَانَهَا، وَأَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا، فَلَمْ تَزَلْ مِنْهُ ضَمِنَةً حَتَّى مَاتَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى مُضَرِّ بِالسَّنَةِ" ^١ فَجَاءَهُ مُضَرِّيٌّ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا يَخْطُرُ لَنَا جَمَلٌ وَمَا يَتَزَوَّدُ لَنَا رَاعٍ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: مَا يَعِطُّ لَنَا بَعِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا اللَّهَ لَهُمْ، فَمَا مَضَى ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى مُطِرُوا، وَمَا مَضَتْ سَابِعَةٌ حَتَّى أَعْطَنَ النَّاسُ فِي الْعُشْبِ ^٢.

السَّنَةُ: الجَدْبُ، يُقَالُ: أَسَنَتِ الْقَوْمُ، إِذَا أَجْدَبُوا، فَهْمٌ مُسْتِنُونَ، قَالَ الشَّاعِرُ ^٣:

عَمْرُو الْعَلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالُ مَكَّةَ مُسْتِنُونَ
عِجَافٌ ^٤

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ رواه عبدالرزاق في المصنف: ٤٩٠٧.

^٣ هو عبد الله بن الزبيري، وَكَانَ سَبَبَ مَدْحِهِ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، مَعَ أَنَّهُ سَهْمِي، أَنَّهُ كَانَ قَدْ هَجَا قَصِيًّا بِشَعْرِ كَتَبَهُ فِي أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، فَاسْتَعَدَّوْا عَلَيْهِ بَنِي سَهْمٍ، فَأَسْلَمُوهُ إِلَيْهِمْ، فَضْرِبُوهُ وَحَلَقُوا شَعْرَهُ وَرَبَطُوهُ إِلَى صَخْرَةٍ، فَاسْتَعَاثَ قَوْمَهُ فَلَمْ يَغِيثُوهُ، فَجَعَلَ يمدح قصيًّا ويسترضيهم، فَأُطْلِقُهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْهُمْ وَأَكْرَمُوهُ، فمدحهم بِهَذَا الشَّعْرِ.

^٤ فِي دِيْوَانِهِ، وَهُوَ مُطْلَعٌ بَيْتَيْنِ، وَالْآخِرُ هُوَ: (وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحْلُ الشِّتَاءِ وَرَحْلَةُ أَصِيافُ).

وقوله: ما يَحْطِرُ لنا جَمَلٌ، يريد أَنَّ الفُحُولَةَ لِمَا بها من الضَّرِّ والهُزَالِ لا تَعْتَلِمُ فَهَدِرُ، وإِذَا يَحْطِرُ البَعِيرُ بَدَنَهُ إِذَا اغْتَلِمَ. وقال عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ لَمَّا قَتَلَ عَمْرُو بنَ سَعِيدٍ: لَقَدْ قَتَلْتُهُ وَإِنَّهُ لَأَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ جِلْدَةٍ ما بينَ عَيْنَيَّ، ولكن لا يَحْطِرُ فَحَلانَ في شَوْلٍ^١.

وعن داودَ العطار قال: سَمِعَ سُلَيْمانُ بنَ عَبْدِ الملكِ في مُعسكرِهِ صوتَ غِناءٍ، فدعا بهم، ثُمَّ قالَ لهم: أَمَّا إِنَّ الفَرَسَ لِيَصْهَلُ فَتَسْتَوِدِقُ لَهُ الرَّمَكَةَ، وَإِنَّ الجَمَلَ لِيَحْطِرُ فَتَضْبَعُ لَهُ الناقَةَ، وَإِنَّ التَّيْسَ لِيَنْبُ فَتَسْتَحْرِمُ لَهُ العَنْزُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيُعْتِي فَتَشْتاقُ إِلَيْهِ المَرأةُ، اِخْصوهم، فَقَالَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ: إِهَّا مُثَلَّةً، وَطَلَبَ إِلَيْهِ فَحَلَّى سَبِيلَهُم.

ويقال: حَطَرَ البَعِيرُ بَدَنَهُ حَطْرًا وَحَطِيرًا، وَحَطَرَ الشَّيْءُ بِبالي حُطُورًا، وَحَطَرَ الرَّجُلُ في مِشيتِهِ حَطْرانًا.

قالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقالُ: عَطَّ البَعِيرُ، إِذا هَدَرَ في الشِّفْشِقَةِ، إِذا لم يَكُنْ في الشِّفْشِقَةِ فهو هَدِيرٌ.

والناقَةُ هَدِيرٌ ولا تَعِطُ؛ لِأَنَّهُ لا شِفْشِقَةَ لها.

وقال الأَصمعيُّ: إِذا بَلَغَ الذَّكْرُ مِنَ الإِبِلِ الهَدِيرَ فَأَوَّلُهُ الكَشِيشُ، إِذا ارْتَفَعَ قَلِيلًا فهو الكَتِيتُ، إِذا أَفْصَحَ بالهَدْرِ قِيلَ هَدَرَ هَدِيرًا، إِذا صَفَا صَوْتُهُ قِيلَ

^١ والشؤل: النوق اللواتي تشول بأذناهما، أي ترفعها عند اللقاح، الواحدة شائل.

قَرَّرَ، فَإِذَا جَعَلَ يَهْدِرُ هَدِيرًا كَأَنَّهُ يُقَصِّرُهُ قَيْلٌ زَعْدٌ يَزْعُدُ زَعْدًا، فَإِذَا جَعَلَ كَأَنَّهُ يَقْلَعُهُ قَلْعًا قَيْلٌ قَلَحٌ، وَبَعِيرٌ قَلَاخٌ.

وَيُقَالُ لِكُلِّ ذَاتِ ظِلْفٍ إِذَا أَرَادَتْ الْفَحْلُ: اسْتَحْرَمْتُ، وَلِكُلِّ ذَاتِ حَافِرٍ: اسْتَوَدَقْتُ، وَلِكُلِّ ذَاتِ مِخْلَبٍ كَالْكَلْبِ وَنَحْوِهِ: صَرَفْتُ وَاسْتَجَعَلْتُ، وَيُقَالُ لِلنَّاقَةِ: ضَبِعَتْ.

وقوله: حتى أعطن الناس في العشب، يُريد أنَّ العُدران قد امتلأت ماءً فصارت أعطان الإبل في مراعيها، والعطن: مناخ الإبل عند الحوض بعد الصدر، وإنما يُعطن بعد الري، قال عمر بن لجأ^١:

تمشي إلى رواء عاطناتها^٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ فِي غَزْوَةِ هَوَازِنَ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمًا: "هَلْ مِنْ وَضوءٍ؟" فَجَاءَ رَجُلٌ بِنُطْفَةٍ فِي إِدَاوَةٍ فَأَقْتَضَهَا، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ فَصَبَّتْ فِي قَدَحٍ، قَالَ: فَتَوَضَّأْنَا كُلُّنَا وَنَحْنُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ مِائَةً، نُدْعِفُهَا دَعْفَةً^٣.

^١ سبقت ترجمته، وأبياته في الأصمعيات، ومطلعها: (أنعتها إلي من نعاتها مندحة السرات وادقاتها)

^٢ وتامه: (وأنقت الشمس بجمجاتها تمشي إلى رواء عاطناتها).

^٣ رواه مسلم، بألفاظ قريبة.

النُّطْقَةُ: القليلُ من الماء، قَالَ بِشْرُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ^١:

مُعْرَسٌ أَرْبَعٌ مُتَقَابِلَاتٍ يُبَادِرُنَ الْقَطَا سَمَلِ النَّطَافِ

يريدُ بقايا الماء، ويُقال للماء الكثير أيضاً نُطْفَةٌ، والحرفُ من الأضداد.

وقوله: افْتَضَّهَا، هكذا بالقافِ، فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فمعناه أَنَّهُ فَتَحَ رَأْسَ الإِدَاوَةِ، ومن هذا افْتِضَاضُ البِكرِ واقْتِضَاضُ اللؤلؤةِ ونحوها، وإن كانت الروايةُ بالفاء فمعناه أَنَّهُ قد صَبَّ شَيْئًا مِنْهَا، يُقال: فَضَّ الماءَ وافْتَضَّهُ، إِذَا صَبَّ شَيْئًا مِنْهُ بَعْدَ شَيْءٍ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ^٢:

إِذَا التُّوقُ لَمْ تَمْلِكْ سِجَالًا تَفُضُّهَا مَنِ البَوْلِ واهْتَرَّتْ الحُفَافُ السَّمِيدَعُ

يُرِيدُ أَنَّهُمْ لَمْ يَمْلِكُوا البَوْلَ مِنْ شِدَّةِ السَّيْرِ.

وقال جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ^٣:

قَامَتْ تَوَدِّعُنَا وَالْعَيْنُ سَاجِمَةٌ إِنْسَانُهَا بَفْضِيزِ الدَّمْعِ مَكْتَحِلُ

^١ في ديوانه من قصيدة وقد مدح أوساً وأهل بيته مكان كل قصيدة هجاهم بها قصيدة، وكان هجاهم بخمس فمدحهم بخمس؛ ومطلعها: (كفى بالنأي من أسماء كاف ... وليس لحبها إذ طال شاف).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أرقت لبرقٍ آخر الليل يلمع ... سرى دائماً منها يهت ويهجع).

^٣ لم أجده في الديوان.

يُرِيدُ الدَّمْعَ الْمُتَفَرِّقَ.

والدَّعْفَقَةُ: الكَثْرَةُ والسَّعَةُ، يُقَالُ: فُلَانٌ فِي نَعِيمٍ دَعْفَقٍ، أَي وَاسِعٍ، قَالَ الشَّاعِرُ:

بَعْدَ النَّصَابِيِّ وَالشَّبَابِ الْعَيْدِيقِ أَزْمَانَ إِذْ نَحْنُ بَعِيشٍ دَعْفَقِ

وَالْعَيْدِيقُ وَالْعَيْدَاقُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: مَطَرٌ عَيْدَاقٌ، أَي وَاسِعٌ كَثِيرٌ.

وَشَبِيهٌ بِهَذَا حَدِيثُ الْمِيضَاءِ، وَهُوَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ كَانَ فِي سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ لَيْلَةً مُتَسَاتِلِينَ عَنِ الطَّرِيقِ نَعِسَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ عَدَلْتَ فَنَزَلْتَ حَتَّى يَذْهَبَ كِرَاكٌ، قَالَ: "فَابِغْنَا مَكَانًا حَمْرًا"، قَالَ: فَعَدَلْتُ عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِذَا أَنَا بِعُقْدَةٍ مِنْ شَجَرٍ، فَنَزَلْنَا، فَمَا اسْتَيْقَظْنَا إِلَّا بِالشَّمْسِ، فَقُمْنَا وَهَلِينِ مِنْ صَلَاتِنَا، وَشَكَّوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ الْعَطَشَ، فَدَعَا بِالْمِيضَاءِ، فَجَعَلَهَا فِي ضَبْنِهِ، ثُمَّ التَّمَّمَ فَمَهَا، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنْفَتَ فِيهَا أَمْ لَا، فَشَرِبَ النَّاسُ حَتَّى رَوَّوْا. وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: فَتَكَابَّ النَّاسُ عَلَى الْمِيضَاءِ، فَقَالَ: "أَحْسِنُوا الْمَلَأَ فَكُلُّكُمْ سَيْرَوَى".

قَوْلُهُ: مُتَسَاتِلِينَ، مَعْنَاهُ مُتَقَاطِرِينَ وَاحِدًا فِي إِثْرٍ وَاحِدٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَبِعَ بَعْضُهُ بَعْضًا فَقَدْ تَسَاتَلَ، كَالدَّمْعِ إِذَا تَتَابَعَ قَطْرُهُ، وَالْعُقْدُ إِذَا انْقَطَعَ سِلْكُهُ.

^١ رواه الطبراني في الأحاديث الطوال، حديث ميضأة أبي قتادة.

والخَمِر: ما وارك من الشجر، ومكان حَمْرٍ، أي أَشْبَبَ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَالْعُقْدَةُ مِنَ الْأَرْضِ الْبُقْعَةُ الْكَثِيرَةُ الشَّجَرِ، فَأَمَّا الْعَقْدَةُ فَالْقِطْعَةُ مِنَ الرَّمْلِ قَدْ تَرَكَمَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَجَمَعُهَا عَقْدٌ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هُوَ الْعَقْدُ بِالْفَتْحِ.

وقوله: وَهَلِينِ، مَعْنَاهُ فَرَعَيْنِ، وَالْوَهْلُ الْفَرَعُ.

وَالْمِيضَاءُ: مِطْهَرَةٌ غَيْرُ كَبِيرَةٍ يُتَوَضَّأُ مِنْهَا.

وَالضَّبْنُ: مَا بَيْنَ الْكَشْحِ وَالْإِبْطِ، وَقَالَ: اضْطَبَنْتُ الشَّيْءَ، إِذَا حَمَلْتَهُ فَأَمْسَكْتَهُ عَلَى ضَبْنِكَ.

وقوله: أَحْسِنُوا الْمَلَأَ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ لِلرَّجُلِ: أَحْسِنْ مَلَأَكَ، أَي خُلِقَكَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا كَيْفَ يَصْنَعُ بِهِ؟" فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: وَاللَّهِ لَأَضْرِبَنَّهُ بِالسَّيْفِ وَلَا أَنْتَظِرُ أَنْ آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "انظُرُوا إِلَى سَيِّدِنَا هَذَا مَا يَقُولُ"^١.

قوله: "انظُرُوا إِلَى سَيِّدِنَا" يُرِيدُ إِلَى مَنْ سَوَّدَنَاهُ عَلَى قَوْمِهِ وَرَأْسَنَاهُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَقُولُ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ: فُلَانٌ أَمِيرُنَا وَقَائِدُنَا، أَي مَنْ أَمَرَنَاهُ عَلَى النَّاسِ وَرَتَّبْنَاهُ

^١ رواه البخاري، بالفاظ قريبة.

لقيادة الجيوش، وكان سعد بن عبادة سيّد الخزرج في الجاهليّة وجعله رسولُ الله نقيباً في الإسلام، فعلى هذا يُتأوّل قوله: سيّدنا، لا أعلم للحديث وجهًا غيره، وكيف يجوزُ أن يكون أحدٌ يسوّدُه وهو سيّدُ ولدِ آدمٍ أحمرهم وأسودهم، وإنما جاء في أكثر الروايات: انظروا إلى ما يقول سيّدكم.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ: أَنَّ وَفَدَ بَنِي عَامِرٍ قَدِمُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْعَرَاءُ، فَعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ، فَقُلْنَا: أَنْتَ وَالِدُنَا وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَأَنْتَ أَطْوَلُنَا طَوْلًا وَأَنْتَ الْجَفْنَةُ الْعَرَاءُ، فَقَالَ: "قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ". وَرُبَّمَا قَالَ: "لَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ"^٢.

وإنما أنكر هذا القولَ مِنْهُمْ لأنّه من تحية أهل الجاهليّة؛ كانوا يحيون بذلك ملوكهم ويثنون به على رؤسائهم، فقال لهم: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أي بقول أهل دينكم ومِلَّتِكُمْ، يأمرهم بأن يُثِنُوا عَلَيْهِ بِالذِّينِ وَأَنْ يُخَاطِبُوهُ بِالنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ كَمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ قَوْمِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَاهُ كِرَاهَةُ التَّشْدِيقِ فِي الْخُطْبِ، يَأْمُرُهُمُ بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْقَوْلِ لِئَلَّا يَذْهَبَ بِهِمُ الْمَقَالُ إِلَى مَا لَا تَعْتَقِدُهُ قُلُوبُهُمْ، وَهَذَا كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِ هَنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ

^١ من الجري.

^٢ رواه أحمد، ورجاله ثقات.

أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ الثَّنَاءَ إِلَّا مِنْ مَكَافِيٍّ^١، يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا مِنْ مَقْتَصِدٍ فِي الْقَوْلِ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ إِسْلَامِهِ وَلَا يَدْخُلُ عِنْدَهُ فِي جُمْلَةِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالسَّنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ تَأَوَّلَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَقَالَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى رَجُلٍ نِعْمَةً وَكَافَأَهُ وَأَثَى عَلَيْهِ قَبْلَ ثَنَائِهِ، وَإِذَا أَثَى عَلَيْهِ الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ يُعَمَّ النَّبِيَّ لَمْ يَقْبَلْ ثَنَاءَهُ، قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا غَلَطٌ بَيِّنٌ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَنْفَكُ مِنْ إِنْعَامِ رَسُولِ اللَّهِ؛ إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ بَعَثَهُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَرَحِمَ بِهِ الْخَلْقَ وَانْتَأَشَهُمْ^٢ وَأَنْقَذَهُمْ بِبِعْتِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْمِعَاطِبِ، فَنِعْمَتُهُ سَابِقَةٌ إِلَى كُلِّ الْخَلْقِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا مَكَافِيٌّ وَلَا غَيْرُ مَكَافِيٍّ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يُقَالَ: مَنْ كَافَأَ رَسُولَ اللَّهِ بِالثَّنَاءِ عَلَى نِعْمَةٍ سَبَقَتْ مِنْهُ قَبْلَ ثَنَائِهِ، وَمَنْ لَا فَلَإِ؛ لِأَنَّ الثَّنَاءَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَرَضٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُهُمْ إِلَّا بِهِ وَلَا يَتَحَقَّقُ دُخُولُهُمْ فِي الشَّرِيعَةِ إِلَّا مِنْ جِهَتِهِ.

^١ أخرجه الترمذي في الشمائل رقم ٣٥٢ وفي إسناده أبو عبد الله التميمي من ولد أبي هالة مجهول.

^٢ انتأشني فلانٌ من الهلكة: أنقذني.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَتَانِي جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبُعْلِ، فَحَمَلَنِي عَلَيْهِ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَهُوِي بِي، كُلَّمَا صَعِدَ عَقَبَةً اسْتَوَتْ رِجْلَاهُ مَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا هَبَطَ اسْتَوَتْ يَدَاهُ مَعَ رِجْلَيْهِ"^١.

قوله: "يهوي بنا" معناه يسيّر بنا، وقد يكون ذلك في الصُّعود والهبوط معاً، وإنما يَخْتَلِفُ فِي الْمَصْدَرِ فَيُقَالُ: هَوَى يَهْوِي هَوِيًّا، إِذَا هَبَطَ، وَهُوِيًّا، بِالضَّمِّ، إِذَا صَعِدَ، أَنشَدَنِي أَبُو رَجَاءِ الْغَنَوِيُّ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ:

وَالدَّلُّوْ فِي إِصْعَادِهَا عَجَلِي الْهُوِي

وقال بعضُ القرشيين^٢:

بينما نحن بالبلاكتِ فالقا ع سراعاً والعيسُ تهوي هويًّا
خطرتُ خطرةً على القلبِ من ذكرا كِ وهنَّا فما استطعتُ مَضِيًّا^٣

^١ رواه الحسن بن عرفة البغدادي في جزئه.

^٢ هو مجنون ليلي: قيس بن الملوح والملقب (٢٤ - ٦٨ هـ): شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب. لم يكن مجنوناً وإنما لقب بذلك لهيامه في حب ليلي العامرية التي نشأ معها وعشقها فرفض أهلها ان يزوجه بها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش ويتغنى بحبه العذري، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز. وهو أحد القيسين الشاعرين المتيمين والآخر هو قيس بن ذريح مجنون لبني. توفي ووجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحمل إلى أهله.

^٣ في ديوانه، ومعهما ثالث هو: (فُلْتُ لَبَّيْكَ إِذْ دَعَانِي لِكَ الشَّقْوُ وَلِلْحَادِيَيْنِ كُرًّا الْمَطِيًّا).

وقوله: كُلَّمَا صَعِدَ عَقَبَةً اسْتَوَتْ رِجْلَاهُ مَعَ يَدَيْهِ وَإِذَا هَبَطَ اسْتَوَتْ يَدَاهُ مَعَ رِجْلَيْهِ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أن تكون مَسَافَةُ الْعَقَبَةِ كُلِّهَا حُطْوَةً وَاحِدَةً مِنْ حُطَّاءِ إِذَا هُوَ صَعِدَ أَوْ هَبَطَ.

والقول الآخر أن يكون سيرها به في العقاب كسيرها في مستوى الأرض؛ وذلك أن الدابة إذا هبطت من ثنية أكبت على مقدمها، وإذا صعدت أوفت على مؤخرها، فيعنت لذلك راكبها، فأخبر صلى الله عليه وسلم أنها قد سُحِّرت له فسارت به في العقاب سير الدواب على متون الأرض.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ خَشَبَةٌ يَقُومُ عِنْدَهَا إِذَا حَطَبَ، فَقَالُوا: لَوْ جَعَلْنَا لَكَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى تُسْمِعَ النَّاسَ، فَحَنَّتِ الْحَشَبَةُ حَنِينَ النَّاقَةِ الْخُلُوجِ، فَأَتَاهَا النَّبِيُّ فَضَمَّهَا إِلَيْهِ^١.

الناقَةُ الْخُلُوجُ: هِيَ الَّتِي اخْتَلَجَ وَلَدُهَا، أَيْ انْتَزَعَ مِنْهَا، وَالْخُلُجُ: الْجَذْبُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْوَتْدُ حَلِيْجًا لِأَنَّهُ يَخْلُجُ الدَّابَّةَ إِذَا رُبِطَتْ، قَالَ ابْنُ مُقْبَلٍ^٢:

^١ رواه البيهقي في دلائل النبوة.

^٢ تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب. شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية. عاش نيفاً ومئة سنة. وعد في المخضمين. وكان يهاجي النجاشي الشاعر، ورد فيه ذكر وقعة صفين سنة ٣٧ هـ.

وَبَاتَ يُعَيِّي فِي الْخَلِيجِ كَأَنَّهُ كُفِّتْ مُدْمَى نَاصِعِ اللُّؤْنِ
أَقْرَحُ^١

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ: "مَا لِي أَرَاكَ لَقًّا بَقًّا؟ كَيْفَ بَكَ إِذَا أَخْرَجُوكَ مِنَ الْمَدِينَةِ"^٢.

قوله: "لَقًّا بَقًّا" معناهما كثرة الكلام والإسهاب فيه، يُقال: رَجُلٌ لَقٌّ بَقٌّ، وَلَقْلَاقٌ بَقْبَاقٌ، وبه سُمِّيَ اللِّسَانُ لَقْلَقًا.

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: نَظَرَ ابْنُ الْخَطَّابِ إِلَى شَابٍّ، فَقَالَ: يَا شَابُّ إِنْ وُقِيتَ شَرًّا لَقْلَقَكَ وَقَبْبَقِكَ وَذَبْذَبَكَ فَقَدْ وُقِيتَ شَرَّ الشَّبَابِ^٣.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَاللَّقْلُقُ اللِّسَانُ، وَالقَّبْبَقُ البَطْنُ، وَالدَّبْذَبُ الفَرْجُ، وَالبَقْبَاقُ كَثْرَةُ الكَلَامِ، وَيُقَالُ رَجُلٌ مَبِقٌّ، إِذَا كَانَ كَثِيرَ الكَلَامِ.

وكان أبو ذرٍّ - رحمه الله - فيه شدة على الأمراء وإغلاظ لهم، وكان عثمان رضي الله عنه يُبَلِّغُ عَنْهُ، إلى أن استأذنه أبو ذر في الخروج إلى الرَبِذَةِ فَأَذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ، عَلَى النَّظَرِ لَهُ.

^١ فِي دِيوانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (سَلِّ الدَّارَ مِنْ جَنِّي حَبْرٍ فَوَاهِبٍ إِلَى مَا رَأَى هَضْبِ القَلْبِ المَضْبِحِ).

^٢ أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي المِصْنَفِ، بَابِ الأَمْرَاءِ يُوخِرُونَ الصَّلَاةَ: ٣٩١١.

^٣ رَوَاهُ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ فِي مَعْجَمِ شَيْوَحِهِ، بَابِ الدَّالِ: ١٧٠٦.

وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ: لَقَا بَقَا، مُحَقَّقَيْنِ، وَمَعْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ: مَا لِي أَرَاكَ مُلَقَّى،
وَكُلُّ شَيْءٍ أَلْقَيْتَهُ فَهُوَ لَقَى، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ^١

وَقَوْلُهُ: بَقَا، إِتِّبَاعٌ، لِيَزْدَوِجَ بِهِ الكَلَامَ، كَقَوْلِهِمْ: شَيْطَانٌ لَيْطَانٌ، وَعَطْشَانٌ
نَطْشَانٌ، وَجَائِعٌ نَائِعٌ.

أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي العَبَّاسِ ثَعْلَبِ عَنِ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي
المُكَارِمِ: مَا قَوْلُكُمْ جَائِعٌ نَائِعٌ؟ قَالَ: إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ نَبِّدُ بِهِ كَلَامَنَا، وَيَدُلُّ عَلَى
صِحَّةِ هَذَا التَّأْوِيلِ مَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَتَانِي نَبِيُّ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا نَائِمٌ فِي
مَسْجِدِ المَدِينَةِ فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: "أَلَا أَرَاكَ نَائِمًا فِيهِ" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ
غَلَبَتْنِي عَيْنِي، قَالَ: "فَكَيْفَ تَصْنَعُ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْهُ؟". قُلْتُ: مَا أَصْنَعُ يَا نَبِيَّ
اللَّهِ! أَضْرِبُ بِسَيْفِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا
هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ وَأَقْرَبُ رُشْدًا: تَسْمَعُ وَتَطِيعُ وَتَنْسَاقُ لَهُمْ حَيْثُ
سَاقُواكَ"^٢.

^١ ينسبونه إلى ورقة بن نوفل، وقمامه: (كَفَى حَزَنًا كَرِي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ ... لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ). انظر: أخبار مكة للأزرقي. وكان من طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلِّ أَلْفَاها، فلم ينتفع بها هو ولا غيره، وسميت لَقَا، وحریم أي محرم لمسها.

^٢ رواه أحمد، وأبو يعلى، من طريق أبي حرب بن أبي الأسود، عن عمه، عن أبي ذر.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَزَلَ وَأَبُو بَكْرٍ بِأَمِّ مَعْبَدٍ وَذَفَانَ مَخْرَجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ شَاةً، فَرَأَى فِيهَا بُصْرَةً مِنْ لَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَى ضَرْعِهَا فَقَالَ: "إِنَّ هَذِهِ لَبَنًا وَلَكِنْ أَبْغَيْنِي شَاةً لَيْسَ فِيهَا لَبَنٌ" فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بَعَاقٍ جَدَعَةَ، فَقَبِلَهَا، قَالَ هِشَامُ بْنُ حُبَيْشٍ الْكَعْبِيُّ: أَنَا رَأَيْتُ الشَّاةَ وَإِنَّهَا لَتَأْدُمُهَا وَتَأْدُمُ صِرْمَتَهَا.

قوله: وَذَفَانَ مَخْرَجِهِ، مَعْنَاهُ حَدَثَانُ مَخْرَجِهِ، أَوْ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَقْتِ، أَوْ مَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصْلُهُ مِنَ الْخِفَّةِ وَالِإِسْرَاعِ فِي السَّيْرِ، وَمِنْهُ قِيلَ: تَوَدَّفَ الرَّجُلُ، إِذَا مَرَّ مَرًّا سَرِيعًا، وَهَذَا كَقَوْلِهِمْ: سَرَعَانَ مَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، وَوَشَكَانَ مَا رَأَيْتَ كَذَا، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

أَلْخَطْبُ فِيهِمْ بَعْدَ قَتْلِ رِجَالِهِمْ لَسَرَعَانَ هَذَا وَالِدَمَاءِ تَصَبُّ

وَفِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: سَرَعَانَ ذِي إِهَالَةٍ^٢، وَأَصْلُهُ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُحْمَقُ، فَاشْتَرَى شَاةً عَجْفَاءً يَسِيلُ مُحَاطُهَا هُزَالًا، فَقَالَ: هَذِهِ الْإِهَالَةُ تَسِيلُ، فَقِيلَ: سَرَعَانَ ذِي إِهَالَةٍ، أَي مَا أَسْرَعَ هَذِهِ الْإِهَالَةُ مِنْ إِهَالَةٍ، وَذِي بِمَعْنَى هَذِهِ. قَالَ

^١ رواه أبو نعيم في كتاب معرفة الصحابة.

^٢ وهو لبشر بن أبي خازم، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَعَنَّكَ نَصْبٌ مِنْ أَمِيمَةٍ مُنْصِبٌ كَذِي الشُّوقِ لَمَّا يَسْلُهُ وَسَيَذْهَبُ).

^٣ الإهالة: الشحم والودك وكل ما يؤتدم به.

الأصمعي: ليس في الكلام نُونٌ تُشبهه نُونَ الاثنين إلا جاءتْ مَكْسُورَةً، غير نُونِ شَتَانٍ وَأَخَوَاتِهَا. قَالَ: وَيُشْبِهُهُ أَنْ يَكُونَ شَتَانٌ مُصَدَّرًا وَنُوحًا مَفْتُوحَةً فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا، وَكَذَلِكَ وَشَكَانَ وَسَرَعَانَ وَبَطَانَ.

وقوله: بُصْرَةٌ مِنْ لَبَنٍ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَثَرًا مِنْ لَبَنٍ يُبَصِّرُ فِي الضَّرْعِ، فَأَمَّا الْبَصِيرَةُ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ مِنْ طَرَاتِقِ الدَّمِ إِذَا سَالَتْ عَلَى الْجَسَدِ، وَجَمَعَهَا الْبَصَائِرُ. وَالصِّرْمُ: النَّفْرُ يَنْزِلُونَ بِإِبْلِهِمْ عَلَى مَاءٍ، وَالصِّرْمَةُ: الْقَطِيعُ مِنَ الْإِبِلِ لَيْسَ بِالكَثِيرِ.

ويقال: أَدَمْتُ الْخُبْزَ آدُمُهُ، وَالاسْمُ الْإِدَامُ وَالْأُدْمُ، وَيُقَالُ مِنَ اللَّبَنِ: لَبِنْتُهُ أَلْبِنُهُ وَأَلْبِنُهُ، وَمِنَ التَّمْرِ تَمَّرْتُهُ أَمَّرُهُ، وَمِنَ اللَّحْمِ أَلْحَمْتُهُ، بِالْأَلْفِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ عَقَدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًّا فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ"^١.

عَقَدُ اللَّحْيِ يُفَسِّرُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْقِدُونَهَا فِي الْحُرُوبِ، فَهَأُتَمُّ عَنْ ذَلِكَ وَأَمَرَهُمْ بِإِرْسَالِهَا. وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ تَعْقِيدَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مُعَالَجَتُهُ لِيَتَعَقَّدَ وَيَتَجَعَّدَ.

^١ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وصححه إسناده الألباني في صحيح أبي داود.

وأما تَفْلِيدُ الوترِ فإنَّ مالكَ بنَ أنسٍ كانَ يرى كراهيةَ ذلكَ من أجلِ العَيْنِ، على ما كانَ من مذهبهم في تَعْلِيقِ التَّمائمِ ونحوها، ويُقال: إنما نَهاهم عن ذلكَ للأجراس التي كانت تُعَلَّقُ فيها.

ومنه حديثُ أبي بَشِيرٍ الأنصاريِّ^١ أَنَّهُ كانَ في سَفَرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنْ لا تَبْقَى في رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَترٍ إِلا قُطِعَتْ^٢. ويُقال: بل نَهَى عَن ذلكَ في الحَيْلِ لئلا تَحْتَنِقَ بها عند الرِكضِ.

- في حديثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى العَارِ مَرًّا بَعْبُدٍ يَرعى عَنَمًا، فَاسْتَسْقَاهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا لي شاةٌ تُحَلَبُ غَيْرُ عَناقٍ حَمَلَتْ أَوَّلَ السَّنَةِ فَمَا لها لَبَنٌ وَقَدِ اهْتَجَنْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "إِيتِنَا بِها، فدعا عليها رسولُ الله بالبركة ثم حلب عُسًا"^٣.

قولُه: اهْتَجَنْتِ، معناه أَنَّ الحَمْلَ قد ظهر بها، والهاجِئُ العَناقُ التي حَمَلَتْ قَبْلَ وَقْتِها، قَالَ الأُمويُّ: من أمثال العرب: جَلَّتِ الهاجِئُ عَنِ الولدِ^٤. والهاجِئُ

^١ الحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي بن غنم الأنصاري الخزرجي، حليف لبني عبد الأشهل، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، وما بعدها من المشاهد كلها، وهو الذي جاء بناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ضلت في غزوة تبوك.

^٢ متفق عليه.

^٣ رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة: ٥١٢٦.

^٤ جلت الهاجئ عن الولد: أي صغرت، يضرب مثلًا للصغير يتزين بزينة الكبير.

الصَّغِيرَةُ، يريدون أنها صَعُرَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ، يُقَالُ لِلصَّغِيرِ: جَلَلٌ، كَمَا يُقَالُ ذَلِكَ لِلْكَبِيرِ، وَيُقَالُ: اهْتَجَتِ الْجَارِيَةُ، إِذَا افْتَرَعَتْ قَبْلَ الْأَوَانِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا حَمَلَتِ النَّحْلَةُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ قِيلَ: هِيَ مُهْتَجَنَةٌ، وَيُقَالُ أَيْضًا: مُتَهَجَنَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ قَالَ: لَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ الرَّوْحَاءِ عَارَضَتْ رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ تَحْمِلُ صَبِيًّا بِهِ جُنُونٌ، فَحَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ الرَّاحِلَةَ ثُمَّ اكْتَنَعَ إِلَيْهَا، فَوَضَعْتُهُ عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ بِنُحْرَةِ الصَّبِيِّ فَقَالَ: "اخرُجْ بِاسْمِ اللَّهِ"، فَعُوفِيَ^١.

قوله: اَكْتَنَعَ إِلَيْهَا، أَي دَنَا مِنْهَا، وَالْكُنُوعُ: الْقُرْبُ وَالِدُنُوءُ مِنَ الشَّيْءِ. وَالنُّحْرَةُ الْأَنْفُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٢:

قِيَامًا تَذُبُّ الْبَقَّ عَنْ نُحْرَاتِهَا بِنَهْزِ كَيْمَاءِ الرُّؤُوسِ الْمَوَانِعِ
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: النَّحُورُ مِنَ الْإِبِلِ: هِيَ الَّتِي لَا تَدْرُ حَتَّى يُضْرَبَ أَنْفُهَا.

^١ رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والدارمي في المسند.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خليلي عوجا عوجة ناقتي كما ... على طلل بين القلات وشارع).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِي أَسْمَاءَ: أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمَيَّ"^١. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "وَأَنَا الْعَاقِبُ"، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُفَسِّرْ قَوْلَهُ: "يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمَيَّ" وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُحَشِّرُ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِهِ: أَيَّ عَلَيَّ أَثَرَهُ، وَيَدُلُّ عَلَيَّ هَذَا الْمَعْنَى رِوَايَةُ أَبِي حَيْثَمَةَ عَنِ سُفْيَانَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: "وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَيَّ عَقَبِيَّ". وَالْآخِرُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِقَدَمِهِ عَهْدَهُ وَزَمَانَهُ، قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: يُقَالُ: كَانَ ذَلِكَ عَلَيَّ رَجُلٍ فُلَانٍ وَعَلَيَّ قَدَمِ فُلَانٍ وَعَلَيَّ حَيِّ فُلَانٍ، أَيَّ فِي عَهْدِهِ وَزَمَانِهِ. وَحُكِيَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ذَاتَ يَوْمٍ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ مُوسَى يَمْشِي عَلَيَّ الْبَحْرَ حَتَّى صَعِدَ إِلَى قَصْرِ، ثُمَّ أَخَذَ بِرِجْلِ شَيْطَانٍ فَأَلْقَاهُ عَلَيَّ الْبَحْرَ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ نَبِيًّا هَلَكَ عَلَيَّ رِجْلَهُ مِنَ الْجَبَابَرَةِ مَا هَلَكَ عَلَيَّ رِجْلُ مُوسَى، وَأَظُنُّ هَذَا قَدْ هَلَكَ، يَعْنِي عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، فَجَاءَ نَعْيُهُ بَعْدَ أَرْبَعٍ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قَوْلُهُ عَلَيَّ رِجْلُ مُوسَى، أَيَّ فِي زَمَانِهِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ شَرِيْعَتَهُ لَا تُنْسَخُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

^١ متفق عليه.

وأما قوله: إِنَّ لِي أَسْمَاءَ، فإنه أرادَ - والله أعلم - أَنَّ هذه الأسماءَ مذكورة في كُتُبِ الله المُنزَلَة على الأمم التي كَذَّبَتْ بنبوته حُجَّةَ عليهم. وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ مِنْ نَبِيِّ لَهُ اسْمَانِ، غَيْرَ الْمَسِيحِ وَيَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ.

وقال غيره: خمسةٌ من الأنبياء لهم اسمان: أحمدٌ ومحمدٌ وعيسى والمسيح وذو الكِفَلِ وإلياس وإسرائيل ويعقوب ويونس وذو النون.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ قَالَ: مَرَرْنَا بِحَبَاءِ أَعْرَابِيَّةٍ عَجُوزٍ فَجَلَسْنَا قَرِيبًا مِنْهَا، فَلَمَّا كَانَ مَعَ الْمَسَاءِ جَاءَ بُيُّهَا يَفْعَةً بِأَعْنَزٍ مَعَهُ، فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ الشَّفْرَةَ وَالْعَنْزَ، فَأَتَانَا بِهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: "رَدَّ الشَّفْرَةَ وَاتَّبَنِي بِقَدَحٍ أَوْ قَعْبٍ" قَالَ: يَا هَذَا إِنَّ غَنَمَنَا قَدْ غَرَزْتَ، قَالَ: "انْطَلِقْ فَأَتِنِي بِهِ"، فَأَتَاهُ فَمَسَحَ عَلَى ظَهْرِ الْعَنْزِ ثُمَّ حَلَبَ حَتَّى مَلَأَ الْقَدَحَ^١.

يُقَالُ: غَرَزْتَ الْغَنَمَ غِرَازًا، إِذَا قَلَّ لَبْنُهَا، وَغَرَزَهَا صَاحِبُهَا، إِذَا تَرَكَ حَلْبَهَا لِيَذْهَبَ رِفْدُهَا. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا أُتِيَ عَلَى الشِّتَاءِ بَعْدَ نِتَاجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَجَفَّ لَبْنُهَا وَقَلَّ فِيهَا لَجْبَةٌ، وَجَمَعَهَا لِحَابٌ وَلِحَبَاتٌ.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: اللَّجْبَةُ مِنَ الْمَعِزِّ خَاصَّةٌ، قَالَ: وَالْمَصُورُ مِثْلُ اللَّجْبَةِ، وَهِيَ فِي الْمَعِزِّ أَيْضًا، وَمِثْلُهَا مِنَ الضَّأْنِ الْجُدُودُ، وَجَمَعُهَا جَدَائِدُ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَإِنْ

^١ انظر: السيرة النبوية لابن كثير.

كانت ألبأها قد يبسها أصحابها عمداً فذلك التصوية، وقد صوّيتها، وإنما يفعل ذلك ليكون أسمن لها.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "سألت ربي أن لا يسلب على أمتي سنة فترمدهم، فأعطانيها"^١.

قوله: ترمدهم، معناه تهلكتهم، والرمد الهلاك، وبه سمي عام الرمادة.

وقال قائل: قد رأينا عالماً من أمته هلكوا هزلاً وجوعاً في عام الرمادة في عهد عمر بن الخطاب، ثم في الغلاء الذي كان بالبصرة أيام زياد، ثم هلم جراً إلى عصرنا هذا، لم يزل الناس تُصيبهم الجوائح في البلدان والقرى، والأعراب تُقحمهم السنة وتُصيبهم المجاعة، وأقرب ما عهدنا من ذلك ما وقع بمدينة السلام من الغلاء الذي أجلى أهلها وأتى على أكثرهم، فأين بيان استجابة دعائه؟ فيقال له: إنما دعا النبي بأن لا يهلك أمته هلاكاً عاماً، وأن لا يستأصلوا فيجتأخوا أصلاً، سنة من هلك من الأمم الخالية والقرون الماضية، وأما أن يُقحط قومٌ ويُخصب آخرون ويُجذب بلدٌ مُدَّةً من الزمان ثم يحيا بعد فليس ممَّا جرت به الدعوة ولا عرضت له المسألة، ولم يزل من سنة الله في خلقه أن يختلف أمر بلاده في الجذب والخصب وأحوال عبادته في

^١ رواه مسلم، بألفاظ قريبة.

الجدة والعسر، فمرفقة له ومقترة عليه أمرٌ قد جرت به المقادير فلا مرد له ولا اعتراض عليه.

وهذا كالمفسر في حديث آخر عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة عامة، وأن لا يسلب عليهم عدواً من غيرهم فيهلكهم، وأن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فقال يا محمد: إني أعطيتك عطاءً لا مرد له، وإني أعطيتك لأمتك أن لا يهلكوا بسنة عامة وأن لا يسلب عليهم عدواً من غيرهم حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً وبعضهم يفتني بعضاً"، في حديث فيه طول. والسنة العامة لم تكن في هذه الأمة ولا هي كائنة إن شاء الله؛ لأن الله رؤوف بالعباد غير مخلف للميعاد.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنه هوى عن السباع^٢.

السباع تفسيره في الحديث: المفخرة بالجماع، ولا أراه أخذ إلا من قولهم: سبعت الرجل، إذا وقعت فيه وذكرته بما يكره، وذلك لأن هذا المعنى^٣ مما يكره ذكره ويستتر عن الناس أمره، وروى أبو عمر - ولم أسمعه منه - عن أبي

^١ رواه أبو داود في السنن.

^٢ ضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

^٣ السباع بمعنى الجماع.

العبّاس عن ابن الأعرابي قال: السَّبَاعُ كَثْرَةُ الجِماع، ورُوي في حديث آخر أنه اغْتَسَلَ من سِبَاعٍ كَانَ منه في رَمَضان، أي من مُقَارَفَةِ جِماع.

وقال بعضُ أهل اللغة: السَّبَاعُ في الجِماع معناه راجع إلى الكثرة، قال: والتَّسْبِيعُ التَّضْعِيفُ، والعربُ تَقُولُ: سَبَّعَ اللهُ لك الأجرَ، أي ضاعَفَهُ.

قال: ولم يريدوا بهذا عَدَدَ السَّبْعِ حتى لا يجاوزوه، قال: ومن هذا قوله سُبْحانَهُ: {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ} هو من باب تكثير العدد وتضعيفه، لا من باب حصر العدد، والمعنى: لا يغفر لهم وإن استكثرت من الدعاء.

- في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِلْحُرَّاصِ إِذَا بَعَثَهُمْ: "احْتَاطُوا لِأَهْلِ الْأَمْوَالِ فِي النَّائِبَةِ وَالْوَاطِئَةِ"^١.

قال ابن قُتَيْبَةَ: الواطِئَةُ: المارةُ والسَّابِلَةُ، سُمُّوا بذلك لِوَطْئِهِمُ الطَّرِيقَ. قال: ومعنى الحديث أنه أمر حُرَّاصِ النَخْلِ أَنْ يَسْتَظْهِرُوا^٢ لِأَصْحَابِ النَخْلِ في الحَرَصِ، لِما يُنَوِّجُهُمْ وَيَنْزِلُ بِهِمُ مِنَ الْأَضْيَافِ وَيَجْتَازُ عَلَيْهِمُ مِنْ أَبْناءِ السَّبِيلِ. قال: وفيه وَجْهٌ آخَرٌ هُوَ أَشْبَهُهُ بِمعنى الحديث، وهو أَنَّ الواطِئَةَ هي سُقْاطَةُ التَّمْرِ وما يَقَعُ منه بالأرضِ فَيُوطَأُ وَيُداسُ، جاء بلفظ فاعِلٍ وهو بمعنى مَفْعُولٍ

^١ رواه ابن وهب في موطئه.

^٢ يحتاطوا.

كقوله: { لا عاصمَ اليومَ من أمرِ الله } أي لا معصوم، وكقوله: { عيشة راضية } أي مرضية.

والعرب تقول: ماءٌ دافقٌ، أي مدفوقٌ، وسرٌّ كاتمٌ، أي مكثومٌ، وليلٌ نائمٌ، أي يُنام فيه، قال الشاعر^١:

لقد لُمتنا يا أمَّ عمرانَ في السرى ونمت وما ليلُ المطيِّ بنائم

ومما جاء بلفظ مفعولٍ ومعناه معنى فاعلٍ قوله: { حجاباً مستوراً } أي ساتراً. وقوله: { إنَّه كانَ وعدُه مأتياً } أي آتياً، والله أعلم.

وإنما صرنا إلى هذا لأنَّ المعنى الَّذي تأوَّله ابنُ قُتيبة قد استُفيد بالنَّاتبة ووقع بيانهُ بها، فلم يكنْ لحملِ الكلامِ الثاني عليه وجهٌ، وقد رُوي معنى ما ذهبنا إليه عن عُمَرَ بنِ الحُطَّابِ أَنَّهُ كانَ يقولُ لِلْحَارِصِ: دَعْ هُمُ قَدَرَ ما يَقَعُ وَقَدَرَ ما يَأْكُلُونَ.

وفيه وجهٌ ثالث عن أبي سعيد الضَّرير^٢ قال: هي الوطايا، واحدها وطيةٌ، وهي تجري مجرى العريَّة، وسميت وطيةً لأنَّ صاحبها وطَّأها لنفسه أو لأهله،

^١ هو جرير، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لا خير في مستعجلات الملاوم ولا في خليلٍ وصله غير دائم). وفيه (يا أمَّ غيلان) بدل (يا أمَّ عمران).

^٢ أبو سعيد الضرير النحوي الغوي: أحمد بن خالد الضرير البغدادى أبو سعيد. من مشايخه: ابن الأعرابي، وأبو عمرو الشيباني وغيرهما.

فهي لا تَدْخُلُ فِي الْحَرْصِ إِذَا حَرَّصَ الْحَارِصُ يُعْمَى لَهُ عَنْهَا، وَذَلِكَ عَلَى قَدْرِ النَّحْلِ يَكُونُ فِيهَا وَطَايَا عِدَّةٌ أَوْ وَطِيَّةٌ وَاحِدَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أُرِيْتُ فِي الْمَنَامِ أَبِي أَنْزَعُ عَلَى قَلْبٍ بَدَلُو بَكَرَةَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبَيْنِ، فَنَزَعَ نَزْعًا ضَعِيفًا وَاللَّهُ يَعْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَقَى فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّتَهُ، حَتَّى رَوَى النَّاسُ وَضَرَبُوا بِعَطَنِ"^١.

قد وَقَعَ هَذَا الْحَدِيثُ أَوَّلًا فِي كِتَابِ أَبِي عُبَيْدٍ وَثَانِيًا فِي كِتَابِ ابْنِ قُتَيْبَةَ، وَفَسَّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَائِفَةً مِنْ لَفْظِهِ، وَلَمْ يَعْرِضْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا لِمَعْنَاهُ. وَقَدْ عَلَّمْنَا أَنَّ هَذَا مَثَلٌ فِي رُؤْيَا أُرْبِهَا، وَإِنَّمَا يُرَادُ بِالْمَثَلِ تَقْرِيبُ عِلْمِ الشَّيْءِ وَإِبْصَاحُهُ بِذِكْرِ نَظِيرِهِ، وَفِي إِغْفَالِ بَيَانِهِ وَالذَّهَابِ عَنْ مَعْنَاهُ وَعَنْ مَوْضِعِ التَّشْبِيهِ فِيهِ إِبْطَالُ فَائِدَةِ الْمَثَلِ وَإِثْبَاتُ التَّفْضِيلِ لِعُمَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، إِذْ قَدْ وُصِفَ بِالْقُوَّةِ مِنْ حَيْثُ وُصِفَ أَبُو بَكْرٍ بِالضَّعْفِ، وَتِلْكَ حُطَّةٌ أَبَاهَا الْمُسْلِمُونَ^٢. وَالْمَعْنَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَذَا الْقَوْلِ إِثْبَاتَ خِلَافَتِهِمَا وَالْإِحْبَارَ عَنْ مُدَّةِ وَلَايَتِهِمَا وَالْإِبَانَةَ عَمَّا جَرَى عَلَيْهِ أَحْوَالُ أُمَّتِهِ فِي أَيَّامِهِمَا، فَشَبَّهَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَلْبِ وَهُوَ الْبُئْرُ الْعَادِيَّةُ، وَذَلِكَ لِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْمَاءِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ

^١ متفق عليه.

^٢ إذ اتفق أهل السنة على تقديم أبي بكر ثم عمر.

العِبَادِ وَصَلَاحِ الْبِلَادِ، وَشَبَّهَ الْوَالِي عَلَيْهِمُ وَالْقَائِمُ بِأَمْرِهِمُ بِالنَّازِعِ الَّذِي يَسْتَقِي الْمَاءَ وَيَقْرِبُهُ^١ لِلْوَارِدَةِ، وَنَزَعَ أَبُو بَكْرٍ ذُنُوبًا أَوْ ذُنُوبِينَ عَلَى ضَعْفٍ فِيهِ إِنَّمَا هُوَ قِصْرٌ مُدَّةٍ خِلَافَتِهِ، وَالذُّنُوبَانِ مِثْلٌ فِي السَّنَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَلِيَهُمَا وَأَشْهُرًا بَعْدَهُمَا، وَانْقَضَتْ أَيَّامُهُ فِي قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَةِ وَاسْتِصْلَاحِ أَهْلِ الدَّعْوَةِ وَلَمْ يَتَفَرَّغْ لِانْفِتَاحِ الْأَمْصَارِ وَجِبَايَةِ الْأَمْوَالِ، فَذَلِكَ ضَعْفُ نَزْعِهِ، وَأَمَّا عَمْرٌ فَقَدْ طَالَتْ أَيَّامُهُ وَاتَّسَعَتْ وِلَايَتُهُ وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى عَهْدِهِ الْعِرَاقَ وَالسَّوَادَ وَأَرْضَ مِصْرَ وَكَثِيرًا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَقَدْ غَنِمَ أَمْوَالَهَا فَفَسَمَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ فَأَخْصَبَتْ رِحَالَهُمْ وَحَسَنَتْ بِهَا أَحْوَاهُمْ فَكَانَ جَوْدَةً نَزْعِهِ مِثْلًا لِمَا نَالُوهُ مِنَ الْخَيْرِ فِي زَمَانِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمِثْلَ فِي الْمُفَاخَرَةِ وَالْمِغَالِبَةِ بِالْمُسَاقَاةِ وَالْمَسَاجِلَةِ، فَتَقُولُ: فَلَانٌ يُسَاجِلُ فَلَانًا، أَيُّ يُقَاوِمُهُ وَيُعَالِيهِ، وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَقِي سَاقِيَانِ فَيُخْرِجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي سَجَلِهِ مِثْلَ مَا يُخْرِجُ الْآخَرَ، فَأَيُّهُمَا نَكَلَ غُلِبَ. وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْفَضْلِ اللَّهْيِيُّ^٢ يَذْكُرُ ذَلِكَ:

^١ قرى الشيء: جمعه.

^٢ وهو في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (طرب الشيخ ولا حين طرب وتصابي وصبا الشيخ عجب).

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ
الْكُرْبِ^١

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ كَانَ يَرْمِي وَهُوَ يُقْتَرُ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَكَانَ رَامِيًا، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يُشَوِّرُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ لَهُ إِذَا رَفَعَ شَخْصَةً:
هَكَذَا بِأَبِي وَأُمِّي لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ^٢.

قوله: يُقْتَرُ، معناه يجمع له الحَصَا والتُّرَابَ يجعله قُتْرًا، وكُلُّ كُتْبَةٍ مِنْهَا قُتْرَةٌ وهي
العلامة. وقال الأصمعي: القُتْرُ: نَصْلُ الْأَهْدَافِ. وأنشد لأبي ذؤيب^٣:

كَقْتَرِ الْغِلَاءِ مُسْتَدِرًّا صِيَابُهَا^٤

وزعم محمد بنُ السائب الكلبي أنَّ يكسومَ ابنَ أخي الأشرم أهدى للنبي
سِلَاحًا فِيهِ سَهْمٌ لَعْبٌ، وقد رُكِبَتْ مِعْبَلَةٌ فِي رُعْظِهِ، فَقَوْمٌ فَوْقَهُ، وقال هُوَ
مُسْتَحِكَمُ الرِّصَافِ، وَسَمَاهُ قُتْرُ الْغِلَاءِ. يُقَالُ لِلْسَهْمِ الَّذِي لَمْ يَلْتَمِمْ رِيشُهُ:
لَعْبٌ، وهو اللغاب.

^١ وقوله: (وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ مِنْ بَيْتِ الْعَرَبِ).

^٢ رواه البخاري ومسلم، وليس عندهما لفظ (وَهُوَ يُقْتَرُ).

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَبَاالرُّمِّ مِنْ أَسْمَاءِ حَدَثِكَ الَّذِي جَرَى بَيْنَنَا يَوْمَ اسْتَقَلَّتْ
رِكَائِمَا).

^٤ وقامه: (إِذَا تَهَضَّتْ فِيهِ تَصَعَّدَ نَفْرُهَا كَقْتَرِ الْغِلَاءِ مُسْتَدِرًّا صِيَابُهَا).

قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ^١:

وَإِنَّ الْوَائِلِيَّ أَصَابَ قَلْبِي بِسَهْمٍ لَمْ يَكُنْ نِكَسًا لُغَابًا

فَإِذَا التَّامَ رَيْشُهُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَطْنُ الرَّيْشَةِ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى فَهُوَ اللَّوْأَمُ.

وَالْمِعْبَلَةُ: نَصْلٌ عَرِيضٌ، وَالرُّعْظُ: مَدْخَلُ النَّصْلِ فِي السَّهْمِ، وَالرِّصَافُ: عَقَبَةٌ تُتَوَى عَلَى الرُّعْظِ، وَالغِلَاءُ: الرِّمَاءُ، يُقَالُ: غَالَيْتُهُ أَغَالِيهِ غِلَاءً، أَيْ رَامَيْتُهُ، وَالْعَلْوَةُ مَدَى الرِّمِيَّةِ.

وَقَوْلُهُ: يُشَوِّرُ نَفْسَهُ، أَيْ يَسْعَى وَيَخْفِّ، يُظْهِرُ بِذَلِكَ قُوَّتَهُ، يُقَالُ: شُرْتُ الدَّابَّةَ، إِذَا أُجْرِيَتْهَا لِتَنْظَرَ إِلَى سِيرِهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يُفُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ"^٢.

قَوْلُهُ: تَأْكُلُ الْقُرَى، يُرِيدُ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ الْإِسْلَامَ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَهُمْ الْأَنْصَارُ وَيَفْتَحُ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْقُرَى وَيُعْنِمُهَا إِيَّاهُمْ فَيَأْكُلُونَهَا، وَهَذَا فِي الْإِتْسَاعِ وَالِاخْتِصَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} يَرِيدُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ، وَكَقَوْلِهِ: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً}. وَكَانُوا يُسَمُّونَ الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ وَهِيَ اسْمُ أَرْضٍ بِهَا، فَغَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ اسْمَهَا وَسَمَّاهَا طَيْبَةَ؛ كَرَاهِيَةً لِلتَّشْرِيبِ.

^١ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَسْأَلُ عُمَيْرَةَ عَنْ أَبِيهَا خِلَالَ الْحَيْشِ تَعَرَّفُ الرِّكَابَا).

^٢ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ حَطَبَ فِي أَضْحَى، فَأَمَرَ مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ أَنْ يُعِيدَ ذَبْحًا، ثُمَّ انْكَفَأَ إِلَى كَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى غُنَيْمَةٍ فَتَجَزَّعُوهَا^١.

قوله: تجزَّعوها، أي توزَّعوها واقتسموها، وأصله من: جزعتُ الشيء، إذا قَطَعْتَهُ، والجرعةُ القِطْعَةُ من الشيء.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رُقَيْقَةَ بِنْتَ أَبِي صَيْفِيٍّ^٢ - وَكَانَتْ لِدَّةً عَبْدَ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ - قَالَتْ: تَتَابَعْتُ عَلَى قُرَيْشٍ سِنُو جَدِّبٍ فَذُفَحَلَتِ الظِّلْفَ وَأَرْقَتِ العِظْمَ، فَبَيْنَا أَنَا رَاقِدَةٌ اللُّهُمَّ أَوْ مُهَوِّمَةٌ^٣ وَمَعِيَ صِنُوي إِذَا أَنَا بِهَاتِفٍ صَيْتٍ^٤ يَصْرُخُ بِصَوْتِ صَحْلٍ^٥ يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ يعني أن النبي ورد ذكره في هذا الحديث وهو صغير.

^٣ رُقَيْقَةَ بنت صيفي، وقيل: بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، هي بنت عم العباس، وإخوته من بني عبد المطلب، وأم مخزومة بن نوفل. اختلف في إدراكها للبعثة، فقيل إنها أسلمت وهاجرت، وقيل: إنها لم تدرك البعثة والدعوة.

^٤ اللدَّة: الرِّبُّ، وهو الذي وُلِدَ يَوْمَ وِلادِك.

^٥ ناعسة.

^٦ الصَّيْتُ: الشديد من الأصوات.

^٧ خشن.

فُرَيْشٍ إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ الْمَبْعُوثَ مِنْكُمْ هَذَا إِبَّانُ نُجُومِهِ^١، فَحَيَّ هَلَا بِالْحَيَا
وَالْحِصْبِ، أَلَا فَاَنْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلًا طَوَالًا عَظْمًا أَبْيَضَ بَصًّا^٢ أَشَمَّ الْعَرِينِ لَهُ
فَحْرٌ يَكْظُمُ عَلَيْهِ، أَلَا فَلْيُحْلُصْ هُوَ وَوَلَدُهُ، وَلْيَدْلِفْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ،
أَلَا فَلْيَسْتُنُوا مِنَ الْمَاءِ^٣ وَلْيَمْسُوا مِنَ الطَّيِّبِ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا، أَلَا وَفِيهِمْ
الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ لِدَاتِهِ، أَلَا فَلْيَسْتَسْقِ الرَّجُلُ وَلْيُؤَمِّنِ الْقَوْمَ، أَلَا فَعِثْتُمْ إِذَا أَبَدَا
مَا شِئْتُمْ وَعِشْتُمْ، قَالَتْ: فَأَصْبَحْتُ مَدْعُورَةً قَدْ قَفَّ جِلْدِي وَوَلَّهَ عَقْلِي،
فَاقْتَصَصْتُ رُؤْيَايَ، فَوَالْحَرَمَةَ وَالْحَرَمَ إِنَّ بَقِيَّ أَبْطَحِيٍّ إِلَّا قَالَ هَذَا شَيْبَةُ
الْحَمْدِ، وَتَتَامَّتْ عِنْدَهُ فُرَيْشٌ وَأَنْقَضَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَسَنُّوا وَمَسُّوا
وَاسْتَلَمُوا وَاطَّوَّفُوا، ثُمَّ ارْتَقَوْا أَبَا قُبَيْسٍ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدْفُونَ حَوْلَهُ مَا إِنْ يُدْرِكُ
سَعِيهِمْ مَهَلَّةً، حَتَّى قَرُّوا بِذِرْوَةِ الْجَبَلِ وَاسْتَكْفُوا جَنَابِيهِ، فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ
حَظِيًّا فَاعْتَضَدَ ابْنَ ابْنِهِ مُحَمَّدًا فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَوْمَعِدِّ غُلَامٌ قَدْ كَرَبَ،
ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ سَادَّ الْحَلَّةِ وَكَاشَفَ الْكُرْبَةَ أَنْتَ عَالِمٌ غَيْرُ مُعَلَّمٍ وَمَسْئُولٌ غَيْرُ
مُبْعَلٍّ، وَهَذِهِ عِيدَاكَ وَإِمَاؤُكَ بِعَذْرَاتِ حَرَمِكَ يَشْكُونَ إِلَيْكَ سَنَّتَهُمْ، فَاسْمَعَنَّ

^١ ظهوره.

^٢ ناعم الجلد.

^٣ يصبوا.

^٤ لقب عبد المطلب.

اللَّهُمَّ وَأَمْطِرَنَّ عَلَيْنَا عَيْنًا مُرَبَّعًا مُعَدِّقًا، فَمَا رَأَوْا - وَالْبَيْتِ - حَتَّى انْفَجَرَتْ
السَّمَاءُ بِمَائِهَا وَكَظَّ الْوَادِي بِتَحِيحِهِ^١.

قولها: أَفَحَلَّتِ الظِّلْفَ، من الفُحُولَةِ وهي اليُبُوسَةَ، يُقَالُ: فَحَلَ الشَّيْءُ فُحُولًا
أَي يَبِسَ، وَخُبِرَ قَاحِلٌ.

والتَّهْوِيمُ فَوْقَ السِّنَّةِ وَدُونَ التُّعَاسِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

مَا تَطَعُمُ الْعَيْنُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْوِيمِ

وقال المفضل: السِّنَّةُ فِي الرَّأْسِ، وَالنَّوْمُ فِي الْقَلْبِ.

وَالصَّحْلُ: بُحَّةٌ فِي الصَّوْتِ، وَصَوْتُ صَحْلٍ، وَمِثْلُهُ الْجُشَّةُ، وَهِيَ شِدَّةُ الصَّوْتِ
مَعَ بُحَّةٍ، يُقَالُ: رَجُلٌ أَجَشُّ وَامْرَأَةٌ جَشَاءٌ، قَالَ مُتَمَّمُ بْنُ نُويرَةَ^٣:

وَلَا شَارَفِ جَشَاءٍ هَاجَتْ فَرَجَعَتْ حَيْنًا فَأَبْكَى شَجْوَهَا الْبَرْكَ أَجْمَعًا

وقوله: هَذَا إِبَانُ نُجُومِهِ، أَي وَقْتُ ظَهْوَرِهِ، يُقَالُ: نَجَمَ النَّبْتُ، إِذَا طَلَعَ.

^١ أخرجه ابن الأعرابي في معجم شيوخه، وابن سعد في الطبقات، والبيهقي في دلائل النبوة.

^٢ هو الفرزدق، في ديوانه من قصيدته التي يهجو فيها محكان أخا بني ربيع بن الحارث، ومطلعها:
(يَا ظَمِي وَيْحَكَ إِنِّي ذُو مُحَافِظَةٍ أَنَّمِي إِلَى مَعْشَرِ شُمَّ الحَرَاطِيمِ). وتمام البيت: (عاري الأشاجع
مسعورٌ أخو قنصٍ مَا تَطَعُمُ الْعَيْنُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْوِيمِ).

^٣ في ديوانه من قصيدته التي يرثي فيها أخاه مالكا، ومطلعها: (لعمرى وما دهري بتأبين هالكٍ
ولا جزعٍ مما أصاب فأوجعا).

وقوله: فحيّ هَلا، كَلَمَةٌ حَثٌّ وَاسْتِعْجَالٌ، قَالَ لَبِيدٌ^١:

يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ صَوْتِي حَيْهَلًا

وَالْحَيَاءُ مَقْصُورٌ: الْمَطَرُ الَّذِي يُجْبِي الْأَرْضَ، وَالْحَيَاءُ مَمْدُودٌ مِنَ الْاسْتِحْيَاءِ.
وَحَيَاءُ النَّاقَةِ يُمَدُّ وَيُقْصَرُ.

وَيُقَالُ: رَجُلٌ عَظَامٌ، بِمَعْنَى عَظِيمٍ، وَجُسَامٌ، بِمَعْنَى جَسِيمٍ، وَمِثْلُهُ كُرَامٌ وَكُبَارٌ،
قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رَعَالٍ يَسْمَعُهَا لِأَهْلِ الْكُبَارِ

فَإِذَا أَرَادُوا الْمُبَالَغَةَ فِي الْوَصْفِ شَدَّدُوا كَقَوْلِهِ: {وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَارًا}.

وَيُقَالُ رَجُلٌ وَسِيطٌ، إِذَا كَانَ حَسِيبًا فِي قَوْمِهِ، وَالْفِعْلُ وَسُطَ وَسَاطَةً وَسِطَةً،
قَالَ الْعَرَجِيُّ^٣:

كَأَيِّ لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ وَسِيطًا وَلَمْ تَكُنْ نِسْبَتِي فِي آلِ عَمْرٍو

وقوله: فَلْيَدْلِفْ إِلَيْهِ، أَي لِيُقْبَلْ إِلَيْهِ، يُقَالُ: دَلَفَ يَدْلِفُ دَلِيفًا، وَهُوَ أَنْ يَمْشِيَ
مَسِيًّا يُقَارِبُ بَيْنَ الْخُطَا.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَقَلَ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ).

^٢ هو الأعشى، في ديوانه من قصيدته التي يعاتب بها بني جحدر، وكانت بينه وبينهم نائرة، ذكرها
في شعره. ومطلعها: (أَلَمْ تَرَوْا إِرْمًا وَعَادًا ... أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ).

^٣ في ديوانه من أبياته الشهيرة: (أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ نَعْرِ).

وقوله: فَلَيْسُنَا مِنَ الْمَاءِ، يَرِيدُ التَّطَهُّرَ بِالْمَاءِ وَالِاغْتِسَالَ بِهِ، وَأَصْلُ الشَّنِّ التَّفْرِيقُ، يُقَالُ: شَنَّ الْمَاءَ عَلَى الشَّرَابِ، إِذَا مَزَجَهُ بِهِ فَفَرَّقَهُ عَلَيْهِ، وَالْمَاءُ الشُّنَانُ: الْمُتَفَرِّقُ.

فَأَمَّا الشَّنُّ فَهُوَ الصَّبُّ، يُقَالُ: سَنَّ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ سَنًّا، إِذَا صَبَّهُ عَلَيْهِ صَبًّا سَهْلًا، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ يَسْنُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَا يَشْنُهُ. وقوله: الطَّاهِرُ لِذَاتِهِ، يُرِيدُ مَوَالِدَهُ، جَعَلَ الْمَصْدِرَ اسْمًا ثُمَّ جَمَعَهُ، يُقَالُ: وَكَدَّ وِلَادَةً وَوَلَدَةً، كَمَا قِيلَ: وَعَدَّ عِدَّةً، وَوَجَدَ جِدَّةً.

وقوله: أَلَا فَعِنْتُمْ، يَقُولُ: سُقَيْتُمْ الْعَيْثَ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَرَبُ تَقُولُ غَيْثَ الْأَرْضِ فَهِيَ مَغَيْثَةٌ، أَيِ أَصَابَهَا الْعَيْثُ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ: مَا رَأَيْتُ أَفْصَحَ مِنْ جَارِيَةِ بَنِي فُلَانٍ قِيلَ لَهَا كَيْفَ كَانَ الْمَطَرُ عِنْدَكُمْ؟ قَالَتْ: غَيْثَنَا مَا شِئْنَا. وقولها: فُفَّ جِلْدِي، أَيِ فُفَّ شَعْرُ جِلْدِي فَقَامَ مِنَ الْفَزَعِ، وَيُقَالُ: فُفَّ النَّبْتُ، إِذَا بَيَسَ. وَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْ كَلْبٍ لِمُعَاوِيَةَ وَنَزَلَ بِهَا: أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَنْزَلَ وَادِيًّا فَتَدَعِ أَوْلَاهُ يَرِفُّ وَآخِرَهُ يَقِفُّ. وَالْوَالَةُ: دَهَابُ الْعَقْلِ.

وَالدَّفِيفُ: الْمَرُّ السَّرِيعُ، يُقَالُ: دَفَّ يَدْفُ دَفِيفًا، وَمِنْهُ دَفِيفُ الطَّائِرِ، إِذَا أَرَادَ النُّهُوضَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِلَّ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

يُحِبُّ كُلُّ شَيْءٍ وَلَدَهُ حَتَّى الْحُبَارَى وَتَدِفُّ عِنْدَهُ

وقولها: استكفوا جنابيه، أي أهدقوا به واستداروا حوله، ويقال: استكفت الحية، إذا ترخت، أي استدارت كالرحى، ومنه كفة الميزان، أخبرني أبو عمر عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي قال: ما استدار فهو كفة، وما استطال فهو كفة.

وقولها: جنابيه، تريد حوالبه، قال كعب بن زهير^١:

يَسْعَى الرَّجَالُ جِنَابِيهَا وَقِيلَهُمْ

إِنَّكَ يَا بَنَ أَبِي سُلْمَى لِمَقْتُولٍ

أَي يَقُولُونَ قِيلَهُمْ.

وقولها: قد أيفع، يريد أنه صار يافعاً، قال الأصمعي: يقال أيفع الغلام إيفاعاً، إذا ارتفع ولم يبلع، وغلام يافع ويفعة، وغلمان يفعة، الواحد والجميع سواء، ويقال أيضاً: غلمان أيفاع، وقد يخرج الاسم من بناء الرباعي إلى الثلاثي، كقولهم: أيفع الغلام، فهو يافع، وكان القياس موفع، وأقبل المكان فهو باقل، وأورس الشجر فهو وارس. قال بعض أهل اللغة: اليفعة: مشتق من اليفاع، وهو المكان المرتفع العالي.

وقوله: كرب، أي قارب الإدراك، ومنه الملائكة الكربيون، وهم المقرَّبون. وقال بعضهم: إنما سمو كربيين لأنهم يدخلون الكرب على الكفار، وليس هذا بشيء.

^١ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (بانت سعاد فقلبي اليوم متبول مئيم إثرها لم يجز مكبول).

وقوله: عَبْدَاك، يُرِيدُ عِبَادَكَ، يُقَالُ عَبْدٌ وَأَعْبُدُ وَعَبِيدٌ وَعِبِدَاءٌ وَمَعْبُودَاءٌ، وَأَنْشَدَ يَعْقُوبُ عَنِ الْقُرَاءِ:

تَرَكْتُ الْعِبِدَا يَنْفُرُونَ عِجَانَهُ كَأَنَّ غُرَابًا فَوْقَ أَنْفِكَ وَقَعُ

وقد يُجْمَعُ الْعَبْدُ أَيْضًا عَلَى الْعُبْدَانِ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

عَلَامٌ يُعْبِدُنِي قَوْمِي وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاؤُوا وَعُبْدَانُ

وَالْعَذِرَاتُ: الْأَفْنِيَةُ. وَالْعَذِرَةُ الْفِنَاءُ، وَكَانُوا يَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ فِي أَفْنِيَةِ الدُّورِ فَصَارَتِ الْعَذِرَةُ اسْمًا لِلرَّجِيعِ؛ بِسَبَبِ الْمُجَاوِزَةِ.

وقوله: غَيْثًا مُرْبِعًا، أَي مُنْبِتًا لِلرَّبِيعِ.

وَالْمُعْدِقُ الْمُرْوِي، وَمَاءٌ غَدَقٌ، أَي كَثِيرٌ عَذْبٌ.

وَكَطَّ الْوَادِي: أَي امْتَلَأَ.

وَالنَّحِيجُ: الْمَاءُ السَّائِلُ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ^٢:

^١ يقول: لأي شيء يتخذوني عبداً، والحال أنه كثرت فيهم الإبل والعبيد بسببي، فليتخذوا منها ما شاءوا.

^٢ في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (صَبَا صَبْوَةٌ بِلَجٍّ وَهُوَ لَجُوجٌ ... وَزَالَتْ لَهَا "بِالْأَنْعَمِينَ" خُدُوجٌ).

سَقَى أُمَّ عَمْرٍو كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَنَاتِمُ سُودٌ مَاؤُهُنَّ
تَحِيحُ^١

وأصلُ النَّجِّ الصَّبُّ، ومن هذا قوله تعالى: {مَاءٌ تَجَاجَأُ} قالوا: مَثْجُوجًا، فاعل بمعنى مفعول.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْإِفْرَادَ إِيَّاكُمْ وَالْإِفْرَادَ" قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْإِفْرَادُ؟ قَالَ: "الرَّجُلُ مِنْكُمْ يَكُونُ أَمِيرًا أَوْ عَامِلًا فَيَأْتِيهِ الْمَسْكِينُ وَالْأَزْمَلَةُ فَيَقُولُ لَهُمْ مَكَانَكُمْ حَتَّى أَنْظِرَ فِي حَوَائِجِكُمْ، وَيَأْتِيهِ الشَّرِيفُ وَالْغَنِيُّ فَيُدْنِيهِ وَيَقُولُ عَجَّلُوا قَضَاءَ حَاجَتِهِ وَيُتْرَكُ الْآخَرُونَ مُفْرَدِينَ"^٢.

أخبرني أبو عمر عن أبي العباس ثعلب قال: يقال: أَخْرَدَ الرَّجُلَ، إِذَا سَكَتَ حَيَاءً، وَأَقْرَدَ، إِذَا سَكَتَ دُلًّا، وَأَنشَدْنَا عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ:

وَلَسْتُ بِقَوْلٍ لِمَوْلَايَ إِنْ جَنَى هَلَكْتَ وَلَا إِنْ ضَامَكَ الْقَوْمُ أَقْرَدِ
وَلَسْتُ بِقَوْلٍ لَدِي الرَّادِ أَبْقِهِ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُبْقِ زَادَكَ يَنْقَدِ

^١ حناتيم: يعني السحاب في سواده. والحنتم: الجرة الخضراء.

^٢ رواه الطبراني في مسند الشاميين.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: وَقَالَ لِي خَلْفُ بْنُ هِشَامِ الْبَزَارِيُّ^١: جَمَعْتُ بَيْنَ الْكِسَائِيِّ وَالْيَزِيدِيِّ^٢ فَقَالَ لَهُ الْيَزِيدِيُّ: يَا أَبَا الْحَسَنِ! إِنَّهُ يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكَ أَشْيَاءٌ مِنَ اللُّغَةِ لَا نَعْرِفُهَا! فَقَالَ لَهُ الْكِسَائِيُّ: وَمَا أَنْتَ وَهَذَا؟ مَا مَعَ النَّاسِ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا فَضْلُ بُرَاقِي، قَالَ: فَأَقْرَدَ الْيَزِيدِيُّ.

وَالْأَصْلُ فِي الْإِقْرَادِ أَنْ يَقَعَ الْعُرَابُ عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ وَرُؤُوسِهَا فَيَلْفُطُ مَا عَلَيْهَا مِنْ قُرَادٍ وَحَمَانَةٍ^٣ وَنُحُومًا، فَتَقْرُ الْإِبِلُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَهْدَأُ؛ لَمَّا بَجِدُ لَهُ مِنَ الرَّاحَةِ، فَيُقَالُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَقْرَدَتِ الْإِبِلُ. وَلِصُوصِ الْعَرَبِ إِذَا جَاءَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِلَى إِبِلٍ مُنَاخَةٍ بِاللَّيْلِ لِيَأْخُذَ مِنْهَا بَعِيرًا دَنَا مِنَ الْبَعِيرِ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ ثُمَّ نَزَعَ مِنْهُ قُرَادًا فَيَسْكُنُ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَخِطُمُهُ وَلَا يَرِغُو وَيَشُدُّ عَلَيْهِ الرَّحْلَ وَيَرْكَبُهُ، فَيُقَالُ قَدْ أَقْرَدَ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^٤:

لَعَمْرُكَ مَا قُرَادُ بَنِي تَمِيمٍ إِذَا نَزَعَ الْقُرَادُ بِمُسْتَطَاعٍ

^١ خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي البزار وكنيته أبو محمد: ولد سنة ١٥٠ هـ. وهو أحد الرواة عن سليم عن حمزة. وأختار لنفسه قراءة فكان أحد القراء العشرة، يسمى بخلف العاشر نسبة إلى أنه كان عاشر أئمة القراءات العشر.

^٢ خلف والكسائي واليزيدي ثلاثتهم من مشاهير القراء وأصحاب القراءات المشهورة.

^٣ القُرَادُ: دُوَيْبَةُ مَتَطَقِلَةٌ تَعِيشُ عَلَى الدَّوَابِّ وَالطُّيُورِ وَتَمْتَصُّ دَمَهَا. وَالْحَمَانَانُ: صَغَارُ الْقُرَادِ.

^٤ هو الحطيئة، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لِنَعَمِ الْحَيِّ حَيُّ بَنِي كَلْبِ بْنِ إِذَا مَا أَوْقَدُوا فَوْقَ الْيَفَاعِ).

ويقال: قَرَدْتُ البعيرَ، إذا نَزَعْتَ عَنْهُ قُرَادَهُ.

وهذا كحديثه الآخر عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشْرِفُونَ الْمُتْرَفِينَ، وَيَسْتَحِفُّونَ بِالْعَابِدِينَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْقُرْآنِ مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهُمْ، وَمَا خَالَفَ أَهْوَاءَهُمْ تَرْكُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ، يَسْعَوْنَ فِيمَا يُدْرِكُ بِغَيْرِ سَعْيٍ مِنَ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ وَالْأَجَلِ الْمَكْتُوبِ وَالرِّزْقِ الْمَقْسُومِ، أَفَلَا يَسْعَوْنَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالسَّعْيِ مِنَ الْجَزَاءِ الْمَوْفُورِ وَالسَّعْيِ الْمَشْكُورِ وَالتَّجَارَةِ الَّتِي لَا تَبُورُ"^١.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْعَزْوَ فَقَالَ: "مَنْ أَطَاعَ الْإِمَامَ وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبَهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ، وَمَنْ عَزَا فَحَرًّا وَرِبَاءً فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ بِالْكَفَافِ"^٢.

قوله: يَاسَرَ الشَّرِيكَ، أي عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ، يُقَالُ: رَجُلٌ يَسِرُّ وَيَسْرُ، إِذَا كَانَ سَرِيعَ الْإِنْقِيَادِ وَالْمُتَابِعَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَعَسَّرُ إِنْ مَارَسْتَنِي بَعْسِرٍ وَيَسْرُ لَمَنْ أَرَادَ يُسْرِي^٣

^١ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٤٣٢.

^٢ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

^٣ وقبله: إني على تحفظي ونزري أعسر إن مارستني بعسر ويسر لمن أراد يسري.

وقال جرير^١:

بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ^٢ إِذَا عَاسَرْتُهُ عَسِرٌ وَعِنْدَ يَسَارِهِ مَيْسُورٌ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ فَارِعَةَ بِنْتَ أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِيَّ جَاءَتْهُ فَسَأَلَهَا عَنْ قِصَّةِ أَحْيِهَا أُمِّيَّةً فَقَالَتْ: قَدِمَ أَخِي مِنْ سَفَرٍ فَأَتَانِي فَوَثَبَ عَلَيَّ سَرِيرِي فَأَقْبَلَ طَائِرَانِ فَسَقَطَ أَحَدُهُمَا عَلَى صَدْرِهِ فَشَقَّ مَا بَيْنَ صَدْرِهِ إِلَى ثَنَّتِهِ فَأَيَّظْتُهُ فَقُلْتُ: يَا أَخِي هَلْ تَجِدُ شَيْئًا قَالَ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا تَوْصِييَا، وَذَكَرْتُ الْقِصَّةَ فِي مَوْتِهِ^٣.

قَوْلُهَا: وَثَبَ عَلَيَّ سَرِيرِي، مَعْنَاهُ اتَّكَأَ عَلَيْهِ أَوْ نَامَ أَوْ نَحُو ذَلِكَ، وَهِيَ لُغَةٌ حِمَيْرِيَّةٌ، يُقَالُ: وَثَبَ الرَّجُلُ، إِذَا قَعَدَ وَاسْتَقَرَّ عَلَى الْمَكَانِ، وَالْوِثَابُ: الْفِرَاشُ فِي لُغَتِهِمْ.

وَالثَّنَّةُ: الْعَانَةُ، وَيُقَالُ: هِيَ مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالْعَانَةِ.

والتوصيب كالتوصيم، وهو فتورٌ وتكسرٌ يجده الإنسان في نفسه، قَالَ لَيْدٌ:

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا صاحبي هل الصباح منيرٌ ... أم هل للوم عواذلي تفتير).

^٢ حاكم العراق في ذلك الوقت.

^٣ رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة: ٧٨١١.

^٤ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفَلٌ وَيَا ذَنْ لِي رَيْثِي وَعَجَل).

وإِذَا زُمْتَ رَحِيلاً فَارْتَحِلْ وَاغْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيْمُ الْكَسَلِ
وَعَنِ الْفِرَاءِ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِي: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ:

صُدَاعٌ وَتَوْصِيْمُ الْعِظَامِ وَفُتْرَةٌ وَغَنِيٌّ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي الْجَوْفِ لَا تَبُ
وَقَدْ تُبَدِّلُ الْمِيْمَ بَاءً؛ لِقُرْبِ مَخْرَجِهِمَا، كَقَوْلِهِمْ: سَمَدَ رَأْسِهِ وَسَبَدَهُ، وَأَمْرٌ لَازِمٌ
وَلَا زَب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ سَوَادَةَ بِنَ الرَّبِيعِ^١ قَالَ: أَتَيْتُهُ بِأُمِّي
فَأَمَرَ لَهَا بِشِيَاهِ غَنَمٍ وَقَالَ: "مُرِّي بِبَيْتِكَ أَنْ يُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ أَنْ يُوجِعُوا أَوْ
يَعْبِطُوا ضُرُوعَ الْغَنَمِ، وَأَوْمُرِي بِبَيْتِكَ أَنْ يُحْسِنُوا غِذَاءَ رَبَاعِيهِمْ"^٢.
قَوْلُهُ: شِيَاهُ غَنَمٍ، إِنَّمَا عَرَفَهَا بِالْغَنَمِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي الْبَقْرَةَ الْوَحْشِيَّةَ شَاةً،
قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

وَكَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ حَيَّمَا

^١ سوادة بن الربيع، الجرمي، له صحبة، يعد في البصريين.

^٢ رواه أحمد في المسند، والبخاري في معجم الصحابة، والبخاري في التاريخ الكبير.

^٣ هو الأعشى، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَمْ حَيَّالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا وَهِيَ حَبْلُهَا مِنْ
حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا). وتمام الشاهد: (فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ قَامَ مُبَادِرًا وَحَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ
حَيَّمَا).

وقوله: أن يُوجِعُوا، معناه: لئلا يُوجِعُوا، كقوله: {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا}: أي لئلا تَضِلُّوا، وكقوله: {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ}، ونظيره في الكلام أن يُقال: لا تأتِ السُّلْطَانَ أَنْ يُصِيبَكَ مَكْرُوهٌ، ولا تَقْرِبِ الْأَسَدَ أَنْ يَفْتَرَسَكَ، ويُتَّصَبُ عَلَى إِضْمَارِ الْحَذَرِ أَوْ الْخَوْفِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لا تَقْرَبْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهُ مَكْرُوهٌ.

وفيه وَجْهٌ آخَرٌ وهو إِضْمَارٌ لا، كَأَنَّهُ قَالَ: مُرِيَ بَنِيكَ أَنْ لا يُوجِعُوا ضُرُوعَ الْغَنَمِ، وَالْعَرَبُ تُضْمِرُ لا وَتُعْمَلُهَا، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^١:

أَوْصِيكَ أَنْ يَحْمَدَكَ الْأَقَارِبُ وَيَرْجِعَ الْمِسْكِينُ الْمِسْكِينُ وَهُوَ
خَائِبٌ^٢

يريدُ: ولا يَرْجِعُ الْمِسْكِينُ خَائِبًا.

^١ هو أبو النجم: الفضل بن قدامة العجلي، من بني بكر بن وائل: من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر. نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وولده هشام. قال أبو عمرو بن العلاء: كان ينزل سواد الكوفة، وهو أبلغ من العجاج في النعت.

^٢ في ديوانه من أرجوزة يوصي فيها ابنته ظلامه، ومطلعها: (أوصيك يا بنتي فإني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب).

وقوله: أو يَعْبِطُوا ضُرُوعَ الغَنَمِ، مَعْنَاهُ: أو يَعْفُرُوهَا فَيُدْمُوهَا، والعَبِيطُ: الدَّمُ الطَّرِي، ويُقال: ماتَ فُلَانٌ عَبْطَةً واعتَبَطَ، إذا ماتَ في شَبَابِهِ وطَرَاءَةِ سِنِّهِ، قَالَ أُمِيَّةٌ^١:

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ فَا لِمَرَّةٍ
ذَائِفُهَا^٢

وقوله: مَرِي بَنِيكَ أَنْ يُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ، فَإِنَّ الرِّبَاعَ جَمْعُ الرُّبْعِ، وَهُوَ وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا نُتِجَتْ فِي الرِّبْعِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَمِعْتُ عَيْسَى بْنَ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْعَرَبَ تُنْشِدُ:

وَعُلبَةٌ نَارَعَتْهَا رِبَاعِي وَعُلبَةٌ عِنْدَ مَقِيلِ الرَّاعِي

^١ أمية بن أبي الصلت: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً. وهو ممن حرّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، ورحل إلى البحرين فأقام ثمانين سنة في أثنائها الإسلام، وعاد إلى الطائف، فسأل عن خبر محمد بن عبد الله فقيل له: يزعم أنه نبي. فخرج حتى قدم عليه بمكة وسمع منه آيات من القرآن، وانصرف عنه، فتبعتة قريش تسأله عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه على الحق، قالوا: فهل تتبعه؟ فقال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر رسول الله إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام، فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع. وأقام في الطائف إلى أن مات.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (اقْتَرَبَ الوَعْدُ وَالثُّلُوبُ إِلَى اللَّهِ وَحُبِ الحَيَاةِ سَائِفُهَا).

والمعنى أنه كره استئصاء الحلب إبقاءً على الرباع، يقول: إذا حَلَبْتَ فَأَبْقِ فِي ضُرُوعِهَا مَا يُعَدِّي رِبَاعَهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ مَازِنَ بْنَ الْعُضُوبَةِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ عُمَانَ سَادِنَ صَنَمِهِمْ أَتَاهُ فَأَمَّنَ بِهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي مُوَلَّعٌ بِشُرْبِ الْحُمْرِ وَالْهَلُوكِ مِنَ النِّسَاءِ، فَقَالَ النَّبِيُّ: "اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالْعَهْرِ عِمَّةَ الْفَرْجِ وَبِالْحُمْرِ رِيًّا لَا إِثْمَ فِيهِ"، فَلَمَّا أَنْصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ هَجَرُوهُ وَعَادَوْهُ، قَالَ مَازِنُ: ثُمَّ أَتَنِي مِنْهُمْ أَرْقَلَةٌ عَظِيمَةٌ فَعَاتَبُونِي ثُمَّ هَدَاهُمُ اللَّهُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ^١.

السَّادِنُ: الخادِمُ، يُقَالُ سَدَنَ الرَّجُلُ سَدَانَةً.

والهَلُوكُ مِنَ النِّسَاءِ: الفَاجِرَةُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

مَشَى الْهَلُوكِ عَلَيْهَا الْخَيْعَلُ الْفُضْلُ^٣

^١ رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: ١٣٩١١. ورواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، وكلاهما متروك .

^٢ البيت للمتنخل الهذلي: مالك بن عُوَيْرِ بْنِ عُثْمَانَ الْهُذَلِيِّ: جاهلي.

^٣ في شعره في ديوان الهذليين من قصيدته التي يرثي فيها أُنَيْلَةَ ابْنَهُ، ومطلعها: (ما بأل عينك تبكي دمعتها حَضِيلُ... كما وهى سَرِبُ الْأَخْرَاتِ مِنْزِلُ). وتماهه: (السَالِكُ الثُّغْرَةَ الْبَيْقَظَانَ كَالِثُّهَا مَشَى الْهَلُوكِ عَلَيْهَا الْخَيْعَلُ الْفُضْلُ).

ويقال إنما سُميت هَلُوكًا لِأَنَّهَا تَهَالِكُ، أَي تَثَنَّى وَتَمَائِلٌ، وَمِنْهُ قَوْلُ زِيَادٍ لَابْنِهِ:
يَا بُنِي إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - يَعْنِي مَعَاوِيَةَ - فَلَا يَرَيْنَنَّ مِنْكَ تَهَالِكًا
إِلَيْهِ وَلَا انْقِبَاضًا عَنْهُ.

وَالْعَهْرُ: الزَّيْنَاءُ، وَالْعَاهِرُ الزَّانِي، وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ
وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ"^٢. قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَلَاتَةَ لِعَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ لَمَّا نَافَرَهُ: أَنَا وَوَلَدُ
وَأَنْتَ عَاقِرٌ، وَأَنَا وَوَيْيٌّ وَأَنْتَ غَادِرٌ، وَأَنَا عَفِيفٌ وَأَنْتَ عَاهِرٌ.
وَالْأَرْقَلَةُ: الْجَمَاعَةُ الضَّخْمَةُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "اِحْسِنُوا صِبْيَانَكُمْ حَتَّى
تَذْهَبَ فَوْعَةُ الْعِشَاءِ"^٣.

فَوْعَةُ الْعِشَاءِ: إِقْبَالُ اللَّيْلِ، وَقَالَ ابْنُ شُمَيْلٍ: أَتَيْتُهُ فِي فَوْعَةِ النَّهَارِ، أَي فِي
أَوَّلِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: شِمَمْتُ فَوْعَةَ الطَّيِّبِ، أَي شِدَّةَ رَائِحَتِهِ أَوَّلَ مَا تَفْوُحُ. قَالَ
أَبُو حَاتِمٍ: قَلْتُ لِلْأَصْمَعِيِّ: مَا الْحُمَةُ؟ قَالَ: فَوْعَةُ السَّمِّ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَرْبَعَةً تَفَاتَوْا إِلَيْهِ^٤.

^١ زياد ابن أبيه أخو معاوية.

^٢ متفق عليه.

^٣ أخرجه أحمد والحاكم، وصحح الألباني إسناده. ورواه البخاري ومسلم، بألفاظ أخرى.

^٤ رواه ابن أبي شيبة في المصنف، القوم يشتركون في الزرع: ٢٤٠٣١.

قوله: تَفَاتُوا، معناه: تَحَاكُمُوا إِلَيْهِ، مِنَ الْقَتَى، قال الطرمح^١:

أَنْحُ بِنَاءٍ أَشَدُّ مِنْ عَدِيٍّ وَمِنْ جَرِّمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّفَاتِي

وقال جرير للفردق^٢:

تَعَالُوا فَفَاتُونَا فِي الْحُكْمِ مَقْنَعٌ إِلَى الْعُرِّ مِنْ آلِ الْبِطَاحِ الْأَكَارِمِ

يُرِيدُ: حَاكِمُونَا إِلَيْهِمْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ الْعَزَوَاتِ، فَبَيَّنَّا أَنَا عَلَى جَمَلِي أَسِيرٌ، وَكَانَ جَمَلًا فِيهِ قِطَافٌ، فَلَحِقَ بِي فَضْرَبَ عَجْزَ الْجَمَلِ بِسَوْطٍ، فَأَنْطَلَقَ أَوْسَعَ جَمَلٍ رَكِبْتُهُ قَطُّ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهِقَةً^٣.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَمْ تَرَ عِ الْهُوَى إِذْ لَمْ يُوَاتِ بَلَى وَسَلَوْتَ عَن طَلَبِ الْفَتَاةِ).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لَا خَيْرَ فِي مُسْتَعْجَلَاتِ الْمَلَاوِمِ وَلَا فِي خَلِيلٍ وَصَلُهُ غَيْرُ دَائِمِ).

^٣ رواه أحمد في المسند، في حديث طويل.

القَطَافُ: الإِبْطَاءُ فِي السَّيْرِ وَالْمُقَارَبَةُ بَيْنَ الْخَطَى، يُقَالُ: جَمَلٌ قَطُوفٌ، وَقَوْلُهُ: أَوْسَعَ جَمَلٍ، يَرِيدُ أَسْرَعَ جَمَلٍ سَيْرًا، يُقَالُ: جَمَلٌ وَسَاعٌ، وَسَيْرٌ وَسِيعٌ، قَالَ سُوَيْدُ بْنُ كِرَاعٍ^١:

وَإِذَا الرِّكَابُ تَكَلَّفَتْهَا عَطَفَتْ تَمَرَّ السَّيِّاطُ قَطُوفَهَا وَوَسَاعَهَا

وَالْمُوَاهِقَةُ: أَنْ تَسِيرَ مِثْلَ سَيْرِ صَاحِبِكَ، وَهِيَ الْمُبَارَاةُ، قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ^٢:

وَتَوَاهَقَتْ أَحْقَافُهَا طَبَقًا وَالظَّلُّ لَمْ يَفْضُلْ وَلَمْ

يُكْرَ^٣

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقٌّ وَلَكِنْ قَالَتْ بَنُو قُصَيٍّ: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: وَفِينَا اللِّوَاءُ، قُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا

^١ سويد بن كراع العُكَلِي، من بني الحارث بن عوف: شاعر فارس مقدم. كان في العصر الأموي صاحب الرأي والتقدم في بني عكل.

^٢ عمرو بن أحمد بن العمرد بن عامر الباهلي: شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً. كان من شعراء الجاهلية، وأسلم. وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه. ونزل بالشام مع خيل خالد بن الوليد، حين وجهه إليها أبو بكر. ثم سكن الجزيرة. وأدرك أيام عبد الملك بن مروان.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (حَيِّ الدِّيَارَ بِسَيْلٍ فَالْقَهْرُ فَجَبَابِةٍ فَحِقَاءَ فَالْوَجْرُ).

النَّدْوَةُ، قُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا السِّقَايَةُ، قُلْنَا نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرَّكْبُ قَالُوا مِنَّا نَبِيٌّ! وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ^١.

الحِجَابَةُ: حِجَابَةُ الْبَيْتِ، وَهِيَ فِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَاللِّوَاءُ: لِيَاءُ الْحَرْبِ، وَهُوَ فِيهِمْ إِذْ ذَاكَ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^٢ يَهْجُو مُسَافِعَ بْنَ عِيَاضِ التَّمِيمِيِّ^٣:
لَوْ كُنْتُ مِنْ هَاشِمٍ أَوْ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَوْ عَبْدِ شَمْسٍ أَوْ أَصْحَابِ اللِّوَاءِ الصَّيْدِ
أَوْ مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ أَوْ رَهْطِ مُطَلِّبٍ لَلَّهِ دَرْكٌ لَمْ تَهْمُمْ بِتَهْدِيدِي
قَصَرَ اللِّوَاءَ وَهُوَ مَمْدُودٌ.

وَالنَّدْوَةُ: الْاجْتِمَاعُ لِلْمَشُورَةِ، كَانُوا إِذَا حَزَّوهُمْ أَمْرٌ تَنَادَوْا فِي دَارِ عَبْدِ مَنَافٍ،
أَيِ اجْتَمَعُوا فَتَشَاوَرُوا، وَيُقَالُ: تَنَادَى الْقَوْمُ، إِذَا اجْتَمَعُوا فِي النَّادِي، قَالَ
الْمُرْقِشُ الْأَكْبَرُ^٤:

^١ رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن أبي شيبه في المصنف.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي فيها: (يا آل تيمم ألا تنهون جاهلكم ... قبل القذاف بصم كالجلاميد).

^٣ مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيمم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التميمي. وهو ابن خال أبي بكر الصديق. له صحبة، كان شاعراً فتعرض لهجاء حسان بن ثابت فهجاه حسان.

^٤ المرقش الأكبر: عوف بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بني بكر بن وائل: شاعر جاهلي، من التميميين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها (أسماء) وقال فيها شعراً كثيراً. وكان يحسن الكتابة. وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره. ولد باليمن، ونشأ بالعراق. واتصل مدة بالحارث أبي شمر

لا يُبْعِدُ اللهُ التُّلُبَ فِي الْغَارَاتِ إِذَا قَالَ الْحَمِيسُ نَعَمْ
وَالْمَشْيَ بَيْنَ الْمَجْلِسَيْنِ وَقَدْ آدَ الْعَشِيُّ وَقَدْ تَنَادَى
وَمِنْ هَذَا قِيلَ: دَارُ النَّدْوَةِ.

وقوله: إِذَا تَحَاكَّتِ الرَّكَبُ، فِيهِ قَوْلَانِ، قَالَ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ: إِذَا تَسَاوَيْنَا فِي
الشَّرَفِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: مَعْنَاهُ إِذَا جَمَعْتَنَا الْمَحَافِلَ فَتَمَاسَّتِ الرَّكَبُ.

أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: يُقَالُ: فَلَانٌ
يُقَدُّ فَلَانًا وَيَأْنُفُهُ وَيَجْنُبُهُ وَيُحَاكَّهُ، إِذَا كَانَ مَعَهُ إِلَى جَنْبِهِ غَيْرَ مُتَفَاوِتَيْنِ.

قَالَ أَبُو عبيدة: كَانَ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ مُعَظَّمًا فِي عَصْرِهِ مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ،
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تَقْطَعُ أَمْرًا إِلَّا بِمَشْهَدِهِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا يُعْذَرُ غُلَامًا^٢ إِلَّا فِي دَارِهِ
وَلَا يُعْقَدُ لِيَوْمِ الْحَرْبِ إِلَّا فِي دَارِهِ وَلَا تُنْكَحُ جَارِيَةٌ إِلَّا فِي دَارِهِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةٌ
أَوْلَادٍ: عَبْدُ مَنْفٍ وَعَبْدُ الْعَزَى وَعَبْدُ بْنُ قُصَيِّ وَعَبْدُ الدَّارِ، وَكَانَ عَبْدُ الدَّارِ
أَكْبَرَ وَلَدِهِ، فَلَمَّا اسْتَعْلَى إِخْوَتُهُ قَالَ لَهُ أَبُوهُ قُصَيٌّ: وَاللَّهِ لِأَجْعَلَنَّ إِخْوَتَكَ
يَطِئُونَ عَقْبَيْكَ لَا يَدْخُلُ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْكَعْبَةَ إِلَّا بِإِذْنِكَ وَلَا يَعْقَدُ لِقُرَشِيٍّ لِيَوْمِ

الغساني ونادمه ومدحه. واتخذته الحارث كاتبا له. وتزوجت عشيقته أسماء برجل من بني مراد،
فمرض المرقش زمنا، ثم قصدها فمات في حياها.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (هَلْ بِالْدِّيَارِ أَنْ تُجِيبَ صَمَمٌ ... لَوْ كَانَ رَسْمٌ نَاطِقًا كَلَّمَ).

^٢ عَدَرَ الصَّيِّ: حَتَّنَهُ، طَهَّرَهُ.

إلا أنتَ وفي دارك، ولا تُقضي قريشَ أمورَها إلا في دارك، ولا يشرب رجلٌ بمكةَ إلا من سقائتك، ولا يأكل أحدٌ في الموسمِ إلا من طعامك، فأعطاه الندوةَ والحجابهَ والسقايةَ والرِفادةَ.

وقال الزُّبيرُ بن بَكَارٍ: قَسَمَ قُصَيٌّ مكارمَه بين ولده فأعطى عبدَ منافِ السقايةَ والندوةَ، وأعطى عبدَ الدارِ الحجابهَ واللواءَ، وأعطى عبدَ العزىَ الرِفادةَ، وأعطى عبدَ بنِ قُصَيٍّ جلّهتي الوادي. قَالَ الزُّبيرُ: ثُمَّ اصطلحتُ قُريشَ على أن وليَ هاشمُ بنَ عبدِ منافِ السقايةَ والرِفادةَ، وأقَرَّتِ الحجابهُ في بني عبدِ الدارِ.

والرِفادةُ: الضيافة، وكان هاشمُ بنُ عبدِ منافٍ يُخرِجُ في كلِّ مَوسِمٍ من مَوسِمِ الحَجِّ مالاً كبيراً من أطيّبِ مالِهِ ويتراقدُ سائرَ القبائلِ من قُريشٍ فترسلُ كلُّ قبيلةٍ بشيءٍ ثُمَّ يجمعونَهُ فيشترُونَ بِهِ الجُزُرَ والكعكَ والسويقَ فينحرونها ويُطعمونَ الحاجَّ ويسقونهم، وكانوا يقولون: نحنُ أهلُ اللهِ وجيرانُ بيتهِ، والحاجُّ وفدُ اللهِ وأضيافُهُ، فنحنُ أولىُّ بقراءتهم، وإنما سُمِّيَ هاشمًا واسمُهُ عَمْرُو لِأَنَّهُ هَشَمَ الثريدَ وأطعمَ في عامِ جَدَبٍ، ولذلك يُقُولُ شاعرُهُم^١:

عَمْرُو العُلا هَشَمَ الثريدَ لقومِهِ ورجالُ مكةَ مُستنونَ عِجافِ

^١ هو ابن الزبعرى، وسبق ذكره.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَعَثَ بَعْنًا وَأَتَتْهُمْ أَصْبَحُوا بِأَرْضِ عَزْرُوبَةَ بَجْرَاءَ، فَإِذَا هُمْ بِأَعْرَابِيٍّ فِي قُبَّةٍ، لَهُ عَنَمٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَاءَهُ الْقَوْمُ فَقَالُوا: أَجْزَرْنَا، فَأَخْرَجَ لَهُمْ شَاةً فَسَحَطُوهَا، ثُمَّ أَخْرَجَ لَهُمْ أُخْرَى فَسَحَطُوهَا، ثُمَّ قَالَ: مَا بَقِيَ فِي عَنَمِي إِلَّا فَحْلٌ أَوْ شَاةٌ رُبِّي، فَلَمَّا أَبْجَرَ الْقَوْمُ احْتَرَقُوا، وَقَدْ أَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ عَنَمَهُ فِي الْقُبَّةِ فَقَالُوا نَحْنُ أَحَقُّ بِالظِّلِّ مِنَ الْعَنَمِ، أَخْرَجَهَا عَنَّا، فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَتَى تُخْرِجُونَ عَنَمِي فِي الْحَرِّ تَرْمِضُ وَتَطْرُحُ أَوْلَادَهَا، وَإِنِّي رَجُلٌ قَدْ رَكَيْتُ وَصَلَيْتُ، وَذَكَرَ حَدِيثًا فِيهِ طُولٌ مِنْ حَدِيثِ الْحَضْرَمِيِّ^١.

^١ انظر: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. وتام الحديث: فَأَخْرَجُوا عَنَمَهُ، فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا سَاعَةً مِنْ مَهَارٍ حَتَّى تَنَاعَرَتْ فَطَرَحَتْ أَوْلَادَهَا، فَأَقْبَلَ الْأَعْرَابِيُّ سَرِيعًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ بِالذِّي صُنِعَ بِهِ، فَغَضِبَ مِنْ ذَلِكَ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ أَجْلَسَهُ حَتَّى قَدِمَ الْقَوْمُ فَسَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: كَذَبَ. فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَعْضُ الْغَضَبِ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ. وَالَّذِي أَقْسِمُ بِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُجْزِكَ اللَّهُ بِحَرْبِي وَخَيْرِهِمْ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ صَادِقٌ، فَانْتَجَاهُمْ رَجُلًا رَجُلًا، فَمَا انْتَجَى مِنْهُمْ رَجُلًا فَتَأَسَّاهُ اللَّهُ إِلَّا حَدَّثَهُ كَمَا حَدَّثَهُ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَحْمِلَنَّكُمْ أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكُذْبِ كَمَا يَتَابَعُ الْقَرَّاشُ فِي النَّارِ، كُلُّ الْكُذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ خِصَالٍ: امْرُؤٌ كَذَبَ امْرَأَتَهُ لِرَضَى عَنْهُ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ.

قوله: بأرض عزوبة، هي الأرضُ البعيدة المَضْرَبُ إلى الكَلَأِ، ويُقال: كَلَأَ عازبٌ، والتَعَزِيبُ في الرَّعِي: أن يبيت الرجلُ في الكَلَأِ لا يريخُ ماشيته، قاله الأصمعيُّ، وأنشدَ للنَّابِغَةَ الدُّبَيَّانِيَّ^١:

ضَلَّتْ حُلُومُهُمْ عَنْهُمْ وَعَرَّهْمُ سَنَّ الْمُعِيدِيَّ فِي رَعِيٍّ وَتَعَزِيبِ

يُقَالُ لِلْمَالِ الْغَائِبِ: عازِبٌ، وَلِلْمَالِ الْمُقِيمِ: عَاهِنٌ، قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ:

تَمُدُّ عَيْنِيكَ فِي عَرْضِ وَفِي عَهْنِ^٢

والأرضُ البجْراءُ هي المرتفعةُ الصُّلْبَةُ، وَقَلَّ مَا تُنْبِتُ، وَإِنَّمَا النَّبَاتُ فِي الْبُطْنَانِ
وَالْوَهَادِ.

وَالْأَجْبُرُ مِنَ النَّاسِ هُوَ الَّذِي انْدَلَقَتْ سُرَّتُهُ فَبَقِيَتْ نَاتِيَةً مَرْتَفَعَةً عَنِ بَطْنِهِ، قَالَ
الشاعر^٣:

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنِّي كَأَنِّي لَدَى النُّعْمَانِ خَبْرُهُ بَعْضُ الْأُوْدِ حَدِيثًا غَيْرَ
مَكذُوبٍ).

^٢ لم أجدّه في ديوانه، وله قصائد على الوزن والقافية.

^٣ هو أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني: شاعر
اليمنيين، بالكوفة وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء،
وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم
ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان

يَمْرُونَ بِالذَّهْنِ خِفَافًا غِيَابُهُمْ وَيُخْرِجَنَّ مِنْ دَارَيْنِ بُجْرَ
الْحَقَائِبِ^١

يُرِيدُ: عِظَامَ الْحَقَائِبِ.

وقوله: أَجْزَرْنَا شَاءَ، أَي أَعْطَيْنَا شَاءَ نَذْبُحُهَا، وَاسْمُ تِلْكَ الشَّاةِ جَزْرَةٌ، وَتُجْمَعُ عَلَى الْجَزْرِ، وَلَا تَكُونُ الْجَزْرَةُ مِنَ الْإِبِلِ، قَالَ يَعْقُوبُ^٢.

وقوله: سَخَطُوهَا، أَي ذَبَّحُوهَا، وَالسَّخَطُ ذَبْحٌ وَحِي^٣.

وقوله: أَبْهَرُوا، يُرِيدُ أَهَمَّ صَارُوا فِي بُهْرَةِ النَّهَارِ، أَي وَسَطِهِ، وَبُهْرَةُ الشَّيْءِ وَسَطُهُ.

وقوله: تَرَمَضُ، أَي تَحْتَرِقُ فِي الرَّمْضَاءِ، يُقَالُ رَمَضَ الرَّجُلُ يَرْمِضُ رَمَضًا، إِذَا احْتَرَقَتْ قَدَمَاهُ مِنَ الشَّمْسِ.

معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

^١ في ديوانه، وهو أحد بيتين، وبعده: (عَلَى حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدَلًا زُرَيْقُ الْمَالِ نَدَلُ النَّعَالِبِ).

^٢ ابن السِّكِّيتِ.

^٣ الذبح الوحي: السريع المتعجل.

وترمّضت الطّبَاء، وهو أن تَطْرُدَهَا فِي الرَّمْضَاءِ حَتَّى تَحْتَرِقَ قَوَائِمَهَا فَتُصَادَ، قَالَ يَعْقُوبُ: وَيُقَالُ: رَمَضَتِ الْغَنَمُ تَرْمِضُ رَمَضًا، إِذَا رَعَتْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ فَتَجِبْنَ رِثَاءُهَا، وَأَكْبَادُهَا يُصَيَّبُ فِيهَا قَرْحٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الذَّوَاقِينَ وَلَا الذَّوَاقَاتِ"^١.

هذا في النكاح، كره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ كَثِيرَ النِّكَاحِ سَرِيعِ الطَّلَاقِ، بِمَنْزِلَةِ الذَّائِقِ لِلطَّعَامِ غَيْرِ الْآكِلِ مِنْهُ، قَالَ الْأَعَشَى^٢:

وَذَوْقِي فَتَى حَيٍّ فَإِنِّي ذَائِقٌ فَتَاءٌ لِأَقْوَامٍ كَمَا أَنْتِ ذَائِقَةٌ

يقول: استطرفني زوجًا غيري.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ وَعَلَيْهِ قُشْبَانِيَّتَانِ^٣.

قَوْلُهُ: "قُشْبَانِيَّتَانِ"، يُرِيدُ بُرْدَتَيْنِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْقَشِيبُ، وَلَهُ مَعْنِيَانِ مُتضَادَّانِ، يُقَالُ لِلجَدِيدِ: قَشِيبٌ، وَلِلْحَاقِ: قَشِيبٌ، وَيُجْمَعُ قُشْبًا وَقُشْبَانًا، وَيُقَالُ: ثِيَابٌ قُشْبَانِيَّةٌ، إِذَا كَانَتْ حُلُقَانًا.

^١ ضعف الألباني إسناده، انظر حديث رقم: ١٦٧٣ في ضعيف الجامع.

^٢ في ديوانه من قصيدته عندما طلق زوجته الهزانية، ومطلعها: (يا جَارَتِي بَيْنِي فَإِنَّكَ طَالِقَةٌ كَذَلِكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَةٌ).

^٣ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني، قشب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ"^١.
يُرِيدُ: الْوَرَعُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِبَادَاتِ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: نُسْكٍَ وَوَرَعٍ، فَالنُّسْكَُ
مَا أَمَرَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَالْوَرَعُ مَا نَهَتْ عَنْهُ، وَإِنَّمَا يُتَهَيَّ عَنْ ذَلِكَ بِالصَّبْرِ،
فَصَارَ الصَّبْرُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَأَنَّهُ نِصْفُ الْإِيمَانِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ كَسْرِ سِكَّةِ الْمُسْلِمِينَ
الْجَائِزَةَ بَيْنَهُمْ^٢.

أَصْلُ السِّكَّةِ: الْحَدِيدَةُ الَّتِي تُطْبَعُ عَلَيْهَا الدَّرَاهِمُ: ثُمَّ قِيلَ لِلدَّرَاهِمِ الْمَضْرُوبَةِ
سِكَّةً؛ لِأَنَّهَا ضُرِبَتْ بِهَا.

وَفِي كِرَاهِيَتِهِ لِذَلِكَ وَجُوهٌ: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ كَرِهَ تَقْطِيعِ الدِّرْهِمِ الصَّحِيحِ
وَالدِّينَارِ الصَّحِيحِ وَتَقْرِيزَهُمَا؛ لِمَا فِيهِمَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَإِلَى هَذَا
الْمَعْنَى ذَهَبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي دَاوُدَ قَالَ: قُلْتُ لِأَحْمَدَ: مَعِيَ
دِرْهَمٌ صَحِيحٌ وَقَدْ حَضَرَ سَائِلٌ، أَكْسِرُهُ؟ فَقَالَ لَا. وَيُقَالُ إِنَّمَا كَرِهَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ
يَضَعُ مِنْ قِيَمَتِهِ. وَقَدْ نُهِيَ عَنِ إِضَاعَةِ الْمَالِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْمَعْنَى فِيهِ كِرَاهِيَةٌ

^١ رواه البيهقي في شعب الإيمان، بإسناد صحيح.

^٢ رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه، والحاكم في المستدرک، وضعفه ابن حبان.

التَّدْنِيقُ وَدَمُّهُ. وَكَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ الدَّانِقَ^١، وَأَوَّلُ مَنْ أَحْدَثَ الدَّانِقَ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَعْرِفُهُ وَلَا أَبْنَاءُ الْفُرسِ.

وفيه وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا نَهَى عَنِ كَسْرِهِ عَلَيَّ أَنْ يُعَادَ تَبْرًا، فَأَمَّا أَنْ يُرْصَدَ لِلنَّفَقَةِ فَلَا، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ قَاضِي الْبَصْرَةِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَنْ يُكْسَرَ فَيَتَّخَذَ مِنْهَا أَوَانٍ وَزُحْرَفًا وَنَحْوَهَا، وَيُقَالُ: إِنْ الْمُعَامَلَةُ كَانَتْ تَجْرِي بِهَا فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ عَدَدًا لَا وَزْنَ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَكْسِرُهَا وَيَأْخُذُ أَطْرَافَهَا قَرْضًا بِالْمَقَارِيضِ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ النَّهْيِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ. فَأَمَّا الْحَدِيثُ: مَا دَخَلَتِ السِّكَّةُ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا ذُلُّوْا، فَإِنَّ السِّكَّةَ هَهُنَا الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُحْرَثُ بِهَا، أَرَادَ أَنَّ أَهْلَ الْحَرْثِ يَنَالُهُمُ الذُّلُّ لَمَّا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَطَالِبَاتِ بِالْحَرَاجِ وَالْعُشْرِ وَنَحْوَهُمَا.

ويقال: العزُّ في نواصي الخيل والذُّلُّ في أذنان البقر.

^١ الدَّانِقُ: سُدْسُ الدَّرْهَمِ.

^٢ رواه البخاري بألفاظ قريبة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ عَادَ الْبِرَاءَ بْنَ مَعْرُورٍ^١ وَأَخَذَتْهُ
الدُّبْحَةُ فَأَمَرَ مَنْ لَعَطَهُ بِالنَّارِ^٢.

قوله: لَعَطَهُ بِالنَّارِ، أي كَوَاهُ فِي عُرْضِ عُنُقِهِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ لِلشَّاةِ إِذَا
كَانَ بَعْرُضُ عُنُقِهَا سَوَادًا: لَعَطَاءً، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّعْطُ مَقْلُوبًا مِنَ الْعَلَطِ،
وَهُوَ الْوَسْمُ عَرَضًا عَلَى الْعُنُقِ، وَالاسْمُ الْعِلَاطُ، وَهُوَ الْعَرَاضُ أَيْضًا، فَإِذَا كَانَ
ذَلِكَ طَوْلًا قِيلَ لَهُ السِّطَاعُ.

وَالصِّدَارُ: مَا كَانَ فِي الصِّدْرِ، وَالْجِنَابُ: عَلَى الْجَنْبِ، وَالْكَشَاحُ: عَلَى
الْكَشْحِ، وَالْحَبِاطُ: وَسْمٌ فِي الْوَجْهِ، وَالِدِمَاعُ: فِي مَجْرَى الدَّمْعِ، وَأَنْشَدَنِي أَبُو
عُمَرَ عَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ:

يَا مَنْ لِعَيْنِي لَا تَنِي تَهْمَاعَا قَدْ تَرَكَ الدَّمْعُ بِهَا دِمَاعَا

أَي بَقِيَ لَهُ أَثَرٌ مِنَ الْبُكَاءِ كَأَنَّهُ وَسْمٌ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: عَلَطَهُ بِشَرٍّ، إِذَا
وَسَمَّهُ بِهِ، وَقَالَ الْهُدَلِيُّ^٣:

^١ البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي: أحد النقباء الذين بايعوا البيعة الثانية بالعقبة، وهو أول من
بايع وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلاث ماله.

^٢ انظر: العباب الزاخر للصغاني: لعط.

^٣ هو المتنخل: مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر، أبو أثيلة: شاعر من نوابع
هذيل. أثبت له صاحب الأغاني (صوتاً) من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة. وقال الأمدى: شاعر
محسن، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب. وأورد بيتين منها.

فلا والله نادى الحيّ ضيفي هُدوءًا بالمساءة

والعلاط^١

وقال أبو عمر^٢: الصَّيْعَرِيَّةُ سِمَةٌ فِي الْعُنُقِ، وَقَالَ الْمُسَيْبُ بْنُ عَلْسٍ^٣:

وَقَدْ أَتَنَسَى الْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَّةُ
مُكْدَمٌ^٤

فَيُقَالُ: إِنَّ طَرْفَةَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ صَبِيٌّ فَسَمِعَهُ يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ فَقَالَ: اسْتَنَوْقُ
الْجَمْلُ، فَصَارَ مَثَلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الصَّيْعَرِيَّةَ سِمَةٌ لِلنُّوقِ خَاصَّةً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَمَرَ بِإِخْرَاجِ الْمُنَافِقِينَ مِنَ
الْمَسْجِدِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَافِعِ بْنِ وَدِيعَةَ فَلَبَّيْهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ نَزَّهُ
نَزْرًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ: أَدْرَا جَكَ يَا مُنَافِقُ مِنْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ فِي (شَعْرِ الْهَذَا لِيَوْمِ) مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (عَرَفْتُ بِأَجْدَثِ فَبَعَا فِعْرَقِي ... عِلَامَاتِ
كَتْخِيرِ النَّمَاطِ).

^٢ أَبُو عَمْرِو الزَّاهِدُ الْمَعْرُوفُ بِغُلَامِ ثَعْلَبٍ، وَهُوَ أَسْتَاذُ الْخَطَّابِيِّ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

^٣ الْمُسَيْبُ بْنُ عَلْسِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ قِمَامَةَ، مِنْ رِبْعِيَّةِ بْنِ نَزَارٍ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ. كَانَ أَحَدَ
الْمَقْلَبِينَ الْمَفْضَلِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَهُوَ خَالَ الْأَعَشَى مَيْمُونِ، وَكَانَ الْأَعَشَى رَاوِيَتَهُ. وَقِيلَ: اسْمُهُ زَهِيرٌ،
وَكَتَبَتْهُ أَبُو فِضَّةٍ. وَوُلِدَ عَامَ ١٠٠ ق. هـ. وَتَوَفِّيَ عَامَ ٤٨ ق. هـ.

^٤ فِي دِيْوَانِهِ، وَهُوَ مَطَّلَعُ الْقَصِيدَةِ، وَبَعْدَهُ: (كَمَيْتِ كِنَازِ اللَّحْمِ أَوْ جَمِيرِيَّةٍ مُوَاشِكَةٍ تَنْفِي الْحَصَى
مَلْتَمِ).
مَلْتَمِ.

مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ صَاحِبِ الْمَغَازِي.

قوله: أَدْرَاجُكَ، أَي حُذِّ طَرِيقُكَ الَّذِي جِئْتَ مِنْهُ، وَلَا يُقَالُ إِذَا أَخَذَ فِي غَيْرِ
الْوَجْهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ. قَالَ الرَّاعِي^١ يَصِفُ نِسَاءً بَاتَ عِنْدَهُنَّ ثُمَّ رَجَعَ حِينَ
أَصْبَحَ:

لَمَّا دَعَا الدَّعْوَةَ الْأُولَى^٢ فَأَسْمَعَنِي أَخَذْتُ ثَوْبِي فَاسْتَمَرَرْتُ أَدْرَاجِي

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى أَحْيَاءِ
الْعَرَبِ فِي الْمَوَاسِمِ، فَأَتَى بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ فَرَدُّوا عَلَيْهِ جَمِيلًا وَقَبْلُوهُ، ثُمَّ
أَتَاهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ فَقَالَ لَهُمْ: بئسَ مَا صَنَعْتُمْ! عَمَدْتُمْ إِلَى دَحِيقِ قَوْمٍ
فَأَجْرْتُمُوهُ! لَتَرْمِيَنَّكُمْ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! اعْمِدْ لَطَيْتِكَ
وَأَصْلِحْ قَوْمَكَ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكَ^٣.

^١ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَلَا إِسْلَمِي الْيَوْمَ ذَاتَ الطُّوقِ وَالْعَاجِ وَالذَّلِّ وَالنَّظْرِ
الْمُسْتَأْنِسِ السَّاجِي).

^٢ يَعْنِي مَوْذِنَ الْفَجْرِ الْأُولِ.

^٣ انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

الدَّحِيقُ: الطَّرِيدُ الْمُقْصَى، وقولهم: اعمِدْ لِطَيْتِكَ: معناه امضِ لِقْصْدِكَ، يُقَالُ: مَضَى لِطَيْتِهِ، أَي لِنَيْتِهِ وِوَجْهَتِهِ، وقد بَعُدَتْ عَنَّا طَيْتُهُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^١:

دِيَارٌ لِمِيَّ أَصْبَحَ الْيَوْمَ أَهْلِهَا عَلَى طِيَّةٍ زَوْرَاءَ شَتَّى شُعُوبُهَا

وقال عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^٢:

بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمَاضِي لِطَيْتِهِ بَلَغَ حَنِيفَةً وَاوْشَرَ فِيهِمْ

الْحَبْرَا^٣

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا حي ربع الدار قفراً جنوئها ... بحيث انحنى عن قنع حوضي كنيئها).

^٢ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي: شاعر مقدم، فصيح من أهل اليمامة، كان يسكن بادية البصرة، ويزور الخلفاء من بني العباس فيجزلون صلته. وبقي إلى أيام الواثق، وعمي قبل موته، وهو من أحفاد جرير الشاعر، وكان النحويون في البصرة يأخذون اللغة عنه، له أخبار. وهو القائل: (بدأتم فأحسستم، فأثنت جاهدًا وإن عدتم أثنت والعود أحمد).

^٣ في ديوانه، وهو مطلع الأبيات، وبعده: (أكان مسلمة الكذاب قال لكم لن تدركوا المجد حتى تُغضبوا مُضْرًا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَسَلْمَةَ بْنَ هِشَامٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ فُرُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى النَّبِيِّ، وَعَيَّاشٌ وَسَلْمَةُ مُتَكَفِّلَانِ عَلَى بَعِيرٍ^١.

مُتَكَفِّلَانِ: هُوَ مِنَ الْكِفْلِ، وَهُوَ أَنْ يُدَارَ الْكِسَاءُ حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُرَكَّبُ، يُقَالُ: اِكْتَفَلْتُ الْبَعِيرَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَرَاكِبٍ عَلَى الْبَعِيرِ مُكْتَفِلٌ يَخْفَى عَلَى آثَارِهَا وَيَنْتَعِلُ

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ^٢:

وَحُبًّا عَلَى نِضْوَيْنِ مُكْتَفِلَيْهِمَا وَلَا تَحْمِلًا إِلَّا زِنَادًا وَأَسْهُمَا

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: الْكِفْلُ مَا يَحْفَظُ الرَّكَّابَ مِنْ خَلْفِهِ، قَالَ: وَمِنْ هَذَا قِيلَ: تَكَفَّلْتُ بِالشَّيْءِ، وَمِنْهُ أُخِذَ الْكَفِيلُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "رَأَيْتُ جُدُودَ الْعَرَبِ، فَإِذَا جُدُّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ جَمَلٌ"^٣ آدَمُ مُقَيَّدٌ بِعُصْمٍ يَأْكُلُ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ"^٤.

^١ رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا هيمًا بما لقيتُ وهيمًا وويحاً لمن لم ألقِ منهن ويحماً).

^٣ جمل: يريد أنه عظيم الجسد مثل الجمل.

^٤ أخرجه أحمد في مسنده وإسناده صحيح على شرط البخاري.

الجمل الآدم: هُوَ الأَبْيَضُ، مَعَ سَوَادِ المَقْلَتَيْنِ، فَإِن خَالَطَتْهُ حُمْرَةٌ فَهُوَ أَصْهَبُ، فَإِن خَالَطَتْ بِيَاضَهُ شَقْرَةٌ فَهُوَ أَعْيَسُ.

وقال الأُمويُّ عَبْدُ اللَّهِ بنُ سَعِيدٍ: قِيلَ لابنِ لِسَانِ الحُمْرَةِ^١: أَخْبِرْنَا عَنِ الإِبْلِ؟ فَقَالَ: حُمْرَاهَا صُبْرَاهَا، وَعَيْسَاهَا حُسْنَاهَا، وَوُرْقَاهَا غُزْرَاهَا، وَلَا أُبْيَعُ جَوْنَةً وَلَا أَشْهَدُ مَشْرَاهَا، أَي لَا أَشْهَدُ مَبْيَعَهَا.

وقوله: مُقَيَّدٌ بَعْصِمٍ، فَإِنَّ العُصْمَ مَا يَبْقَى مِنْ آثَارِ البَوْلِ وَالهِنَاءِ عَلَى أَفْحَاذِ الإِبْلِ، وَهُوَ العَصِيمُ أَيْضًا، قَالَ المُتَمَلِّسُ^٢:

أَصْبَحُوا لَا تَطِي المَحَلَةَ فِي عَجَلٍ كَمَا لَا طَ مُجْرِبٌ بَعْصِيمٍ

قَالَ الأَصْمَعِيُّ: العُصْمُ أَنْ تُرَكَّ شَيْءٌ مِنْ وَرْسٍ أَوْ زَعْفَرَانٍ أَوْ نَحْوِهِ، قَالَ: وَسَمِعْتُ امْرَأَةً مِنَ العَرَبِ تَقُولُ: أَعْطَنِي عُصْمَ حِنَائِكِ، أَي مَا سَلَّتْ مِنْهُ، وَالمَعْنَى أَنَّهُ وَصَفَهُ بِالْحِصْبِ وَكَثْرَةِ الرِّعْيِ، يُرِيدُ أَنَّ العُصْمَ صَارَ كَالْقَيْدِ لَهُ،

^١ عبد الله بن حصين بن ربيعة التيمي، أحد من اعتمد عليهم الكلبي وغيره من النسابة في أخبار ربيعة ونسبها، يضرب به المثل في العلم بالأنساب فيقال: أنسب من ابن الحُمْرة، له خبر مع المغيرة بن شعبة.

^٢ لم أجده في ديوانه.

ويدل على صحة هذا التأويل حديث أبي هريرة قال: سئل رسول الله عن بني عامر فقال: "جمل متفاج يتناول من أطراف الشجر"^١.

والمُتَفَاجُ: الذي لا يزال يُفَرِّج ما بين رجليه ليَبُول، وإنما يكثر بؤله للخصب. والعَبَسُ مثل العَصِيم، قال أبو التَّجَم يصف ذلك^٢:

كَأَنَّ فِي أَدْنَاهِجَّ الشُّوْلُ مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ فُرُونَ الْأَيْلِ

وفيه وجه آخر وهو أن يكون العَصْمُ جمع العِصَام، وهو مساك كل شيء ورباطه، ومنه عِصَامُ المَحْمِل، وهو شِكَالُهُ وَقَيْدُهُ، ومنه عِصَامُ القَرَبَةِ.

وأخبرني ابنُ الزُّبَيْدِيِّ نا الكُدَيْمِيُّ نا الأصمعي قال: أتيت بعضَ البَوادي فإذا غلامٌ بيده قربةٌ مملوءةٌ، مُمَسِّكٌ عِصَامَهَا وهو يقول: يا أبه أدرك القربة، أدرك فاهَا، غَلَبَنِي فُوهَا، حَرَجَ المَاءُ مِنْ فِيهَا، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ إِعْرَابِهِ، وَالمعنى أَنَّ خِصْبَ بِلَادِهِ قَدْ حَبَسَهُ بِفَنَائِهِ فَهُوَ لَا يَبْعُدُ فِي طَلَبِ المَرَعَى فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ المُقَيَّدِ الَّذِي لَا يَبْرُحُ مَكَانَهُ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ قَبِيلَةٍ فِي الدَّهْنَاءِ^٣ إِنَّهَا مُقَيَّدُ الجَمَلِ، أَي أَنَّ الجَمَلَ إِذَا وَجَدَهَا كَانَ فِيهَا كالمُقَيَّدِ لَا يَنْزِعُ إِلَى غَيْرِهَا مِنَ البِلَادِ.

^١ رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة، ترجمة عمرو بن سفيان العوفي.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها هشام بن عبد الملك، ومطلعها: (الحمْدُ لِلَّهِ الوَهَّابِ المَجْزَلِ أَعْطَى فَلَمْ يَبْحَلْ وَلَمْ يُبْحَلْ).

^٣ قبيلة بنت مخزومة العنبرية، سبق حديثها.

ومثله حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ وَوَصَفَ خِصْبَ بِلَادِهِ فَقَالَ: لَا يُقَامُ مَا تَحْمُهَا، وَلَا يَحْسُرُ صَاحِبُهَا، وَلَا يَعْرُبُ سَارِحُهَا.

فَالصَّابِحُ الَّذِي يَصْبِحُ الْإِبِلَ، أَيْ يَسْقِيهَا صَبَاحًا، يَقُولُ: لَا يَغِيَا فِي سَفْيِهَا وَلَا يَشْتُقُّ عَلَيْهِ ذَلِكَ لِأَنَّ سَفْيَهَا تَشْرِيعٌ لَيْسَ بِنَزْعٍ وَلَا مَتَحٍ.

وقوله: لَا يَعْرُبُ سَارِحُهَا: فَالسَّارِحُ مِنَ النَّعَمِ مَا سَرَحَ، أَيْ رَعَى، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ فِي طَلَبِ الْمَرْعَى، وَأَنْشَدَ سَلْمَةُ صَاحِبُ الْفَرَاءِ قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ الْأَصْمَعِيِّ^١:

إِنَّكَ يَا عَمْرُو وَتَرَكَ النَّدَى كَالْعَبْدِ إِذْ قَيَّدَ
أَجْمَالَهُ^٢

يقول: لِأَنَّهُ إِذَا وَجَدَ مَوْضِعَ الْكَلَاءِ وَالْخِصْبِ ثَبَتَ بِهِ وَلَمْ يَجَاوِزْهُ فَكَأَنَّهُ قَيَّدَهَا. وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ:

^١ وهو لابن زبابة التيمي: عمرو بن الحارث بن همام من بني تيم الله بن ثعلبة، وقيل اسمه سلمة بن ذهل، شاعر جاهلي. والزبابة فأرة من فخران الحرة. أورد له أبو تمام قصيدة يرد بها على الحارث.

^٢ من مقطوعة أوردتها المبرد في الكامل، ومطلعها: (مَا لِدِدٍ مَا لِدِدٍ مَا لَهُ ... يِكِي وَقَدْ أَنْعَمْتَ مَا بَالَهُ). وَمَعْنَى الشاهد: مَتَى تَتْرَكَ الْعَزْوُ كُنْتَ مِثْلَ الْعَبْدِ إِذَا شَبِعَتْ إِبِلُهُ فَأَرَا حَهَا وَقَيْدَهَا فِي مَرَا حَهَا لَمْ يَبْقَ لَهُ هَمٌّ حِينَئِذٍ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَيَّدَ جَمَالَ سَيِّدِهِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ أَتَمَّ وَاجِبَهُ كُلَّهُ فَيَلْفِ رَأْسَهُ وَيَنَامُ.

حَلِيلِيَّ بِالْبُوبَةِ^١ عُوجًا فَلَا أَرَى بِهَا مَنَزَلًا إِلَّا جَدِيدَ الْمُقَيَّدِ
 وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: الْعَرَبُ تَقُولُ فِي صِفَةِ الْكَلَاءِ: كَأَلُّ الْحَابِسِ
 فِيهِ كَالْمُقِيمِ، وَكَأَلُّ الْمُقِيمِ فِيهِ كَالْمَسَافِرِ.
 وَقَوْلُهُ: يَأْكُلُ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ، فَإِنَّهُ يَصِفُهُ بِالسَّنَقِ^٢ وَالْإِمْتِلَاءِ، يَقُولُ إِنَّهُ
 يَسْتَطِرْفُ وَيَتَعَلَّلُ بِمَا طَابَ مِنْ فُرُوعِ الشَّجَرِ.
 - فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا صَفْرَ^٣، وَلَا عُولَ، وَلَكِنَّ
 السَّعَالِيَّ"^٤.

السَّعَالِي: سَحْرَةُ الْجِنِّ، جَمْعُ سِعْلَاةٍ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْعُولَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعُولَ
 أَحَدًا أَوْ تُضِلَّهُ، وَلَكِنْ فِي الْجِنِّ سَحْرَةٌ كَسَحْرَةِ الْإِنْسِ لَهُمْ تَلْبِيسٌ وَتَحْيِيلٌ.
 وَمِثْلُهُ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ قَالَ: إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَبِرَ عَنِ
 حَلْقِ اللَّهِ وَلَكِنَّهُمْ سَحْرَةٌ كَسَحَرْتِكُمْ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَذِّنُوا بِالصَّلَاةِ.

^١ البوابة: صحراء بتهامة وهي بلاد سعد بن بكر.

^٢ السنق: التخمعة.

^٣ لا صفر: هو الشهر المعروف، وكان بعض أهل الجاهلية يتشاءمون به؛ فأبطل النبي ﷺ ذلك،
 وأوضح ﷺ أنه كسائر الشهور ليس فيه ما يوجب التشاؤم.

^٤ أخرج البخاري في كتاب الطب، ومسلم في كتاب السلام بعض ألفاظه، وليس عندهما ذكر
 السعالي.

وقد تُشبهه المرأةُ المنكرةُ الخلقُ بالسَّعلاةِ، قالَ الشاعرُ^١:

لَقَدْ رَأَيْتُ عَجَبًا مُدَّ أَمْسًا عَجَائِزًا مِثْلَ السَّعَالِي حَمْسًا

وقال الأَعشى^٢:

وَشَيْوخٍ صَرَعَى بِشَطِيٍّ أَرِيكِ وَنِسَاءٍ كَأَهْنِ السَّعَالِي

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ مِنْ جَرَاءِ هِرَّةٍ لَمْ تُطْعَمْهَا حَتَّى مَاتَتْ هُرْلًا"^٣.

قوله: مِنْ جَرَاءِ هِرَّةٍ، يُرِيدُ مِنْ أَجْلِ هِرَّةٍ، أَوْ سَبَبِ هِرَّةٍ، قَالَ أَبُو النَّجْمِ^٤:

فَاضَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ مِنْ جَرَّاهَا وَاهَا لَرِيًّا ثُمَّ وَاهَا وَاهَا

وَيُقَالُ: فَعَلْتُ ذَاكَ مِنْ أَجْلِكَ وَمِنْ جَرِيرِكَ وَمِنْ جَرَّكَ. وَكَلَامُ الْعَامَّةِ: فَعَلْتُ ذَاكَ مَجْرَّكَ، وَهُوَ غَلَطٌ، وَالصَّوَابُ: مِنْ جَرَّكَ. وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يُقَالُ: فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلَاكَ وَمِنْ إِجْلَاكَ وَمِنْ جَلَالِكَ.

^١ لم أتوصل لاسم الراجز، وبعد هذا الشاهد في كتب النحو: (يَأْكُلْنَ مَا فِي رَحْلِهِنَّ هَمْسًا لَا تَرَكَ اللَّهُ هُنَّ ضُرْسًا وَلَا لَقِينِ الدَّهْرَ إِلَّا تَعْسًا).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي).

^٣ أخرجه مسلم وأحمد في مسنده وعبد الرزاق في المصنف.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عين شوقها استبكاها في رسم دار لبست بلاها).

ورواه عن الفراء عن الكسائي، وفيه لغة أخرى: فعَلْتُهُ مِنْ جَلَلِكِ، قَالَ الشاعر^١:

رَسْمٌ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَفْضِي الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ

وقد يكون "جَرَى" بمعنى الجريرة، كقول الحارث بن حلزة^٢:

أَمْ عَلَيْنَا جَرَى حَنِيفَةَ أَمْ مَا جَمَعَتْ مِنْ مُحَارِبِ عَبْرَاءُ

يُرِيدُ جَرِيْرَةَ حَنِيفَةَ.

فعلى هذا قد يجوز أن يكون المراد أنها دخلت النار بجريرتها على هرة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ فِي سَفَرٍ، فَرَفَعَ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ صَوْتَهُ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ }، فَتَأَشَّبَ أَصْحَابُهُ حَوْلَهُ وَأَبْلَسُوا حَتَّى مَا أَوْضَحُوا بِضَاحِكَةٍ^٣.

قَوْلُهُ: تَأَشَّبَ أَصْحَابُهُ، أَي اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَأَحَاطُوا بِهِ، وَمِنْهُ الْأَشَابَةُ، وَهِيَ أَخْلَاطُ النَّاسِ الْمُجْتَمِعُونَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَأَوْبٍ. وَأَرَاهَا أُخِذَتْ مِنَ الْأَشْبِ،

^١ هو جميل بن معمر العذري، وهو في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (موجشاً ما ترى به أحداً تنتسجُ الريحُ ثربَ مُعتدله).

^٢ في ديوانه من معلقته الشهيرة: (أَدْنَتْنا بَيْنَها أَسْماءُ رَبِّنا وَبَيْنَنا مِنْهُ النَّوَاءُ).

^٣ أخرجه أحمد والترمذي والنسائي.

وهو اجتماع الشجر في مكان واحد والتفافها، وقوله: أبلسوا، معناه سكتوا، والمبلس: الساكت من الحزن، قال العجاج^١:

يا صاح هل تعرفُ رُؤبًا مُكرسًا قال نعم أعرفُه وأبلسا

أي سكت. وقال رؤبة^٢:

وفي الوجوه صُفرةٌ وإِبلاسٌ

أي كآبةٌ وحزنٌ.

وقوله: ما أوضحوا بضاحكةٍ، فإنها واحدة الضواحك، وهي أربعة، وسميت ضواحك لأنها تظهر عند الضحك، ويُقال لواحدها: ضاحكٌ، بغير هاء، وأكثر أهل اللغة على تذكيره. قال أبو زيد: للإنسان أربع ثنايا، وأربع رباعيات، وأربعة أنياب، وأربعة ضواحك، واثننا عشرة رحًا: ثلاث في كل شقٍ، وأربعة نواجذ، وهي أقصاها.

وأخبرني أبو عمر عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الأسنان تُوثَّ والأضراسُ تُذكَّرُ، وأنشد:

^١ في ديوانه وهو مطلع القصيدة.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها هريم بن أبي طحمة، ومطلعها: (يا صاح هاجتكَ الديار الأكراسُ على هوى في النفس منه وسواس).

وسِرْبٍ مِلاَحٍ قَدْ رَأَيْتُ وَجُوهَهُ
إِنَاثٌ أَدَانِيهِ ذُكُورٌ
أَوَاخِرُهُ^١

قَالَ: وَالسِّرْبُ: ثَغْرُ الجَارِيَةِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنَ الكِبَرِ الجَنَّةَ"، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَتَجَمَّلَ بِجِلَازِ سَوَاطِي وَشِسْعِ نَعْلِي، فَقَالَ النَّبِيُّ: "إِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الكِبَرِ إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ إِنَّ الكِبَرَ مَنْ سَفِهَ الحَقَّ وَغَمِصَ النَّاسَ"^٢.

قَالَ يَحْيَى: جِلَانُ السَّوْطِ، بِالتُّونِ، وَهُوَ غَلَطٌ، إِنَّمَا هُوَ جِلَازُ السَّوْطِ، بِالزَّايِ، وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يُشَدُّ فِي طَرَفِهِ.

قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ: جِلْزُ السَّوْطِ: مَقْبِضُهُ، وَمِنْهُ اشْتَقَّ أَبُو مَجَلَزٍ. وَيُقَالُ: جَلَزْتُ القَوْسَ: إِذَا لَوَيْتَ عَلَيْهَا عَقَبًا، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: إِنَّهُ لَمَجْلُوزُ الخَلْقِ، إِذَا كَانَ مَفْتُولًا، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ يَصِفُ نَاقَةً^٣:

^١ سرب ملاح: يعني الثغر. وإنات أدانيه: يعني الثببين والنابين والناجدين مؤنثان، وما خلف ذلك مذكر.

^٢ رواه مسلم بالفاظ قريبة.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أداراً بحزوى هجت للعين عبرةً فمأء الهوى يرفض أو يترقق).

وحاذانٍ مجلُوزٌ على نَقَوِيهِمَا بَضِيعٌ كَمَكْنُوزِ الثَّرَى حِينَ
تُخْنَقُ^١

أي حين تَضُمُّر.

والمُخْنَقُ: الضَّامِرُ، والمَجْلُوزُ: المَطْوِيُّ، يُرِيدُ أَنَّ لَحْمَ فَخْدَيْهَا صُلْبٌ، ويُقال:
جَلَزَ الرَّجُلُ، إِذَا مَرَّ مَرًّا خَفِيفًا، أَنشَدَنَا أَبُو عُمَرَ أَنشَدَنَا ثَعْلَبُ عَنِ ابْنِ
الأَعْرَابِيِّ:

يَوْمُ شَمَالٍ بَارِدُ الأَرِيْزِ أَخْرَجَ فِتِيانًا ذَوِي مَعِيْزِ

قَدْ جَلَزُوا لَوْ يَنْفَعُ التَّجْلِيْزُ^٢

الأَرِيْزُ: البَرْدُ الشَّدِيدُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ عَرَجَ أَوْ كُسِرَ أَوْ
حُسِبَ فَلْيَجِزْ مِثْلَهَا وَهُوَ حِلٌّ"^٣.

^١ حاذان: مثنى حاذ: وهو ما وقع عليه الذنب من دبر الفخذين. مجلوز: مطوي شديد عليهما اللحم. النقوان: الفخذان. البضيع: اللحم.

^٢ البيت الأخير مَثَلٌ، يقال: جَلَزْتُ السَّكِيْنَ جَلَزًا، إِذَا شَدَدْتَ مَقْبِضَهُ بِعِلْبَاءِ البَعِيرِ، وَكَذَلِكَ التَّجْلِيْزُ، أَي أَحْكَمُوا أَمْرَهُمْ لَوْ نَفَعَ الإِحْكَامُ يَعْنِي هَرَبُوا، وَلَكِنَّ القَدْرَ أَلْحَقَ بِهِمْ وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الحَذَرُ.

^٣ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد، وصحح إسناده الألباني.

قوله: فليجزِ مثلها، يريد فليقتضِ مثلها، يُقال: جَزَيْتُ فُلَانًا دِينَهُ، أي قَضَيْتُهُ. ومنه قِيلَ لِلْمُتَقَاضِي: الْمُتَجَازِي، ومنه حديثُ مُعَاذَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَتَجْزِي الْحَائِضُ الصَّلَاةَ؟ فَقَالَتْ: أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ! قَدْ حِضْنَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ أَفَأَمْرُهُنَّ أَنْ يَجْزِينَ الصَّلَاةَ؟^١ أي يَقْضِينَ. وفيه حُجَّةٌ لِمَنْ رَأَى الْمُحْرِمَ بِالْمَرَضِ مُحْضَرًا. وأخبرني العنوي عن أبي العباس ثعلب قال: يُقال: عَرَجَ الرَّجُلُ يَعْرُجُ، إِذَا صَارَ أَعْرَجًا، وَعَرَجَ يَعْرُجُ، إِذَا غَمَزَ مِنْ شَيْءٍ أَصَابَهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْأَعْمِيِّينَ وَمِنْ قِتْرَةٍ وَمَا وَلَدٌ"^٢. مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ.

يريد بالأعميين: السيل والحريق، وهما الأيهمان. وقد فسره أبو عبيدٍ.

وقِتْرَةٌ: اسْمُ إبليس، ويُقال: كُنَيْتُهُ أَبُو قِتْرَةٍ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: ابْنُ قِتْرَةٍ حَيَّةٌ خَبِيثَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا شَرِبَ مِنْ رُومَةٍ قَالَ: "هَذَا التُّفَّاحُ"^٣.

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ أخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط والهيثمي والبخاري، كلهم بإسناد ضعيف.

^٣ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، وابن سعد في الطبقات الكبرى.

النُّقَاحُ: الماء العذب، ومِئِي نُقَاحًا لَأَنَّهُ يَكْسِرُ الْعَطَشَ، وَالنَّفْحُ الْكَسْرُ، قَالَ الشاعِرُ^١:

فَإِنْ شِئْتَ حَرَمْتَ النِّسَاءَ سِوَاكُمْ وَإِنْ شِئْتَ لَمْ أَشْرَبْ نُقَاحًا وَلَا بَرْدًا
وَالْمَسْئُوسُ فِي الْعُدُوبَةِ دُونَ النِّقَاحِ، وَالْفِرَاتُ أَعَذَبُ الْعَذَبِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ مَلَأَ اللَّهُ مَسَامِعَهُ مِنَ الْآثِكِ أَوْ الْبِرَمِ"^٢. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَحَدُهُمَا الْآثِكُ، وَقَالَ: وَالْآخِرُ الْبِرَمُ.

أَمَّا الْآثِكُ فَهُوَ الْأَسْرُبُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ، وَأَمَّا الْبِرَمُ فَهُوَ الْكُحْلُ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: قَالَ الْمُفْضَلُ: الْبِرَمُ: الْكُحْلُ الْمُدَابُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ مَلَأَ اللَّهُ سَمْعَهُ مِنَ الْبِرَمِ"، هَكَذَا، قَالَ: وَالْبِرَمُ هُوَ الْبِرَمُ بَعِينَهُ، وَالْيَاءُ زَائِدَةٌ، فَأَمَّا بَيْرَمُ النَّجَّارِ، وَهُوَ الْعَتَلَةُ الْكَبِيرَةُ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ. وَالْبِرَمُ أَيْضًا تَمْرُ الطَّلْحِ، قَالَ الشاعِرُ:

جَارِيَةٌ لَمْ تَرَعْ فِينَا عَنَمَا يَوْمًا وَلَمْ تَهْتَشْشْ لِبَهُمْ بَرَمًا

^١ هو عمر بن أبي ربيعة في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السِّرِّ لَيْلَى تَلُومُنِي وَتَرَعُمُنِي ذَا مَلَّةٍ طَرْفًا جَلْدًا).

^٢ متفق عليه.

والبرم أيضاً جمع برمّة، وهي دويبة ذات أرجل تُشبه الكراش^١، يُقال: أَرْضُ بَرْمَةٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا انْفَعَرَ عَن مَالٍ لَهُ، فَأَتَتْ ابْنَةُ أَخِيهِ رَسُولَ اللَّهِ تَسْأَلُهُ الْمِيرَاثَ، فَقَالَ: "لَا شَيْءَ لَكَ، اللَّهُمَّ مَنْ مَنَعْتَ مَمْنُوعٌ"^٢.

الانْفِعَارُ: الانْقِلَاعُ مِنَ الْأَصْلِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ}، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

حَتَّى تَرَكْنَا عُبَيْدَ اللَّهِ مُنْجِدِلًا كَأَنَّهُ جِدْعٌ نَخْلٍ مَالٍ
مُنْقَعِرٌ^٣

وَفِي هَذَا حُجَّةٌ لِمَنْ لَمْ يَرَ لِذَوِي الْأَرْحَامِ مِيرَاثًا.

^١ دويبة تلسع الناس توجد في مبارك الإبل وهي ضرب من القردان، واحدته كراشة.

^٢ رواه سعيد بن منصور في سننه، باب العمة والحالة.

^٣ قال المبرد في الكامل: وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسلبرى وقتل ابن الماحوز:

ويوم سلى وسلبرى أحاط بهم ... منا صواعق ما تبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلاً ... كما تجدل جذع مال منقعر

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَوَّلَ مَا اشْتَكَى فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ اشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّى غُمِرَ عَلَيْهِ^١.

قوله: غُمِرَ عَلَيْهِ، أي أُغْمِيَ عَلَيْهِ، وهو من قولك: غمرت الشيء، إذا سترته، وغمره الماء، إذا علاه فغيبه، ومن هذا أخذ غمار الناس، ومنه قيل للرجل الملتبس الرأي: غُمِرَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبِي بَنَ كَعْبٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ فَقَالَ: "هُوَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ حِينَ يَفْرُطُ مِنْكَ، فَتَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بِنَدَامَتِكَ عِنْدَ الْحَافِرِ، ثُمَّ لَا تَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا"^٢.

قوله: عند الحافر، معناه عند مُوَاقَعَةِ الذَّنْبِ، لَا تُؤَخَّرُهَا فَتَكُونُ مُصِرًّا. قَالَ الْكِسَائِيُّ: الْعَرَبُ تَقُولُ: النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ، مَعْنَاهُ عِنْدَ أَوَّلِ كَلِمَةٍ، يُرِيدُ لَا تَبْرَحَ حَتَّى تَنْقُدَ. وَيُقَالُ: التَّقَى الْقَوْمُ فَاقْتَتَلُوا عِنْدَ الْحَافِرَةِ، أَي عِنْدَ أَوَّلِ مَا اتَّقَوْا. قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: قَوْلُهُمُ النَّقْدُ عِنْدَ الْحَافِرَةِ مَعْنَاهُ النَّقْدُ عِنْدَ السَّبْقِ. قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ الْفَرَسَ إِذَا سَبَقَ أَخَذَ الرَّهْنُ^٣. قَالَ: وَالْحَافِرَةُ الَّتِي حَفَرَ الْفَرَسُ

^١ رواه عبد الرزاق في المصنف، باب بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

^٢ رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، سورة التحريم.

^٣ وقيل: كانوا لكرامة الفرس عندهم ونفاستهم بها لا يبيعونها إلا بالنقد فقالوا: النقد عند الحافر:

أي عند بيع ذات الحافر، وسيروه مثلا .

بقوائمه، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ}، قَالَ: وَالْحَافِرَةُ الْأَرْضُ، وَالْأَصْلُ فِيهَا مَحْفُورَةٌ، فَصُرِفَتْ عَنْ مَفْعُولَةٍ إِلَى فَاعِلَةٍ، كَمَا قِيلَ مَاءٌ دَافِقٌ، أَيْ مَدْفُوقٌ، وَسِرُّ كَاتِمٌ، أَيْ مَكْتُومٌ. وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: أَتَيْتُ فُلَانًا ثُمَّ رَجَعْتُ عَلَى حَافِرَتِي، أَيْ فِي طَرِيقِي الَّذِي أَصْعَدْتُ فِيهِ. وَيُقَالُ: عَادَ فُلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، أَيْ طَرِيقَتِهِ الْأُولَى، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} أَيْ إِلَى الْأَمْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْحَيَاةِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحَافِرَةٌ عَلَى صَلَعٍ وَشَيْبٍ مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ
وَعَارٍ^١

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَفِي مَعْنَاهُ: رَجَعَ فُلَانٌ عَلَى قَرْوَاهُ، أَيْ عَلَى أَوَّلِ أَمْرِهِ. وَقَالَ سَلَمَةُ: أَحَقَفُظُ عَنِ الْقَرَاءِ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثًا قَالَ: "لَا تَرْجِعْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى قَرْوَاهَا"^٢، أَيْ عَلَى أَوَّلِ أَمْرِهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا إِلَى الْجَنِّ فَقَالَ لَهُ: "سِرْ ثَلَاثًا مَلْسًا، حَتَّى إِذَا لَمْ تَرَ شَمْسًا، فَاعْلِفْ بَعِيرًا أَوْ أَشْبِعْ نَفْسًا، حَتَّى

^١ يعني: أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبأ بعد أن شبت وصلعت؟!

^٢ انظر: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث لأبي موسى المديني.

تَأَيَّ فَتَيَاتٍ فُعَسًا، وَرَجَالًا طُلَسًا، وَنِسَاءً حُلَسًا" فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ اشْفَعْ شَوْسًا^١.

قَوْلُهُ: "مَلَسًا" يُرِيدُ سَيْرًا سَرِيعًا، يُقَالُ: مَلَسَ الرَّجُلُ فِي سِيرِهِ يَمْلَسُ مَلَسًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا صَاحِبِي ارْتَحَلَا ثُمَّ امْلَسَا لَا تَحْسِنَ لَدَى الْحُصَيْنِ مَحْبَسَا

وقال ابن الأعرابي: المَلَسُ ضربٌ من السير الرفيق. وقال بعضهم: مَلَسْتُ بِالْإِبِلِ، إِذَا سَقَيْتَهَا سَوْفًا فِي حُفْيَةٍ.

وقولُهُ: فَاعِلِفٌ بَعِيرًا أَوْ أَشْبَعُ نَفْسًا، لَمْ يُرِدْ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ دُونَ الْآخَرِ لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمَا وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ اعْلِفُ بَعِيرًا وَأَشْبَعُ نَفْسًا، وَالْأَلْفُ مُفْحَمَةٌ كَقَوْلِهِ: { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ } وَالْمَعْنَى وَيَزِيدُونَ. قَالَ النَّابِغَةُ^٢:

قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ

يُرِيدُ وَنِصْفُهُ.

وَالْقَعْسُ: نُتُوُّ الصَّدْرِ خِلْقَةً، وَالْحَدَبُ: نُتُوُّ الظَّهْرِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة.

^٢ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِنْدِ أَقَوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ).

^٣ هو الأشهب بن رميلة: الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد المدان النهشلي الدارمي التميمي: شاعر نجد، ولد في الجاهلية، وأسلم، ولم يجتمع بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وعاش إلى العصر

فَاقْعَسْ إِذَا حَدَبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعِسُوا وَوَاظِنِ الشَّرَّ مِثْقَالًا بِمِثْقَالٍ^١
وقال آخر^٢:

تَقُولُ وَصَكَّتْ صَدْرَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَا
المتقاعس^٣

الْمُتْقَاعِسُ: الَّذِي حَرَجَ صَدْرُهُ وَدَخَلَ ظَهْرُهُ، وَيُقَالُ: عِزَّةٌ قَعَسَاءٌ، أَي لَا تَضَعُ
ظَهْرَهَا إِلَى الْأَرْضِ.

وقوله: رِجَالًا طُلَسًا، فَإِنَّ الطُّلْسَةَ لَوْنٌ كَالْعُبْرَةِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلذَّبِّ أَطْلَسَ.

وقوله: "وَنِسَاءٌ حُلَسًا" يُرِيدُ شُمْرًا، وَالْحِلَاسُ: الْوَلَدُ بَيْنَ أَبْيَضٍ وَسُودَاءٍ، وَمِنْ
ذَلِكَ قِيلَ: رَجُلٌ خِلَاسِيٌّ، وَدِيكُ خِلَاسِيٌّ، وَهُوَ أَنْ يَخْرُجَ بَيْنَ جَنْسَيْنِ

الأموي، هجا غالباً والد الفرزدق فهجاه الفرزدق، وضعف الأشهب عن مجاراته، وذكره المرزباني
في من وفد على الوليد بن عبد الملك. نسبته إلى أمه (رميلة) وكانت أمةً اشتراها أبوه في الجاهلية.

^١ في ديوانه، أحد بيتين، وقبلة: (وما نفى عنك قوماً أنت خائفهم كمثل وقمك جهالاً بجْهال).

^٢ هو الهذلول بن كعب العنبري: شاعر، من أعيان الأعراب، يُظن أنه جاهلي. قال التبريزي: كان
ملكاً، نزل به ضيف، فقام إلى الرحا يطحن، فرأته زوجته فاستعظمت فعله، فقال قصيدة، منها:
(لعمر أبيك الخير، إني لخادمٌ = لضيفي، وإني إن ركبتُ لفارس) والهذلول: الرجل الخفيف.

^٣ من قصيدته في (ديوان الحماسة) وبعد هذا البيت: (فقلْتُ لَهَا لَا تَعْجَلِي وَتَبِينِي ... فعالي إذا
التفت عليَّ الفوارس).

مُتَخَلِّفَيْن، ويُقال: شَعْرُهُ مُخْلِيسٌ وَخَلِيسٌ، وقد أَحْلَسْتُ لِحِيَّتَهُ، إِذَا شَطَطَتْ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

لَمَّا رَأَيْنَ لِمَتِي خَلِيسًا رَأَيْنَ سُودًا وَرَأَيْنَ عَيْسَا

وَالشُّوسُ: الطِّوَالُ، وَالوَاحِدُ أَشُّوسٌ، قَالَ طَرْفَةُ^٢:

نُعْمَانُ لَوْ خِضْتُ الَّذِي قَدْ حَلَّ بِي لَحَلَلْتُ حِصْنًا ذَا بِنَاءٍ أَشُّوسٍ

يُرِيدُ بِنَاءً صَعْبًا مُرْتَفَعًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ عُمَرَ دَخَلَ عَلَيْهِ فَكَلَّمَهُ ثُمَّ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى تَفَقُّةِ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: عَلَى تَفَقُّةِ ذَلِكَ، مَعْنَاهُ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى؛ يُقَالُ: جِئْتُهُ عَلَى تَفَقُّةِ ذَلِكَ. وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ: جِئْتُهُ عَلَى إِقَانِ ذَلِكَ، وَإِبَانِ ذَلِكَ، وَعِدَانِ ذَلِكَ، وَأَقْفِ ذَلِكَ، وَقَالَ الْأُمَوِيُّ: أَتَيْتُهُ عَلَى حَبَالَةِ ذَلِكَ، أَي عَلَى حِينِ ذَلِكَ، وَعَلَى رُبَانِهِ، وَأَنْشَدَ^٣:

^١ هو رؤبة، في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها أبان بن الوليد البجلي، ومطلعها: (دَعَوْتُ رَبَّ الْعِزَّةِ الْفُدُوسَا دُعَاءَ مَنْ لَا يَفْرَعُ النَّافُوسَا).

^٢ لم اجده في الديوان.

^٣ هو لابن أحرر، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (قَدْ بَكَرَتْ عَادِلَتِي بُكَرَةً تَرَعُمُ أَيَّ بِالصِّبَا مُشْتَهَرًا).

وَأَمَّا الْعَيْشُ بُرْبَانِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَفْنَانِهِ مَعْصِرٌ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ"^١.

أَخْبَرَنِي ابْنُ دَاسَةَ قَالَ: سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ سُليْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ هَذَا الْحَدِيثُ مُحْتَصَرٌ وَمَعْنَاهُ: مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ فِي فَلَاةٍ يَسْتَبْطِئُ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ عَنَّا وَظُلْمًا بغيرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا، صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ.

وَقَالَ حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: سَأَلْتُ هِشَامَ بْنَ عُرْوَةَ عَنْ قَطْعِ السِّدْرِ وَهُوَ مُسْنَدٌ إِلَى قَصْرِ عُرْوَةَ فَقَالَ: تُرَى هَذِهِ الْأَبْوَابُ وَالْمَصَارِيعُ إِنَّمَا هِيَ مِنْ سِدْرِ عُرْوَةَ، وَكَانَ عُرْوَةُ يَقْطَعُهُ مِنْ أَرْضِهِ، وَقَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ.

وَسُئِلَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يُحْيَى الْمُزَيَّرِيُّ فَقَالَ: وَجْهُهُ أَنْ يَكُونَ حَرَمٌ لِلَّهِ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْهِ فَتَحَامَلَ عَلَيْهِ فَقَطَعَهُ فَيَسْتَحِقُّ مَا قَالَ؛ لَهُجُومُهُ عَلَى خِلافِ أَمْرِ اللَّهِ، فَتَكُونُ الْمَسْأَلَةُ سَبَقَتْ السَّمَاعَ فَسَمِعَ الْجَوَابَ وَلَمْ يَسْمَعْ الْمَسْأَلَةَ فَأَدَّى مَا سَمِعَ دُونَ مَا لَمْ يَسْمَعْ، وَنَظِيرُهُ مَا رَوَى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

^١ أخرجه أبو داود والبيهقي.

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا الرَّبَا فِي النَّسِيبَةِ"^١، فَسَمِعَ الْجَوَابَ وَمَمْ يَسْمَعُ الْمَسْأَلَةَ، وَقَدْ قَالَ: "لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ يَدًا بِيَدٍ"^٢.

قَالَ الْمُزَنِّي: وَالِدَلِيلُ عَلَى جَوَازِ قَطْعِ السِّدْرِ أَنَّ الْمَرْءَ أَحَقُّ بِمَالِهِ، وَلَمَّا لَمْ أَرَ أَحَدًا يَمْنَعُ مِنْ وَرَقِ السِّدْرِ، وَالْوَرَقُ مِنْ بَعْضِهَا كَالْعُضْنِ مِنْهَا، وَقَدْ سَوَّى رَسُولُ اللَّهِ فِيمَا حَرَّمَ قَطْعَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَضُدِهِ لِقَوْلِهِ فِي شَجَرِ مَكَّةَ: "لَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا"^٣، وَفِي إِجَازَةِ النَّبِيِّ أَنْ يُغَسَّلَ الْمِثْتُ بِالسِّدْرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قَطْعَهُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَاحٌ، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا لَمْ يُجْزِ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ. قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: إِنَّمَا نَهَى عَنْ قَطْعِ السِّدْرِ بِالْمَدِينَةِ لِيَكُونَ مُسْتَظَلًّا لِلنَّاسِ وَلِيَسْتَأْنِسُوا بِهِ وَلَا تَسْتَوْحِشَ عَرَصَتُهَا.

فَأَمَّا حَدِيثُ أَبِيضِ بْنِ حَمَّالٍ؛ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ مَاذَا يُحْمَى مِنَ الْأَرَاكِ؟ قَالَ: "مَا لَمْ تَنْلُهُ أَخْقَافُ الْإِبِلِ"^٤، فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدٍ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ، قَالَ: وَإِنَّمَا

^١ متفق عليه.

^٢ متفق عليه.

^٣ متفق عليه.

^٤ أَبِيضُ بْنُ حَمَّالٍ الْمَازِنِيُّ: مِنْ حَمِيرٍ، مِنَ الْأَزْدِ مَنْ كَانَ أَقَامَ بِمَأْرَبٍ مِنْ وَلَدِ عَمْرُو بْنِ عَامِرٍ. وَقَدْ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاسْتَفْطَعَهُ الْمِلْحَ فَأَقْطَعَهُ إِيَّاهُ. فَلَمَّا وَلى قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَدْرِي مَا أَقْطَعْتَهُ؟ إِنَّمَا أَقْطَعْتَهُ الْمَاءَ الْعِدَّ. فَرَجَعَ فِيهِ.

^٥ أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

هَمَى أَنْ يُحْمَى مَا نَالَتَهُ أَخْفَافُ الْإِبِلِ مِنَ الْأَرَاكِ لِأَنَّهُ مَرَعَى لَهَا فَرَأَهُ مُبَاحًا
لِابْنِ السَّبِيلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ كَلَاءٌ؛ وَالنَّاسُ شُرَكَاءُ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ، وَمَا لَمْ تَنَلْهُ
أَخْفَافُ الْإِبِلِ كَانَتْ لَمَنْ شَاءَ أَنْ يَحْمِيَهُ حِمَاهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يُبَيِّنْ مَا تَنَالَهُ أَخْفَافُ الْإِبِلِ مِمَّا
لَا تَنَالُهُ فَيُعْلَمُ مَا يَجُوزُ أَنْ يُحْمَى مِمَّا لَا يَجُوزُ حِمَاهُ، وَبَيَانُ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا ابْنُ
دَاسَةَ عَنْ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ
الْمَخْزُومِيُّ: مَا لَمْ تَنَلْهُ أَخْفَافُ الْإِبِلِ هُوَ أَنَّ الْإِبِلَ تَأْكُلُ مُنْتَهَى رُؤُوسِهَا وَيُحْمَى
مَا فَوْقَهُ.

وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِأَخْفَافِ الْإِبِلِ مَسَاطِعُهَا، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْخُفُّ:
الْجَمْلُ الْمُسْنُ، وَأَنْشَدَ:

سَأَلْتُ زَيْدًا بَعْدَ بَكْرٍ حُفًّا وَالدَّلُّوْ قَدْ تُسْمَعُ كِي تَحْفًا

أَيُّ سَأَلْتُهُ بَكْرًا مِنَ الْإِبِلِ فَلَمَّا مَنَعَهُ اقْتَصَرْتُ عَلَى حُفٍّ وَهُوَ الْمُسْنُ.

وَيُقَالُ: أَسْمَعْتُ الدَّلُّوْ، إِذَا شَدَدْتَ عَلَى أَسْفَلِهَا خِيطًا لَعَلَّهَا تَمْتَلِي مَاءً فَتَخْفُفَ
عَلَى الْمُسْتَقِيِّ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مَا قَرُبَ مِنَ الْمَرَعَى لَا يُحْمَى بَلْ يُتْرَكُ لِمَسَانِ الْإِبِلِ،
وَلَمَّا فِي مَعْنَاهَا مِنْ حَاشِيَةِ الْمَالِ^١ وَضِعَافِهَا الَّتِي لَا تَقْوَى عَلَى الْإِمْعَانِ فِي
طَلَبِ الْمَرَعَى.

^١ المال: الإبل.

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ حَدِيثُهُ الْأَخْرُ عَنْ أَبِيضَ بْنِ حَمَّالٍ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ حِمَى الْأَرَاكِ فَقَالَ: "لَا حِمَى فِي الْأَرَاكِ"، قَالَ: أَرَاكَةٌ فِي حِطَارِي، قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَا حِمَى فِي الْأَرَاكِ"^١. قَالَ فَرَجٌ: يَعْنِي بِالْحِطَارِ الْأَرْضَ الَّتِي فِيهَا الزَّرْعُ الْمُحَاطُ عَلَيْهَا، وَقَالَ اللَّيْثُ بْنُ الْمُظَفَّرِ: هُوَ الْحِطَارُ بِفَتْحِ الْحَاءِ، وَهُوَ حَائِطُ الْحِطِيرَةِ، وَيُقَالُ حَظَرَ فُلَانٌ عَلَى نَعْمِهِ حَظِيرَةً.

وَنَزَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، أَنَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَحْمَ لَهُ الْأَرَاكَةُ الَّتِي فِي حِطَارِهِ لِأَنَّهَا أَرْضٌ قَدْ كَانَ أَحْيَاهَا وَهَذَا الْأَرَاكَةُ فِيهَا؛ فَمَلَكَ الْأَرْضَ بِمَا أَحْدَثَ فِيهَا مِنَ الْعِمَارَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ صُنْعٌ فِي الْأَرَاكَةِ فَيَمْلِكُهَا فَبَقِيَتْ عَلَى أَصْلِ الْإِبَاحَةِ، وَالْأَصْلُ أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ نَفْعٌ عَاجِلٌ وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ مَرْفَقٌ لَمْ يَجْزِ حِمَاهُ وَلَا إِقْطَاعُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا أَقْطَعَهُ الْمَلَحَ الَّذِي بِمَأْرَبٍ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا أَقْطَعْتَ لَهُ الْمَاءَ الْعِدَّ رَجَعَهُ مِنْهُ^٢.

^١ أخرجه أبو داود والدارمي والطبراني، وصححه الألباني.

^٢ الماء العِدُّ، أي: الماء الدائم السهل الذي لا ينقطع ولا يحتاج إلى تعبٍ ولا مشقةٍ، وليس في جوف الأرض، فكلُّ إنسانٍ يستفيدُ منه، والمقصودُ أنَّ هذا الملحَ كثيرٌ بهذه المنطقة، ولا يحتاجُ إلى مجهودٍ لاستخراجه، وفيه منفعةٌ عامةٌ للنَّاسِ، ويأخذون منه، فرجعه منه. أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "ثَلَاثٌ يَنْقُصُ بِهِنَّ الْعَبْدُ فِي الدُّنْيَا وَيُدْرِكُ بِهِنَّ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: الرَّحْمُ وَالْحَيَاءُ وَعَيْ اللِّسَانِ"^١.

الرُّحْمُ: الرَّحْمَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَقْرَبَ رُحْمًا} أَي بَرًّا وَمَرْحَمَةً، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَحَى وَأَرْحَمُ مِنْ أُمِّ بَوَاحِدِهَا رُحْمًا وَأَشْجَعُ مِنْ ذِي لِبْدَةٍ ضَارِي

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ يَمْزُجُ بِالتَّمْرَةِ الْعَائِرَةَ فَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ أَحْذِهَا إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً^٢.

العائرة: الساقطة لا يُعرف لها مالِكٌ، يُقال: عارَ الرجلُ، إِذَا انْهَمَكَ فِي الخِلاعةِ، وَرَجُلٌ عَيَّارٌ، وَعَارَ الفرسُ عِيَارًا، إِذَا مَرَّ عَلَى وَجْهِهِ كَالْمُنْفَلتِ مِنْ صَاحِبِهِ.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الْآخَرُ أَنَّهُ قَالَ: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا تَتَّبِعُ"^٣.

واليعيرة: من اليعار، وهو صَوْتُهَا، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ شَاةٍ بَيْنَ رَيْبِضَيْنِ تَعْمُو إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً. قَالَ: وَيُقَالُ:

^١ يريد بالناقصان ما يتألم المرء بقسوة القلب ووقاحة الوجه وبسطة اللسان التي هي أضداد تلك الخصال الثلاث من الزيادة في الدنيا.

^٢ أخرجه أبو داود وأحمد، وصححه الألباني، ورواه البخاري ومسلم بألفاظ قريبة.

^٣ رواه مسلم.

عَمَّا، يَعْمُو، إِذَا خَضَعَ وَذَلَّ، وَيَدْخُلُ هَذَا الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابِ مِنَ الْوَرَعِ
وَاجْتِنَابِ الشُّبُهَاتِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ
بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ الْبَأْسُ".^١

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ
التَّيْهَانِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَقَدْ حَرَجَ أَبُو الْهَيْثَمِ يَسْتَعْدِبُ الْمَاءَ^٢، فَدَخَلُوا
فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ يَحْمِلُ الْمَاءَ قَرِيبَةً يَزْعَبُهَا، ثُمَّ رَقِيَ عَدَقًا لَهُ فَجَاءَ
بِقِنُو فِيهِ زَهُوهُ وَرُطْبُهُ، فَأَكَلُوا مِنْهُ وَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ الْحِسِيِّ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا الْهَيْثَمِ
أَلَا أَرَى لَكَ هَانِيًا! فَإِذَا جَاءَنَا السَّبْيُ أَحَدَمْنَاكَ خَادِمًا^٣.

قَوْلُهُ: يَزْعَبُهَا، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: مَرَّ يَزْعَبُ بِحَمَلِهِ، إِذَا اسْتَقَامَ بِهِ، وَأَنْشَدَ
قَوْلَ جَمِيلِ بْنِ مَعْمَرٍ^٤:

لَهُ مِنْ حَوَافِي النَّسْرِ حُمٌّ نَظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الرَّاعِيِّ فِتْيِقُ

يُرِيدُ بِالرَّاعِيِّ: مَا اعْتَدَلَ مِنَ الرِّمَاحِ وَاسْتَقَامَ.

^١ أخرجه الطبراني والترمذي وابن ماجه، بإسناد صحيح.

^٢ يأتي بالماء العذب.

^٣ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الأَطْعَمَةِ.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (وما صائبٌ من نابلٍ قدّفت به يدٌ وميرُ العقْدَتَيْنِ وثيقٌ).

وقال غيره: الرَّاعِيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى زَاعِبٍ، رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ كَانَ يَعْمَلُ الْأَسِنَّةَ.
وَالْفَتِيْقُ: الْمُحَدَّدُ.

وقوله: رَقِي عَدَقًا، يُرِيدُ نَخْلَةً، وَالْعَدَقُ بِالْفَتْحِ النَّخْلُ، وَالْعِدْقُ بِالْكَسْرِ الثَّمَرُ،
وَالْقِنُؤُ: الْعِثْكَالُ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الثَّمَرِ. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ أَحَدُ مَخْرَفَاتِي عَدَقًا
لَهُ.

وَالْمَخْرَفُ وَعَاءٌ شَبِهَ الدَّوْخَلَةَ يُجْمَعُ فِيهِ جَنِي الثَّمَرِ، فَأَمَّا الْمَخْرَفُ فَهُوَ جَنِي
النَّخْلِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ. وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَائِدُ
الْمَرِيضِ عَلَى مَخَارِفِ الْجَنَّةِ"^١. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِنَّمَا سُمِّيَ مَخْرَفًا لِأَنَّهُ يُخْتَرَفُ مِنْهُ
أَيُّ يُجْتَنَى. وَأَنْكَرَ ابْنُ قَتَيْبَةَ هَذَا التَّفْسِيرَ وَزَعَمَ أَنَّهُ غَلَطَ بَيْنَ مَنْ أَبِي عُبَيْدٍ لِأَنَّهُ
ذَكَرَ أَنَّ الْمَخْرَفَ جَنِي النَّخْلِ، وَجَنِي النَّخْلِ: زُطْبُهُ وَثَمَرُهُ، وَذَلِكَ مَخْرُوفُ النَّخْلِ،
قَالَ: وَإِنَّمَا الْمَخْرَفُ النَّخْلُ بَعَيْنِهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي طَلْحَةَ لِلنَّبِيِّ:
إِنَّ لِي مَخْرَفًا وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْعَلَهُ صَدَقَةً، أَرَادَ أَنْ لِي نَخْلًا، وَأَرَادَ أَنْ عَائِدُ الْمَرِيضِ
فِي بَسَاتِينِ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ اسْتَحَقَّهَا بِالْعِيَادَةِ فَهُوَ صَائِرٌ إِلَيْهَا.

^١ رواه مسلم.

وقول أبي عبيد صحيح، ووجهه بين واضح في مذهب اللغة. والمخرف حُرْفَةٌ التَّمْر وهو ما يُخْتَرَفُ منه كالمحرم في الحرمة، يُقال: هتَكَ فلانٌ محرماً، أي حُرْمَةً، قال حميد بن ثور^١:

فأردتُ أن أعشى إليها محرماً ولمثلها يُعشى إليها
المحرم^٢

وقد جاء هذا في حديث مرفوع عن ثوبان مولى رسول الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عاد مريضاً لم يزل في حُرْفَةِ الْجَنَّةِ" قيل يا رسول الله وما حُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قال: "جنّاهها"^٣.

والحسبي: حَفِيرَةٌ قَرِيبَةُ الْقَعْرِ، ويُقال: إنَّ الحسبي لا يكون إلا في أرضٍ أسفلها حجارة وفوقها رمل، فإذا مُطِرَتْ نَشِفَتْهُ الرمال، فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته، فإذا جاء وقت الحرّ نُبِشَ عَنْهُ الرَّمْلُ واستقي منه الماء العذب.

قوله: "لا أرى لك هانئاً"، فإنّ المشهور من هذا الحديث أنّه قال: "لا أرى لك ماهئاً"، والماهئ: الخادم، والمهنة: الخدمة، فأما الهانئ فمن قولك: هئأته،

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أبصرت ليلة منزلي بتبالة والمرء تُشهره الهوم فيسهراً). وانظر الهامش التالي.

^٢ قال محقق الديوان إن الخطابي وهم في قافية البيت، وصوابها (المحجر). انظر القصيدة (٣٦).

^٣ رواه مسلم.

أي أعطيتها، ومنه المثل "سُمِّيتَ هَانِئًا لِتَهْنَأَ" أي إنما سُدتَ لِتَحْمِلَ كُلَّ النَّاسِ وتفضل عليهم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِبَنِي الْعَنْبَرِ: "لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ضَلَالَةَ الْعَمَلِ مَا رَزَيْنَاكُمْ عِقَالًا" وَأَخَذَتْ لَامْرَأَةٍ مِنْهُمْ زَرْبِيَّةً فَأَمَرَ بِهَا فَرُدَّتْ^١.

قَوْلُهُ: ضَلَالَةُ الْعَمَلِ، هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: ضَلَّ الشَّيْءُ، إِذَا ضَاعَ وَهَلَكَ، وَمِنْهُ ضَالَّةُ الْمَالِ، وَهُوَ مَا يَضِلُّ عَنْ صَاحِبِهِ وَيَضِيعُ، وَقَدْ يَكُونُ الضَّلَالُ بِمَعْنَى الْبُطْلَانِ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} أَي بَطَلْنَا وَلِحِقْنَا بِالْتَرَابِ فَلَمْ يُوجَدْ لَنَا أَثَرٌ. قَالَ أَبُو عُمَرَ: أَصْلُ الضَّلَالِ الْغَيْبُوتَةُ، يُقَالُ: ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ إِذَا غَابَ، وَكَذَلِكَ ضَلَّ النَّاسِي، إِذَا غَابَ عَنْهُ حِفْظُهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} وَقَوْلُهُ: {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} أَي تَغِيبَ عَنْ حِفْظِهَا فَنُذِكِرُهَا الْأُخْرَى.

وَالزَّرْبِيَّةُ: الطَّنْفَسَةُ، فِي قَوْلِ الْفَرَاءِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ الْبِسَاطُ. وَرُوي فِي حَدِيثِ آخَرَ أَنَّهَا قَطِيفَةٌ أَخَذَتْ لَهَا. وَقَوْلُهُ: رَزَيْنَاكُمْ، اللُّغَةُ الْجَيِّدَةُ رَزَانَاكُمْ.

^١ رواه أبو داود في الأفضية.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ حُصَيْنَ بْنَ أَوْسٍ النَّهْشَلِيَّ أَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِأَهْلِ الْغَائِطِ يُحْسِنُوا مُحَالَطَتِي، قَالَ: فَسَمَّتْ عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ^١.

قوله: أهل الغائط، يُريدُ أهلَ الوادي الذي كان ينزله، والغائط: الوادي الواسع، قال عمرو بن معديكرب^٢:

وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى
قَلِيلِ الْأَنْسِ لَيْسَ بِهِ
كَتِيعٌ^٣

^١ رواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة.

^٢ عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو في اليمن. ثم رجع إلى الإسلام، فبعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصبي النفس، أبيها، فيه قسوة الجاهلية، يكنى أبا ثور. وأخبار شجاعته كثيرة. له شعر جيد أشهره قصيدته التي يقول فيها: (إذا لم تستطع شيئاً فدعه = وجاوزه إلى ما تستطيع) توفي على مقربة من الري. وقيل: قتل عطشاً يوم القادسية.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أمن ربحانة الداعي السميع يُورقني وأصحابي هُجوع).

يُقَالُ: ما بالدار كَتِيعٌ^١، وما بها صَافِرٌ، وما بها وَاِبِرٌ، وما بها عَرِيبٌ، وما بها شَفْرٌ، وما بها آرِمٌ، وما بها دَيَّارٌ، وما بها نَافِحٌ ضَرَمَةٌ، أي ما بها أَحَدٌ.

وَأَخْبَرَنَا ابْنُ دَاسَةَ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَنْزِلُ أَنْاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ يَكْتُمُ أَهْلُهَا وَيَكُونُ مِصْرًا مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ"^٢.

يُرِيدُ بِالْغَائِطِ: بَطْنًا مِنَ الْأَرْضِ، وَالْبَصْرَةَ ضَرْبٌ مِنَ الْحِجَارَةِ رِخْوٌ إِلَى الْبَيَاضِ. وَفِي قِصَّةِ عُتْبَةَ بِنِ غَزْوَانَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ الْمِرْبَدَ وَجَدُوا هَذَا الْكَدَّانَ^٣ فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْبَصْرَةُ؟

وقوله: سَمَّتْ عَلَيْهِ، أي دعا له بخير.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يُجَوِّفُنَا بِشَجَرَةِ الرَّقُومِ هَاتُوا الرُّبْدَ وَالتَّمْرَ وَتَزَقُّمُوا^٤.

^١ كتيع: أحد.

^٢ أخرجه أبو داود وأحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

^٣ الكدَّانُ: حِجَارَةٌ فِيهَا رِخَاوَةٌ، وَرَبَّمَا كَانَتْ نَحْرَةً.

^٤ رواه الهيثمي في غاية المقصد في زوائد المسند، وأحمد في المسند، وحسنه الألباني في كتاب الإسراء والمعراج ص ٧٦، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

التَّرْقُمُ والازْدِقَامُ: التَّسْرُطُ^١ والازْدِرَادُ، والزُّبْدُ يُزْدَرْدُ لِيَنِيهِ وَسَلَّاسَتِهِ. وكان هذا القول من عَدُوِّ الله عَلَى مَذْهَبِ المَعَارِضَةِ لِلآيَةِ.

وَرُوي أَنها لَمَّا نَزَلَتْ لَمْ تَعْرِفْ قُرَيْشُ الرُّقُومَ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ما تَنْبُتُ في بِلادِنَا فَمَنْ مِنْكُمْ يَعْرِفُ الرُّقُومَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ قَدِمَ مِنْ أَفْرِيقِيَّةٍ: إِنَّ الرُّقُومَ بِلَعَةُ أَهْلِ أَفْرِيقِيَّةٍ هُوَ الزُّبْدُ بِالتَّمَرِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يا جاريةُ هاتي لِنَا زُبْدًا وَتَمْرًا نَزِدْقِمُهُ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَتَرَقِّمُونَ وَيَقُولُونَ: أَهَذَا يُخَوِّفُنَا مُحَمَّدٌ في الآخِرَةِ؟ فَبَيَّنَ اللهُ مُرَادَهُ في آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ في أَصْلِ الجَحِيمِ طَلَعُهَا كَأَنَّهُ زُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ}.

- في حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ: لَوْ أَحَدَتْ ذَاتَ الدُّنْبِ مِنَّا بِدُنْبِهَا، قَالَ: "إِذَا أَدْعُهَا كَأَنَّهَا شَاةٌ مَعْطَاءٌ"^٢.

المَعْطَاءُ: هي التي سَقَطَ صُوفُها لِهُزَالٍ أو مَرَضٍ، يُقال: امْعَطَ الشَّعْرَ وامْمَرَطَ، إِذَا تَنَاطَرَتْ وَتَساقَطَتْ.

وَذَيْبٌ امْعَطُ: وهو الَّذِي لا شَعْرَ على جِسدِهِ.

^١ الابتلاع.

^٢ وذلك لما اعتزل النبي زوجته تسعة وعشرين يومًا. انظر: الصحيح من الأخبار المجتمع على صحته لأبي بكر الجوزقي، حديث: ألم تري إلى فلانة بنت الحكم، ومستخرج أبي عوانة، باب الخبر المبين أن الرجل إذا قال لامرأته: اختاري، أو خيرها في فراقها لم يكن ذلك طلاقًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سَمْرَةَ بْنَ جُنْدَبٍ كَانَتْ لَهُ عَضُدٌ مِنْ نَخْلٍ فِي حَائِطِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمَعَ الرَّجُلِ أَهْلُهُ، فَكَانَ سَمْرَةُ يَدْخُلُ إِلَى نَخْلِهِ فَيَشْقُقُ عَلَى الرَّجُلِ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ^١، فَأَبَى، فَأَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ^٢ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَبِيعَهُ، فَأَبَى، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُنَاقِلَهُ، فَأَبَى، قَالَ: "فَهَبْهُ لَهُ وَلَكَ كَذَا وَكَذَا" أَمْرًا أَرْعَبَهُ فِيهِ، فَأَبَى، فَقَالَ: "أَنْتَ مُضَارٌّ" يَعْنِي قَالَ لِسَمْرَةَ، وَقَالَ لِلْأَنْصَارِيِّ: "اذهب فاقلع نخله"^٣.

هَكَذَا قَالَ: عَضُدٌ مِنْ نَخْلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ عَضِيدٌ مِنْ نَخْلٍ، يُرِيدُ نَخْلًا لَمْ تَبْسُقْ وَلَمْ تَطُلْ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا صَارَ لِلنَّخْلَةِ جَذْعٌ يَتَنَاوَلُ مِنْهُ الْمُتَنَاوِلُ فَتِلْكَ النَّخْلَةُ الْعَضِيدُ، وَجَمْعُهَا عُضْدَانٌ، إِذَا فَاتَتِ الْيَدَ فِيهَا جَبَّارَةٌ، إِذَا ارْتَفَعَتْ عَنْ ذَلِكَ فَهِيَ الرَّقْلَةُ، وَجَمْعُهَا رَقْلٌ وَرِقَالٌ، وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ نَجْدِ الْعَيْدَانَةِ، إِذَا طَالَتْ مَعَ الْأَجْرَادِ فِيهَا سَحُوقٌ وَهُنَّ سَحُوقٌ، قَالَ لَبِيدٌ يَصِفُ نَخْلًا:

^١ أن يناقله: أي يبادلُه بنخيل من موضع آخر.

^٢ يعني طلب النبي من سمرة فأبى، وأنا أرتاب في أن سمرة بأبي أن يرفض طلباً للرسول رغبه فيه.

^٣ رواه أبو داود، وضعف الألباني إسناده؛ ففي سماع محمد الباقر أبي جعفر من سمرة نظر.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي قالها حين ارتحلت بنو جعفر فنزلت بلاد بني الحارث بن كعب، ولعلها تصور أساه على فراق بني جعفر للجزيرة حين خرجوا في الفتوحات الإسلامية، ومطلعها: (إِنَّمَا يَحْفَظُ التُّنَى الْأَبْرَارُ... وَإِلَى اللَّهِ يَسْتَقِرُّ الْقَرَارُ).

فَاخِرَاتٌ ضُرُوْعُهَا فِي ذُرَاهَا وَأَنَاضٌ
وَالعَيْدَانُ
وَالجَبَارُ^١

العَيْدَانَةُ: النخلة التي فاتت اليد.

والكتائل أيضاً: النخل الطَّوَالُ، أنشدني أبو عُمَرُ أنشدنا أبو العباس ثعلب:

قد أبصرتُ سَعْدَى بها كتائلي مثل الجوّاري الحُسْرِ
العَطَابِلِ^٢

وفيه من الفقه أنّه أمر بإزالة الضّرر وإن لحق المُضَارُّ فيه نقصٌ، ولم نَسْمَعْ في هذا الخبر أنّه قلع نَحْلَه، وإمّا قَالَ ذَلِكَ لِيَرِدَّعَه بِهِ عَنِ الإِضْرَارِ، كقوله: "من شَرِبَ الخمرَ فاجلِدُوهُ فَإِن عَادَ فاجلِدُوهُ" ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: "فَاقْتُلُوهُ" وهذا إِذَا عَاوَدَ شَرِبَهَا لم يُقْتَل.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي طَالِبٍ لَمَّا أَدْرَكَهُ المَوْتُ:
"قُلْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ تُصِيبُ بِهَا كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". قَالَ: يَا بَنُ أَخِي لَوْلَا رَهْبَةٌ
أَنْ تَقُولَ قُرَيْشٌ دَهْرُهُ الجَزَعُ فَيَكُونُ سُبَّةً عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِي أَبِيكَ لَفَعَلْتُ^٣.

^١ فَاخِرَاتُ: أي ممتلئات. أَنَاضُ: الطري. العِيدَانُ: النخل الطويل. والجَبَارُ: النخل القصار.

^٢ سبق ذكره. والحُسْرُ: اللاتي لا ثياب عليهن، والعَطَابِلُ: جمع عُطُول وهي الطويلة من النساء.

^٣ انظر: تاريخ دمشق لابن عساکر، والطبقات الكبرى لابن سعد.

يُقَالُ: دَهَرُهُ، أَي نَكَبَهُ الدَّهْرُ وَأَصَابَهُ بِمَكْرُوهِهِ فَجَزَعَ لَدَيْكَ، يُقَالُ: دَهَرَ فُلَانًا أَمْرًا، أَي نَزَلَ بِهِ مَكْرُوهٌ مِنْ مَكَارِهِ الدَّهْرِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُضَيِّفُونَ الْمَصَائِبَ وَالنَّوَائِبَ إِلَى الدَّهْرِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ فِرْقَتَانِ: فِرْقَةٌ لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ لَا تَعْرِفُ إِلَّا الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ مَرُّ الزَّمَانِ وَاخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اللَّذِينَ هُمَا مَحَلُّ الْحَوَادِثِ وَظَرْفُ الْمَسَاقِطِ الْأَقْدَارِ، فَتُنَسَّبُ الْمَكَارَةُ إِلَيْهِ عَلَى أَنَّهَا مِنْ فِعْلِهِ وَلَا تَرَى أَنَّ لَهُ مُدَبِّرًا وَمُصَرِّفًا، وَهَؤُلَاءِ الدَّهْرِيَّةُ الَّذِينَ حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ}، وَفِرْقَةٌ تَعْرِفُ الْخَالِقَ فَتُنَزِّهُهُ أَنْ تُنَسَّبَ إِلَيْهِ الْمَكَارَةُ فَتُضَيِّفُهَا إِلَى الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ، وَعَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ كَانُوا يَسُبُّونَ الدَّهْرَ وَيَذْمُونَهُ فَيَقُولُ الْقَائِلُ مِنْهُمْ: يَا خَبِيئَةَ الدَّهْرِ يَا بُؤْسَ الدَّهْرِ، إِلَى مَا أَشْبَهَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبْطِلًا ذَلِكَ مِنْ مَذْهَبِهِمْ: "لَا يَسُبُّنَّ أَحَدَكُمْ الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"^١، يُرِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ: لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ عَلَى أَنَّهُ الْفَاعِلُ لِهَذَا الصَّنِيعِ بِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْفَاعِلُ لَهُ، فَإِذَا سَبَبْتُمُ الَّذِي أَنْزَلَ بِكُمْ الْمَكَارَةَ رَجَعَ السَّبُّ إِلَى اللَّهِ - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - وَأَنْصَرَفَ إِلَيْهِ.

ومعنى قوله: "أنا الدهر" أي أنا مالك الدهر ومصرفه، فحذف اختصاراً لللفظ واتساعاً في المعنى، وبيان هذا في حديث أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

^١ رواه مسلم.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا الدَّهْرُ لِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أُجِدُّهُ وَأُبْلِيهِ وَأَذْهَبُ بِالْمُلُوكِ وَآتِي بِهِمْ"^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا حَيِّبَةَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ يَا حَيِّبَةَ الدَّهْرِ فإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُهُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا"^٢.

وروى عامّة النّقلة والرّواة من أهل الحديث قصّة أبي طالب هذه فقالوا: الجزع: من جَزَعَ القلق، فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَبْدِهِ: "قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لِأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ. قَالَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}^٣.

^١ رواه أحمد.

^٢ رواه مسلم.

^٣ رواه مسلم.

إلا أن أبا عمَرَ كَانَ يذكَرُ عَن أَبِي العَبَّاسِ ثَعْلَبِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ الحَرَجُ، بِمَعْنَى الضَّعْفِ والحَوَرِ، قَالَ: وَأَصْلُ الحَرَجِ اللَّيْنُ والاسْتِرْخَاءُ، قَالَ: وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ الفَاجِرَةِ حَرِيعٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

وفيهنَّ أشباهُ المَهَا رَعَتِ الفَلا نواعِمُ بيضٌ في الهوى غيرُ حُرِّعِ

أي غير فواجر.

وقال أبو عُبَيْدَةَ: إِنَّمَا سُمِّيَتِ المَرْأَةُ حَرِيعًا لِيلِينِهَا وطَاعَتِهَا. وقال أبو مالِكٍ: الحَرِيعُ الَّذِي لَيْسَ بِصُلْبٍ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَرِيعٌ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا حَوَارًا، قَالَ: وَمِنْهُ اشْتَقَّ الحِرْوَعُ؛ وذلك لِيلِينِهِ.

ويقال: رَجُلٌ دَهْرِيٌّ، إِذَا نُسِبَ إِلَى رَأْيِ الدَّهْرِيَّةِ، وَشَيْخٌ دُهْرِيٌّ، إِذَا كَانَ مُعَمَّرًا.

وأخبرني الرَّهْنِيُّ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ كَيْسَانَ عَنِ الدَّهْرِيِّ والسُّهْلِيِّ ودُخُولِ الضَّمَّةِ فِيهِمَا فَقَالَ: نَسَبُهُمَا إِلَى السُّهُولَةِ والدُّهْوَةِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مُطِرَ قَالَ: "اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا"^٢، وَيُرْوَى: "سَيِّبًا".

^١ هو كثبّر، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (خَلِيلِي عَوْجًا مِنْكُمَا سَاعَةً مَعِي عَلَى الرِّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً وَنُودِعُ). وقافيتها عين مكسورة.

^٢ رواه البخاري.

قَالَ سُفْيَانُ: حَفِظْتُهُ سَيْبًا، وَالَّذِي حَفِظُوا صَيْبًا أَجْوَدُ، وَالسَّيْبُ الْعَطَاءُ،
أَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ:

أُرْجِي نَائِلًا مِنْ سَيْبِ رَبِّ لَهُ نُعْمَى وَدَمَّتْهُ

سِجَالٌ^١

وَالذَّمَّةُ: الْبئر القليلة الماء، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: وَالسَّيْبُ مَجْرَى الْمَاءِ، وَجَمْعُهُ
سُيُوبٌ، وَقَدْ سَابَ سُيُوبًا، إِذَا جَرَى، فَأَمَّا الصَّيْبُ فَأَصْلُهُ الصَّوْبُ، مِنْ صَابَ
يَصُوبُ، يُقَالُ: صَابَ الْمَطَرُ يَصُوبُ، إِذَا نَزَلَ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

تَحَدَّرَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^٣

ومنه قوله تَعَالَى: {أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ} وَزُنْهُ فَيَعْلُ، مِنْ صَابَ يَصُوبُ،
إِذَا نَزَلَ، وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: هُوَ مِنْ صَابَ، إِذَا قَصَدَ، وَأَنْشَدَ لِبَشْرِ بْنِ أَبِي
حَازِمٍ^٤:

تَوْمِلُ أَنْ أَوْوَبَ لَهَا بِنَهْبٍ وَلَمْ تَعْلَمْ بَأَنَّ السَّهْمَ صَابَا

^١ ويروى: وذمته بالكسر، ومن روى بالفتح أراد ماء البئر قليلة وكثيره.

^٢ قيل: هو أبو وجزة يمدح عبد الله بن الزبير، وقيل هو رجل من عبد القيس يمدح النعمان.

^٣ وتماه: (فلمست بإنسي ولكن ملاً كاً... تحدر من جوّ السماء يصبوب).

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعرّف الركابا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ وَايِلَ بْنَ حُجْرٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَلِيَّ شَعْرٌ طَوِيلٌ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ: "ذُبَابٌ ذُبَابٌ" قَالَ: فَرَجَعْتُ فَجَزَرْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْعَدِ فَقَالَ: "إِنِّي لَمْ أَعْنِكَ، وَهَذَا أَحْسَنُ"^١.

سَمِعْتُ أَبَا عَمَرَ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ ثَعْلَبًا يَقُولُ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ الذُّبَابُ: الشُّؤْمُ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ ذُبَابِيٌّ، أَي مَشْؤُومٌ، وَالذُّبَابُ أَيْضًا الشَّرُّ، قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ^٢:

وليس بطارق الجيرانِ مِنِّي ذُبَابٌ لا يَنيمُ ولا ينامُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَغَارُوا عَلَى سَرِحِ^٣ رَسُولِ اللَّهِ فَذَهَبُوا بِالْعَضْبَاءِ^٤، وَأَسْرُوا امْرَأَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَوَّمُوا لَيْلَةً، فَقَامَتِ الْمَرْأَةُ^٥ فَكَانَتْ إِذَا وَضَعَتْ يَدَيْهَا عَلَى سَنَامِ بَعِيرٍ أَوْ عَجْزِهِ رَفَعَ بُعَامَهُ، حَتَّى

^١ أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وصحح إسناده الألباني في صحيح أبي داود.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (عَلَيَّ أَلِيَّةٌ عَثَقْتُ قَدِيمًا فَلَيْسَ لَهَا وَإِنْ طَلَبْتَ مَرَامًا).

^٣ سرح المدينة كانت ترعى فيه إبل الصدقة.

^٤ ناقة رسول الله.

^٥ المسلمة الأسيرة.

انْتَهَتْ إِلَى نَاقَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكْتَمَتْ بُعَامَهَا فَاسْتَوَتْ عَلَيْهَا. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى وَكَانَتْ نَاقَةً مَجْرَسَةً^١.

بُعَامُهَا: صَوْتُهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

حَسِبْتُ بُعَامَ رَاحِلِي عَنَاقًا وَمَا هِيَ وَيَبَ غَيْرِكَ

بِالْعَنَاقِ^٢

وَالْمَجْرَسَةُ: الْمَجْرَبَةُ الْمُعْتَادَةُ لِلرُّكُوبِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَانَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَدِمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: "يَا أَبَانُ كَيْفَ تَرَكْتَ أَهْلَ مَكَّةَ"؟ قَالَ: تَرَكْتُهُمْ وَقَدْ جِئِدُوا، وَتَرَكْتُ الْإِذْخِرَ وَقَدْ أَعْدَقَ، وَتَرَكْتُ الثَّمَامَ وَقَدْ حَاصَ، فَاعْرُورَفْتَ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^٣.

قَوْلُهُ: جِئِدُوا: أَي أَصَابَهُمُ الْجُودُ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ، يُقَالُ: جِئِدَ مِنَ الْمَطَرِ، جُودًا، وَجِئِدَ مِنَ الْعَطَشِ، جَوَادًا.

^١ رواه أحمد في مسنده في حديث طويل، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما: ١٩٣٦٢.

^٢ في اللسان: هو لذي الخرق الطهوي يخاطب ذئباً تبعه في طريقه، وبعده: (فلو أني رميتك من قريب لعاقك عن دعاء الذئب عاق). والعناق: الشاة.

^٣ رواه ابن الأعرابي في معجم شيوخه، باب الهاء، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

قال الشاعر^١:

وَنَصْرُكَ حَاذِلٌ عَنِّي بَطِيءٌ كَأَنَّ بَكْمَ إِلَى حَذَلِي جَوَادًا

ويقال: جَيْدٌ بَيْنُ الْجَوْدَةِ، وَجَوَادٌ بَيْنُ الْجُودِ، وَفَرَسٌ جَوَادٌ بَيْنُ الْجَوْدَةِ، وَجَادٌ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ جَوُودًا، وَيُقَالُ: حَيْدَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَجُودَةٌ، قَالَ لَبِيدٌ^٢:

وَمَجُودٌ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُتَبَدَّلِ

وقوله: خاص الثَّمَامُ، إِنَّمَا هُوَ أَحْوَصٌ، إِذَا تَمَّتْ حَوْصَتُهُ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: إِذَا مُطِرَ الْعَرْفَجُ وَلَا نَ عُدُّهُ قُلْتَ: قَدْ ثَقَّبَ عُدُّهُ، فَإِذَا اسْوَدَّ شَيْئًا قِيلَ: قَدْ قَمَلَ؛ لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ بِالْقَمَلِ، فَإِذَا زَادَ قَلِيلًا قِيلَ: أَرْقَاطٌ، فَإِذَا زَادَ قَلِيلًا قِيلَ: أَدْبَى؛ لِأَنَّهُ يَشَبَّهُ بِالذَّبَابِ، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَصْلِحُ أَنْ يُؤْكَلَ، فَإِذَا تَمَّتْ حَوْصَتُهُ قِيلَ قَدْ أَحْوَصَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِحَدِيجَةَ: "إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا سَحَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبٍ" فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ؟ قَالَ: "هُوَ بَيْتٌ مِنْ لَوْلُؤٍ مُجَبَّأَةٍ"^٣.

^١ منسوب للباهلي، ولم أجده في دوواين الباهليين.

^٢ في ديوانه من قصيدته الشهيرة التي يتحدث فيها عن مآثره ومواقفه ويأسى لفقد أخيه أريد ومطلعها: (إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا حَيْرٌ نَفَلٌ ... وَيَأْذُنُ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلٌ).

^٣ متفق عليه.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: مُجَبَّأَةٌ: مُجَوَّفَةٌ.

وهذا لا يستقيم على ما قاله ابن وهب إلا أن تجعله من المقلوب فيكون مُجَوَّبَةٌ من الجَوَّبِ، وهو القَطْعُ، قَدَّمَ البَاءَ عَلَى الواوِ، كقوله تَعَالَى: { هَارٍ } والأصل فيه هائر، وكقول الشاعر^١:

لَاثٌ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعَبْرِيُّ^٢

وإنما هُوَ لَائِثٌ، وَالْقَصْبُ قَصَبُ اللُّؤْلُؤِ، وهو ما استطال مِنْهُ في تَجْوِيفِ، وَكُلُّ مُجَوَّفٍ قَصَبٌ.

وقوله: بَيْتٌ: أَي بَقْصِرٍ، يُقَالُ: هَذَا بَيْتُ فُلَانٍ، أَي قَصْرُهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِأَوْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْلَمِيِّ^٣ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مُتَوَجِّهَانِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَحَمَلَهُمَا عَلَى جَمَلٍ

^١ هو العجاج في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (بَكَيتُ وَالْمِحْتَرِزُ الْبَكِيُّ وَإِنَّمَا يَأْتِي الصِّبَا الصَّبِيُّ).

^٢ وتمام البيت: (وَلَا يَلُوحُ نَبْتُهُ الشَّتِيُّ لَائِثٌ بِهِ الْأَشَاءُ وَالْعَبْرِيُّ).

^٣ أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُجْرٍ الْأَسْلَمِيُّ الْعَرَجِيُّ مِنْ بَنِي أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ: سَكَنَ الْبَادِيَةَ وَيَعُدُّ فِي الْحِجَازِيِّينَ.

وَبَعَثَ مَعَهُمَا دَلِيلًا وَقَالَ: اسْأَلْكَ بِهِمَا حَيْثُ تَعَلَّمُ مِنْ مَحَارِمِ الطُّرُقِ، وَكَانَ أَوْسٌ مُعْغِفًا، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَسِمَ إِبْلَهُ فِي أَعْنَاقِهَا قَيْدَ الْفَرَسِ^١.

المَحْرِمُ: مُنْقَطِعُ أَنْفِ الْجَبَلِ، وَيُجْمَعُ عَلَى الْمَحَارِمِ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ^٢:

أَرَى كُلَّ حَيٍّ مَا تَزَالُ طَلِيعَةً عَلَيْهِ الْمَنَايَا مِنْ ثَنَايَا الْمَحَارِمِ

وقال أبو كبير الهذلي^٣:

وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوَى مَحَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ^٤

وَالْمُعْغِفُ: مَنْ كَانَ إِبْلُهُ أَعْفَاً لَا سِمَةَ^٥ لَهَا، وَقَدْ فَسَّرَنَاهُ فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وقيد الفرس: سمة^٦ معروفة^٦، قَالَ الشاعِر:

^١ رواه البغوي في معجمه، حديث مالك بن أوس بن عبد الله بن حجر.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي يرثي فيها ابنين له، ومطلعها: (بفي الشامتين الصخر إن كان مسني رزيته شبلي مخدر في الصراغم).

^٣ في ديوانه في شعر الهذليين من قصيدته التي مطلعها: (ولقد سريت على الظلام بمعشم ... جلد من الفتيان غير مهبل).

^٤ الأجدل: الصقر.

^٥ السمة: العلامة.

^٦ قيد الفرس: سمة تكون في عنق البعير على صورة القيد.

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا فَيُدُّ الْقَرَسُ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَالتَّبَسُّنُ
قَالَ صَخْرٌ: وَهِيَ سِمْتُنَا الْيَوْمَ، قَالَ: وَوَصَفَهَا أَوْسٌ: حَلَقٌ حَلَقَتَيْنِ وَمَدَّ بَيْنَهُمَا
مَدًّا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَتَبَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ حِينَ صَالَحَهُمْ
إِنَّ عَلَيْهِمُ الْفَيَّ حُلَّةً، فِي كُلِّ صَفْرِ أَلْفِ حُلَّةٍ، وَفِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وَمَا
قَضَوْا مِنْ رِكَابٍ أَوْ حَيْلٍ أَوْ دُرُوعٍ أُخِذَ مِنْهُمْ بِحِسَابِ ذَلِكَ، وَعَلَى نَجْرَانَ
مَثْوَى رُسُلِي عِشْرِينَ لَيْلَةً فَمَا دُونَهَا، وَلِنَجْرَانَ وَحَاشِيَتَيْهَا ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ
عَلَى دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَلَّتِهِمْ وَتُلَّتِهِمْ وَبَيْعِهِمْ وَرَهَابِنَتِهِمْ وَأَسَافِقَتِهِمْ وَشَاهِدِهِمْ
وَعَائِبِهِمْ وَعَلَى أَنْ لَا يَغَيِّرُوا أَسْقَفًا مِنْ سَقْفَاهُ وَلَا وَاقِفًا مِنْ وَقْفَاهُ وَلَا رَاهِبًا
مِنْ رَهَابِنَتِهِ وَعَلَى أَنْ لَا يُحْشَرُوا وَلَا يُعْشَرُوا^١.

الْحُلَّةُ: ثوبان: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، وَلَا تَكُونُ حُلَّةً إِلَّا وَهِيَ جَدِيدَةٌ تُحْلَى عَنْ طَيْبِهَا
فَتَلْبَسُ.

وَالرِّكَابُ: الإِبِلُ الَّتِي تُرَكَّبُ، اسْمٌ جَمَاعَةٌ، وَلَا يُفْرَدُ مِنْ لَفْظِهِ اسْمٌ الْوَاحِدِ.
وَقَوْلُهُ: مَثْوَى رُسُلِي: أَي نَزَلَهُمْ وَمَا يَثْوِيهِمْ مَدَّةً مُقَامِهِمْ، وَالتَّوَاءُ طُولُ الْمَكْتَبِ
بِالْمَكَانِ، وَالتَّمْثْوَى: الْمَنْزِلُ.

^١ رواه ابن شبة في تاريخ المدينة.

ويقال لصاحب المنزل: أبو مثنواه، ولرَبَّة البيت: أُمُّ مَثْوَاهُ، والثَوِيُّ: الضيفُ.
 والثَّلَّةُ: الجماعةُ من الناس، والثَّلَّةُ القَطِيعُ من الغنم، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يُقَالُ
 للضَّانِ الكَثِيرَةِ: ثَلَّةٌ، وَلَا يُقَالُ لِلْمَعَزِ ثَلَّةٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لَهَا حَيْلَةٌ، إِلَّا أَنْ يَخَالَطَهَا
 الضَّانُ فَيَكْثُرُ فَيُقَالُ لَهَا ثَلَّةٌ، وَالثَّلَّةُ أَيْضًا الصَّوْفُ وَالشَّعْرُ.
 والرَّهَابِنَةُ: جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَإِنَّمَا يُجْمَعُ الرَّاهِبُ عَلَى الرَّهْبَانِ، كَمَا قِيلَ
 رَاكِبٌ وَرُكْبَانٌ، وَقَدْ يَكُونُ الرَّهْبَانُ اسْمًا لِلوَاحِدِ، أَنَشَدَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَشَدْنَا أَبُو
 الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ:

لَوْ أَبْصَرْتَ رُهْبَانَ دَيْرٍ فِي الْجَبَلِ لَانْحَدَرَ الرَّهْبَانُ يَسْعَى وَيُصَلِّ^١
 وَالْأَسَافِقَةُ جَمْعُ الْأَسْفَفِ، وَيُقَالُ إِنَّمَا سَمِّيَ أُسْفُقًا لِحُشُوعِهِ، وَالْأَسْفَفُ: الطَّوِيلُ
 الَّذِي فِيهِ انْحَاءٌ وَمِيلٌ، قَالَ بَشْرٌ^٢:

^١ يعني ويُصَلِّي.

^٢ بشر بن أبي خازم الأسدي: شاعر جاهلي فحل. من الشجعان. من أهل نجد، من بني أسد بن خزيمه. كان من خبره أنه هجا أوس بن حارثة الطائي بخمس قصائد، ثم غزا طيئاً فجرح، وأسرته بنو بنهان الطائيون، فبذل لهم أوس مئتي بعير وأخذه منهم، فكساه حلته وحمله على راحلته وأمر له بمئة ناقة وأطلقه، فانطلق لسان بشر بمدحه فقال فيه خمس قصائد محامها الخمس السالفة.

يَعْدُو بِهَا سَبَطُ الْمَنَاسِمِ أَسْفَفٌ^١

وَالسَّقِيفِيُّ: إِنْ كَانَ أَرَادَ جَمْعَ الْأَسْفَفِ فَهُوَ جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ عَلَى وَزْنِهِ مَصَادِرُ مِنَ الْكَلَامِ نَحْوُ: الْخَلِيفِيُّ وَالرِّمِّيَّ وَالْحِجِّيَّ، فَإِنْ سُلِّكَ بِهَا مَسَلُّكَ الْمَصَادِرِ كَانَ مَعْنَاهُ: لَا يُمْنَعُ أَسْفَفٌ مِنَ التَّسْفُفِ، وَلَا رَاهِبٌ مِنَ التَّرْهَبِ.

وَالوَاقِفُ: حَادِمُ الْبَيْعَةِ، وَيُقَالُ: سُمِّيَ وَاقِفًا لِأَنَّهُ وَقَفَ نَفْسَهُ عَلَى الْحِدْمَةِ وَعَكَفَهَا عَلَى الْعِبَادَةِ، وَيُقَالُ لَهُ: الْوَاهِفُ، أَيْضًا، وَرُوي فِي حَدِيثٍ آخَرَ: لَا يُعَيَّرُ وَاهِفٌ عَنُ وَهْفِيَّتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنُ وَهَافَتِهِ، وَلَا قَسِيسٌ عَنُ قَسِيسِيَّتِهِ، وَالْقَسِيسُ كَالْعَالِمِ مِنْهُمْ، وَالرَّاهِبُ الْمُتَعَبِّدُ الْمُتَقَرِّدُ، وَالْأَيْبِلُ: الْعَظِيمُ مِنَ النَّصَارَى، وَأَنْشَدَنِي ابْنُ الْفَارَسِيِّ عَنِ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ^٢:

وَمَا سَبَّحَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ أَيْبِلَ الْأَيْبِلِيِّنَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمًا^٣

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (إِنَّ الْفُوَادَ بِأَلِ كَبْشَةَ مُدَنَفُ قَطَعَ الْفَرِينَةَ عَدَوَةً مَن تَأَلَّفُ). وَالشُّطْرُ مَرُوي بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَتَمَامُهُ: (يَبْرِي لَهَا حَرْبُ الْمَشَاشِ مُصَلِّمٌ صَعَلٌ هَبَلٌ ذُو مَنَاسِفَ أَسْفَفُ).

^٢ وَهُوَ لَعَمْرُؤُا بَنُ عَبْدِ الْجَنِّ التَّنُوخِيِّ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ، خَلْفَ عَلِيٍّ مُلْكُ جَذِيمَةَ ابْنِ الْأَبْرَشِ بَعْدَ قَتْلِهِ، وَنَازَعَهُ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (ابْنُ أُخْتِ جَذِيمَةَ) فَانْتَرَعَ مِنْهُ الْمَلِكُ.

^٣ ضَمِنَ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ هِيَ:

ومثله الأَيْبَلِيُّ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

لَوْ عَرَّضْتَ لِأَيْبَلِيٍّ قَسًّا أَشَعْتَ فِي هَيْكَلِهِ مُنَدَسًّا

حَنَّ إِلَيْهَا كَحَيْنِ الطَّسِّ^٢

فَأَمَّا الْأَرِيسِيُّ فَهُوَ الْأَكَارُ أَوْ الْأَجِيرُ فِيمَا يُفَسَّرُ.

وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ قَالَ: الْأَرَارِسَةُ الرَّزَّاعُونَ، وَاحِدُهُمْ إِرِيسٌ. وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ: فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْإِرِيسِيِّينَ، يُرِيدُ الضُّعْفَاءَ وَالْأَتْبَاعَ مِنْهُمْ. وَيُقَالُ: إِنْ الْإِرِيسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْرَثُونَ أَرْضَهُمْ كَانُوا مُجُوسًا وَالرُّومُ أَهْلُ كِتَابٍ، يُرِيدُ إِنْ عَلَيْكَ مِثْلَ وَزْرِ الْمُجُوسِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنْ وَلَمْ تُصَدِّقْ.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْأَرِيسُ الْأَكَارُ، وَيُجْمَعُ عَلَى الْأَرِيسِينَ، وَقَدْ أَرَسَ يَأْرَسُ أَرَسًا، إِذَا صَارَ أَرِيسًا، وَيُقَالُ لَهُ أَيْضًا: الْإِرِيسُ، وَيُجْمَعُ عَلَى إِرِيسِينَ وَأَرَارِسَةَ.

أَمَّا وَدِمَاءٌ مَائِرَاتٍ تَخَالُهَا عَلَى فُنَّةِ الْغَزَى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا

وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ أَبْيَلُ الْأَبْيَلِينَ الْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَا

لَقَدْ هَزَّ مَنِّي عَامِرٌ يَوْمَ لَعَلَعٍ حُسَامًا إِذَا لَاقَى الضَّرِيئَةَ صَمَمَا

^١ نسبه للعجاج ولم أجده في ديوانه.

^٢ مع بيت سابق لها وهو: (جارية من آل عبد شمس).

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَتَبَ إِلَى هِرْقَلٍ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلِمًا، وَأَسْلِمِ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ اللَّجْبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ.

اللَّجْبُ: صوتٌ واختلاطٌ في مثل صَحَبَ أو شَعَبَ، يقال: عَسَكَرَ لَجِبٌ، وسحاب لَجِبٌ بالرعد والريح.

وقوله: لا يُحْشَرُوا ولا يُعْشَرُوا، أي لا يُؤْخَذُ العِشْرُ من أموالهم ولا يُكَلَّفُوا الخُرُوجَ في البعوث، وقد كان يَسْتَعِينُ بِبَعْضِ أَهْلِ الْكُفْرِ عَلَى بَعْضٍ، وَاسْتَعَانَ يَهُودٌ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفْوَانٌ^١ حُنَيْنًا وَصَفْوَانٌ مُشْرِكًا.

^١ صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي: صحابي أسلم يوم فتح مكة في السنة الثامنة، وكان سيد قبيلة بني جمح وأحد سادات قريش، وفي السيرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أجمع السير إلى هوازن ذُكِرَ له أن عند صفوان بن أمية أدرعًا وسلاحًا، فأرسل إليه - وهو يومئذ مشرك - فقال: يا أبا أمية أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدونا، فقال صفوان: أغضبًا يا محمد؟ قال: لا بل عارية مضمونة حتى نردها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح.

وهذا كحديثه الآخر في النساء: "إِهْنَّ لَا يُحْشَرْنَ وَلَا يُعْشَرْنَ" وقد ذكره ابن قُتَيْبَةَ في كتابه، وذكر عَنْ بَسَّامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ قَالَ: معناه أَهْنٌ لَا يُحْرَجْنَ في المغازي، ثُمَّ قَالَ ابن قُتَيْبَةَ: ولا وَجَهَ لِهَذَا إِذَا مَعَنَاهُ أَهْنٌ لَا يُحْشَرْنَ إِلَى الْمُصَدِّقِ لِيَأْخُذَ مِنْهُنَّ الصَّدَقَاتُ وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الصَّدَقَاتُ مِنْهُنَّ بِمَوَاضِعِهِنَّ.

ووجه الحديث ما ذهب إليه بَسَّامٌ؛ لِأَنَّ السُّنَّةَ فِي الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ رِجَالِهِمْ وَنِسَائِهِمْ أَنْ لَا يُحْشَرُوا إِلَى الْمُصَدِّقِ، وَإِنَّمَا تُؤْخَذُ صَدَقَاتُهُمْ عِنْدَ مِيَاهِهِمْ وَأَفْنِيَّتِهِمْ، فَلَمْ يَكُنْ لِتَخْصِيصِهِنَّ بِهَذَا الْحُكْمِ دُونَ غَيْرِهِنَّ مَعْنَى.

ومما يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَشْرَ يَرَادُ بِهِ الْجِهَادُ حَدِيثُهُ الْآخَرُ عَنْ عَزِيَّةَ بِنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ قَالَ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ إِذَا هُوَ الْحَشْرُ وَالنَّبِيَّةُ وَالْجِهَادُ"^٢.

يُرِيدُ بِالْحَشْرِ: الْحُرُوجَ فِي النَّفِيرِ، وَيَزِيدُهُ بَيَانًا حَدِيثٌ وَفِيهِ تَقْيِيفٌ أَنَّهُمْ اشْتَرَطُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَنْ لَا يُعْشَرُوا وَلَا يُحْشَرُوا وَلَا يُجْبُوا^٣، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

^١ عَزِيَّةُ بِنِ الْحَارِثِ الْأَنْصَارِي: صحابي من الأنصار، ومحدث من رواة الحديث وهو والد عمارة بن غزيرة، توفي سنة ٧٠ هـ.

^٢ رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في معرفة الصحابة، وسعيد بن منصور في سننه: الفرائض إلى الجهاد.

^٣ أن لا يجبوا: معناه لا يصلوا، وأصل التجبية أن يكب الإنسان على مقدمه ويرفع مؤخره.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لكم أن لا تُعَشِّرُوا ولا تُحَشِّرُوا، ولا حَيْرَ في دينٍ لَيْسَ فيه رُكُوعٌ"^١، يريدُ لا تُؤخذ منكم الصدقةُ ولا تُكَلَّفون الجهادَ.

وبيانُ هذا في حديث جابر عَن وَهْبٍ قال: سألت جابراً عن شأنِ ثَقِيفٍ فَقَالَ: اشْتَرَطْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لا صَدَقَةَ عَلَيْهَا ولا جِهَادَ وَأَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: "سَيَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا"^٢.

ويُشبهه أن يكون - والله أعلم - إنما أرخص لهم في ذلك لأن الجهاد غير محصور الوقت وإنما يتعين فرضه عند حضور العدو، وكذلك الصدقة إنما يكون وجوبها بكمال الحول، وقد علم أنهم يفعلون ذلك إذا حان وقته ولزم فرضه، فأما الصلاة فلم يُرخص لهم في تركها لأن وقتها محصور وهي تتكرر في كل يوم وليلة ولا سبيل إلى تركها بوجه، بل اللازم فعلها لا محالة في حالي الرفاهة والضرورة على حسب الطاقة والإمكان.

- في حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يقول الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ؛ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا

^١ رواه أبو داود في السنن كتاب الخراج والإمارة والفيء باب ما جاء في خبر الطائف (حديث رقم: ٣٠٢٦).

^٢ رواه أبو داود في السنن.

سأل، يَقُولُ الْعَبْدُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يَقُولُ اللَّهُ: حَمَدِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } يَقُولُ اللَّهُ: أَتَى عَلَيَّ عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: { مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } يَقُولُ اللَّهُ: مَجْدِي عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } فهذه الآية بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ الْعَبْدُ { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } فهذا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ^١.

قوله: "فَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي" معناه: قسمتُ القراءة، وسماها صلاةً لأنها رُكْنٌ من أركان الصَّلَاةِ وَجُزْءٌ من أجزائها، وَوَجْهَ الْقِسْمَةِ فِيهَا أَنَّ نِصْفَ السُّورَةِ عِبَادَةٌ وَثَنَاءٌ، وَنِصْفُهَا مَسْأَلَةٌ وَدُعَاءٌ، وَلَمْ يُرَدْ بِهِ تَفْسِيظُ الْآيِ وَالْحُرُوفِ وَتَقْسِيمِهَا قِسْمَيْنِ عَلَى السَّوَاءِ، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى انْقِسَامِ السُّورَةِ لِلْعِبَادَةِ وَالْمَسْأَلَةِ، فَتَكُونُ حَقِيقَةُ الْقِسْمَةِ بِالْمَعْنَى لَا بِاللَّفْظِ، وَهَذَا كَمَا يُقَالُ: نِصْفُ السَّنَةِ سَفَرٌ وَنِصْفُهَا حَضْرٌ، لَيْسَ عَلَى تَسَاوِي الزَّمَانَيْنِ فِيهِمَا لَكِنْ عَلَى انْقِسَامِ الزَّمَانَيْنِ لِهَمَا، وَإِنْ تَفَاوَتَ مُدَّتَاهُمَا.

^١ رواه مسلم.

وقيل لشريح: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت ونصفُ النَّاسِ عَلَيَّ غِضَابٌ، يُرِيدُ أَنَّ النَّاسَ مِنْ بَيْنِ مُحْكُومٍ لَهُ وَمُحْكُومٍ عَلَيْهِ؛ فَهُمْ حِزْبَانِ مُخْتَلِفَانِ أَحَدُهُمَا رَاضٍ عَنْهُ وَالْآخَرُ سَاخِطٌ عَلَيْهِ، وهذا كقول الشاعر^١:

إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ نِصْفَيْنِ: شَامِتٌ بِمَوْتِي وَمُثْنٍ بِالذِّي كُنْتُ أَصْنَعُ^٢

ومَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ قِسْمَةَ الْمَعَانِي لَا الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ: فَهَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ التَّلَاوُؤُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ؛ لِأَنَّ الْمَتَلُؤَ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِيهِ شَرِكٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ اسْمُ فَرَسِهِ السَّكْبَ^٣.

^١ هو العجير السلوي: العجير بن عبد الله بن عبيدة بن كعب السلوي الهوازي (٣٠ - ١٠٥ هـ): من شعراء الدولة الأموية وله أخبار مع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

^٢ الشاهد في كتب النحو (إِذَا مِتُّ كَانَ النَّاسُ صِنْفَانِ: شَامِتٌ): برواية "صنفان" بالرفع، على أنه أضرر كأنه قال: إذا متَّ كان الأمر والحديث، ثم قال: الناس صنفان: [سيبويه] ١/ ٣٦، والهمع/ ١/ ٦٧، والأشموني/ ١/ ٢٣٩].

^٣ قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: وعن الحسن قال: كان اسم فرس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السكب، ويغلتة لدل، وناقته العضباء، وحماره يعفور، وسيفه ذا الفقار، ودرعه ذات الفضول، ورايته العقاب، وقوسه العقفاء.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ فَرَسٌ سَكْبٌ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْجَرِيُّ، قَالَ أَبُو دَوَادٍ^١:

وَقَدْ أَغْدُو بِطَرْفِ هَيْدِ كَلِّ ذِي مَيْعَةٍ
سَكْبٌ^٢

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَ لِلنَّبِيِّ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ: السَّكْبُ، وَآخِرُ يُقَالُ لَهُ: اللَّحِيفُ،
وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهُ: اللَّزَّازُ.

وَفَسَّرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّهْمِيُّ رَاوِي هَذَا الْخَبْرِ عَنِ الْوَاقِدِيِّ فَقَالَ: إِنَّمَا
سُمِّيَ اللَّزَّازَ لِشِدَّةِ تَلَزُّزِهِ^٣، وَاللَّحِيفُ لِكَثْرَةِ سَابِلِهِ، يَعْنِي دَنْبَهُ، قَالَ: وَالسَّكْبُ
شُبَّهَ لَوْنُهُ بِلَوْنِ الشَّقَاقِقِ، قَالَ: وَأَنْشَدْنَا الْأَصْمَعِيُّ:

كَالسَّكْبِ الْمُحَمَّرِ فَوْقَ الرَّايِيَةِ^٤

^١ هُوَ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِي: جَارِيَةٌ بِنُ الْحِجَاجِ الْإِيَادِي، الْمَعْرُوفُ بِأَبِي دَوَادٍ: شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ. كَانَ مِنْ
وُصَّافِي الْخَيْلِ الْمَجِيدِينَ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ وَهُوَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ، وَبَعْدَهُ: (أَسِيلٌ سَلْجَمُ الْمُقْبَلِ لَا شَخْتٍ وَلَا جَأْتٍ).

^٣ تَلَزُّزُهُ: شِدَّتُهُ.

^٤ أَوْرَدَهُ الزُّبَيْدِيُّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ وَقَالَ: وَرَدَ فِي رِجْلِ قَدِيمٍ:

إِنَّ جَرِيَّ حَزْنُبَلٍ حَزَائِيَّةً

إِذَا جَلَسَتْ فَوْقَهُ نَبَا بِيَّةً

كَالسَّكْبِ الْمِحْمَرِّ فَوْقَ الرَّايِيَةِ

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَمِنْ أَفْرَاسِ النَّبِيِّ: الْمُرْتَجِزُ، سُمِّيَ مُرْتَجِزًا لِحُسْنِ صِهْيَلِهِ.
وَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَعُوا مَرَّةً فَرَكَبَ فَرَسًا كَأَنَّهُ مُقْرِفٌ، فَرَكَّضَ فِي
آثَارِهِمْ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: "وَجَدْنَاهُ بَحْرًا"^١.

وَالْبَحْرُ: الْفَرَسُ الْوَاسِعُ الْجَرِي، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ فَرَسٌ بَحْرٌ وَفَيْضٌ وَحَتْ
وَعَمْرٌ. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُرْفَةَ نَفْطُوبِهِ: مَعْنَاهُ وَجَدْنَاهُ كَثِيرَ الْجَرِيِّ لَا
يَفْنَى جَزِيئُهُ كَمَا لَا يَفْنَى مَاءُ الْبَحْرِ، وَالْإِقْرَافُ أَنْ تَكُونَ الْأُمُّ عَرَبِيَّةً وَالْفَحْلُ
هِجِينًا، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

فَإِنْ نَتَجْتَ مَهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ كَانَ إِقْرَافٌ فَمِنْ قِبَلِ الْفَحْلِ

قَالَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: كَانَ هَذَا الْفَرَسُ يُبَطِّأُ، فَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ فِيهِ هَذَا الْقَوْلَ
صَارَ سَابِقًا لَا يُلْحَقُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَعَثَ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ بْنِ أَبِي
الْأَقْلَحِ، وَحُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ فِي أَصْحَابٍ لَهُمَا إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ، فَنَفَرَتْ لَهُمْ هُدًى،

كَأَنَّ فِي دَاخِلِهِ زَلَايِمَهُ

^١ أخرجه عبد الرزاق وأحمد.

^٢ هي هند بنت التَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ، تقول لزوجها روح بن زبناح الجذامي:

وهل هندُ إلا مهرة عريية ... سلالَةُ أفراس تجلَّلها بغلٌ

فإن نتجت مهراً كريماً فبالحرى ... وإن يك إقرافٌ فأقرقه الفحلُ

فلما أحس بهم عاصمٌ لجؤوا إلى قَرَدَدٍ^١. وفي رواية أبي هريرة: فَلَمَّا آنسهم عاصمٌ لجؤوا إلى فَدَقْدٍ.

والقَرَدَدُ: رابيةٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى وَهْدَةٍ، قَالَ طَرْفَةُ^٢:

كَأَنَّ عُلُوبَ النَّسْعِ فِي دَأْيَاتِهَا مَوَارِدٌ مِنْ حَلْقَاءِ فِي ظَهْرِ قَرَدَدٍ

وقال بعضهم: القَرَدَدُ الأَرْضُ المُسْتَوِيَةُ الصُّلْبَةِ، والأوَّلُ أَصُوبٌ؛ لِأَنَّهُ لَا مَوْضِعَ لِلتَّحْصُنِ فِي الأَرْضِ المُسْتَوِيَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

مَتَى مَا تَنْزُرْنَا آخِرَ الدَّهْرِ تَلَقَّنَا بِقَرْقَرَةٍ مَلْسَاءٍ لَيْسَتْ
بِقَرَدَدٍ^٣

يريد أنهم لعزهم وشرفهم لا ينزلون الغيطان وبُطُونِ الأودية وإنما ينزلون مشارف الأرض ونجودها.

^١ رواه البخاري ومسلم، وأبو داود في سننه - كتاب الجهاد - باب في الرجل يستأسر.

^٢ في ديوانه من معلقته الشهيرة: (حَوْلَةٌ أَطْلَالٌ بِرُقَّةٍ تَهْمَدُ تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ).

^٣ أي لم تجدنا متحصنين.

وَالْقَدْفَدُ: المرتفع من الأرض، ومنه حديث ابن عمر أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ: كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ سَفَرٍ فَمَرَّ بِقَدْفِدٍ أَوْ نَشْرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا^١، قال الشاعر^٢:

قلائصُ إذا علونَ فدقدًا رَمِينِ بِالطَّرْفِ النَّجَادِ الْأَبْعَدَا

وقوله: أَنَسَهُمْ: أَبْصَرَهُمْ، يُقَالُ: أَنَسْتُ شَخْصًا مِنْ مَكَانٍ كَذَا، إِذَا رَأَيْتَهُ، وَأَنَسْتُ، لُغَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ لَهُمْ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَوْ لَيْلَةَ بَدْرٍ: "كَيْفَ تُفَاتِلُونَ؟" فَقَالُوا: إِذَا دَنَا الْقَوْمُ كَانَتْ الْمُرَاضِحَةُ، فَإِذَا دَنَوْا حَتَّى نَالُونَا وَنَلْنَاهُمْ كَانَتْ الْمُدَاعِسَةُ بِالرِّمَاحِ حَتَّى تَقْصِدَ^٣.

الْمُدَاعِسَةُ بِالرِّمَاحِ: الْمَطَاعِنَةُ بِهَا، يُقَالُ: دَعَسْتُ بِالرَّمْحِ، وَرَجُلٌ مِدْعَسٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^٤:

إِذَا هَابَ أَقْوَامٌ بَجَشَّمْتُ هَوْلَ مَا يَهَابُ حُمِيَّاهُ الْأَكْدُ الْمُدَاعِسُ

^١ رواه عبد الرزاق في مصنفه باب القول في السفر.

^٢ هو الفرزدق، في ديوانه من قصيدته وكان في سفر فضل الطريق، ومطلعها: (يا ابن ربيع هل رأيت أحدا يبقى على الأيام أو مخلدا).

^٣ رواه أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة، حديث حسين بن السائب الأنصاري.

^٤ هو أبو محلم السعدي، في ضيوف جاءوه فقام يخدمهم، فرأته امرأته فاستنكرت وقالت: (تقول وصكت وجهها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتعاس).

وقال^١:

إِذَا مَا شَدَدْنَا شِدَّةً نَصُبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرِّمَاحِ
الْمَدَاعِسَا^٢

وَالْمُرَاضِحَةَ: الرَّمْيُ بِالسَّهَامِ، يُقَالُ: تَرَضَّحَ الْقَوْمُ، إِذَا تَرَامَوْا.

وقوله: حَتَّى تَقْصِدَ، أَي حَتَّى تَكْسِرَ قِصْدًا قِصْدًا، أَي كِسْرًا كِسْرًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الْمَنِيعَةُ
تَعْدُو بِعِيسَاءَ وَتَرُوحُ بِعِيسَاءَ"^٣.

قَالَ الْحُمَيْدِيُّ^٤: الْعِيسَاءُ: الْعُسُّ الْكَبِيرُ.

^١ هو العباس بن مرداس السلمي، والحي الذين يعينهم هم بنو زيد من اليمن، فقال (فلم أر مثل الحي حيًّا مصبًّا ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا).

^٢ وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لَأَسْمَاءُ رَسْمٌ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسًا وَأَفْقَرٌ مِنْهَا رَحْرَحَانٌ فَرَاكِسَا).

^٣ رواه مسلم في الزكاة.

^٤ الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَيْسَى: الْإِمَامُ، الْحَافِظُ، الْقَيِّمُ، الْحَدِيثُ، شَيْخُ الْحَرَمِ، مَاتَ بِمَكَّةَ، سَنَةَ ٢١٩ هـ.

ولم أسمعُه إلا في هذا الحديث، والحُمَيْدِيُّ من أهل اللِّسَان، ورواه ابن المبارك فَقَالَ: تغدو برِفْد وتروح برِفْد، وكان ذَلِكَ شاهداً لقول الحُمَيْدِيِّ؛ لأن الرِفْد القَدَح الكبير.

وأول الأقداح العُمُر، وهو الذي لا يبلغ الرِّيِّ، ثُمَّ القَعْبُ، وهو قَدْرُ رِيِّ الرَّجُل، ثُمَّ القَدْحُ، وهو يُرْوِي الاثْنَيْنِ والثَّلَاثَةَ، ثُمَّ العُسُّ، يَعْبُ فِيهِ الجَمَاعَةُ، ثُمَّ الرِفْدُ، أكبرُ منه، ثُمَّ الصَّحْنُ، أكبرُ منه، ثُمَّ التَّبِيْنُ، وهو أكبرُها، ثُمَّ أكبرُ منها الجُنْبَةُ، تُعْمَل من جَنْب البعير.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ الإِيمَانَ: مَنْ عَبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ رَافِدَةٌ عَلَيْهِ كُلِّ عَامٍ، وَلَمْ يُعْطِ الهِرْمَةَ وَلَا الدَّرَنَةَ وَلَا المَرِيضَةَ وَلَا الشَّرْطَ اللَّيْمَةَ"^١.

قوله: رافدةً عليه، مِنَ الرَّفْد، وهو الإِعَانَةُ، يقال: رَفَدْتُ الرجلَ أَرَفْدُهُ رَفْدًا، والرَّفْدُ: العَطَاءُ، وَالرَّافِدَةُ أَيضًا دِعَامَةُ البِنَاءِ، وَأَخِذَتْ مِنَ الرَّفْدِ أَيضًا؛ لِأَنَّ ثَبَاتَ البِنَاءِ إِذَا كَانَ يَكُونُ بِهَا.

وَالدَّرَنَةُ: الدُّوْنُ، وَأَصْلُ الدَّرَنِ الوَسْخُ.

^١ أخرجه أبو داود وأبو نعيم في (معرفة الصحابة) والبيهقي، وصحح الألباني إسناده في صحيح

وَالشَّرْطُ: رُذَالَةُ المَالِ، كَالصَّغِيرَةِ وَالْمُسِنَّةِ وَالْأَعْجَفِ وَالدَّبْرِ وَنَحْوَهَا، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَشْرَاطُ المَالِ صِغَارُ الغَنَمِ وَشِرَارُهُ، قَالَ جَرِيرٌ^١:

وَفِي شَرِّ المِعْرَى هُنَّ مُهُورٌ^٢

وقال أبو زيد: الشَّرْطُ شِرَارُ المَالِ، وَالشَّوَى مِثْلُهُ، وَأَنْشَدَ:

أَكَلْنَا الشَّوَى حَتَّى إِذَا لَمْ نَجِدْهُ شَوَى أَشْرْنَا إِلَى حَيْرَاتِهَا بِالْأَصَابِعِ

أَحْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ أَنَا أَبُو العَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنْ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ: الشَّوَى اليَدَانِ وَالرَّجْلَانِ، وَالشَّوَى جَمْعُ شَوَاةٍ، وَهِيَ فَرْوَةُ الرَّأْسِ، وَالشَّوَى مَا عَدَا المَقْتُلَ فِي الرَّمِي، وَالشَّوَى رَدِيءُ المَالِ، وَالشَّوَى الهَيْئُ السَّهْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَعْظَمُ الصَّدَقَةِ رِبَاطُ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يُمْنَعُ كَوْمُهُ"^٣.

^١ فِي دِيوانِهِ وَقَدْ نَزَلَ بِهِ الأَعْوَرُ النَّبْهَانِيُّ ، فَأَهْدَى إِلَيْهِ جَفْنَةً مَلَأَهَا زَبْدًا، وَوَطَّبًا مِنْ لَبَنٍ وَجَفْنَةً مِنْ تَمْرٍ هَجْرٍ، وَلَكِنَّ الأَعْوَرَ أَسَاءَ الأَدَبِ وَأَخَذَ يَتَفَنَّفُ عَلَيَّ مَا أَهْدَى إِلَيْهِ، فَأَبَى جَرِيرٌ أَنْ يُعْطِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَهَجَا جَرِيرًا، فَقَالَ جَرِيرٌ يُجِيبُهُ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (عَفَا ذُو حَمَامٍ بَعَدَنَا وَحَفِيرٌ ... وَبِالسَّرِّ مَبْدَى مِنْهُمْ وَمَصِيرٌ).

^٢ وَتَمَامُهُ: (تَرَى قَرَمَ المِعْرَى مَهْوَرًا نَسَائِهِمْ ... وَفِي قَرَمِ المِعْرَى هُنَّ مُهُورٌ).

^٣ رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدِ المَهْرُوي فِي الغَرِيبِينَ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ: كَ وَ م.

كَوْمُهُ: ضِرَابُهُ، يُقُولُ: لَا يَمْنَعُهُ وَلَا يَأْخُذُ عَلَيْهِ عَسْبًا، وَيُقَالُ لِكُلِّ ذِي حَافِرٍ: قَدْ كَامَ، وَيُذَكَّرُ أَنَّ نُوحَ بْنَ جَرِيرِ بْنِ الْخَطْفِيِّ كَانَ يَقُولُ: وَمَا جَرِيرٌ؟ إِلَيَّ لِأَشْعُرَ مِنْهُ، وَاللَّهُ لِأَهْجُونَهُ، فَجَعَلَتْ أُمُّهُ تَنْهَاهُ فَلَا يَنْتَهِي، فَبَلَغَتْ جَرِيرًا فَقَالَ:

وَكَيْفَ أَهَاجِي مَنْ فَعَلْتُ بِأُمِّهِ ثَلَاثِينَ كَوْمًا فِي ثَلَاثِ لَيَالٍ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْحَيْلُ مُبَدَّآةٌ يَوْمَ الْوَرْدِ" ١.

قَالَ الْحِزَامِيُّ ٢: مَعْنَاهُ إِذَا وَرَدَتِ الْحَيْلُ وَالْإِبِلُ وَالْعَنَمُ الْمَاءَ بُدِئَ بِالْحَيْلِ فَتُسْقَى، قَالَ: وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: لَيْسَ لِلْحَيْلِ وَرْدٌ إِلَّا مَا هِيَ عَلَى الْمَاءِ تُسْقَى، وَيُقَالُ لِذَلِكَ الشُّرْبِ: رَفُهُ، وَأَنْشُدُ ٣:

١ رواه ابن ماجه في كتاب الرهون باب قسمة الماء (حديث رقم: ٢٤٨٤) بلفظ: يُبَدَّأُ بِالْحَيْلِ يَوْمَ وَرْدِهَا. وَالْمَعْنَى أَي يُبَدَّأُ بِهَا فِي السَّقْيِ قَبْلَ الْإِبِلِ وَالْعَنَمِ.

٢ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحِزَامِيُّ الْمَدِينِيُّ: إِمَامٌ ثِقَةٌ حَدَّثَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَرَوَى عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ. مَاتَ سَنَةَ ٢٣٦ هـ.

٣ هو لأبي تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازته وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. كان أسمر طويلاً، فصيحاً، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع. في شعره قوة وجزالة.

سَقَتْ رِفْهًا وَظَاهِرَةً وَغَيْبًا أَبَا بَشْرٍ أَهَاضِيبُ
الْغَمَامِ^١

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَقْصَرُ الْوَرْدِ وَأَسْرَعُ الرَّفْهِ، وَهُوَ أَنْ تَشْرَبَ الْإِبِلُ كُلَّ يَوْمٍ، فَإِذَا وَرَدَتْ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ وَيَوْمًا غُدُوَّةً فَتَلَّكَ الْعُرَيْجَاءُ، فَإِذَا وَرَدَتْ يَوْمًا وَتُرِكَتْ يَوْمًا فَذَلِكَ الْغَيْبُ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَالرَّبِيعُ وَالْخَمْسُ، ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَى الْعِشْرِ، وَلَيْسَ فِيهَا ثَلَاثٌ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَإِنْ أُرْسِلَ إِبِلُهُ عَلَى الْمَاءِ كُلَّمَا شَاءَتْ وَرَدَتْ بِلَا وَقْتٍ فَذَلِكَ الْإِرْبَاعُ، فَإِنْ رَدَّهَا عَلَى الْمَاءِ فِي الْيَوْمِ مَرَارًا فَذَلِكَ الرَّغْرَغَةُ، فَإِذَا أوردَهَا فَالسَّقِيَةُ الْأُولَى النَّهْلُ وَالثَّانِيَةُ الْعَلَلُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلرَّجُلِ: "صُمْ يَوْمًا فِي الشَّهْرِ"، قَالَ إِبْنِي أَحْمَدُ قُوَّةً، قَالَ: "فَصُمْ يَوْمَيْنِ"، قَالَ إِبْنِي أَحْمَدُ قُوَّةً قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الشَّهْرِ"، وَأَلْحَمَ عِنْدَ الثَّلَاثَةِ فَمَا كَادَ حَتَّى قَالَ: إِبْنِي أَحْمَدُ قُوَّةً وَإِبْنِي أَحْمَدُ أَنْ تَزِيدَنِي، قَالَ: "فَصُمْ الْحُرْمَ وَأَفْطِرْ"^٢.

^١ فِي دِيْوَانِهِ وَهُوَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ، يَمْدَحُ أَبَا بَشْرَ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ غَالِبٍ، وَبَعْدَهُ: (لَبَسْتُ بِهِ الصَّبَابَةَ غَيْرَ أَنِّي سَرَرْتُ بِهِ لِمَزْمَ وَالْمَقَامِ).

^٢ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

قوله: **أَلْحَمَ**: مَعْنَاهُ وَقَفَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ فَلَمْ يَزِدْهُ عَلَيْهِ، يُقَالُ: **أَلْحَمَ الرَّجُلُ** بِالْمَكَانِ، إِذَا أَقَامَ بِهِ فَلَمْ يَبْرَحْ، وَ**لَحَمَ** الرَّجُلُ: إِذَا صَارَ ذَا لَحْمٍ، وَ**لَحَمٌ**: إِذَا قُتِلَ، فَهُوَ **لَحِيمٌ**، قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جَوْيَةَ الْهَذَلِي^١:

فَقَالُوا تَرَكْنَا الْحَيَّ قَدْ حَصَرُوا بِهِ فَلَا رَبِّبَ أَنْ قَدْ كَانَ تَمَّ
لَحِيمٌ^٢

وَعَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: يُقَالُ: كَانَتْ فِي بَنِي فُلَانٍ مَلْحَمَةٌ، أَي مَقْتَلَةٌ. وَالْحُرْمُ الَّتِي أَمَرَ بِصِيَامِهَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ وَالرَّابِعُ فَرْدٌ وَهُوَ رَجَبٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ} الْآيَةَ. قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: كَيْمَ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ؟ قَالَ أَرْبَعَةٌ: ثَلَاثَةٌ سَرْدٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} فَهَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ، وَإِنَّمَا هِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ أَوْهَا عَشْرُونَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ وَالشَّهْرِ الْمُحَرَّمِ وَشَهْرَ صَفَرٍ وَشَهْرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، حَرَّمَ اللَّهُ فِيهَا قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: {فَسِيحُوا

^١ سَاعِدَةُ بِنْتُ جَوْيَةَ أَخُو بَنِي كَعْبِ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُدَيْلِ بْنِ مُدْرِكَةَ.

^٢ فِي شِعْرِهِ فِي دِيْوَانِ الْهَذَلِيِّينَ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَهَاجَكَ مَعْنَى دِمْنَةٍ وَرُسُومٌ ... لِغَيْلَةٍ مِنْهَا حَادِثٌ وَقَدِيمٌ).

فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ { وَذَلِكَ عَامَ حَجِّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ انْقَضَتْ حُرْمَتُهَا، فَأَمَّا الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ الَّتِي أُمِرَ بِصِيَامِهَا فَحُرْمَتُهَا بَاقِيَةٌ مُتَأَبَّدَةً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: "صُمْ يَوْمًا وَلَكَ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ" قَالَ: زِدْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّ بِي قُوَّةً، قَالَ: "صُمْ يَوْمَيْنِ وَلَكَ تِسْعَةٌ أَيَّامٍ". قَالَ: زِدْنِي فَإِنِّي أَحَدُ قُوَّةٍ قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَكَ ثَمَانِيَةٌ أَيَّامٍ"^١.

وتفسيره ما ذهب إليه أحمد بن حنبل، ذكره الأثرم عنه، غير أنه قال في حديثه: "صُمْ يَوْمًا وَلَكَ عَشْرَةٌ" و"صُمْ يَوْمًا وَلَكَ تِسْعَةٌ" قَالَ: "وَصُمْ يَوْمًا وَلَكَ ثَمَانِيَةٌ"، قَالَ: وَوَجْهُهُ أَنْ يُزَادَ الْعَدْدُ الثَّانِي عَلَى الْعَدَدِ الْأَوَّلِ فَيُقَالُ صُمْ يَوْمًا، وَعَقَدَ بِيَدِهِ وَاحِدًا وَلَكَ عَشْرَةٌ، وَعَقَدَ أَحَدَ عَشَرَ، ثُمَّ قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَعَقَدَ بِيَدِهِ

اثنى عَشَرَ وَلَكَ تِسْعَةٌ، فَذَلِكَ أَحَدٌ وَعِشْرُونَ، ثُمَّ قَالَ: صُمْ يَوْمًا فَذَلِكَ ائْتَانٌ وَعِشْرُونَ وَلَكَ ثَمَانِيَةٌ فَذَلِكَ ثَلَاثُونَ، مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ.
وعلى رواية عَقَان فتكون ثلاثة وثلاثين لكل يوم عشرة أيام، وذلك تأويل قوله: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَلُهَا }.

^١ رواه البخاري في باب الصوم.

فَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فَسَأَلْتُهُ عَنِ الصَّوْمِ فَقَالَ: "صُمْ يَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ"، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ يَوْمَيْنِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ"، قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَلَكَ أَجْرٌ مَا بَقِيَ"^١، فإنه يريدُ في الحديث الأول أجرَ ما بقي من العَشر، وفي الثاني أجرَ ما بقي من العَشرين، وفي الثالث أجرَ ما بقي من الشَّهر، ولا يجوز أن ينقص من الأجر إذا زاد في العمل.

فَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ مَنْ يَصُومُ يَوْمَيْنِ وَيُفْطِرُ يَوْمًا قَالَ: "ويطبق ذلك أحدٌ"؟ قَالَ: فَكَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، قَالَ: "ذَلِكَ صَوْمٌ دَاوُدَ"، قَالَ: فَكَيْفَ بِمَنْ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمَيْنِ؟ قَالَ: "وَدِدْتُ أَنِّي طُوِّقْتُ ذَلِكَ"^٢، فَوَجَّهَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ لِحَقِّ غَيْرِهِ لَا لِعَجْزِ نَفْسِهِ، وَنَرَى - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - أَنَّ الْمَانِعَ لَهُ مِنْ أَنْ يُطِيقَهُ مَا كَانَ يَلْزَمُهُ مِنْ حُقُوقِ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ يُخْلُ بِمُحَقَّقَاتِهِ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ

^١ رواه ابن حبان في صحيحه، باب صيام التطوع، والنسائي، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.

^٢ رواه مسلم.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاصِلُ بَيْنَ الْأَيَّامِ وَيَقُولُ: "إِنِّي أَبَيْتُ يُطْعَمَنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي"^١،
وقال: "لو مُدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْتُ وَصَالًا يَدْعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ"^٢.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَقُولَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ
مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَقُولَ لَا يَصُومُ مِنْهُ شَيْئًا^٣.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ خَارِجَةَ الْأَشْعَرِيَّ
قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ حَجَّةً وَكُنْتُ بَيْنَ جِرَانَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَهِيَ
تَقْصَعُ بِحَرَّتِهَا، وَلِعَامَهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتْفَيْ^٤.

الجران: مُقَدَّمُ العنق من لُدُنِ الحَيِّ البَعِيرِ إِلَى لَبْتِهِ.

^١ متفق عليه.

^٢ متفق عليه. و«المتعمقون» هم المتكلفون المشددون، أي: حَتَّى يَكُونُوا هُمُ التَّارِكِينَ لَهُ عَنِ تَعَبٍ
وَمَشَقَّةٍ لِيَتَأَكَّدُوا بِأَنْفُسِهِمْ رَفَقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِمْ لَمَّا تَحَاوَمَ عَنِ الْوِصَالِ.

^٣ أخرجه البخاري والترمذي.

^٤ عَمْرُو بْنُ خَارِجَةَ بْنِ الْمُتَنَفِقِ الْأَشْعَرِيِّ، حَلِيفُ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ: صَحَابِيُّ سَكَنَ الشَّامَ.

^٥ رواه أحمد في المسند والطبراني في الأوسط، وسعيد بن منصور في سننه باب الفرائض إلى الجهاد.

واللُّغَامُ: اللُّعَابُ، ويقال: الزَّبْدُ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ: يُقَالُ لِلزَّبْدِ: الْأَغَامُ،
وللعاب الدابة: اللُّغَامُ. وقال ابنُ الأعرابي: اللُّغَامُ الزَّبْدُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ لُغَامًا لِأَنَّهُ
يَصِيرُ عَلَى الْمَلَاغِمِ وَهُوَ مَا حَوْلَ الْفَمِ، وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ النَّمِيرِيُّ^١:

وَلَكِنْ لَعَمْرُو اللَّهِ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَعَرَّ الثَّنَايَا وَاضِحَاتِ

الملاغم^٢

يريدُ العوارضَ.

وأخبرني أبو عُمَرَ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا
الْمَكَارِمِ عَنِ قَوْمٍ فَقُلْتُ: مَا فَعَلُوا؟ سَأَرُوا أَوْ لَمْ يَسِيرُوا؟ فَقَالَ: تَلَعَّمُوا بِيَوْمِ
الْحَمِيسِ، أَيِ قَالُوا: يَوْمَ الْخَمِيسِ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَيُقَالُ تَلَعَّمْتُ بِالطَّيِّبِ، أَيِ تَغَلَّفْتُ بِهِ.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ الْآخَرُ عَنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنِ إِهْلَالِ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّا أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فَقَالَ: قَرَنَ رَسُولُ

^١ أبو حية النميري: الهيثم بن الربيع بن زرارة: شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة، من
مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما. قيل في وصفه: كان أهوج (به لوثة)
جباناً بخيلاً كذاباً، وكان له سيف ليس بينه وبين الخشب فرق، يسميه (لعاب المنية). قيل: مات
في آخر خلافة المنصور (سنة ١٥٨ هـ).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أببأك رسم المنزل المتقادِم بأفراس أقوى من حلولِ
الأصارم).

اللَّهِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: إِنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يَتَوَجَّعُ عَلَى النِّسَاءِ وَهِنَّ مَكْشَفَاتِ الرُّؤُوسِ وَأَنَا تَحْتَ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ يُصِيبُنِي لِعَامَّتِهَا أَسْمَعُهُ يُلَيِّ بِالْحَجِّ^١.

قَوْلُهُ: يَتَوَجَّعُ عَلَى النِّسَاءِ، يُرِيدُ أَنَّهُ لِيَصْغَرَهُ يَدْخُلُ عَلَيْهِنَّ فَلَا يَحْتَجِبْنَ مِنْهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا خَالَطَتِ الصَّدَقَةُ مَالًا قَطُّ إِلَّا أَهْلَكَتُهُ"^٢.

فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ هَذَا تَحْذِيرًا لِوَلَاةِ الصَّدَقَةِ أَنْ يَخْلُطُوا أَمْوَالَهُمْ بِهَا أَوْ يَرْتَفِقُوا بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ الْأَمْرَ بِتَعْجِيلِ الزَّكَاةِ وَإِخْرَاجِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا، يَقُولُ: إِذَا فَرَّطَ فِي ذَلِكَ وَتَرَكَ الصَّدَقَةَ مُخْتَلِطَةً بِمَالِهِ هَلَكَ مَالُهُ، وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الْحَمِيدِيُّ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ نُفَيْلٍ الْكِنْدِيَّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ وَوَضَعُوا السَّلَاحَ^٣.

^١ أخرجه ابن عساکر (٤٤٧/١٦).

^٢ أخرجه الحمیدي في (المسند)، والبخاري في (التاريخ الكبير)، والترمذي في (العلل الكبير).

^٣ رواه النسائي وصحح الألباني إسناده.

قوله: أذالوا الحَيْلَ، أي وضعوا الأداة عنها وأرسلوها، والأصل في الإزالة الإهانة لها وسوء القيام عليها، والمُذالُ المُهانُ، قال الأعشى^١:

أَذَلَّتْ نَفْسُكَ بَعْدَ تَكْرِمَةٍ لَهَا أَمْ كُنْتَ ذَا عَوَزٍ وَمُنْتَظِرًا غَدَا

ونحو هذا حديثه الآخر أنهم قالوا: يا رسول الله قد أجهوا الحَيْلَ^٢، وقد فسره أبو عبيد في كتابه.

- في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِيمَنْ صَامَ الدَّهْرَ: "لا صَامَ وَلَا آلَ"^٣.

قال ابن فراس: آل، على وزن عال، قال: وقال إسحاق بن راهويه قال جرير: معناه لا رجوع، والصواب آل، على وزن على، مُشَدَّدة، أو ألا، على وزن علا، مُخَفَّفة، من ألوث آلو.

ورواه حماد بن سلمة عن أبان عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد: أن النبي كان يأكل طعاماً فدعا رجلاً فقيل يا رسول الله إنه يصوم الدهر، فقال: "ما صام ولا آل" يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا، هَكَذَا قَالَ آلِي، مُشَدَّدة، قال الأصمعي: ألا

^١ في ديوانه من قصيدته لكسرى حين أراد منهم رهائن، ومطلعها: (أثوى وفَصَّرَ لَيْلَةً لِيُرَوِّدَا وَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدًا).

^٢ يعني عطلوها.

^٣ رواه إسحاق بن راهويه في مسنده.

الرَّجُلُ وَاللِّي، لُغْتَانِ، مُحَقَّفٌ وَمُشَدَّدٌ، وَذَلِكَ إِذَا قَصَّرَ وَتَرَكَ الْجُهْدَ، وَأَنْشَدَ
لِلْعِجَاجِ^١:

أَوْ عِظَةٌ إِنْ نَفْسٌ حُرٌّ بَلَّتِ أَوْ أَدْرَكْتَ بِالْجُهْدِ مَا قَدْ أَلَّتِ

وَقَدْ يَكُونُ أَلَّى بِمَعْنَى أَبْطَأَ، أَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ أَنْشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنْ
ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ^٢:

جَاءَتْ بِهِ مُرْمَدًا مَا مَلَأَ مَا بِيَّ أَلِّ حَمَّ ثُمَّ أَلَّى

يَصِفُ حُبْرَ مَلَّةٍ.

وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: سَأَلَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ^٣ عَنْ بَيْتِ الرَّبِيعِ بْنِ ضُبَيْعِ الْفَزَارِيِّ^٤:

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ أَرْجُوْزَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِإِذْنِهِ السَّمَاءُ وَأَطْمَأَنَّتِ).

^٢ يَصِفُ قِرْصًا خَبَزَتْهُ امْرَأَةٌ فَلَمْ تَنْضِجْهُ فَقَالَ: جَاءَتْ بِهِ مُرْمَدًا، أَي مَلُوْنَا بِالرَّمَادِ، مَا مَلَّ: أَي لَمْ يَمَلْ فِي الْمَلَّةِ وَهُوَ الْجُمْرُ وَالرَّمَادُ الْحَارُّ، ثُمَّ قَالَ: مَا بِيَّ أَلِّ، وَمَا زَائِدَةٌ، كَأَنَّهُ قَالَ بِيَّ أَلِّ، وَالْأَلُّ وَجْهُهُ، يُعْنِي وَجْهَ الْقِرْصِ، وَقَوْلُهُ حَمَّ أَي تَغْيِيرَ حِينَ أَلَّا، أَي حِينَ أَبْطَأَ فِي النُّضْجِ.

^٣ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ (ت ١٧٥ هـ): أَدِيبٌ وَلِغَوِيٌّ وَرَاوِيَةٌ وَمُحَدِّثٌ مِنَ الْكُوفَةِ.

^٤ الرَّبِيعُ بْنُ ضُبَيْعِ بْنِ وَهْبِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ فِزَارَةَ: كَانَ مِنَ الْخَطْبَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ، وَمِنْ فِرْسَانَ فِزَارَةَ الْمَعْدُودِينَ وَشِعْرَائِهِمْ، شَهِدَ يَوْمَ الْهَبَاءَةِ وَهُوَ ابْنُ مِائَةِ عَامٍ، وَقَاتَلَ فِي حَرْبِ دَاخِسَ وَالْغُبَرَاءِ. قِيلَ أَنَّهُ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَقَدْ كَبُرَ وَخَرَفَ، وَقِيلَ أَنَّهُ أَسْلَمَ، وَقِيلَ مَنَعَهُ قَوْمُهُ أَنْ يَسْلَمَ.

وَإِنَّ كَنَائِي لِنِسَاءِ صِدْقٍ وَمَا أَلَى بَنِي وَلَا
أَسَاؤُوا

فَقُلْتُ: أَبْطَوُوا، فَقَالَ: مَا تَدْعُ شَيْئًا.

وهذا كالحديث الآخر أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ صَامَ الدَّهْرَ فَقَالَ: "لَا صَامَ وَلَا
أَفْطَرَ"^٢.

قوله: "لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ" دُعَاءٌ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَرَادَ الْإِخْبَارَ لَقَالَ لَمْ يَصُمْ وَلَمْ يُفْطِرْ.
وقد يجوز أن يكون معناه الإخبار كقوله تَعَالَى: {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى}،
قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ^٣:

إِنْ تَعَفَّرِ اللَّهُمَّ تَعَفَّرَ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمَّا

وقال آخر^٤:

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا أَلْبِغُ بَنِيَّ بَنِي رَيْبِعٍ فَأَشْرَارُ النَّبِينِ لَكُمْ فِدَاءً).

^٢ أخرجه ابن ماجه والنسائي وأحمد، وصحح الألباني إسناده.

^٣ أمية بن أبي الصلت النقفى: شاعر جاهلي ومن رؤساء ثقيف، اشتهر بالحنيفية والتوحيد وكان من الدعاة إلى نبد الأصنام وتوحيد الإله. كما أنه أحد شعراء ثقيف وشرفائها كما كان أبوه من قبله أحد زعماء ثقيف بالطائف.

^٤ قيل هو الحارث بن العيف العبدي.

زَنَا عَلَى أَبِيهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَيَّ فِعْلٍ سَيِّئٍ لَا فَعْلَةٌ^١

وصيامُ الدهر المنهي عنه أن يسردَ الصومَ فلا يُفطرَ الأيامَ الخمسةَ المنهيَّ عن صيامها، وهي العیدان وأيامُ التَّشْرِيقِ، فأما مَنْ أَفْطَرَهَا وصامَ ما عداها من أَيَّامِ الدَّهْرِ فليس بصيامِ الدهر المنهي عنه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَيَّ فِي مَالِي شَيْءٌ إِذَا أَدَّيْتُ زَكَاتَهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَأَيْنَ مَا تَحَاوَتْ عَلَيْكَ الْفُضُولُ".

قوله: تَحَاوَتْ، وَرُتُّهُ تَفَاعَلَتْ، مِنْ حَوَيْتُ الشَّيْءَ، إِذَا جَمَعْتَهُ، يَقُولُ: إِذَا أَدَّيْتَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ فَلَا تَدْعُ أَنْ تُوَاسِيَ مِنْ فَضْلِ مَالِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَرَضًا عَلَيْكَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيْلُ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ ارْتَبَطَ فَرَسًا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ عَلْفَهُ وَرَوْتَهُ وَأَثَرَهُ وَمَسْحًا عَنْهُ وَعَارِيَّتَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَجُلٌ ارْتَبَطَ فَرَسًا لِيُعَالِقَ عَلَيْهَا أَوْ يُرَاهِنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ عَلْفَهُ وَرَوْتَهُ

^١ زعموا أن المنذر بن امرئ القيس - وهو جد النعمان بن المنذر - قال للحارث بن العيف بن عبد القيس: اهج الحارث بن جبلة، فقال له الحارث بن العيف: لا همَّ إن الحارث بن جبلة * زنا على أبيه ثم قتله * وركب الشادخة المحجلة * وكان في جاراته لا عهد له * فأمر سيئ لا فعله

وَمَسَحًا عَنْهُ وَزُرٌّ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَرَجُلٌ اِزْتَبَطَ فَرَسًا لَيْسَتْ بَطْنُهَا - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَيْسَتْ بَطْنُهَا - فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ مِنَ الْفَقْرِ^١.

قوله: ليغالق عليها، معناه يُراهن عليها، وأصله المُغالقة في الميسر، والمغلق: السهم في سهام الميسر، قال ابن قميّة^٢:

بأيديهم مفرومة ومغلقٌ يعود بأرزاق العيال
مَنيحُها^٣

وإنما كره الرّهان في الخيل إذا كان ذلك على مذهب أهل الجاهليّة، وهو أن يتسابق الرّجلان بفرسيهما من غير محلّ معهما، فيتواضعا بينهما جُعلاً يستحّفه السابق منهما، وذلك من أكل المال بالباطل، فأما إذا ترأّنا على الوجه الذي أطلقته الشريعة فما تواضعا بينهما من جُعْلٍ فهو طلقٌ حلالٌ؛

^١ رواه أحمد وابن أبي شيبة.

^٢ عمرو بن قميّة بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري الوائلي النزاري: شاعر جاهلي مقدم. نشأ يتيماً، وأقام في الحيرة مدة، وصحب حجراً (أبا امرئ القيس الشاعر) وخرج معه امرئ القيس في توجهه إلى قيصر، فمات في الطريق، فكان يقال له (الضائع) وكان واسع الخيال في شعره.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أرى جازتي خفتٌ وخفتٌ نصيحها) وحُبُّ بها لولا النوى وطموحها).

لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا سَبَقَ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: نَضْلٍ أَوْ حَافِرٍ أَوْ حُفٍّ"^١.

وَالسَّبْقُ: بَفَتْحِ الْبَاءِ، مَا يُجْعَلُ لِّلسَّابِقِ مِنَ الْجَعْلِ.

وقوله: لَيْسَتْ تَنْبِطُهَا، مَعْنَاهُ: يَتَّخِذُهَا لِنَسَلِهَا وَنِتَاجِهَا، وَالْأَصْلُ فِي الْاسْتِنْبَاطِ إِخْرَاجُ الْمَاءِ، وَالتَّنْبُطُ: الْمَاءُ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا حَفَرَ فَانْتَهَى إِلَى الْمَاءِ: قَدْ أَنْبَطَ وَاسْتَنْبَطَ، وَسُمِّيَ التَّنْبُطُ نَبْطًا لِاسْتِخْرَاجِهِمُ الْمِيَاءَ وَعِمَارَتِهِمُ الْأَرْضِينَ، ثُمَّ قِيلَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَخْرِجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ مَكُونٍ سِرٍّ أَوْ غَامِضٍ عِلْمٍ قَدْ اسْتَنْبَطَهُ. وَأَمَّا الْاسْتِنْبَاطُ فَهُوَ طَلَبُ النَّتَاجِ الَّذِي تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ بِطَوْنِهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْحَيْلُ ثَلَاثَةٌ: أَجْرٌ وَسِتْرٌ وَوِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ الْأَجْرُ فَرَجُلٌ حَبَسَ حَيْلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا سَنَّتْ لَهُ شَرْفًا إِلَّا كَانَ لَهُ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ اسْتَعَفَّ بِهَا وَرَكِبَهَا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، فَذَلِكَ الَّذِي لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ حَبَسَ حَيْلًا فَخَرًّا وَنَوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَذَلِكَ الَّذِي عَلَيْهِ الْوِزْرُ"^٢.

^١ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وصحح الألباني إسناده.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الْحَيْلُ مَعْفُودٌ
بِنَوَاصِيهَا الْحَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا
اِحْتِسَابًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ شَبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرَبِيهَا وَظَمَامَهَا وَأَرْوَانَهَا وَأَبْوَاهَا
فَلَاحُ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^١.

قوله: "حَبَسَ حَيْلًا"، اللُّغَةُ الْعَالِيَةُ أَنْ يُقَالَ: أَحْبَسَ بِالْأَلْفِ.

وَقَوْلُهُ: سَنَّتْ شَرَفًا، أَي عَدَّتْ طَلْقًا، يُقَالُ: سَنَّ الْفَرَسُ، إِذَا لَجَّ فِي عَدْوِهِ
مُقْبَلًا وَمُدْبِرًا، وَالشَّرْفُ مِنَ الْأَرْضِ مَا أَشْرَفَ لَكَ، يُقَالُ: أَشْرَفَ لِي شَرَفٌ
فَمَا زِلْتُ أَرْكُضُ حَتَّى عَلَوْتُهُ.

وَالنَّوَاءُ: مَصْدَرُ الْمَنَاوَةِ، وَهِيَ الْمُبَاهَاةُ وَالْمُبَارَاةُ، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يُقَالُ:
نَاوَأْتُ الرَّجُلَ مَنَاوَةً وَنَوَاءً، إِذَا عَادَيْتَهُ، وَأَصْلُهُ أَنَّهُ نَاءٌ إِلَيْكَ، وَنُوتَ إِلَيْهِ: أَي
نَحَضَ إِلَيْكَ وَنَحَضْتَ إِلَيْهِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

بَلَّتْ يَدَاهُ فِي النَّوَاءِ بِقَارِسٍ لَا طَائِشٍ رَعِشٍ وَلَا وَقَافٍ

^١ أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية الأشهلية: صحابية جلييلة ابنة عمه معاذ بن جبل.

^٢ أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد.

^٣ هو بشر بن أبي خازم، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّا وَبَاهِلَةٌ بَنٍ يَعْصُرُ بَيْنَنَا دَاءُ
الضَّرَائِرِ بِغَضَّةٍ وَتَفَانِي).

وَأَرَادَ بِالْفَلَّاحِ: الْأَجْرَ وَالْمَثْوِيَّةَ، وَأَصْلُ الْفَلَّاحِ الْبَقَاءُ، وَهُوَ الْفَلْحُ أَيْضًا، قَالَ الْأَعْمَشِيُّ^١:

وَلَعْنُ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا مَا لَحِيََّ يَا لَقَوْمٍ مِنْ فَلَخٍ

أَي مِنْ بَقَاءٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ رَكِبَ فَرَسًا لَهُ أُنْثَى، فَمَرَّتْ بِشَجَرَةٍ، فَطَارَ مِنْهَا طَائِرٌ، فَحَادَتْ، فَندَرَ عَنْهَا عَلَى أَرْضٍ غَلِيظَةٍ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ: فَأَتَيْنَاهُ نَسَعَى فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَعَرَضُ رُكْبَتَيْهِ وَحَرْفَقْتَيْهِ وَمَنْكَبَيْهِ وَعَرَضُ وَجْهِهِ مُنْسَحٍ بِيضٌ مَاءً أَصْفَرَ^٢.

قَالَ الْأَصْمِعِيُّ: الْحَرْفَقَتَانِ: مُجْتَمِعُ رَأْسِ الْفَخْدِ وَرَأْسِ الْوَرِكِ حَيْثُ يَلْتَقِيَانِ مِنْ ظَاهِرٍ. وَيُقَالُ لِلْمَرِيضِ إِذَا طَالَتْ ضَجَعَتُهُ: قَدْ دَبِرَتْ حَرَاقُهُ، قَالَ: وَهِيَ الْحَرَائِكِلُ أَيْضًا، وَاحِدَتُهَا حَرْكَلَةٌ.

وَقَوْلُهُ: مُنْسَحٌ، أَي مُنْقَشِرٌ، وَكُلُّ جِلْدٍ رَقِيقٍ سِحَاءٌ. وَقَوْلُهُ: بِيضٌ: مَعْنَاهُ يَنْدَى وَيَقْطُرُ، يُقَالُ: بَضٌّ بِيضٌ، إِذَا قَطُرَ، وَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ^٣:

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (مَا تَعَيْفُ الْيَوْمَ فِي الطَّيْرِ الرُّوحُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ أَوْ تَيْسِ بَرَحٍ).

^٢ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ.

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَلَا هَيْمًا مِمَّا لَقِيتُ وَهَيْمًا وَوَيْحًا لِمَنْ لَمْ أَلَقَ مِنْهُمْ وَيَحْمًا).

مُنْعَمَةٌ لَوْ يَدْرُجُ الدَّرُّ سَارِيًّا عَلَى جِلْدِهَا بَصَّتْ مَدَارِجُهَا دَمًا

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مُضِرِّ فَقَالَ: "كِنَانَةٌ جَوْهَرُهَا، وَأَسَدٌ لِسَانُهَا الْعَرَبِيُّ، وَقَيْسٌ فُرْسَانُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَلَا حِمِّ، وَتَمِيمٌ بُرْتُمَتْهَا وَجُرْتُمَتْهَا".

قوله: "بُرْتُمَتْهَا"، إنما هي البرتنة بالنون، إحدى البرائن، وهي المخالب، يُريد شوكتها وقوتها، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^١:

قَدْ ثَكَلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتَ وَاحِدَهُ وَكَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْتَنِ الْأَسَدِ

وَقَدْ تَتَعَاقَبُ الْمِيمُ وَالنُّونُ فِي مَوَاضِعَ.

والجُرْتُمَةُ: الجُرْتُومَةُ، وهي أصل الشيء ومُجْتَمَعُهُ، وقد يَجُورُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَبْدَلِ النُّونَ فِي الْبُرْتَنِ مِيمًا؛ لِيَزْدَوِجَ الْكَلَامُ وَزِنًا وَهَجَاءً، كَمَا قَالُوا: إِنَّهُ لِيَأْتِينَا بِالْعَدَايَا وَالْعَشَايَا، وَقَدْ تَوَضَّعَ النُّونَ مُقَابَلَةَ الْمِيمِ فِي الْقَوَائِي، كَقَوْلِهِ:

يَا رَبِّ جَعَدٍ فِيهِمْ لَوْ تَدْرِينِ يَضْرِبُ ضَرْبَ السَّبْطِ الْمَقَادِيمِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْفًا بِالْعَوَارِمِ أَوْ بِالْقَوَارِيرِ"^٢.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَمْسَى الْخَلَابِيْسُ قَدْ عَزَّوَا وَقَدْ كَثَرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بِيَضَةَ الْبَلَدِ).

^٢ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، بِلَفْظِ "الْقَوَارِيرِ" فَقَطْ.

العَوَازِمُ: الْمَسَانُ مِنْ الْإِبِلِ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْعَوَزِمُ النَّاقَةُ الَّتِي قَدْ أَسْنَتَتْ وَفِيهَا بَقِيَّةٌ، وَالضَّرِزِمُ مِثْلُ الْعَوَزِمِ، قَالَ: وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى الْعَوَزِمُ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

السِّنُّ مِنْ جَلْفَرِيزِ عَوَزِمٍ حَلَقِ الْعَقْلُ وَالْعَقْلُ عَقْلُ فَتَاةٍ تَمْرُثُ
الْوَدْعَةَ^٢

قَالَ الرَّاعِي^٣:

بُوزِلُ عَامٍ لَا قَلْوَصُ مُمَلَّةٌ وَلَا عَوَزِمٌ فِي السِّنِّ فَإِنْ شَبَّيْهَا

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَالْجَعْمَاءُ مِنَ النَّوْقِ: الْمَسْنَةُ.

وَالدَّرَجُ: الَّتِي قَدْ لَصِقَتْ أَسْنَانُهَا مِنَ الْكِبَرِ وَاللِّطْلُطُ مِثْلُهَا، وَالذَّلُوقُ الَّتِي قَدْ تَكَسَّرَ أَسْنَانُهَا فَتَمَجَّجَ الْمَاءَ، وَالذَّلْقِمُ الَّتِي يَنْكَسِرُ فُوهَا وَيَسِيلُ مَرْعُهَا وَهُوَ اللَّعَابُ.

^١ هُوَ أَبُو دُوَادِ الرُّؤَاسِيِّ: شَاعِرٌ إِسْلَامِيٌّ فَارِسِيٌّ، لَهُ شَعْرٌ فِي قِصَائِدٍ نَادِرَةٍ مِنْ كِتَابِ مَنْتَهَى الطَّلَبِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَهُوَ أَحَدُ بَنِي كِلَابِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قِصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (يَا أُخْتِ دَحْوَةَ بِلِ يَا أُخْتِ إِخْوَتِهِمْ مِنْ عَامِرٍ أَوْ سَلُولٍ أَوْ مِنَ الْوَقْعَةِ).

^٣ الرَّاعِي النَّمِيرِيُّ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ، بَيْتٌ مَفْرَدٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ نَسَائِي الشَّيْطَانُ شَيْئًا مِنْ صَلَاتِي فَلْيَسْبِحِ الْقَوْمُ وَلْتَصَقِقِ النِّسَاءُ"^١.

الْقَوْمُ: إِذَا أُطْلِقَ لِقِي الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: { لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ } { وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ } ومنه قول الشاعر^٢:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

يريد: أرجال أم نساء.

وَالْقَوْمُ أَيْضًا جَمْعُ قَائِمٍ: كَالصَّوْمِ جَمْعُ صَائِمٍ، وَالزُّورُ جَمْعُ زَائِرٍ، وَيَجْمَعُ الْقَائِمُ أَيْضًا عَلَى الْقَائِمَةِ، كَالْقَائِدِ عَلَى الْقَادَةِ، وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ:

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا قَائِمَةَ وَأَنْنِي سَاقٍ عَلَى السَّامَةِ

نَزَعْتُ نَزْعًا زَعَزَعَ الدَّعَامَةَ

قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: كَيْفَ تُزَعِزِعُ الدَّعَامَةَ وَلَا قَائِمَةَ هُنَاكَ؟ قَالَ: أَرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ قَوْمٌ يَسْتَقْفُونَ.

^١ رواه الدارمي في سننه.

^٢ هو زهير بن أبي سلمى، في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (غفا من آل فاطمة الجواء فقيم فالقوادم فالحساء).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ اسْمُهُ حُبَابًا، فَسَمَّاهُ رَسُولَ اللَّهِ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: "إِنَّ الْحُبَابَ اسْمُ شَيْطَانٍ"^١.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْحُبَابُ الْحَيَّةُ، وَإِنَّمَا قِيلَ: الْحُبَابُ اسْمُ شَيْطَانٍ لِأَنَّ الْحَيَّةَ يُقَالُ لَهَا شَيْطَانٌ، وَأَنْشَدَ^٢:

تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفْرٍ^٣

وقال المبرد: الحُبَابُ حَيَّةٌ بَعَيْنُهَا، وَأَنْشَدَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ يَصِفُ أَنَّهُ زَارَ عَشِيقَتَهُ^٤:

وَنَقَّضْتُ عَيْنِي الْعَيْنَ أَقْبَلْتُ مَشِيَةَ الْـ حُبَابِ وَرُكْنِي خَيْفَةَ الْقَوْمِ أَزُورُ
وأما قول الشاعر:

وَفِي الْبَقْلِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ شَرَّهُ شَيْطَانِينَ يَنْزُو بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ

فيقال: إنه أراد بالشياطين الحيات، ويقال: بل هُوَ مَثَلٌ يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أَحْصَبُوا بَطَرُوا فَصَارُوا شَيْطَانِينَ، وَإِنَّمَا كَرِهَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - اسْمَ الْحَيَّةِ لِحَبْثِهَا وَغَائِلَتِهَا، وَكَانَ يَغَيِّرُ الْاسْمَ الْقَبِيحَ بِالْاسْمِ الْحَسَنِ، وَقَدْ غَيَّرَ عِدَّةَ أَسْمَاءٍ.

^١ رواه الطبري في تفسيره وابن سعد في الطبقات.

^٢ هو لطفة بن العبد، وهو في ديوانه، في وصف زمام الناقة، وهو بيت مفرد.

^٣ وتامه: (ثَلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بذي خِرْوَعٍ قَفْرٍ).

^٤ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبَكِّرٌ عَدَاةَ عَدِِّ أَمْ رَائِحُ فَمُهَجِّرٌ).

أخبرني ابنُ داسةَ قال: قال أبو داود: غيرَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمَ العاصِ وَعَزْرِيذِ وَعَتَلَةَ وشَيْطَانَ والحَكَمَ وعُزَابَ وشهابَ، وَسَمَّى المِضْطَجِعَ: المُنْبِعَثَ، وَسَمَّى شِعْبَ الضَّلَالَةِ: شِعْبَ الهُدَى، ومَرَّ بِأَرْضٍ تسمى عَثْرَةَ فسمَّها حَضْرَةَ، وقال غيرُ ابنِ داسةَ: عَفْرَةَ، وقال غيرُ أَبِي داودَ: غَدْرَةَ، فَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَرَّ بِأَرْضٍ تُسَمَّى غَدْرَةَ فَسَمَّاهَا حَضْرَةَ^١.

أَمَّا تَغْيِيرُهُ اسْمَ العاصِ فَلِكِرَاهِيَةِ العِصْيَانِ الَّذِي هُوَ مُنَافٍ لِصِفَةِ المُؤْمِنِ، وَإِنَّمَا شِعَارُ المُؤْمِنِ الطَّاعَةُ وَسَمُّهُ العُبُودِيَّةُ.

وَأَمَّا تَغْيِيرُهُ اسْمَ العَزْرِيذِ فَلَأَنَّ العِزَّ لَا يَلِيْقُ بِالْعَبِيدِ إِنَّمَا يُوصَفُونَ بِالذُّلِّ وَالخُضُوعِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ صِفَاتِ البَّارِي، وَقَدْ قَالَ عِنْدَمَا يُقْرَعُ بَعْضَ أَعْدَائِهِ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزْرِيذُ الكَرِيمُ}.

وَأَمَّا عَتَلَةُ فَإِنَّمَا كَرِهَ، وَاللهُ أَعْلَمُ، بِشَاعَةِ الاسْمِ وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهَا الشَّدَّةُ وَالغَلْظَةُ، يُقالُ: عَتَلْتُ الرَّجُلَ إِذَا جَذَبْتَهُ جَذْبًا عَنِيفًا، وَمِنْهُ قِيلَ: رَجُلٌ عَتَلٌ وَمُعْتَلٌ. قَالَ ذُو الإِصْبَعِ العَدَوَانِيُّ^٢:

^١ رواه ابن حبان في صحيحه - كتاب الحظر والإباحة - باب الأسماء والكنى.

^٢ ذو الإصبع العدواني: حُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع لأن حية نمشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة. وعاش طويلاً حتى عدَّ في المعمرين. له حروب ووقائع وأخبار. وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل

والدهرُ يَعْدُو مُعْتَبِلًا جَدْعًا^١

أي شابًا قويًا.

وقد وصف الله المؤمنين بِلين الجانِبِ وَخَفْضِ الجَنَاحِ فَقَالَ: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}، وقد قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ"^٢.

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجدِّ سعيد بن المُسيَّب: "ما اسمُك؟" قَالَ حَزَن، قَالَ: "اسْمُكَ سَهْلٌ"^٣.

وأما الشَّيْطَانُ فَاسْمٌ لِكُلِّ مَارِدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ}، ويُقال: سُمِّيَ شَيْطَانًا لِبُعْده عَنِ الْخَيْرِ، يُقال: نَوَى شَطُونًا: أَي بَعِيدَةً، وَبِئْرٌ شَطُونٌ: إِذَا كَانَتْ بَعِيدَةً الْمَهْوَى.

والمديح، وهو صاحب القصيدة المشهورة التي يقول في أولها: (أأسيدُ إن مالا ملكت... فسر به سيرا جميلا).

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أهلكننا الليل والنهار معا والدهر يغدو مصمما جدعا)

^٢ رواه الترمذي مرسلًا. والجمل الأنف الذي وجعه أنفه من الخزيمة، فهو أنف، وآنف. وتمام الحديث: المؤمنون هينون ليينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ.

^٣ رواه البخاري.

وكذلك الأمر في اسم الغراب لأنه فيما يُقال مأخوذٌ من البُعد والاعتراب، ويُقال للرجل: اغرب عني، أي ابعد، وغربت الشمس، إذا غابت فبعدت عن الأبصار، واعترب الرجل، إذا بُعد عن أهله، على أنّ الغراب نفسه كأخبث الطير لوقوعه على الجيف وبخئه عن النجاسة، وقد حرم رسول الله أكله وأباح للمُحرم قتله^١.

وأما الحكم فهو من أسماء الله، وتأويله: الحاكم الذي لا معقب لحكمه، وهذه الصفة لا تليقُ بمخلوق.

وأما الشهاب: فالشعلة من النار، والنار عقوبةُ الله للكفار، فكره أن يتسمى بها المسلم.

وأما قوله: عثرة، فهي الأرض التي لا نبات فيها، إنما هي صعيدٌ قد علاها العثير وهو الغبار، وكذلك العفرة مأخوذٌ من عفرة الأرض وهي لونها الأغبر، فوسمها بالخضرة لأنها إذا احضرت تغطي ترابها وذهب غبارها.

والعدرة من الأرض هي التي لا تسمح بالنبات، أو تُنبِت شيئاً ثم تُسرِع إليه الآفة فيبيد ويتلف، شبهت بالعدار الذي يحيل قولاً ولا يفي فعلاً.

^١ أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خمسُ فواسق يُفتلن في الحِلِّ والحرم: الفأرة والعقرب والحِدَاة والكَلْبُ العقور والغراب.

وَفِي الْحَدِيثِ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ غَدَاةٌ أَوْ خَدَاةٌ يَكْثُرُ فِيهَا الْمَطَرُ وَيَقِلُّ النَّبَاتُ"^١.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ: أَنَّهُ هَمَى أَنْ نُسَمِّيَ الْعَبِيدَ يَسَارًا أَوْ رَبَاحًا، فَعَنْ سُمْرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ قَالَ: نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نُسَمِّيَ رَقِيقَنَا أَرْبَعَةَ أَسَامٍ: أَفْلَحَ وَرَبَاحًا وَيَسَارًا وَنَافِعًا^٢، فَقَدْ جَاءَ إِثْمًا كَرِهَ ذَلِكَ لِلتَّطْيِيرِ.

وَعَنْ سُمْرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تُسَمِّينَ غُلَامَكَ يَسَارًا وَلَا رَبَاحًا وَلَا نَجِيحًا وَلَا أَفْلَحَ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَتَمَّ هُوَ، فَيَقُولُ: لَا"، إِثْمًا هِيَ أَرْبَعٌ فَلَا تَزِيدَنَّ عَلَيَّ^٣.

فَأَمَّا مَنْ سَلَكَ بِهِ مَذْهَبَ الْفُئَالِ وَقَصَدَ فِيهِ الْيُمْنَ وَالتَّبْرُكَ فَأَنَا أَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ بِهِ حَرَجًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ رَبَاحٌ، وَسَمَّى عَبْدُ اللَّهِ بِنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ غُلَامَهُ نَافِعًا، وَعَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ غُلَامٌ اسْمُهُ رَبَاحٌ^٤، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: قَالَ

^١ رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده: ٥٨٨.

^٢ رواه مسلم.

^٣ رواه مسلم. وعبارة فلا تزيدَنَّ عليَّ: هي من قول الصحابي سمرة بن جندب راوي الحديث، ومعناها: فلا تزيدوا أيُّها المخاطَبون على هذه الأربع التي سمعْتُها من رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلم، ولا تنقلوا عني غيرَ الأربع، فتكونوا من الكاذبين عليه.

^٤ رواه الطبراني في المعجم الكبير.

لي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: هَلْ تَدْرِي لِمَ سَمَّيْتُ ابْنِي سَالِمًا؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: بِاسْمِ سَالِمِ مَوَى أَبِي حَذِيفَةَ، هَلْ تَدْرِي لِمَ سَمَّيْتُ ابْنِي وَاقِدًا؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ بِاسْمِ وَاقِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَرْبُوعِيِّ، هَلْ تَدْرِي لِمَ سَمَّيْتُ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ؟ قُلْتُ لَا، قَالَ: بِاسْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ لَا يُبَيِّتُ مَالًا وَلَا يُقَيِّلُهُ^١. قَوْلُهُ: لَا يُبَيِّتُ مَالًا، مَعْنَاهُ أَنَّ مَالَ الصَّدَقَةِ إِذَا وَافَاهُ مَسَاءً لَمْ يُمَسِّكْهُ عِنْدَهُ إِلَى اللَّيْلِ لِكَنِّهِ يَفْرِقُهُ فِي أَهْلِهِ، وَإِذَا جَاءَهُ صَبَاحًا لَمْ يُمَسِّكْهُ إِلَى وَقْتِ الْقَائِلَةِ، وَهِيَ قُبَيْلُ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ يَنْتَصِفَ النَّهَارُ، وَالْقَيْلُولَةُ النَّوْمُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَالْقَيْلُ الشُّرْبُ فِيهِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ عَنِ الْكُوفِيِّينَ وَالْمُبَرِّدُ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ قَالُوا: شَرِبُ الْغَدَاةِ الصَّبُوحُ، وَفِي نِصْفِ النَّهَارِ الْقَيْلُ، وَبِالْعَشِيِّ الْعَبُوقُ، وَبَيْنَ الْمَغْرَبِ وَالْعَتَمَةِ الْفَحْمَةُ، وَفِي السَّحْرِ الْجَاشِرِيَّةُ، وَكُلُّ شَرَابٍ شُرِبَ فِي أَيِّ زَمَانٍ

^١ رواه البيهقي في السنن الكبرى: ١٢٦٦٩.

كَانَ فَهُوَ الصَّفْحُ، يُقَالُ: أَتَانِي فَصَفَحْتُهُ، أَي سَقَيْتُهُ، وَأَتَانِي فَأَصَفَحْتُهُ، إِذَا حَرَمْتَهُ وَرَدَدْتَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طَيْبًا سَقَيْتُ الْجَاشِرِيَّةَ أَوْ
سَقَانِي^٢

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُهُ فِي الدَّنَائِرِ السَّبْعَةِ، عَنِ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاهِمُ الْوَجْهِ، فَحَشَيْتُ ذَلِكَ مِنْ وَجَعٍ فُقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ سَاهِمَ الْوَجْهِ؟ قَالَ: "مِنْ أَجْلِ الدَّنَائِرِ السَّبْعَةِ الَّتِي أَمْسَيْنَا وَلَمْ نُقَسِّمَهَا وَهِيَ فِي حُصْمٍ - أَوْ حُضْمٍ - الْفِرَاشِ"^٣.

وَالْحُضْمُ: النَّاحِيَةُ مِنَ الشَّيْءِ وَالزَّوَايَةُ مِنْهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أُتِيَ بِبَدْرٍ فِيهِ حُضْرَاتٌ مِنَ الْبُثُولِ^٤.

^١ هو البرج بن مسهر الطائي: شاعر جاهلي كان من معمرى الجاهلية. كان إذا شرب ذهب الشراب بعقله، وكان خليلاً للحصين بن الحمام وندبماً له على الشراب، وفيه يقول البرج: (وندمانٍ يزيد الكأس طيباً سقيتُ إذا تغورت النجوم).

^٢ وبعده: (إلى أن خلْتُ أن أبا قُبَيْسٍ ... وَهَضَبَ عَمَائِيَّةً فَرَسًا رِهَانِي) فهذا من فرط الإذهان، ظن جبلين من جبال الأرض فرسي رهان.

^٣ أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده.

^٤ رواه البخاري ومسلم، والعيني في نخب الأفكار.

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: يَعْنِي بِالْبَدْرِ الطَّبَقِ.

وَأَرَاهُ سُمِّيَ بَدْرًا لِاسْتِدَارَتِهِ وَاتِّسَاقِهِ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْقَمْرُ عِنْدَ اتِّسَاقِهِ بَدْرًا، وَمِنْهُ قِيلَ: عَيْنٌ بَدْرَةٌ، إِذَا كَانَتْ وَاسِعَةً مُرْتَوِيَةً، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ^١:

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ وَشُقَّتْ مَا قِيَّهَا مِنْ أُخْرٍ

وَالْبَدْرَةُ مَسْكُ السَّخْلَةِ، وَبِهِ سُمِّيَتْ بَدْرَةُ الْمَالِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَيْسَ لِلنِّسَاءِ مِنْ بَاحَةِ الطَّرِيقِ شَيْءٌ وَلَكِنْ هُنَّ حَجَرَتَا الطَّرِيقِ"^٢.

بَاحَةُ الطَّرِيقِ: وَسَطُهَا، وَمِثْلُهُ بَاحَةُ الدَّارِ، وَهِيَ عَرَصَتُهَا، يُقَالُ: لَقِيتُ فُلَانًا فِي بَاحَةِ الدَّارِ وَفِي قَاعَةِ الدَّارِ وَفِي صَرْحَةِ الدَّارِ وَفِي رِبَاعَةِ الدَّارِ، إِذَا رَأَيْتَهُ فِيمَا لَيْسَ فِيهِ بِنَاءٌ مِنْ وَسَطِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

لَنَا بَاحَةٌ ضَبِيسٌ نَاجِمَا يَهُونُ عَلَيَّ حَامِيَّيْهَا

الْوَعِيدُ^٤

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَحَارِ بِنُ عَمْرٍو كَأَنِّي حَمْرٌ وَيَعْدُو عَلَيَّ الْمَرْءُ مَا يَأْتِمُرُ).

^٢ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ وَالضَّعِيفَةِ.

^٣ هُوَ الْأَخْرَمُ السَّنْبِسِيُّ، أَحَدُ بَنِي سِنْبِسٍ، امْرَأَةٌ عَمْرٍو بِنُ الْعُقُوثِ بِنِ طَيْئِ فَهْمٍ يَسْمُونَ بِهَا، كَمَا فِي شُرُوحِ الْحَمَاسَةِ، مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (إِلَّا إِنْ قُرْطًا عَلَى آلَةٍ ... أَلَا إِنِّي كَيْدُهُ لَا أَكِيدُ).

^٤ الْبَاحَةُ: السَّاحَةُ. وَالضَّبِيسُ: الشَّدِيدُ. وَالنَّابُ: سَيِّدُ الْقَوْمِ. وَأَرَادَ بِالْحَامِيَيْنِ جَبَلِي طَيْئِ.

وحَجَرْنَا الطَّرِيقَ جَانِبَاهُ، وَفِي مَثَلٍ "يَأْكُلُ حَضْرَةً وَيَنَامُ حَجْرَةً": أَي يَأْكُلُ مِنَ الرُّوْضَةِ وَيَبْرِضُ نَاحِيَةً، يُقَالُ: ذَلِكُ لِلجَدْيِ أَوْ لِلحَمَلِ.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِلنِّسَاءِ: "لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيَكُنَّ بِحَافَاتِ الطَّرِيقِ"^١.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ حَرَجَ عَامَ الحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ كُرَاعَ العَمِيمِ إِذَا النَّاسُ يَرْتُمُونَ نَحْوَهُ^٢.

قَوْلُهُ: يَرْتُمُونَ: مَعْنَاهُ يُقْبَلُونَ فِي سُرْعَةٍ، وَالرَّسِيمُ ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ يُخَدُّ فِي الأَرْضِ وَيُؤَثَّرُ فِيهَا، وَالفِعْلُ مِنْهُ: رَسَمَ يَرْسُمُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٣:

بماترة الضَّبَعَيْنِ مُعَوَّجَةَ النَّسَا يَشْجُ الحِصَا تَحْوِيْدَهَا وَرَسِيمُهَا

وقال الفرزدق^٤:

وما منهما إلا بَعَثْنَا بِرَأْسِهِ إِلَى الشَّامِ فَوْقَ الشَّاحِبَاتِ الرُّوَامِ

^١ أخرجه أبو داود، والشاشي في (مسنده)، والطبراني، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ رواه الطبراني في الكبير: ١٠٨٢، والأوسط: ٣٧٦٦.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَتَعْرِفُ دَارَ الحَيِّ بَادَتْ رُسُومُهَا عَفَتْ بَعْدَنَا جَرَعَاؤُهَا وَهَشُومُهَا).

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (نَحْنُ بِرُورَاءِ المَدِينَةِ نَاقِي حَنِينَ عَجُولِ تَبَغِ البَوِّ رَائِم).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَيُّوبَ فَقَالَ: "كَانَ إِذَا مَرَّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَزَاعَمَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ فَيُكْفَرُ عَنْهُمَا"^١.

قوله: يتزاعمان، معناه يتداعيان شيئاً فيختلفان فيه فيزعم أحدهما شيئاً والآخر شيئاً بخلافه، ولا يكاد يُقال الزعم إلا في خلافٍ أو أمرٍ غير موثوق به؛ ولذلك قيل: "زعموا" مَطِيئَةُ الكَذِبِ. قَالَ الأصمعي: الرَّعُومُ من الغنم هي التي لا يُدرى أيها شحم أم لا، ومنه قيل: في قول فلانٍ مُرَاعَمٌ، وهو الذي لا يُوثقُ به.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ هَلْكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ"^٢.

تأويلُ هذا على وجهين: أحدهما أن يكون ذلك في أصحاب الوعيد ومن يرى رأي العُلَاة منهم في الخُلُود على الكِبيرة والإياس من عَفْوِ الله والقُنُوط من رحمته، يُقول: فَمَنْ رَأَى هَذَا الرَّأْيَ كَانَ أَشَدَّ هَلَاكًا وَأَعْظَمَ وِزْرًا مِمَّنْ قَارَفَ الخَطِيئَةَ ثُمَّ لَمْ يَأْيَسْ مِنَ الرَّحْمَةِ.

وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} أَهْوَ الرَّجُلُ يَحْمِلُ عَلَى الكَنِيئَةِ وَهُمْ أَلْفٌ وَالسَّيْفُ

^١ أخرجه البزار، وابن حبان، والحاكم، في حديث طويل، وصحح الألباني إسناده في الصحيحة.

^٢ أخرجه مسلم.

بِيَدِهِ؟ قَالَ: لَا وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يُصِيبُ الذَّنْبَ فَيُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَيَقُولُ:
لَا تَوْبَةَ لِي^١.

وَالْوَجْهَ الْآخِرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي الرَّجُلِ يُوَلِّعُ بِذِكْرِ النَّاسِ وَإِحْصَاءِ عِيوبِهِمْ
وَعَدِّ مَسَاوِيئِهِمْ فَهُوَ لَا يَزَالُ يَقُولُ: هَلَكَ النَّاسُ وَفَسَدَتْ نَبَاتُهُمْ وَقَلَّتْ أَمَانَتُهُمْ،
وَيَذْهَبُ بِنَفْسِهِ عُجْبًا وَيَرَى لَهَا عَلَى النَّاسِ فَضْلًا، يَقُولُ: فَهَذَا بِمَا يَنَالُهُ فِي
ذَلِكَ مِنَ الْإِثْمِ أَشَدَّهُمْ هَلَاكًا وَأَعْظَمُهُمْ وَزْرًا.

وَمِنْ هَذَا حَدِيثُ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَأَصْحَابُهُ عِنْدَهُ فَجَاءَ
الْأَعْرَابُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ عَلَيْنَا حَرْجٌ فِي كَذَا أَشْيَاءَ لَا بَأْسَ بِهَا؟
فَقَالَ: "عِبَادَ اللَّهِ رَفَعَ اللَّهُ الْحَرْجَ" أَوْ قَالَ: "وَضَعَ اللَّهُ الْحَرْجَ، إِلَّا أَمْرًا اقْتَرَضَ
أَمْرًا مُسْلِمًا فَذَلِكَ حَرْجٌ وَهَلَكٌ"^٢.

قوله: اقترض، أي اغتابه وسبعه، أي شتمه.

وقيل لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مَا قَوْلُهُ: أَهْلَكُهُمْ؟ قَالَ: أَفْسَلُهُمْ وَأَدْنَاهُمْ.

^١ رواه أبو بكر البيهقي في شعب الإيمان.

^٢ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي في (السنن الكبرى)، وابن ماجه، وأحمد، وصحح الألباني
إسناده في صحيح ابن ماجه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: إِنِّي لَقَيْتُ أَبِي فِي الْمَشْرِكِينَ فَسَمِعْتُ مِنْهُ مَقَالَةً فَبِيحَةٌ لَكَ فَمَا صَبَرْتُ أَنْ طَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ فَقَتَلْتُهُ، فَمَا سَوًّا ذَلِكَ عَلَيْهِ^١.

قَوْلُهُ: مَا سَوًّا ذَلِكَ عَلَيْهِ، يُرِيدُ مَا عَبَاهُ وَلَا قَالَ لَهُ: أَسَأْتُ، وَهُوَ مَهْمُوزٌ، مِنْ السُّوءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَى}، وَرُزُّهُ فُعْلَى، مِنْ السُّوءِ، وَأَنْشَدَ أَبُو عَمْرٍو بِنُ الْعَلَاءِ^٢:

أَتَى جَزَوْا عَامِرًا سُوَى بَفْعَلِهِمْ أَمْ كَيْفَ يَجْزُونِي السُّوَى مِنَ الْحَسَنِ
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعُلُقُ بِهِ رِثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَا ضُرَّ بِاللَّبَنِ^٣
وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ عَنْ أَبِي هَارُونَ الْمَدِينِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
بْنُ أَبِي بِنِ سُلُولٍ لِأَبِيهِ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ أَبَدًا حَتَّى تَقُولَ رَسُولُ اللَّهِ

^١ رواه أبو داود في المراسيل بألفاظ قريبة، باب في فضل الجهاد.

^٢ لأفنون التغلبي (توفي نحو ٦٠ ق. هـ) واسمه صُريم بن معشر بن ذهل بن تميم من بني تغلب، وقيل اسمه ظالم، وهو شاعر جاهلي يماني الأصل مات في بادية الشام. قال له كاهن في الجاهلية: «إنك تموت بنثية يقال لها إلهة»، فلدغته أفعى في ذلك المكان، وتوفي مباشرة. ولقب بأفنون لقوله في أبيات «فتينا الودّ يا مضمون مضمونا*** أزماننا إنَّ للشبان أفنونا». يُعد أفنون التغلبي من شعراء بني تغلب في الجاهلية مع عدي بن ربيعة (المهلهل) وعمرو بن كلثوم.

^٣ من قصيدة له في المفضليات مطلعها: (أَبْلَغُ حُبِّيًّا وَخَلَّلَ فِي سِرَاتِهِمْ ... أَنْ الْفُؤَادَ أَنْطَوَى مِنْهُمْ عَلَى حَزَنٍ).

الْأَعْرُ وَأَنَا الْأَدْلُ. وَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ أَبِي فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ قَطُّ هَيْبَةً لَهُ وَلَمِنَ شِئْتِ أَنْ آتِيكَ بِرَأْسِهِ لَا تَيَنَّكَ بِهِ فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَرَى قَاتِلَ أَبِي^١.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى شَرِيعَةٍ مَا لَمْ يَظْهَرْ فِيهِمْ ثَلَاثٌ: مَا لَمْ يُقْبَضْ مِنْهُمْ الْعِلْمُ وَيَكْثُرَ فِيهَا أَوْلَادُ الْحِنْتِ - أَوْ قَالَ: وَلَدُ الْحِنْتِ - وَيَظْهَرْ فِيهِمُ السَّقَّارُونَ". قَالُوا: وَمَا السَّقَّارُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: "نَشْءٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ تَحِيَّتُهُمْ إِذَا التَّقَوُّ التَّلَاعُنُ"^٢.

قَوْلُهُ: السَّقَّارُونَ، قَدْ جَاءَ مِنْ تَفْسِيرِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَفَى وَأَقْنَعُ، وَذَكَرَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنْ سَلْمَةَ عَنِ الْفَرَاءِ أَنَّهُ قَالَ الصَّقَّارُ اللَّعَانُ لغيرِ المستحقين، وَالصَّادُ مَعَ الْقَافِ قَدْ تُبْدَلُ سِينًا.

وَأَمَّا أَوْلَادُ الْحِنْتِ فَهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا لِغَيْرِ رِشْدَةٍ، وَأَصْلُ الْحِنْتِ الذَّنْبُ الْعَظِيمُ، وَمِنْهُ قِيلَ: بَلَغَ الْعِلْمُ الْحِنْتَ، أَي صَارَ إِلَى حَدِّ يَجْرِي عَلَيْهِ الْقَلَمُ وَيُؤَاخَذُ

^١ مسند الحميدي (٢/٥٢٠).

^٢ رواه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین: کتاب الفتن والملاحم.

بالذُّنُوبِ، وَذَكَرَ ابْنُ لَنْكَكٍ^١ عَنِ بَعْضِ فُصْحَاءِ الْأَعْرَابِ وَذَكَرَ اسْمَهُ إِلَّا أَيْ نَسِيئَتُهُ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْحِنْثِ فَقَالَ: هُوَ الْعِدْلُ الثَّقِيلُ، قَالَ: وَالْأَحْنَاثُ عِنْدَنَا الْأَعْدَالُ الثَّقَالُ، فَشَبَّهَ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ بِالْعِدْلِ الثَّقِيلِ، وَالزَّنَا كَبِيرَةً فَسُمِّيَ حِنْثًا.

وَالنِّشْءُ: الْقَرْنُ الَّذِينَ يَنْشَقُّونَ بَعْدَ قَرْنٍ مَضَى، فَأَمَّا النَّشْأُ فَأَحْدَاثُ النَّاسِ، وَاحِدُهُمْ نَاشٍ، تَقْدِيرُهُ: حَادِمٌ وَحَدَمٌ، قَالَ نُصَيْبٌ^٢:

^١ ابن لנקك (ت: ٣٦٠ هـ): أديب ونحوي وشاعر، من أهل البصرة. هو أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر البصري، المعروف بابن لנקك. نشأ في البصرة وقدم إلى بغداد لطلب العلم.

^٢ نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدّم في النسب والمدائح. كان عبداً أسود لراشد ابن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية. وأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتراه وأعتقه. وكان يتغزل بأمر بكر (زينب بنت صفوان) وهي كنانية، وفي بعض الروايات (زنجية) ومن شعره فيها قصيدة مطلعها: (يزينب ألمم، قبل أن يدخل الركب) وقل: أن تملينا فما ملك القلب) له شهرة ذائعة، وأخبار مع عبد العزيز ابن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم. وكان يعد مع جرير وكثير عزة. وسئل عنه جرير، فقال: أشعر أهل جلدته. وتنسك في أواخر عمره. وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، فقيل له: ما حال بناتك؟ فقال: صبيت عليهن من جلدي فكسدن علي! قال الثعالبي: وصرن مثلاً للبنات يظن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها. وعناهنّ (أبو تمام) بقوله (كانت بنات نصيب حين ضنّ بها عن الموالى ولم تحفل بها العرب).

وَلَوْلَا أَنْ يُقَالَ صَبَا نُصِيبُ لَقَلْتُ بِنَفْسِي النَّشَأُ
الصَّغَارُ^١

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى قَبْرِ مَنْبُودٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ^٢.

وهذا يُرَوَى عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يُجْعَلَ الْمَنْبُودُ نَعْتًا لِلْقَبْرِ، وَمَعْنَاهُ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّهُ قَبْرٌ مُنْتَبَذٌ عَنِ الْقُبُورِ، وَلِذَلِكَ اسْتَجَازَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ مَعَ نَهْيِهِ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَقَابِرِ؛ وَذَلِكَ أَنْ أَرْضَهَا إِذَا قَلَبْتُ وَنَبَشْتُ تَنْجَسُ لِمَا يُخَالِطُهَا مِنْ رَمَّةِ الْعِظَامِ فَلَمْ يَجْزِ الصَّلَاةَ فِيهَا.

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ تَكُونَ الرِّوَايَةُ عَلَى الْإِضَافَةِ لِلْقَبْرِ إِلَى الْمَنْبُودِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ مَرَّ بِقَبْرِ لَقِيَطٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ، وَالْمَنْبُودُ الْمَلْفُوطُ، وَهُوَ الْمَزْكُومُ أَيْضًا، يُقَالُ: زَكَمْتُ بِهِ أُمَّهُ، وَهُوَ زُكْمَةُ فُلَانٍ، أَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ:

زُكْمَةُ عَمَّارٍ بَنُو عَمَّارٍ مِثْلَ الْحَرَاقِصِ عَلَى

الْحَمَارِ^٣

^١ البيت مطلع قصيدة في ديوانه، وبعده: (ألا يا لَيْتِي قَامَرْتُ عَنْهَا وَكَانَ يَحِلُّ لِلنَّاسِ الْقِمَارُ).

^٢ متفق عليه.

^٣ الحرقوص دويبة مثل القراد تدخل في أرفاغ الأبقار.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أُتِيَ بِطَعَامٍ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ فَقَالَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّ كُلا، فَقَالَا: إِنَّا صَائِمَانِ، فَقَالَ: "ارْحَلُوا بِصَاحِبَيْكُمْ اَعْمَلُوا لِصَاحِبَيْكُمْ"^١.

مَعْنَاهُ أَنَّ الصَّائِمَ فِي السَّفَرِ يَضْعُفُ عَن مَزَاوَلَةٍ شَأْنِيهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى الاسْتِعَانَةِ بِأَصْحَابِهِ، فيقول: فلا تفعلوا ذلك فإنه يُفْضِي بكما إلى أن تُفُولا مثلَ هذا القول.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالَ: كُنْتُ بِالْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، فَمَرَّتْ سَحَابَةٌ فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فَقَالَ: "مَا تُسْمُونَ هَذِهِ؟" قَالُوا السَّحَابُ، قَالَ: "وَالْمُرْنُ"، قَالُوا: وَالْمُرْنُ، قَالَ: "وَالْعَيْدَى"^٢.

قوله: العَيْدَى، لم أَسْمَعُهُ فِي أَسْمَاءِ السَّحَابِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَالْمَشْهُورُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ: وَالْعِنَانُ، مَكَانَ الْعَيْدَى، وَالْعِنَانُ مَعْرُوفٌ مِنْ أَسْمَاءِ السَّحَابِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ.

^١ أخرجه النسائي وأحمد وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه. والمعنى: وهذا إنكارٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهما صِيَامَهُمَا فِي السَّفَرِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الصَّائِمَ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَالِ يَكُونُ كَلًّا عَلَى مُرَافِقِيهِ.

^٢ رواه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، وقال شعيب الأرنؤوط في تخریج سير أعلام النبلاء: إسناده ضعيف.

فَأَمَّا الْعَيْدَى فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَإِنِّي لَا أُرَاهُ سُمِّيَ بِهِ إِلَّا لَسَيْلَانِ الْمَاءِ، يُقَالُ:
عَذَا الْعِرْقُ، إِذَا سَالَ، يَغْدُو.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ غُلَامًا لِأُنَاسٍ فُقَرَاءَ قَطَعَ أُذُنَ
غُلَامٍ لِأُنَاسٍ أَعْنِيَاءَ، فَأَتَوْا بِهِ النَّبِيَّ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَنْاسٌ فُقَرَاءُ، فَتَرَكَهُ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^١.

وهذا يُتَأَوَّلُ عَلَى أَنَّ الْجَانِي كَانَ حُرًّا وَكَانَتْ جَنَائِئُهُ حَطًّا، وَعَاقَلْتُهُ فُقَرَاءَ فَلَمْ
يُلْزِمِهِمُ الدِّيَةَ، وَإِضَافَةُ الْغُلَامِ إِلَيْهِمْ إِضَافَةٌ تَعْرِيفٍ لَا إِضَافَةٌ تَمْلِكُ، وَقَدْ تُسَمَّى
العَرَبُ الرَّجُلَ الْمُسْتَجْمِعَ الْقُوَّةَ غُلَامًا، قَالَتْ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ^٢:

إِذَا نَزَلَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُقَامِ الَّذِي بَهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّتِ الْقَنَاةَ سَقَاهَا

^١ رواه أحمد والنسائي بإسناد قوي رجاله كلهم ثقات.

^٢ هما في ديوانها من قصيدتها في الحجاج، ومطلعها: (أَحْجَّاجُ إِنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ غَايَةً يُقْصِرُ عَنْهَا
مَنْ أَرَادَ مَدَاهَا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِالْحَكَمِ أَبِي مَرْوَانَ فَجَعَلَ الْحَكَمُ يَغْمِزُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِهِ وَزَعًا، فَرَجَفَ مَكَانَهُ"^١.

الْوَزْعُ: الارتفاعُ، وقد جاء هذا مُفَسَّرًا فِي الْحَدِيثِ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَوْزِيعِ الْجَيْنِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَهُوَ حَرَكَتُهُ، يُقَالُ وَزَعَجَ الْجَيْنُ، إِذَا تَحَرَّكَ، وَأَوْزَعَتِ النَّاقَةُ بَبُولَهَا، وَوَزَعَتْ بِهِ وَزَعًا، إِذَا رَمَتْ شَيْئًا شَيْئًا وَقَطَعَتْهُ دُفْعَةً دُفْعَةً، وَمِنْهُ قِيلَ لِسَامٍ أَبْرَصٌ: وَرَزَعٌ، وَذَلِكَ لِحَفَّتِهِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا عَرَسَ^٢ بِلَيْلٍ تَوَسَّدَ لَيْنَةً، وَإِذَا عَرَسَ عِنْدَ الصُّبْحِ نَصَبَ سَاعِدَهُ نَصْبًا وَعَمَدَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ^٣.

^١ قال الألباني في السلسلة الضعيفة: أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢٤٠/٦)، وابن عبد البر في "الاستيعاب"، ... وهذا إسناد ضعيف، رجاله ثقات، لكنه معلول بالإرسال أو الانقطاع.

^٢ عرس: نزل للراحة في أثناء السفر.

^٣ رواه مسلم بألفاظ قريبة.

اللَّيْنَةُ: هي كالمسورة أو الرِفَادَةِ، ولا أراها سُمِّيَتْ لَيْنَةً إِلَّا لَلِيْنِهَا وَوِثَارَتِهَا، يُقَالُ: لَيِّنٌ وَلَيِّنٌ، كَمَا يُقَالُ هَيِّنٌ وَهَيِّنٌ، وَمَيِّتٌ وَمَيِّتٌ. وفي الحديث: "الْمُسْلِمُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ كَالْجَمَلِ الْأَنْفِ"^١، قال الراجز^٢:

ومنهل فيه الغرابُ سَقَيْتُ منه القومَ
مَيِّتٌ واستسقيتُ^٣

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةَ جَاءَتْهُ وَقَدْ تَوُؤِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَوَضَعَتْ بَأْدَانِي مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ مَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "يَا سُبَيْعَةُ ارْبِعِي بِنَفْسِكَ"^٤.

قوله: ارْبِعِي بِنَفْسِكَ، تأوله بعضهم على معنى قول الناس: ارْبِعْ عَلَى نَفْسِكَ، أَي أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، يذهب إلى أَنَّهُ أَمَرَهَا بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّأَنِّي عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ يُلْزِمُهَا أَنْ تَعْتَدَّ آخَرَ الْأَجْلَيْنِ، وَهَذَا تَأْوِيلٌ فَاسِدٌ، وَالْأَخْبَارُ تَنْطَقُ بِخِلَافِهِ

^١ رواه الترمذي مرسلًا.

^٢ هو الفقعسي: عبد الله بن ربيعي بن خالد الحنظلي الفقعسي الأسدي، أبو محمد: راجز إسلامي، عاصر حروب الردة في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. تردد اسمه كثيرًا في كتب اللغة والمعاجم حيث كانت أراجيزه تستخدم كشواهد لغوية أو نحوية، فيما أهملته كتب الأدب.

^٣ في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (ومنهل فيه الغراب ميت كأنه من الأجون زيت سقيت منه القوم واستسقيت).

^٤ رواه عبد الرزاق في المصنف - كتاب الطلاق - باب المطلقة يموت عنها زوجها.

وإباحة النبيّ عليه السلام لها أن تنكح، فعن عبّيد الله بن عبد الله عن أبيه قال: وضعت سبيعة بعد وفاة زوجها بشهر أو نحوها، فمرّ بها أبو السّنا بل فقال: قد تصنعت للأزواج! لا حتى تأتي عليك أربعة أشهر وعشر، فأنت رسول الله فذكرت ذلك له فقال: "كذب فانكحي فقد حللت" ^١.

قوله: "اربعي بنفسك" معناه اسكني وانزلي حيث شئت فقد انقضت عدتّك وحللت للأزواج، والرّبع دأر الإقامة، وقد رجع الرجل بالمكان إذا أقام به.

- في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: أن قریشًا اجتمعت إلى أبي طالب فشكته فقال: يا عقيل انطلق فائتني به، فأتيته فاستخرجته من كبس، فجعل يتبع الفيء من شدة الرّمض ^٢.

الكبس: الكنّ يأوي إليه الإنسان، وكلّ ما سدّ من الهواء مسدًا فهو كبس. وقال بعضهم: الكبس السرب تحت الأرض.

- في حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه قال لامرأة رفاعة القرظي: "أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا حتى تدوقي عسيلته وتدوق عسيلتك". قالت: فإنّه يا رسول الله قد جاءني هبة ^٣.

^١ رواه النسائي وصححه الألباني، ورواه البخاري بألفاظ قريبة في حديث طويل.

^٢ رواه البخاري في التاريخ الكبير، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

^٣ رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وأحمد.

للَهَبَةِ ههنا مَعْنَيَان: أَحَدُهُمَا أَن تَكُون بِمَعْنَى الْوَقْعَةِ، يُقَالُ إِنَّهُ لَدُو هَبَّةٌ، إِذَا كَانَتْ لَهُ وَقَعَةٌ شَدِيدَةٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ: أَحَذَرَ هَبَّةَ السَّيْفِ، أَي وَقَعْتَهُ، فَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَدْ أَتَاهَا وَقَعَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ مَعْنَى تَفْسِيرِ ابْنِ وَهْبٍ.

وَالْوَجْهُ الْآخِرُ أَن تَكُونَ الْهَبَّةُ بِمَعْنَى الْحِقْبَةِ مِنَ الدَّهْرِ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ غَنِينَا بِذَلِكَ هَبَّةً مِنَ الدَّهْرِ، وَالدَّهْرُ هَبَاتٌ وَسَبَّاتٌ، أَي عَصَرَ بَعْدَ عَصْرِ. وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَأَوَّلُهُ عَلَى غَيْرِ هَذَا وَذَلِكَ، وَيَرَاهُ مِنْ هِبَابِ الْجَمَلِ أَوْ هَيْبِ التَّيْسِ إِذَا اهْتَاكَ لِلْسَفَادِ، وَالْأَوَّلُ أَجُودٌ وَأَشْبَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ أَنَّهُ إِذَا طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يُوَاقِعَهَا لَمْ تَحِلَّ لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ.

وَالْعُسَيْلَةُ تَصْغِيرُ الْعَسَلِ، وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ اللَّذَّةِ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: وَفِيهِ كَالدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الزَّوْجَ إِذَا أَتَاهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ لَا تَشْعُرُ أَوْ مُغْمَى عَلَيْهَا لَا تُحْسِنُ بِاللَّذَّةِ لَمْ تَحِلَّ لِلزَّوْجِ الْأَوَّلِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَتَاهَا قَالَتْ: إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَأَنَّهُ وَاللَّهِ مَا مَعَهُ إِلَّا مِثْلُ هَذِهِ الْهُدْبَةِ، وَأَخَذْتُ هُدْبَةً مِنْ جِلْبَابِهَا.

وفي هذا دليلٌ عَلَى أَنَّ لَامرأةَ العِنِينِ المطالبةَ بِحَقِّهَا وَأَنَّ لها أَن تَدْعُو إِلَى فسخِ النكاحِ، وذلكَ إِنَّمَا ادَّعَتْ بِهذا القَوْلِ عَلَيْهِ العِنَّةُ ولم تُرِدْ أَنَّ ذَلِكَ منه في دِقَّةِ الهدْبةِ، إِنَّمَا ارادَتْ أَنَّهُ كَالهدْبةِ ضَعْفًا واسترخاءً.

يدلُّ عَلَى صحَّةِ هذا روايةُ عِكْرَمَةَ أَنَّ رفاةَ طَلَّقَ امرأتهِ فتزوَّجها عبدُ الرحمنِ بنُ الزبيرِ، قالت عائشةُ: فجاءت وعليها خِمَارٌ أخضِرُ فشكَّتْ إلى عائشةِ وأرَّثها حُضْرَةً بِجلدها، فلما جاء رسولُ الله - والنِّساءُ يَنْصُرُ بعضُهُنَّ بعضًا - قالت عائشةُ: ما رأيتُ مثلَ ما تلقى المؤمناتِ، لجلدِها أشدُّ حُضْرَةً من ثوبها، قَالَ: وسمعَ أَنها قد أتتْ رسولَ الله فجاءَ ومعه ابنانَ لَهُ من غيرها. قالت: واللهِ ما لي إِلَيْهِ من ذَنْبٍ إِلاَّ أَنَّ ما معه لَيْسَ بأغنى عَنِّي من هذه، وأخذتْ هُدْبَةً من ثوبها، فَقَالَ: كذبتُ واللهِ يا رسولَ الله إِنِّي لأنْقُضُها نَفْضَ الأديمِ ولكنها ناشِزٌ تُريدُ رفاةً، فقال رسولُ الله: "إِن كَانَ ذَلِكَ لم تَحِلِّي له حتى تَدُوقِي عُسَيْلَتَهُ"، قَالَ: فأبصرَ معه ابنينَ لَهُ فَقَالَ: "بَنُوكَ هؤُلاءِ؟" فَقَالَ نعم! قَالَ: "هذا الَّذِي تَزْعُمِينَ ما تَزْعُمِينَ! فواللهِ هُمُ أشبهُ بِهِ من العُرابِ بالْعُرابِ"¹.

فهذه القِصَّةُ بِطولها تدلُّ عَلَى أَنها جاءت تدَّعي عليه العِنَّةُ².

¹ في رواية البخاري السابقة.

² العنة: العجز الجنسي.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أُتِيَ بِقِنَاعٍ جُزْءٍ^١.
هَكَذَا قَالَ الرَّاوي: جُزْءٌ، وَزَعَمَ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّطْبُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهَذَا شَيْءٌ
لَا أَثِقَ بِهِ وَلَا أَعْتَمِدُهُ، فَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَالَ فَلَا أُرَاهُمْ يَسْمُونَهُ جُزْءًا
إِلَّا مِنْ قِبَلِ اجْتِرَائِهِمْ بِهِ عَنِ الطَّعَامِ، كَتَسْمِيَتِهِمُ الْكَلَاءَ جُزْءًا، وَجُزْؤًا، لُغْتَانِ،
لِاجْتِرَاءِ الْإِبِلِ بِهِ عَنِ الْمَاءِ، يُقَالُ: جَزَأَتِ الْإِبِلُ عَنِ الْمَاءِ، إِذَا اجْتَرَأَتْ بِالرُّطْبِ
فَلَمْ تَشْرَبْ.

وَأَحْسِبُهُ أُتِيَ بِقِنَاعِ جِرْوٍ، وَهُوَ فِي كَلَامِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ
الْقَثَاءُ^٢ الصِّغَارِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ قَالَ: قَالَ السَّيَّارِيُّ: عَنِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: كُنْتُ أَمْرًا فِي
بَعْضِ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَنَا بِحِمَالٍ عَلَى رَأْسِهِ طَنْ، فَقَالَ لِي: أَعْطِنِي ذَلِكَ
الْجِرْوِ، فَتَبَصَّرْتُ فَلَمْ أَرَ كَلْبًا وَلَا جِرْوًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا جِرْوٌ، فَقَالَ: أَنْتَ
عِرَاقِي! أَعْطِنِي تِلْكَ الْقَثَاءَةَ.

^١ رواه ابن حبان في صحيحه: ٤٦١٤.

^٢ القثاء: الفقوس، أخو الخيار.

وهذا كحديثه الآخر: أَنَّهُ أُتِيَ بِقِنَاعِ رُطْبٍ وَأَجْرٍ زُعْبٍ^١، وَقَدْ فَسَّرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ^٢.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَدُورُ رَحَا الْإِسْلَامِ فِي ثَلَاثِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ سَنَةً، وَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ مِنَ الْأُمَّمِ"، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ سِوَى الثَّلَاثِ وَالثَّلَاثِينَ قَالَ: "نَعَمْ"^٣.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "تَدُورُ رَحَا الْإِسْلَامِ بَعْدَ خَمْسِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ سِتِّ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ بَقُوا بَقِيَ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ عَامًا"^٤.

^١ رواه الترمذي في الشمائل. وأجر: جمع جرو، وهو الصغير من الحنظل والبطيخ والقثاء.

^٢ في غريب الحديث لابن قتيبة ١ / ٢٧١: وأخبرني السجستاني عن أبي زيد أنه قنع وهو الطبق الذي تجعل فيه الفاكهة أو غيرها ثم يأكلون عليه، جمعه أقناع. وقال غيره عن أبي زيد: إنه يقال: القناع أيضًا على ما جاء الحديث، والزغب: القثاء.

^٣ أخرجه أبو داود، وابن حبان، والطبراني، وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٤ انظر التخريج السابق.

قوله: تَدُورُ رَحَا الْإِسْلَامِ فِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، مَثَلٌ، يَرِيدُ أَنْ هَذِهِ الْمُدَّةُ إِذَا انْتَهَتْ حَدَثَ فِي الْإِسْلَامِ أَمْرٌ عَظِيمٌ يُخَافُ لَذَلِكَ عَلَى أَهْلِهِ الْهَلَاكُ، يُقَالُ لِلْأَمْرِ إِذَا تَغَيَّرَ وَاسْتَحَالَ: قَدِ دَارَتْ رَحَاهُ، قَالَ الْحُطَيْئَةُ^١:

وَكُنْتُ إِذَا دَارَتْ رَحَا الْأَمْرِ
بِمَخْلُوجَةٍ فِيهَا عَنِ الْأَمْرِ مَصْرِفٌ
زُعْتُهُ^٢

الْمَخْلُوجَةُ: الرَّأْيُ.

وهذا - والله أعلم - إشارة إلى انقضاء مُدَّةِ الْخِلَافَةِ وَاسْتِيْلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْمُلْكِ، وَكَانَ اسْتِوَاءُ الْأَمْرِ لِمُعَاوِيَةَ سَنَةَ الْجَمَاعَةِ^٣، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي بَايَعَهُ فِيهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَلَا يَزَالُ النَّاسُ يُشَبِّهُونَ صُرُوفَ الزَّمَانِ وَعُقُبَ الْأَيَّامِ وَانْقِلَابَ الدُّوَلِ بِالرَّحَا الدَّوَّارَةِ وَالْمَنْجُونِ الْمُنْقَلَبِ^٤، وَهَذَا فِي كَلَامِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُسْتَشْهَدَ لَهُ أَوْ يُدَلَّ عَلَيْهِ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَرْسَمَ دِيَارٍ مِنْ حُنَيْدَةَ تَعْرِفُ بِأَسْفُفٍ مِنْ عِرْفَانِهَا الْعَيْنُ تَذْرِفُ).

^٢ زَعْتُهُ: عَطْفَتُهُ وَأَتْبَعْتُهُ.

^٣ سَنَةُ الْجَمَاعَةِ أَوْ عَامُ الْجَمَاعَةِ هُوَ الْعَامُ الَّذِي تَنَازَلَ فِيهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْخِلَافَةِ لِمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ عَامَ ٤١ هـ وَسَمِيَ «عَامُ الْجَمَاعَةِ» بِسَبَبِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى مُعَاوِيَةَ.

^٤ الْمَنْجُونِ: السَّاقِيَةُ الدَّوَّارَةُ.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يراد بدور الرِّحَا وقُوعُ الفِتْنِ وهَيْجُ الحُرُوبِ، قَالَ الشَّاعِرُ
يصفُ حَرْبًا^١:

فَدَارَتْ رِحَانًا وَاسْتَدَارَتْ رِحَاهُمْ سَرَاةَ النَّهَارِ مَا تُؤَلِّي المَنَاكِبِ

وقال أبو العُول^٢:

مَعَاشِرُ لَا يَمْلُونُ المَنَايَا إِذَا دَارَتْ رِحَا الحَرْبِ

وقال زُهَيْرٌ^٤:

فَتَعْرَكُكُمْ عَرَكَ الرِّحَا بِنِهَاهَا وَتَلْفَحُ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجِ فَتُنْتَمِ

وقوله: بقي لهم دينهم سبعين سنةً، أي مُلكهم، فكان من لدن ولي معاوية
إلى أن ملك مروان الذي يُقال: لَهُ الحِمَارُ، وظهر بجراسان أمر أبي مسلم
وَوَهَى أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةٍ نَحْوَ مِثْلِ سَبْعِينَ سَنَةً.

^١ هو عبد الله بن عمرو بن العاص، يوم وقعة صفين، وأول الأبيات: (وَلَوْ شَهِدْتَ جُمْلًا مَقَامِي
وَمَشْهَدِي بِصِقِّينَ يَوْمًا شَابَ مِنْهَا الذَّوَابُ).

^٢ أبو العول الطُّهَوِيُّ عامر بن عبد الرحمن الحميري من بني طُهَيْبَةَ - امرأة - وقيل له: أبو العول؛
لأنه - فيما زعم - رأى غولاً فقتلها.

^٣ في ديوان الحماسة من قصيدته التي مطلعها: (فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي فَوَارِسَ صَدَقَّتْ
فِيهِمْ ظُنُونِي).

^٤ في معلقته الشهيرة: (أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ نَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَمَلِّمِ).

والدِّين: الْمُلْكُ وَالسُّلْطَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} أَي فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ، وَقَالَ الشَّاعِرُ مِنْ أَهْلِ الرَّدَّةِ^١:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ حَاضِرًا فَيَا لَهْفَتَا مَا بَالُ دِينِ أَبِي بَكْرٍ
يُرِيدُ مُلْكَهُ، وَيُرْوَى: مُلْكِ أَبِي بَكْرٍ.

وقال الأُمويُّ: يَقَالُ: دِنْتُهُ، أَي مَلَكَتُهُ، وَأَنشَدَ لِلْحُطَيْبَةِ^٢:

لَقَدْ دُنَيْتِ أَمْرَ بَنِيكَ حَتَّى تَرَكْتَهُمْ أَدَقَّ مِنَ الطَّحِينِ
يُرِيدُ: مَلَكَتِ أَمْرَهُمْ.

وقد روي معنى ما تأولناه عن ابن مسعود قَالَ: إِذَا كَانَتْ سَنَةٌ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَإِنَّ يَهْلِكُوا فَبِالْحَرَى، وَإِنْ يَنْجُوا فَعَسَى، فَإِذَا كَانَتْ سَبْعِينَ رَأَيْتُمْ مَا تُنْكِرُونَ^٣.

^١ هو الخطيب بن أوس العبسي أخى الحطيبية، في سبعة أبيات رواها الطبري في تاريخه، منها:

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ كَانَ حَاضِرًا ... فَيَا لَهْفَتَا مَا بَالُ دِينِ أَبِي بَكْرٍ
أَيُورِثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ ... فَتَلِكِ، وَبَيْتِ اللَّهِ، قَاصِمَةُ الظَّهْرِ

^٢ في ديوانه من قصيدته لأمه، ومطلعها: (حَزَاكَ اللَّهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْعُفُوقَ مِنَ الْبَنِينَا).

^٣ رواه عبد الرزاق في المصنف: ٢٠٧٨٥.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ وَفْتَنَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ فَانْتَحَبَ الْقَوْمَ حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاهُهُمْ فَأَخَذَ بِلِجَبَتِي الْبَابِ فَقَالَ: "مَهْمِيمٌ؟"^١.

هَكَذَا قَالَ الْأَصَمُّ: لِحَبَّتِي الْبَابِ، وَأَرَاهُ لِحَفَّتِي الْبَابِ، بِالْفَاءِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اللَّجَافُ وَالنَّجَافُ أُسْكُفَةُ الْبَابِ، وَقَالَ آخَرُونَ: اللَّجَافُ مَا يُجْعَلُ مِنَ الْخَشَبِ فَوْقَ الْبَابِ لِيُمْسِكَهُ وَيُرَدَّهُ، وَالَّذِي أُرِيدَ بِهِ فِي الْحَدِيثِ إِنَّمَا هُوَ الْعَضَادَتَانِ دُونَ الْأُسْكُفَةِ وَدُونَ مَا يُجْعَلُ فَوْقَ الْبَابِ مِنَ الْخَشَبِ، وَاللَّجَفُ أَيْضًا مَا تَلَجَّفَ مِنَ الطِّينِ فِي أَسْفَلِ الْحَوْضِ وَالْبَعْرِ، أَيِ تَقَطَّعَ وَتَقَلَّعَ مِنْهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

يُحْجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاسْتُ الطَّبِيبُ قَذَاهَا
كالمغاريدي^٣

أي الكمأة.

^١ رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور، وعبد الرزاق في (المصنف) والطيالسي وأحمد، وحنبل بن إسحاق الشيباني في (الفتن) وابن عساكر في (التاريخ) وأبو عمرو الداني في (الفتن)، في حديث طويل من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية.

^٢ هو عذار بن درة الطائي.

^٣ وفسر ابن دريد هذا الشعر فقال: وصف الشاعر طبيبا يدوي شجة بعيدة القعر، فهو يجزع من هولها، فالقذى يتساقط من استه كالمغاريدي، والمغاريدي: جمع مغرود، وهو صمغ معروف.

وَاللَّجْفُ أَيْضًا: حَجَرٌ نَاتِيٌّ رُبَّمَا تَعَلَّقَتْ بِهِ الدَّلْوُ فَتَقَطَّعَتْ، قَالَ الشَّاعِرُ:

الدَّلْوُ دَلْوِي إِنْ نَجَّتْ مِنَ اللَّجْفِ وَإِنْ نَجَا صَاحِبُهَا مِنَ اللَّفْفِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ بِنَزْرٍ مُتَلَجِّفَةً، قَالَ: وَاللَّجْفُ أَيْضًا سُرَّةُ الْوَادِي، قَالَ: وَهُوَ الْبُعْثُ أَيْضًا.

وَمَهْيَمٌ: كَلِمَةٌ اسْتِفْهَامٌ وَاسْتِخْبَارٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْمُسْلِمُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يُرْدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ وَمُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِهِمْ"^١.

قَوْلُهُ: يُرْدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ حَضَرَ الْوَقْعَةَ مِنْ ضَعِيفٍ أَوْ قَوِيٍّ حَازَ الْمَغْنَمَ وَكَانَ أَسْوَأَ أَصْحَابِهِ، لَا يُفْضَلُ قَوِيٌّ كَثُرَ بِلَاؤُهُ عَلَى ضَعِيفٍ، يُقَالُ: رَجُلٌ مُشِدٌّ، إِذَا كَانَتْ دَوَابُّهُ شَدِيدَةً قَوِيَّةً، وَمُضْعِفٌ: إِذَا كَانَتْ دَوَابُّهُ ضِعَافًا. وَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ: أَنَّ الْمُضْعِفَ أَمِيرَ الرُّفْقَةِ، يُرِيدُ أَنَّ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ يَسِيرُوا بِسَيْرِهِ، أَنْشَدَنِي أَبُو عُمَرَ^٢:

^١ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ وهو لأعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم الهمداني: شاعر اليمانيين، بالكوفة وفارسهم في عصره. ويعد من شعراء الدولة الأموية. كان أحد الفقهاء القراء، وقال الشعر فعرف به وكان من الغزاة أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم

عَهْدِي بِهِمْ فِي الْحَيِّ قَدْ سَنَدُوا تَهْدِي صِعَابَ مَطِيَّهِمْ
 دُلَّهِ^١

وفيه من الفقه أنّ الجياد لا تُفَضَّلُ في السُّهُمانِ عَلَى المقاريف^٢.

وقوله: ومُتَسَرِّبِهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ، معناه أن الخارج في السرية يَرُدُّ عَلَى القاعد ما يُصِيبُهُ من الغنيمة، وهذا في السرية يبعثهم الإمام وهو خارجٌ إلى بلاد العدو فإذا غنموا شيئاً كَانَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ وبين أهل العسكر عامةً لأنهم ردة لهم، فأما إذا بَعَثَهُم الإمام وهو مُقيم فإنَّ القاعد معه لا يَشْرِكُ الضاعنَ في المغنم، فإن كَانَ الإمام جعل لهم نَقْلاً لم يَشْرِكُهُمْ غيرُهُم في شيء من ذَلِكَ عَلَى الوجهين مَعًا، وكان رَسُولُ الله يُنْقِلُ السريةَ إذا بعثهم في البداية والرجعة، وهو أن يَجْعَلَ لهم شَطْرَ ما غنمُوهُ بعد الخمس؛ ليكونَ أنشطَ لهم في العزو وأحرصَ عَلَى الجهاد.

ووقائع المسلمين معهم. ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز الأعشى إليه واستولى على سجستان معه وقاتل رجال الحجاج الثقفي. ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ الْخَلِيظَ أَجَدُّ مُنْتَقِلُهُ وَلِذَاكَ زُمَّتْ عُدُوَّةُ إِبِلُهُ).

^٢ المقاريف: الخيل الهجينة الضعيفة.

وَعَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْفَهْرِيِّ^١ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَقَلَ
الرُّبْعَ فِي الْبَدَاةِ، وَنَقَلَ الثُّلْثَ بَعْدَ الْحُمْسِ إِذَا قَفَلَ^٢.

ويُشَبَّه أن يكون - والله أعلم - إنما فَضَّلَ العطاءَ في الرَّجْعَةِ عَلَى الْبَدَاةِ لِقُوَّةِ
الظَّهْرِ عِنْدَ دُحُولِهِمْ، وَضَعْفِهِ عِنْدَ رَجُوعِهِمْ، فَجَعَلَ المَعُونَةَ لَهُمْ بِإِزَاءِ الْمُؤُونَةِ
عَلَيْهِمْ.

وفيه من الفقه جوازُ أمانِ العَبْدِ، قَاتِلٌ أَوْ لَمْ يقاتِل.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا بَلَغَهُمْ خُرُوجُ
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى بَدْرِ يَرْضُدُونَ الْعَيْرَ قَالُوا: اخْرُجُوا إِلَى مَعَايِشِكُمْ
وَخَرَائِثِكُمْ^٣.

^١ حبيب بن مسلمة الفهري القرشي (٢ ق.هـ - ٤٤٢هـ): يكنى بأبي عبد الرحمن، ويقال له حبيب
الدروب وحبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم. له صحبة ورواية يسيرة جاهد في خلافة أبي
بكر وشهد اليرموك أميراً وسكن دمشق. كان في غزوة تبوك ابن إحدى عشرة سنة. ولاة معاوية
بن أبي سفيان أرمنية فمات بها سنة اثنتين وأربعين وله نكاية قوية في العدو.

^٢ رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود. والمقصود: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ كَانَ يَخْصُ بعضَ الجيشِ بزيادةٍ بمقدارِ الرُّبْعِ فِي حالِ العَزْوِ، وبمقدارِ الثُّلْثِ بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنَ
العَزْوِ؛ وذلك من أجلِ مَخاطَرِ قَدِ قابَلْتَهُمْ، أو من أجلِ بُطولاتِ قاموا بها.

^٣ انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، أبي عبيد.

الحرائثُ: أنضاءُ الإبل^١، واحدها حَرَيْتَةٌ، وأصله في الخيل إذا هزلت، يقال: أحرثنا الخيلَ وحرثناها، أي هزلناها، وإنما يُقال في الإبل: أحرثناها، يقال: ناقَةٌ حَرَفٌ، أي هزيل، ويقال: سُمِّيَ حَرَفًا لانحرافه عَنِ السَّمَنِ إلى الهزال، وقد تكون الحرائثُ يُرادُ بها المكاسب والمتاجر، والاحتراثُ اكتسابُ المالِ، قَالَ امرؤُ القَيْسِ^٢:

وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْتِكَ يَهْزِلْ^٣

وبعضهم يرويه: إلى حرائبكم، جمع حَرَيْتَةٍ، وَحَرَيْتُهُ الرَّجُلُ مَالُهُ الَّذِي يَعِيشُ بِهِ، وهذا أشبه والله أعلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَّا قَدَمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ لَهُمْ: "أَمَعَكُمْ مِنْ أَزْوَدَتِكُمْ شَيْءٌ؟" قَالُوا: نَعَمْ، وَقَامُوا بِصُبْرِ التَّمْرِ فَوَضَعُوهُ عَلَى نِطْعٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَبِيَدِهِ جَرِيدَةٌ كَانَ يَحْتَصِرُ بِهَا، فَأَوْمَأَ إِلَى صُبْرَةٍ مِنْ ذَلِكَ التَّمْرِ فَقَالَ: "أَتَسْمُونَ هَذَا التَّعْضُوضَ؟" قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، "وَأَتَسْمُونَ هَذَا الصَّرْفَانَ؟" قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، "وَأَتَسْمُونَ هَذَا الْبَرْبِيَّ؟"

^١ جمع نضو، والبَضْوُ: المهزول من الحيوان.

^٢ وهو في ديوانه من معلقته الشهيرة: (فَمَا نَبَلِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنِ الدُّحُولِ فَحَوْمِلِ).

^٣ وتامه: (كِلَانًا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِي وَحَرْتِكَ يَهْزِلِ).

قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هُوَ خَيْرٌ تَمْرِكُمْ وَأَنْفَعُهُ لَكُمْ"، قَالَ: فَأَقْبَلْنَا مِنْ وَقَادَتِنَا تِلْكَ وَإِنَّمَا كَانَتْ عِنْدَنَا حَصْبَةٌ نَعْلِفُهَا إِبِلَنَا وَحَمِيرَنَا فَلَمَّا رَجَعْنَا عَظُمَتْ رَغْبَتُنَا فِيهَا وَنَسَلْنَاهَا^١ حَتَّى تَحَوَّلَتْ تِمَارُزًا فِيهَا وَرَأَيْنَا الْبِرْكََةَ فِيهَا^٢.

الْحَصْبَةُ: الدَّقْلُ، نَوْعٌ مِنْهُ يُسَمَّى الْحَصْبُ، قَالَ الْأَعْمَشُ^٣:

وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَجَذَعِ الْخِصَا بٍ يَزْدِي عَلَى سِلْطَاتٍ لُثْمٍ

قَالَ أَبُو عبيدة: الْخِصَابُ جَمْعُ الْحَصْبَةِ، وَهِيَ الدَّقْلُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ أَصْحَابُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَخَلَّفَ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ يَنْتَظِرُ إِذْ دَانَ رَبُّهُ فِي الْخُرُوجِ، اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِ، فَأَعْتَرَضَهُمْ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ جَلِيلٍ، عَلَيْهِ بَتٌّ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنِّي مُشِيرٌ عَلَيْكُمْ بِرَأْيِي، قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: نَأْخُذُ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ عَلَامًا شَابًّا هَدًّا ثُمَّ يُعْطَى سَيْفًا صَارِمًا فَيَضْرِبُونَهُ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ حَتَّى يَفْتُلُوهُ، ثُمَّ وَدَيْنَاهُ وَقَطَعْنَا عَنَّا شَافَتَهُ وَاسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَقَالَ الشَّيْخُ: هَذَا وَاللَّهِ الرَّأْيِيُّ^٤.

^١ أي استثمرناها وأخذنا نسلها. وفي رواية: وفسلناها.

^٢ رواه البخاري في الأدب المفرد. وقال الألباني: ضعيف الإسناد.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ نُلِمُّ أَمِ الْحَبْلُ وَاهٍ بِمَا مُنْجَدِمٌ).

^٤ انظر: السيرة النبوية.

يُقَالُ: شَيْخٌ جَلِيلٌ، إِذَا كَانَ مُسِنًَّا كَبِيرًا، وَقَدْ جَلَّ الرَّجُلُ، إِذَا أَسَنَّ، قَالَ كُنَّيْرٌ^١:

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَهْوَى لِكَ الرَّدَى وَجَنَّ اللّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ
أَنشَدَنِيهِ بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنشَدَنَا الدَّرِيدِيَّ قَالَ: كَانَ الرَّيَاشِي يَرُوهُ:

وَجَنَّ اللّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جَلَّتِ

أَيَ أَسَنَّتْ وَعَجَزَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَأَمُوهُ فِيهَا وَقَالُوا: مَا تَصْنَعُ بِهَا وَقَدْ
كَبُرَتْ وَعَجَزَتْ؟ وَسَاءَ النَّاسَ يَرُوونَهُ:

وَجَنَّ اللّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةُ جُنَّتِ

وَيُقَالُ أَيْضًا لِلرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْقَامَةِ الْجَهِيرِ الْمُنْظَرِ: جَلِيلٌ، وَنَاقَةٌ جَلَالَةٌ، إِذَا
كَانَتْ قَوِيَّةً ضَخْمَةً.

وَالْبَتُّ: كَسَاءٌ غَلِيظٌ مُرْبَعٌ.

وَقَوْلُهُ: غُلَامًا مَّهْدًا، يَرِيدُ الْقَوِيَّ الْجَلْدَ، وَأَكْثَرُ مَا يُوصَفُ بِهِ الْخَيْلُ، يُقَالُ فَرَسٌ
مَّهْدٌ، وَهُوَ الْجَسِيمُ الْمُشْرِفُ مِنَ الْخَيْلِ.

^١ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (حَلِيلِي هَذَا رَنْعُ عَزَّةٍ فَاعْتَقَلَا قَلُوصِيكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ
حَلَّتِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَشَفَاعَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَبِيهِ قَالَ: "فَيَمْسُحُهُ اللَّهُ ضِبْعَانًا أَمْجَرَ ثُمَّ يُدْخِلُ فِي النَّارِ" ^١، وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: "فَيَحْوِلُهُ اللَّهُ ذِيحًا".

الأمجر: العظمُ البطن المَهزولُ الجسم. ورواه أبو عبيدٍ: ضِبْعَانًا أَمْدَرًا، قَالَ: وَالْأَمْدَرُ الْعَظِيمُ الْبَطْنِ الْمُنْتَفَخِ الْجَنْبَيْنِ، قَالَ: وَيُقَالُ الْأَمْدَرُ الَّذِي قَدْ تَتَرَّبَ جَنْبَاهُ مِنَ الْمَدَرِ.

وَالذَّيْحُ: ذَكَرَ الضَّبَاعُ، قَالَ كَثِيرٌ يَصِفُ نَاقَةً ^٢:

وَذَفْرَى ككَاهِلِ ذِيخِ الْخَلِيفِ أَصَابَ فَرِيقَةً لَيْلٍ فَعَاثَا

وَالضَّبْعَانُ: الذَّكْرُ مِنَ الضَّبَاعِ، وَالضَّبْعُ الْأُنْثَى، وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِلذَّكْرِ مِنَ الْعُقَارِبِ عُقْرِيَانٌ، وَلِذَكَرِ الثَّعَالِبِ ثُعْلُبَانٌ، قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَرَوَاهُ لَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ، عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: فَإِذَا هُوَ عَيْلَامٌ أَمْدَرٌ، قَالَ: وَالْعَيْلَامُ ذَكَرُ الضَّبَاعِ، وَأَنْشَدَ:

تَمُدُّ بِالْعِلْبَاءِ وَالْأَخَادِعِ رَأْسًا كَعَيْلَامِ الضَّبَاعِ الظَّالِعِ

^١ انظر: مجمع البحرين في زوائد المعجمين الأوسط والصغير للطبراني، لنور الدين الهيثمي.

^٢ هو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (جَبَالٌ سُجِّيْقَةٌ أَمْسَتْ رِثَانًا فسقياً لها جُوداً أو رماناً).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُعْطَلَ السُّيُوفُ مِنَ الْجِهَادِ وَأَنْ تُخْتَلَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ"^١.
وَفِي غَيْرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: "وَتُتَّخَذُ السُّيُوفُ مَنَاجِلَ".

قوله: تُخْتَلَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يريد أنها تُطَلَبُ بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَأَصْلُ الخِتْلِ الخِدْعُ، يُقَالُ: خَتَلْتُ الرَّجُلَ، إِذَا خَدَعْتَهُ، وَأَنشَدَنِي أَبُو عَمْرٍ:

أَدَوْتُ^٢ لَهُ لِأَخْتِلَهُ فَهَيْهَاتَ الْفَتَى حَدِرُ

وَيُقَالُ: خَتَلْتُ الصَّيْدَ، إِذَا أَتَيْتَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاكَ، وَمِثْلُهُ: دَرَيْتُ الصَّيْدَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

فَإِنْ كُنْتُ لَا أَذْرِي الظِّبَاءَ^٣ فَإِنِّي أَدُسُّ لَهَا تَحْتَ التُّرَابِ الدَّوَاهِيَا

وقال الأخطل^٤:

وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَقْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي بِسَهْمِيكَ وَالرَّامِي يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي

^١ رواه أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب بن جبير الأسدي المصيصي المعروف بـ لوين (ت ٢٤٥هـ)، في كتابه (جزء لوين) باب من أشراط الساعة: ١٠٤.

^٢ أدوت: أخفيت.

^٣ لا أذري الظِّبَاءَ: لا أخدمها.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا يا إسلامي يا هندُ هندُ بني بدرٍ وإن كانَ حياناً عدى آخرَ الدهرِ).

يُرِيدُ أَنَّهُ قَدْ يُصِيبُ الرَّمِيَّةَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحْتَلِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِئُ إِنْ دَرَى، وَيُرْوَى: يَصِيدُ وَمَا يَدْرِي.

وقوله: تُتَّخَذُ السَّيْفُ مَنَاجِلَ، يَرِيدُ أَنَّ النَّاسَ يَتَرَكُونَ الْجِهَادَ وَيَسْتَعْلُونَ بِالْحَرْثِ وَالزَّرَاعَةِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ نَاوِلَهُ الْحَرَبَةَ فَلَمَّا أَنَّ أَحَدَهَا انْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً فَتَطَايَرْنَا عَنْهَا تَطَايِيرَ الشَّعَارِيرِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ^٢.

الشَّعَارِيرُ: أَصْلُهَا الْمَتَفَرِّقَةُ، يُقَالُ: تَفَرَّقُوا شَعَارِيرَ وَشَعَالِيلَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي التَّفَرُّقِ وَالتَّشْتُّبِ: ذَهَبُوا شَعَارِيرَ بِقِنْدَحَرَةٍ، وَمِثْلُهُ: شَعَارِيرَ بِقِدَّانٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ.

وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالشَّعَارِيرِ مَا يَجْتَمِعُ عَلَى دَبْرَةِ الْبَعِيرِ مِنَ الدَّبَّانِ، فَإِذَا هُيِّجَتْ تَطَايَرَتْ عَنْهَا وَتَفَرَّقَتْ، وَالشَّعْرَاءُ: ذُبَابُ الْكَلْبِ، وَيُجْمَعُ عَلَى الشُّعْرِ.

^١ ناول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحربة، وفي نهاية الحديث أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعن بها أَبِي بَنَ حَلْفٍ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً، فَفَتَلَهُ.

^٢ رواه ابن أبي عاصم في الجهاد، باب الشجاعة وتقدم الرجل في الحرب.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "النَّاسُ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ، وَإِنَّمَا يَتَفَاضِلُونَ بِالْعَافِيَةِ، وَلَا حَيْرَ فِي صُحْبَةٍ مَنْ لَا يَرَى لَكَ مِثْلَ الَّذِي تَرَى لَهُ"^١.

قوله: "كأسنان المشط" مثل، والمعنى أنهم سواء في أصل الخلقة والجيلة كما أن أسنان المشط سواء لا يفضل سناً منها سناً. ويقال في وجه آخر: هم كأسنان الحمار، وذلك في الدّم لا غير، قال الشاعر^٢:

سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانَ الْحِمَارِ

فأما قوله: "الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة"^٣، فمعناه أنهم متساوون في الحكم لا فضل لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضع. وقوله: "لا حير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي ترى له"، يتأول على وجهين: أحدهما أن يكون حدّره صحبة من يذهب بنفسه تيهًا وكبرًا فلا يرى لأحد على نفسه حقًا.

^١ أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء، وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان، وضعف الألباني إسناده في السلسلة الضعيفة.

^٢ قيل هو الفرزدق، ولم أجده في ديوانه. وتماه كما في لسان العرب: (شَبَاهُكُمْ وَشَبِيهُكُمْ سَوَاءٌ... سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانَ الْحِمَارِ).

^٣ متفق عليه.

وَالْوَجْهَ الْآخِرُ أَنْ يَكُونَ حَتَّىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ شُكْرِ الْعَارِفَةِ وَالْمُكَافَأَةِ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا خَيْرَ لَكَ فِي صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرَىٰ لَكَ عِنْدَهُ مِنَ الصَّنِيعَةِ مِثْلَ الَّذِي تَرَاهُ لَهُ عِنْدَكَ، يُرِيدُ: لَا تَرْضَ بِأَنْ تَكُونَ مَعْمُورًا بِبِرِّ مَنْ تَصْحَبُهُ حَتَّىٰ تُنِيلَهُ مِنْ بَرِّكَ مِثْلَ مَا تَنَالُ مِنْ بَرِّهِ، وَعَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ يُتَأَوَّلُ قَوْلُ جَرِيرِ بْنِ الْحُطَيْفِ^١:

وإي لأستحيي أخي أن أرى له علي من الحق الذي لا يرى
ليا^٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: "أَبُوهُ رَجُلٌ طَوَّلَ مُضْطَرِبُ اللَّحْمِ طَوِيلُ الْأَنْفِ كَأَنَّ أَنْفَهُ مِنْقَارٌ، وَأُمُّهُ امْرَأَةٌ فِرْضَاخِيَّةٌ عَظِيمَةُ الثَّدْيَيْنِ"^٣.

يقال: رجلٌ فِرْضَاخٌ وامرأةٌ فِرْضَاخَةٌ، والفِرْضَاخُ: الكثير اللحم العريض الصدر.

^١ ليس في ديوانه.

^٢ وهذا البيت مفردا منسوب أيضا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: من شجعان الطالبين وأجوادهم وشعرائهم.

^٣ رواه أحمد في المسند: ١٩٩٠٥. وإسناده ضعيف؛ علي بن زيد بن جُدعان، التميمي البصري، شيعي، ضعيف، ليس بحجة. انظر فوائد الحديث رقم (٦٥٥٩).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَاحَ أَهْلَ حَيْبَرٍ عَلَى أَنْ لَهُ الصَّفْرَاءَ وَالْبَيْضَاءَ وَالْحُلُقَةَ، فَإِنْ كَتَمُوا شَيْئًا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ، فَعَيَّبُوا مَسْكَ الْحَيِّيِّ بْنِ أَحْطَبَ فَوَجَدُوهُ، فَقَتَلَ ابْنَ أَبِي الْحَقِيقِ وَسَبَى ذُرَّيَهُمْ^١.

الصَّفْرَاءُ: الذَّهَبُ، وَالْبَيْضَاءُ: الْفِضَّةُ، وَيُقَالُ: مَا لِفُلَانٍ صَفْرَاءٌ وَلَا بَيْضَاءٌ.

وَالْحُلُقَةُ: الدُّرُوعُ، قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ^٢:

قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ تَنَمَّرُوا حَلَقًا

وَقَدًّا^٣

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ كُفَّارَ قُرَيْشٍ كَتَبُوا إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحُلُقَةِ وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا أَوْ لَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ فِي شَيْءٍ^٤.

^١ أخرجه أبو داود وابن حبان والبيهقي، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ عمرو بن معديكرِب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي: فارس اليمَن، وصاحب الغارات المذكورة. وفد على المدينة سنة ٩ هـ، في عشرة من بني زبيد، فأسلم وأسلموا، وعادوا. بعثه أبو بكر إلى الشام، فشهد اليرموك، وذهبت فيها إحدى عينيه. وبعثه عمر إلى العراق، فشهد القادسية. وكان عصي النفس، أبيها، فيه قسوة الجاهلية.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ليس الجمالُ بمقزِرٍ فاعلم وإن رُدِّيت بُردًا).

^٤ رواه أبو داود في حديث طويل صحح الألباني إسناده.

فالحلقة: الدروع، والخدم: الخلاخيل، واحدها حدمة، والمخدم: موضع الخلخال من الساق.

وقوله: فَعَيَّبُوا مَسْكَ^١ الحَيِّيِّ، فعن ابن شهاب قال: كان من مال أبي الحقيق كنز يسمى مسك الحمل، كان يليه الأكبر فالأكبر منهم، وإثم غيبوه وكنموه، فقتلهم رسول الله بنقضهم العهد.

وروى الواقدي عن أبي معشر قال: مسك الحمل كنز آل أبي الحقيق وحلي من حليهم، كان يكون في مسك حمل، ثم في مسك ثور، ثم في مسك جمل، وكان العرس يكون بمكة فيستعار منهم ذلك الحلي، قال الواقدي: وقد قومه نحو عشرة آلاف دينار.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن سلمة بن الأكوع قال: قدمنا مع رسول الله الحديبية، ففعد رسول الله على جباها، فسقينا واستقينا، ثم إن المشركين رأسونا الصلح حتى مشى بعضنا إلى بعض فاصطلحنا^٢. في قصة طويلة.

^١ المسك: جراب من جلد الحيوان.

^٢ رواه مسلم في صحيحه: ١٨٠٧.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْجَبَا: مَا حَوَّلَ الْبِئْرَ، مَقْصُورًا، وَالْجَبَا بِالْكَسْرِ: مَا جَمَعَتْ فِيهِ الْمَاءُ، قَالَ رُوْبَةُ^١:

ذَاكَ وَعَمْرَاتُ جِبَاهَا مُتْرَعٌ

وَأَنشَدْنَا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ أَنشَدَنَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا:

إِذَا الْمَرْءُ جَاَزَ الْأَرْبَعَيْنِ فَقُلْ لَهُ بَلَّغْتَ مَدَى الشُّبَّانِ وَيُحَاكَ فَاخْذَرِ

فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ وَارِدٌ جَبَا مَنْهَلٍ جَمَّ الشَّرِيعَةَ أَكْدَرِ

وقوله: راسونا الصلح، أي راودونا الصلح، قال: أبو زيد: يقال: رسست بين

القوم، أرسس رسسا، إذا أصلحت بينهم، ومثله: أسملت بين القوم إسمالا، قال

الأصمعي: ومثله: أسوت بينهم أسوا أسوا، وقال الكسائي: سملت بين القوم

وسممت، إذا أصلحت بينهم، قال الكميت^٢:

وَتَنَأَى قُعُورُهُمْ فِي الْأُمُورِ عَلَى مَنْ يَسْمُ وَمَنْ

يَسْمُلُ^٣

^١ لم أجده في ديوانه.

^٢ في ديوانه من قصيدة بمدح فيها بني أمية، مطلعها: (ولم يدبغونا على تحلى فيرمق أمر و لم يغملا).

^٣ قعورهم: عقولهم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ عَامَّةً وَصِيَّتِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ: الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^١.

هذا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي مَمَالِكِ الرَّبِيقِ أَمْرٌ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ.

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي حُقُوقِ الزَّكَاةِ وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي تَمْلِكُهَا الْأَيْمَانُ، عَلَى مُشَاكَلَةِ قَوْلِهِ: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}.

وَقَدْ يَكُونُ عِلْمٌ، بِمَا أَطَّلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْبِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ، أَنَّ الْعَرَبَ تُنَكِّرُ الزَّكَاةَ وَتَمْتَنِعُ مِنْ أَدَائِهَا إِلَى الْقَائِمِ مِنْ بَعْدِهِ، وَتَفْزَعُ فِي ذَلِكَ إِلَى الشُّبْهَةِ الَّتِي قَدْ تَعَلَّقَ بِهَا أَهْلُ الرِّدَّةِ، فَاحْتَجُّوا بِهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: إِنَّ فَرَضَ الزَّكَاةِ قَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْقَائِمِ بَعْدَهُ أَحْذُهَا لِأَنَّ الْخِطَابَ فِي قَوْلِهِ: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً} خَارِجٌ مَخْرَجِ الْخُصُوصِ لَهُ وَأَنَّ غَيْرَهُ مِنْ أُمَّتِهِ لَا يَتَسَعُّ لِلتَّطْهِيرِ وَالتَّزْكِيَةِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ^٢:

أَطْعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَوَا عَجَبًا مَا بَالُ مُلْكِ أَبِي بَكْرٍ

^١ أخرجه أبو داود وأحمد وابن ماجه، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ هو الخطيل بن أوس أخو الشاعر المشهور الحطيئة، وقد سبق ذكر البيت وتخرجه.

فَقَطَعَ رَسُولُ اللَّهِ دَعْوَاهُمْ هَذِهِ بِأَنْ جَعَلَ آخَرَ كَلَامِهِ الْوَصِيَّةَ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ الْأُيُمَّةِ بَعْدَهُ وَأَدَاءَ الزَّكَاةِ إِلَيْهِمْ، وَعَقَّلَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْآيَةِ وَالْخَبَرِ فَاحْتَجَّ بِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ فَقَالَ: وَاللَّهِ لِأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ^١.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ قَالَ: عَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فَرَأَيْنَا رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ، فَخَرَجَ نَاسٌ فِي أَثَرِهِ وَخَرَجْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أَسْلَمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَةٍ وَرَقَاءَ وَأَنَا عَلَى رَجُلِي، فَأَعْتَرَفْتُهَا حَتَّى آخَذَ بِخِطَامِ الْجَمَلِ فَأَضْرَبُ رَأْسَهُ، فَنَقَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ سَلْبَهُ^٢.

قَوْلُهُ: أَعْتَرَفْتُهَا، لَسْتُ أُدْرِي كَيْفَ الرَّوَايَةُ فِي هَذَا الْحَرْفِ بِالْعَيْنِ أَوْ بِالغَيْنِ، فَإِنْ كَانَتْ بِالْعَيْنِ مُعْجَمَةً كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ سَعَى شَدًّا عَلَى رِجْلِهِ حَتَّى تَقَدَّمَهَا فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْجَمَلِ، يُقَالُ لِلْفَرَسِ إِذَا خَالَطَ الْحَيْلَ ثُمَّ سَبَقَهَا: قَدْ اغْتَرَفَهَا، وَإِنْ كَانَتْ

^١ متفق عليه.

^٢ أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود وأحمد والشافعي في "السنن" ومسلم.

الرّواية بالعَيْنِ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَرَقَ الرَّجُلُ عُرُوقًا، فِي الْأَرْضِ، إِذَا ذَهَبَ، وَجَرَتْ
الْخَيْلُ عَرَقًا، أَيْ طَلَقًا، وَعَلَى هَذَا تَأَوَّلَ ابْنُ دُرَيْدٍ^١ قَوْلَ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ^٢:

تَعْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَاهِيَةٌ كَأَمَّا شَفَّ وَجْهَهَا نَزَفٌ

زَعَمَ مَبْرَمَانُ النَّحْوِيُّ^٣ أَنَّهُ أَنْشَدَهُمْ هَذَا الْبَيْتَ: تَعْتَرِقُ، بِالْعَيْنِ غَيْرِ مُعْجَمَةٍ،
يُرِيدُ أَنَّهَا تَسْبِقُ نَظْرَ الْعَيْنِ وَتَقْوُتُهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِيفَاءِ مُحَاسِنِهَا، قَالَ:
وَالرّوَايَةُ الصّحِيحَةُ تَعْتَرِقُ، بِالْغَيْنِ مُعْجَمَةٌ، وَرِوَايَةُ ابْنِ دُرَيْدٍ تَصْحِيفٌ.

وَقَالَ الْمُفْجَعُ^٤ يَذْكَرُ ذَلِكَ فِي أَشْيَاءٍ زَعَمَ أَنَّ صَحَّفَ فِيهَا:

أَلَسْتُ قَدِمًا جَعَلْتَ تَعْتَرِقُ الطَّرْفَ بِجَهْلٍ مَكَانَ تَعْتَرِقُ

^١ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ الْبَصْرِيِّ الْأَزْدِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ دُرَيْدٍ (٢٢٣ - ٣٢١هـ): كَانَ
أَحَدَ نَحْوَةِ الْبَصْرَةِ الرَّائِدِينَ، وَصَفَ بِأَنَّهُ «الْبَاحِثُ الْأَبْرَعُ، وَالْفَقِيهُ الْأَقْدَرُ وَأَوَّلُ شِعْرَاءِ عَصْرِهِ»، وَوَلِدٌ
فِي الْبَصْرَةِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ. يَعْرِفُ ابْنَ دُرَيْدٍ الْيَوْمَ خُصُوصًا كَمُعْجَمِيٍّ وَبِصَفْتِهِ مُؤَلِّفَ الْكِتَابِ
الْمَعْرُوفِ "الْجُمُهرَةُ" فِي عِلْمِ اللُّغَةِ. وَيَحِلُّ هَذَا الْقَامُوسُ الشَّامِلُ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ حَيْثُ
الشُّهُرَةُ، وَلَا يَسْبِقُهُ سِوَى مَعْجَمِ الْعَيْنِ لِلْفَرَاهِيدِيِّ.

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (رَدًّا الْخَلِيطُ الْجَمَالَ فِإِنْصَرَفُوا مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا).

^٣ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْعَسْكَرِيِّ (ت ٣٢٦هـ): عُرِفَ أَكْثَرَ بِلِقْبِهِ مَبْرَمَانٌ وَهُوَ نَحْوِيُّ
بَغْدَادِيٍّ، مَالَ إِلَى الْمَذْهَبِ الْبَصْرِيِّ، عَاصِرُ الرَّجَاجِيِّ وَابْنِ دُرَيْدٍ وَأَبِي عَلِيِّ الْفَارَسِيِّ.

^٤ الْمُفْجَعُ الْبَصْرِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْمُفْجَعِ (ت ٣٢٧هـ)، شَاعِرٌ
عَالِمٌ بِالْأَدَبِ مِنْ غَلَاةِ الشَّيْعَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ دُرَيْدٍ مَهَاجَةٌ، لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا
(التَّرْجَمَانُ فِي الشُّعْرِ وَمَعَانِيهِ وَالْمُنْقَذُ) وَ(عَرَائِصُ الْمَجَالِسِ) وَ(أَشْعَارُ الْجَوَارِيِّ).

وَقُلْتَ كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ أَدَمٍ وَهُوَ حِبَاءٌ يُهْدَى وَيُصْطَدَّقُ
يُرِيدُ قَوْلَ مُهْلَهْلِ بْنِ رَبِيعَةَ^١:

أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَقَمُ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَيَاءُ مِنْ أَدَمٍ
زَعَمَ أَنَّهُ أَنْشَدَهُمُ الْبَيْتَ بِالْحَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ الْحَيَاءُ بِالْحَاءِ، وَهُوَ عَطِيَّةُ الصَّدَاقِ،
وَكَانَ مُهْلَهْلُ نَزَلَ فِي آخِرِ حَرْبِ الْبَسُوسِ فِي جَنْبِ ابْنِ عَمْرٍو وَهُوَ حَيٌّ مِنْ
أَحْيَاءِ مَذْحِجٍ وَضَيْعٍ، فَحُطِبَتْ ابْنَتُهُ وَمُهْرَتْ أَدَمًا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ
فَزَوَّجَهَا، وَقَالَ:

أَنْكَحَهَا فَقَدَّهَا الْأَرَقَمُ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحَيَاءُ مِنْ أَدَمٍ
لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ خَاطِبُهَا ضُرِّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ
وَالْأَرَقَمُ: قَبِيلَةٌ مِنْ تَغْلِبَ، سَمَوْا أَرَقَمَ لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ شَبِهَتْ بَعْيُونَ الْأَرَقَمِ، وَهِيَ
الْحَيَاتُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ ثَوْرٍ الْهَلَالِيَّ أَتَاهُ حِينَ
أَسْلَمَ فَقَالَ:

أَصْبَحَ قَلْبِي مِنْ سُلَيْمَى مُفْصِدًا إِنْ حَطَّأَ مِنْهَا وَإِنْ تَعَمَّدَا
فَحَمَلِ الْهَمُّ كِلَاؤًا جَلَعَدَا تَرَى الْعُلَيْفِيَّ عَلَيْهِ مُؤَكَّدَا

^١ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة.

وَيَنْ نَسْعِيهِ خِدْبًا مُلْبِدًا إِذَا السَّرَابُ بِالْفَلَاةِ أَطْرَدَا
 وَنَجَدَ الْمَاءُ الَّذِي تَوَرَّدَا تَوَرَّدَ السَّيِّدِ أَرَادَ الْمَرْصَدَا
 حَتَّى أَرَانَا رَبُّنَا مُحَمَّدًا^١

يُقَالُ: أَفْصَدْتُ الرَّجُلَ، إِذَا طَعَنْتَهُ فَلَمْ تُحْطِ مَقَاتَلَهُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

وإن كُنْتَ قد أَفْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي بِسَهْمِيكَ وَالرَّامِي يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي
 وَقَوْلُهُ: فَحَمَلُ الْهَمِّ، هَكَذَا أَنشَدُوهُ، بِكَسْرِ الْهَاءِ، وَالْهَمُّ: الشَّيْخُ الْفَانِي، وَالْهَمُّ
 الْجَمَلُ أَيْضًا.

وَالْكَلازُ: الْمُجْتَمِعُ الْخَلْقِ، يُقَالُ: اكْتَلَأَ الرَّجُلُ، إِذَا تَقَبَّضَ وَتَجَمَّعَ، قَالَ
 الشَّاعِرُ:

^١ وهي في ديوانه، وتماهما:

حَتَّى أَرَانَا رَبُّنَا مُحَمَّدًا يَتْلُو مِنَ اللَّهِ كِتَابًا مُرْشِدًا

فَلَمْ نُكْذِبْ وَخَرَرْنَا سُجَّدًا نُعْطِي الرِّكَاءَ وَنُقِيمُ الْمَسْجِدَا

^٢ هو الأخطل، في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها عبد الملك بن مروان، ويفتخر على قيسٍ
 ويهجوها، ومطلعها: (أَلَا يَا إِسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَدْرِ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عِدَىَّ آخِرَ الدَّهْرِ).

أَقُولُ وَالنَّاقَةُ بِي تَقَحَّمُ وَأَنَا مِنْهَا مُكَلِّئٌ
مُعْصِمٌ^١

والجلعدُ: الغليظ الضخْمُ، قَالَ الْهُدَلِيُّ^٢:

أَرَى الدَّهْرَ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ أَبُودُ بِأَطْرَافِ المَنَاةِ
جَلْعُدُ^٣

والعليفي: الرجلُ، منسوبٌ إلى قَوْمٍ كانوا يعملون الرِّحَالِ، يقال لهم: بنو
علافٍ، قَالَ النابغة^٤:

شَعْبُ العِلَافِيَّاتِ بَيْنَ فُرُوجِهِمْ
يُرِيدُ أَنَّهُمْ اخْتَارُوا العَزْوَةَ عَلَى النِّسَاءِ.

^١ جاء في تاج العروس للزبيدي: تَفَحَّمَتْ بِهِ (الناقَةُ) وَذَلِكَ إِذَا نَدَّتْ بِهِ فَلَمْ يَضْبِطْ رَأْسَهَا، وَرَمَّهَا طَوَّحَتْ بِهِ فِي وَهْدَةٍ، أَوْ وَقَصَتْ بِهِ، قَالَ الرَّاجِزُ: (أَقُولُ وَالنَّاقَةُ بِي تَقَحَّمُ وَأَنَا مِنْهَا مُكَلِّئٌ مُعْصِمٌ: وَجُحْكٍ مَا اسْمُ أُمِّهَا يَا عَلْكُمُ) يُقَالُ: إِنَّ النَّاقَةَ إِذَا تَفَحَّمَتْ بِرَأْسِهَا نَادَتْ لَا يَضْبِطُ رَأْسَهَا إِذَا سَمَى أُمِّهَا وَقَفَّتْ.

^٢ ساعدة بن جُوَيْبَةَ، أَحَدُ بَنِي كَعْبِ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ بْنِ سَعْدِ هُدَيْلٍ: شَاعِرٌ مُحْسِنٌ جَاهِلِيٌّ.

^٣ وهو في ديوانه في شعر الهذليين، من قصيدته الشهيرة التي يرثي فيها ابنَ أَبِي سُفْيَانَ: (أَلَا بَاتَ مَنْ حَوْلِي نِيَاماً وَرُقْدًا وَعَاوَدَنِي حُرْبِي الَّذِي يَتَجَدَّدُ). والأبود: المتوحش، والمناعة اسم جبل.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (نَبِئْتُ زُرْعَةَ وَالسَّفَاهَةَ كَأَسْمِهَا يُهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الأشْعَارِ).

قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ الرَّحَالَ عِلافٌ، وَهُوَ زَبَانُ أَبُو جَرِّمٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلرَّحَالَ: عِلافِيَّةٌ.

والمؤكَّد: الموثَّق الشَّدِيدُ الأَسْر، وَيُرْوَى:

تَرَى العُلَيْفِيَّ عَلَيْهِ مُوفِداً

ومعناه مُشْرِفاً.

والخِدْبُ: الضَّحْمُ، يَرِيدُ بِهِ سَنَامَهُ أَوْ جُفْرَةَ جَنْبِيهِ.

والمُلْبِدُ هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ لِبْدَةٌ مِنَ الوَبْرِ.

ويُقَالُ: اطَّرَدَ السَّرَابُ، إِذَا حَفَقَ وَلَمَعَ.

وقوله: نَجَدَ المَاءُ، أَي سَالَ العَرَقُ، يُقَالُ: نَجَدَ يَنْجُدُ نَجْدًا، قاله الأَصْمَعِيُّ وغيره، وأراد بالماء الَّذِي تَوَرَّدَ العَرَقَ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ ذِفْرِي البَعِيرِ^١ أَسْوَدَ، فَيَقْطُرُ ثُمَّ يَصْفَرُ، وتَوَرَّدَهُ تَلُونُهُ، شَبَّهَ تَلُونَهُ بِتَلُونِ السَّيِّدِ، وَهُوَ الذُّئْبُ إِذَا تَلَوَّنَ فِجَاءً مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: {فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} مِنْ هَذَا.

^١ الذِّفْرَى مِنَ الحَيَوَانِ وَالإِنْسَانِ: العِظْمُ الشَّاخِصُ خَلْفَ الأُذُنِ، وَهِيَ ذِفْرِيَانِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا الْعَطَاءَ مَا كَانَ عَطَاءً، فَإِذَا تَجَاحَفْتُمْ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُلْكِ وَكَانَ عَن دِينِ أَحَدِكُمْ فَدَعُوهُ"^٢.

قوله: تجاحفت، معناه تنازعت الملك وتقاتلت عليه، ومنه قولهم: أبحفت بنا السنة، أي أذهبت المال وأضررت به، قال الأصمعي: يقال سيل جحاف وجراف، وهو الذي يذهب بكل شيء، قال امرؤ القيس^٣:

لها عجزٌ كصفاة المسيد
لأبرز عنها الجحاف المضرب

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ يُجْرَحْ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَشَلْشَلُ؛ لَوْنُ لَوْنِ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ"^٤.

^١ أي إن كان العطاء الذي يعطيه الملك عوضاً عن دينكم بأن يعطيه العطاء ويحمله على فعل ما لا يجل فعله في الشرع من قتال من لا يجل له قتاله، وفعل ما لا يجوز فعله في دينه (فدعوه).

^٢ رواه أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في كراهية الاقتراض في آخر الزمان.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أحار بن عمرو كأبي حمر ويعدو على المرء ما يأتهم).

^٤ متفق عليه.

قوله: يَتَشَلِّشُ، معناه يَتَقَاطِرُ دَمًا، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ ١:

وَفَرَاءَ عَرَفِيَّةٍ أَتَى حَوَارِزَهَا مُشَلِّشٌ ضَيَّعَتْهُ بَيْنَهَا
الْكُتْبُ ٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا تُحَرِّمُ الْمَلْحَةَ
وَالْمَلْحَتَانِ" ٣.

الْمَلْحَةُ، بِالْحَاءِ: الرِّضْعَةُ الْوَاحِدَةُ، وَالْمِلْحُ: الرِّضَاعُ، قَالَ أَبُو الطَّمْحَانِ
الْقَيْنِيُّ ٤:

١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية
سرب).

٢ وفراء: أي مزادة واسعة، غربية: دبغت بالغرف، وهو شجر، أتى: أفسد، الخوارز: النساء اللاتي
تحيط المزادة، المشلش: نعت سرب، وهو دائم القطر، كتب: غرز. يريد أن هذه الخرز لما اتسعت
ضيعت الماء بينها.

٣ جاء في شرح السنة للبعوي: «لَا تُحَرِّمُ الْمَصَّةَ مِنَ الرِّضَاعِ وَالْمَصَّتَانِ» هَكَذَا رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا
الْحَدِيثَ، ... أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَيُرْوَى: «لَا تُحَرِّمُ الْإِمْلَاجَةَ وَلَا الْإِمْلَاجَتَانِ»، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: الْمَصَّةُ
وَالْمَصَّتَانِ، وَالْمِلْحُ: الْمَصُّ، وَيُقَالُ: مَلَجَ الصَّبِيُّ أُمَّهُ يَمْلِجُهَا، وَمِلَجٌ يَمْلِجُ، وَأَمْلَجَتِ الْمَرْأَةُ صَبِيَّهَا،
وَالْإِمْلَاجَةُ أَنْ تُمَصَّ لَبَنُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً، وَيُرْوَى: "لَا تُحَرِّمُ الْمَلْحَةَ وَالْمَلْحَتَانِ"، بِالْحَاءِ، يَعْنِي الرِّضْعَةَ
الْوَاحِدَةَ، يُقَالُ: مَلَحَ يَمْلَحُ: إِذَا رَضَعَ، وَالْمَلْجَةُ بِالْجِيمِ: الْمَصَّةُ.

٤ حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة: شاعر، فارس، معمر، مخضرم عاش في الجاهلية،
وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي (صلى

وَإِنِّي لِأَرْجُو مِلْحَهَا فِي بُطُونِكُمْ وَمَا بَسَطْتُ مِنْ جِلْدٍ أَشَعَتْ
أَغْبِرًا^١

وكانوا أغاروا على إبله، يقول: أرجو أن يعطفكم ما شربتم من ألبانها وترعون لي حرمة ذلك فتردونها، وقال آخر^٢:

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رَبُّ الْبَلَاءِ دِ وَالْمِلْحِ مَا وَلَدَتْ
خَالِدَهُ^٣

وقال عمرو بن سعيد لعبد الملك يوم قتله: أذكرك ملح فلانة، يعني امرأة أرضعتها معاً، والملح الشحم أيضاً، قال مسكين الدارمي^٤:

الله عليه وسلم). يروى أنه جاور بني جديلة (من طيء) فوقع حرب بينهم وبين بني الغوث عرفت (بحرب الفساد) فأسر فيها أبو الطمحان فمدح في شعره بجير بن أوس بن حارثة فاشتره وأعتقه. ارتكب جنابة فطلبه الحاكم ففر ثم لجأ إلى مالك بن سعد أحد بني شميخ من فزارة فأجاره وآواه وأكرمه إلى أن مات.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا حَنَّتِ الْمِرْقَالُ وَالَّتَبَّ رَبُّهَا تَذَكَّرَ أَوْطَانًا وَأَذَكَّرُ مَعْشَرِي).

^٢ هو شُتَيْم بن حُوَيْلِد الفَرَّازِي: شاعر جاهلي، له قطع متفرقة، منها قطعة آخرها البيت المشهور: (فإن يكن القتل أفتاهم فلموت ما تلد الوالدة).

^٣ والبيت مطلع القصيدة، وبعده: (هُمُ الْمُطْعَمُونَ سَدِيفَ الْعِشَاءِ رِ وَاللَّحْمَ فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ).

^٤ ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح الدارمي التميمي (ت ٨٩ هـ): شاعر عراقي شجاع، من أشرف تميم. لقب مسكيناً لأبيات قال فيها: (أنا مسكين لمن أنكربي) ومن متداول شعره: (أخاك

لَا تَلْمُهَا إِنَّمَا مِنْ أُمَّةٍ مِلْحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ
الرُّكْبِ^١

وقال الأصمعي: بَعِيرٌ مَلْحٌ، إِذَا كَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ شَحْمٍ، وَقَالَ عُرْوَةُ^٢:

عَشِيَّةٌ رَحْنَا سَائِرِينَ وَزَادْنَا بَقِيَّةَ شَحْمٍ مِنْ جَزْوَرٍ
مُملِح^٣

فَأَمَّا الْمَلَجَةُ، بِالْجِيمِ، فَهِيَ الْمَصَّةُ، يُقَالُ: مَلَجَهَا وَمَلَقَهَا، وَلَا يُقَالُ مَلَحَهَا،
مِنَ الْمِلْحِ، إِنَّمَا يُقَالُ: مَلَحْتُ بِهِ، إِذَا أَرْضَعْتَهُ.

وفي الحديث من الفقه أَنَّ الرِّضْعَةَ وَالرِّضْعَتَيْنِ لَا تُوقَعُ الْحَرْمَةُ.

وفي بعض الروايات: "لَا تُحَرِّمُ الْحَلَجَةُ وَالْحَلَجْتَانِ"، وَأَصْلُ الْحَلَجِ النَّزْعُ، وَكُلُّ
قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ نَزَعٌ عَنْ كَثِيرٍ فَقَدْ حُلِجَ مِنْهُ، وَمِنْ هَذَا خَلِجَ الْبَحْرُ.

أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَحَا لَهُ كَسَاعٌ إِلَى الْهَيْجَا بَغَيْرِ سِلَاحٍ لَهُ أَخْبَارٌ مَعَ مَعَاوِيَةَ. وَكَانَ مُتَصِلًا بِزِيَادِ
بْنِ أَبِيهِ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَنَا مَسْكِينٌ لِمَنْ يَعْرِفُنِي لَوْنِي السَّمْرَةُ أَلْوَانُ الْعَرَبِ).

^٢ عُرْوَةُ بِنُ الْوَرْدِ بِنُ زَيْدِ الْعَبْسِيِّ، مِنْ غَطَفَانَ: مِنْ شَعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفِرْسَانِهَا وَأَجْوَادِهَا. كَانَ يَلْقَبُ
بِعُرْوَةَ الصَّعَالِيكِ، لَجَمْعِهِ إِيَاهُمْ، وَقِيَامِهِ بِأَمْرِهِمْ إِذَا أَخْفَقُوا فِي غَزْوَاتِهِمْ. قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بِنُ مِرْوَانَ:
مَنْ قَالَ إِنْ حَاتَمًا أَسْمَحَ النَّاسُ فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بِنُ الْوَرْدِ.

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (قُلْتُ لِقَوْمٍ فِي الْكَنْبِ تَرَوُّوْا عَشِيَّةً بِنْتَنَا عِنْدَ مَاوَانَ
رُوحِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ حَيْلًا أَعَارَتْ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ فخرج رسول الله وجاء أبو قتادة وقد رجّل شعره^١ فقال رسول الله: "إِنِّي لَأَرَى شَعْرَكَ حَبَسَكَ" فَقَالَ: لَا تَيْبِنَكَ بِرَجْلِ سَلَمٍ^٢.

قَوْلُهُ: سَلَمٌ، أَي أُسِيرٌ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْأُسَيْرِ سَلَمٌ لِأَنَّهُ قَدْ أُسْلِمَ وَحُدِلَ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ^٣:

وَقُوْفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ كَأَنِّي بِهَا سَلَمٌ فِي كَفِّ صَاحِبِهِ نَأْرُ

وَمِثْلُهُ: قَوْمٌ سَلَمٌ، الْوَاحِدُ وَالْجَمِيعُ سَوَاءٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^٤:

فَاتَّعَيْنُ مَرَوَانُ فِي الْقَوْمِ السَّلَمِ

وَهَذَا كَمَا قِيلَ: رَجُلٌ حَصَمٌ وَقَوْمٌ حَصَمٌ، وَرَجُلٌ عَدُوٌّ وَقَوْمٌ عَدُوٌّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ}.

^١ فقد كانوا يستحبون أن يوفروا شعورهم.

^٢ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه: ٢٠٥٧٨.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها بني ضبة، ومطلعها: (رَعَتِ نَاقَتِي مِنْ أُمَّ أَعْيَرَ رَعِيَّةً يُشَلُّ بِهَا وَضِعًا إِلَى الْحَقْبِ الصَّفْرِ).

^٤ هو العجاج، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَى مَنْ لَمْ يَنَمْ وَأَحْتَمَّتِ الْعَيْنُ إِحْتِمَامَ ذِي السَّقَمِ).

ويقال: إنما سُمِّيَ اللَّدِيعُ سَلِيمًا لِأَنَّهُ مُسْتَسَلِمٌ لِمَا بِهِ، أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْمُكَارِمِ عَنِ السَّلِيمِ فَقَالَ: سُمِّيَ سَلِيمًا لِأَنَّهُ مُسْتَسَلِمٌ لِمَا بِهِ، قَالَ: وَسُمِّيَتْ مَفَاذَةٌ لِأَنَّ مِنْ قِطْعِهَا فَازَ بِالْحَيَاةِ.

وقال بعضهم: إنما سُمِّيَتْ مَفَاذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ فَوَزَّ الرَّجُلُ، إِذَا مَاتَ، يَرِيدُ أَهْبَ مَهْلِكَةً، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الْكُمَيْتِ^١:

وَمَا ضَرَبَنِي أَنْ كَعْبًا ثَوَى وَفَوَزَّ مِنْ بَعْدِهِ
جَزُولُ^٢

فَأَمَّا عَامَّةُ أَهْلِ اللُّغَةِ؛ الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ؛ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: سُمِّيَ سَلِيمًا عَلَى مَذْهَبِ التَّطْيِيرِ لِيَسْلَمَ، كَمَا سُمِّيَتْ مَفَاذَةٌ لِيَفُوزَ.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخَرُ أَنَّهُ أَخَذَ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ سَلَمًا، فَمَعْنَاهُ أَهْمُ اسْتَسَلَمُوا فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} أَيِ الْمَقَادَةَ وَاسْتَسَلَمُوا لَكُمْ.

^١ في ديوانه من مقطوعة مطلعها: (فدونك مُقْرِبَةً لَا تُسَا ط كرهاً بسوط ولا تُركل).

^٢ ثوى: هلك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَالْقَسَامَةَ" قِيلَ وَمَا الْقَسَامَةُ؟ قَالَ: "الشَّيْءُ يَكُونُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنْتَقَصُ مِنْهُ"^١.

المُحَدِّثُونَ يَقُولُونَ: الْقَسَامَةُ، بَفَتْحِ الْقَافِ، وَالْقَسَامَةُ مِنْ قَسَمَ الْيَمِينِ، وَإِنَّمَا هِيَ الْقَسَامَةُ، بِضَمِّ الْقَافِ، وَهُوَ مَا يَأْخُذُهُ الْقَسَامُ لِأَجْرَتِهِ فَيَعْرَلُ مِنْ رَأْسِ الْمَالِ جُزْءًا مَعْلُومًا لِنَفْسِهِ، كَالسُّقَاطَةِ اسْمًا لِمَا يَسْقُطُ، وَالنُّشَارَةَ لِمَا يُنَشَرُ، وَالتُّحَاتَةَ لِمَا يُنْحَتُ، وَالبُرَايَةَ لِمَا يُبْرَى، وَإِنَّمَا الْمَكْرُوهُ مِنْ ذَلِكَ مَا يُفْتَاتُ بِهِ عَلَى أَرْبَابِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ إِذْنِ مَنْهُمْ فِيهِ عَلَى مَا تَوَاضَعَهُ الْبَاعَةُ وَارْتَسَمَهُ السَّمَّاسَةُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنْ أَخْذِهِمْ مِنْ عُرْضِ الْمَالِ شَيْئًا مَعْلُومًا مِنْ كُلِّ أَلْفِ دَرْهَمٍ عَشْرِينَ دَرْهَمًا أَوْ نَحْوَهَا، وَإِنَّمَا يَلْزَمُ فِي هَذَا أَجْرُ الْمِثْلِ بِالْعَا مَا بَلَغَ، وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَرِهَ أَجْرَةَ الْقَسَامِ، إِلَّا مَا يُرْوَى عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّمَا لَا تَحِلُّ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ زَعَمَ، كَالْحَاكِمِ، وَإِنَّمَا أَجْرُهُ فِي بَيْتِ الْمَالِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ لَهُ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ مِنْ أَطْوَلِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ صَلَاةً، فَأَتَاهُ فَأَخَذَ بَعْضُدهِ فَنَشَلَهُ نَشَلَاتٍ وَقَالَ: "إِنَّ هَذَا أَخَذَ بِالْعُسْرِ وَتَرَكَ الْيُسْرَ" ثَلَاثًا، ثُمَّ دَفَعَهُ فَخَرَجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ^٢.

^١ رواه أبو داود في السنن: ٢٤٠٥، والطبراني في الأوسط: ٨٤٩٨.

^٢ انظر: مسند الحارث بن أبي أسامة، والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني.

قوله: نَشَلَهُ نَشَلَاتٍ، أَي جَذَبَهُ جَذَبَاتٍ، وَبِهِ سُمِّيَ الْمِنْشَلُ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يُخْرَجُ بِهَا اللَّحْمُ مِنَ الْقَدْرِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَقْبَلَ مِنْ حَيْبَرٍ وَأَقْبَلَ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَدْ حَازَهَا وَكَانَ يُحَوِّي وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ أَوْ بِكِسَاءٍ ثُمَّ يُرْدِفُهَا وَرَاءَهُ^١.

قوله: يُحَوِّي، هُوَ أَنْ يُدِيرَ كِسَاءً حَوْلَ سَنَامِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يركبُ، وَهُوَ الْحَوِيَّةُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَالسَّوِيَّةُ كِسَاءٌ مَحْشُوءٌ بِشَمَامٍ أَوْ لَيْفٍ أَوْ نَحْوِهِ يُجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ.

وَفِي قِصَّةِ بَدْرِ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ بَعَثَ عُمَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ لِيَحْزُرَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ فَأَطَافَ عُمَيْرٌ بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتُ الْحَوَايَا عَلَيْهَا الْمَنَايَا نَوَاضِحٌ يَثْرَبُ تَحْمِلُ الْمَوْتَ النَّاقِعَ^٢.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ عَاهَدَهُ أَنْ لَا يُعِينَنَّ عَلَيْهِ وَلَا يُفَاتِلَهُ، وَلِحَقٍّ بِمَكَّةَ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مَعْلَنًا مَعَادَةَ النَّبِيِّ، فَخَزَعَ مِنْهُ هِجَاؤُهُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ يَقُولُ:

أَذَاهُ أَنْتَ لَمْ تَحْلُلْ بِمَرْقَبَةٍ وَتَارِكُ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ^٣ بِالْحَرَمِ

^١ رواه البخاري ومسلم، في حديث طويل.

^٢ انظر: السيرة النبوية لابن هشام.

^٣ أم الفضل بنت الحارث بن حزن الهلالية: أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وزوج العباس بن عبد المطلب، اسمها لبابة. وقد قتله النبي لخيانته وتشبيبه بنساء المسلمين.

فِي أُبْيَاتٍ، فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ^١.

قوله: فخرج منه هجاؤه للنبي، أي قطع ذمته وعهده هجاؤه للنبي - عليه السلام - يقال: خَزَعَنِي ظَلْعٌ فِي رِجْلِي، أَي قَطَعَنِي عَنِ الْمَشْيِ، وَأَخْرَجَ فُلَانٌ عَنَّا: أَي انْقَطَعَ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^٢:

فَلَمَّا هَبَطْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَعَتْ خُزَاعَةُ عَنَّا فِي حُلُولِ كِرَاكِرٍ

قوله: تَخَزَعَتْ خُزَاعَةُ عَنَّا، تَقَطَّعَتْ، وَبِهِ سُمِّيَتْ خُزَاعَةٌ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَأْرِبٍ وَسَيْلِ الْعَرِمِ مَا كَانَ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ إِلَى طَرِيفَةِ الْكَاهِنَةِ، فَقَالُوا لَهَا: مَاذَا تَأْمُرِينَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ، وَجَمَلٍ شَدِيدٍ، وَمَزَادٍ جَدِيدٍ، فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عُمَانَ الْمَشِيدِ، فَكَانَتْ أَرَدَ عُمَانَ، ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا جِلْدٍ وَقَسْرٍ^٣، وَصَبْرٍ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ، فَعَلَيْهِ بِالْأَرَاكِ مِنْ بَطْنِ مَرٍّ، فَكَانَتْ خُزَاعَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الرَّاسِيَاتِ فِي الْوَحْلِ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَحَلِّ، فَلْيَلْحَقْ بَيْتْرَبَ ذِي النَّخْلِ، فَكَانَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْخَمْرَ وَالْحَمِيرَ، وَالْمُلْكَ

^١ رواه ابن إسحاق وابن هشام في السيرة، والبيهقي في دلائل النبوة، باب ما جاء في قتل كعب بن الأشرف.

^٢ في ديوانه ضمن بيتين هذا أولهما، والآخر: (حَمَتْ كُلُّ وَاِدٍ مِنْ تِحَامَةٍ وَاحْتَمَّتْ بِصُمِّ الْقَنَا وَالْمَرْهَفَاتِ الْبَوَاتِرِ).

^٣ القسر: القوة.

والتأمير، ويلبس الدِّيَاجَ والحريز، فليلق بْبُصْرَى وَعَوِير، وهما من أرض الشام، فكان الذين سَكَنُوهَا آلُ جَفْنَةَ وَعَسَّان، ثُمَّ قَالَتْ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ النَّيَابَ الرَّقَاقَ، وَالخَيْلَ الْعَتَاقَ، وَكَنُوزَ الْأَرْزَاقِ، وَالِدَّمَ الْمُهْرَاقَ، فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِ الْعِرَاقِ، فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا آلُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَمَنْ كَانَ بِالْحَيْرَةِ مِنْ آلِ عَسَّانِ وَآلِ مُحَرَّقٍ، قَالَ: فَأَقْبَلُوا وَسَارَتْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَانخَزَعَتْ خِزَاعَةٌ بِمَكَّةَ فَأَقَامَ بِهَا وَوَلِيَ الْبَيْتَ، وَذَكَرَ الْقِصَّةَ بِطُولِهَا^١.

يريد أنها تخلفت عن أصحابها وانقطعت عنها.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَاحَحَ أَهْلِ الْخُدَيْبِيَّةِ أَنْ لَا يَدْخُلُوا مَكَّةَ إِلَّا بِجُلْبَانِ السِّلَاحِ^٢.

الْجُلْبَانُ: شَيْءٌ شَبِيهُ بِالْجِرَابِ مِنَ الْأَدَمِ يَضَعُ فِيهِ الرَّكْبُ سَيْفَهُ بِقِرَابِهِ وَيَضَعُ فِيهِ سَوْطَهُ يُعَلِّقُهُ الرَّكْبُ مِنْ وَاسِطَةِ رَحْلِهِ أَوْ مِنْ آخِرِهِ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطُوا دَخُولَهُ

^١ ذكر الأزرقي هذه القصة في أخبار مكة.

^٢ متفق عليه. وفي الحديث: فَسَأَلُوهُ مَا جُلْبَانُ السِّلَاحِ؟ فَقَالَ: الْقِرَابُ بِمَا فِيهِ.

مَكَّةَ وَالسُّيُوفُ فِي قُرْبِهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ عَلَمًا لِلسَّلْمِ إِذْ كَانَ دَخُولُهُ مَكَّةَ صُلْحًا،
 وَلَوْ دَخَلُوهَا مُتَقَلِّدِينَ لَهَا لَمْ تَوْمَنِ السَّلَّةُ^١، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^٢:

إِنْ تَسَأَلُوا الْحَقَّ نَعْطِ الْحَقَّ سَائِلُهُ وَالدِّرْعُ مُحَقَّبَةٌ وَالسِّيفُ
 مَقْرُوبٌ^٣

وَالعَرَبُ لَا تَضَعُ السِّلَاحَ إِلَّا فِي الْأَمْنِ، قَالَ مُرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ^٤:

^١ السَّلَّةُ: المُرَّةُ مِنَ السَّلِّ، أَتَيْنَاهُمْ عِنْدَ السَّلَّةِ: أَيَّ عِنْدَ اسْتِلَالِ السُّيُوفِ.

^٢ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَنَمَةَ بْنِ حَرْثَانَ الضَّبِّي: مِنْ شِعْرَاءِ الْمَفْضَلِيَّاتِ، لَهُ فِيهَا قَصِيدَةٌ وَمَقْطُوعَةٌ مِنْ عَالِي الشَّعْرِ، وَهُوَ مَخْضَرُمٌ عَاشَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَثَى فِيهَا بِسْطَامَ بْنَ قَيْسِ الْمَتَوَفِيِّ سَنَةَ (١٠ هـ). ثُمَّ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ (سَنَةَ ١٥ هـ) فِي الْإِسْلَامِ، وَمَاتَ بِالشَّامِ.

^٣ فِي شَعْرِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (مَا إِنْ تَرَى السَّيْدَ زَيْدًا فِي نُفُوسِهِمْ كَمَا تَرَاهُ بَنُو كَوْزٍ
 وَمَرْهُوبٌ).

^٤ مَرَّةٌ بْنُ مَحْكَانَ الزُّبَيْعِيُّ السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ: شَاعِرٌ مَقَلٌّ، يَكْنَى أَبُو الْأَضْيَافِ. كَانَ سَيِّدَ بَنِي زُبَيْعٍ (مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ) وَشَهِدَ وَقْعَةَ الْجَفْرَةِ بَيْنَ جَيْشِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَمَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ. وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْفَرَزْدَقِ مَهَاجَاةً. وَفِي الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ أَنَّ مَصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ أَمَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ بِنَ خَزِيمَةَ بِقَتْلِ مَرَّةَ بْنِ مَحْكَانَ، فَقَالَ مَرَّةٌ فِي ذَلِكَ:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تَحَارِبُوا تَمِيمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانَ اشْتَعَلَتْ
 وَلَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيبَةٌ بِيَاكَ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

وَقَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: قَتَلَهُ صَاحِبُ شَرْطَةِ مَصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَلَا عَقَبَ لَهُ.

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي عَيْرَ صَاغِرَةٍ ضُمِّي إِلَيْكَ رِحَالَ الْقَوْمِ
وَالْقُرْبَانَا^١

يُرِيدُ حُذِي سُيُوفَهُمْ وَأَعْلَمِيهِمْ أَنَّهُمْ فِي دَارِ عِزٍّ وَأَمَانٍ.

فَأَمَّا حَبْرٌ فَتَحَّ مَكَّةَ وَرَوَايَةٌ مَنِ رَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ دَخَلَهَا عَنُودَةً فَإِنَّ الْعَنُودَةَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَهَا مَعْنَيَانِ مُتضَادَّانِ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ: يُقَالُ: أَخَذْتُ الشَّيْءَ عَنُودَةً، أَي قَهْرًا فِي عُنْفٍ، وَأَخَذْتُهُ عَنُودَةً، أَي صُلْحًا فِي رِفْقٍ، قَالَ: وَأَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُفَضَّلِ^٢:

فَمَا أَخَذُوهَا عَنُودَةً عَنْ مَوَدَّةٍ وَلَكِنَّ حَدَّ الْمَشْرِفِيِّ اسْتَقَالَهَا

فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وَمَنْ رَوَى أَنَّهَا دَخَلَهَا صُلْحًا لَمْ يَحْتَمِلْ قَوْلُهُ التَّأْوِيلَ، فَاصْحَحْ الْوَجْهَيْنِ أَوْلَاهُمَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ وَفْدَ ثَقِيفٍ لَمَّا انْصَرَفَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى حَامَتِهِ^٣ قَالُوا: أَتَيْنَا رَجُلًا فَظًّا غَلِيظًا فَدَّ أَظْهَرَ السَّيْفَ وَأَدَاخَ

^١ فِي شِعْرِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَنَا ابْنُ مُحَكَّانَ أَخُوَالِي بَنُو مَطْرٍ أُنْمَى إِلَيْهِمْ وَكَانُوا مَعَشْرًا مُجْبَا).

^٢ وَهُوَ لَكَنْتِيرَ عِزَّةٍ، فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ، وَمَطَّلَعَهَا: (خَلِيلِيَّ إِنَّ أُمَّ الْحَكِيمِ تَحَمَّلَتْ وَأَحَلَّتْ لِحَيْمَاتِ الْعُدَيْبِ ظِلَالَهَا).

^٣ الْحَامَةُ: خَاصَّةُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ.

الْعَرَبَ وَدَانَ لَهُ النَّاسُ، وَكَانَ هُمْ بَيْتٌ يُسَمُّونَهُ الرَّبَّةَ، كَانُوا يُضَاهُونَ بِهِ بَيْتَ
اللَّهِ الْحَرَامَ، وَكَانَ يُسْتَرُّ وَيُهْدَى إِلَيْهِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا جَاءَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَأَخَذَ
الْكَرْزِينَ^١ فَهَدَمَهَا فَبِهَتَتْ تَقِيْفٌ، وَقَالَتْ عَجُوزٌ مِنْهُمْ: أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ وَتَرَكَوا
المِصَاعَ^٢.

حَامَّةُ الرَّجُلِ: خَاصَّةُ أَهْلِهِ، وَهِيَ السَّامَّةُ أَيْضًا، يُقَالُ: كَيْفَ السَّامَّةُ وَالْعَامَّةُ،
قَالَ الْعَجَّاجُ^٣:

هُوَ الَّذِي أَنْعَمَ نُعْمَى عَمَّتِ عَلَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَسَمَّتِ

وقال ابن الأعرابي: الْمَسْمَةُ: الْخَاصَّةُ، وَالْمَعْمَةُ: الْعَامَّةُ، وَقَوْلُهُ: أَدَاخَ الْعَرَبِ،
مَعْنَاهُ أَذْهَبَهُمْ، يُقَالُ: أَدَاخْتُ الرَّجُلَ فِدَاخَ لِي، أَي ذَلَّ وَانْقَادَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

حَتَّى يَدُوخَ لَنَا مَنْ كَانَ عَادَانَا

وقوله: دَانَ لَهُ النَّاسُ، يُرِيدُ أَطَاعُوهُ كَرَاهًا، وَالذَّيْنِ الطَّاعَةُ.

وَالْكَرْزِينَ: الْفَأْسُ، وَهُوَ الْكَرْزُ أَيْضًا.

^١ الفأس.

^٢ رواه ابن شبة أبو زيد عمر في تاريخ المدينة. و الرُّضَاعُ: جمع راضع وهو اللثيم والمصاع: القتال
والمضاربة بالسيوف.

^٣ في ديوانه من أرجوزته التي مطلعها: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اسْتَقَلَّتْ بِإِذْنِهِ السَّمَاءُ وَأَطْمَأَنَّتِ).

وَالرُّضَاعُ: اللَّثَامُ، جَمْعُ رَاضِعٍ، مِنْ قَوْلِهِمْ: لَيْمٌ رَاضِعٌ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَحْلُبُ الْغَنَمَ لَكِنْ يَرْضَعُهَا لَمَّا لَا يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَلَبِ، وَيُقَالُ بَلْ هُوَ الَّذِي رَضِعَ اللَّؤْمَ مِنْ أُمِّهِ، أَيْ وُلِدَ لَيْمًا.

وَالْمِصَاعُ: الْمُضَارَبَةُ بِالسُّيُوفِ، يُرِيدُ أَهْمَ حَدْلُوهَا وَلَمْ يُقَاتِلُوا دُوهَا، قَالَ الْأَعَشَى^١:

هُنَاكَ مِصَاعٌ بِاللِّطَائِمِ بَيْنَنَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يُدِمِ هَامًا وَجُمُجْمَا

وقال الفُطَامِيُّ^٢:

تَرَاهُمْ يَعْزِمُونَ مَنْ اسْتَرَكَّوْا وَيَجْتَنِبُونَ مَنْ صَدَقَ
الْمِصَاعَا^٣

^١ لم أجدّه في ديوانه، وفيه قصيدة على الوزن والقافية مطلعها: (ألمّ خيال من فتيلة بعدما وهى حبلها من حبلنا فتصرّما).

^٢ الفُطَامِيُّ التَّغْلِي: عُمَيْرُ بْنُ شَيْبِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبَّادٍ، مِنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ بَكْرِ: شَاعِرُ غَزَلِ فَحْلٍ، كَانَ مِنْ نِصَارَى تَغْلِبَ فِي الْعِرَاقِ، وَأَسْلَمَ. وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِبَ (صَرِيحَ الْغَوَانِي) بِقَوْلِهِ:

صَرِيحُ غَوَانٍ رَاقِهِنَّ وَرَقْنَهُ لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ سُودَ الذَّوَائِبِ

^٣ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قِصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا زُفَرَ بْنَ الْحَارِثِ الْكِلَابِيِّ وَمَطْلَعُهَا: (قَفِي قَبْلَ التَّمَرِّقِ يَا ضُبَاعَا وَلَا يَلِكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: "رَأَيْتُهُ بَيْلَمَانِيًّا أَقْمَرَ هِجَانًا، إِحْدَى عَيْنَيْهِ كَأَنَّهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ"^١. وَرَوَاهُ غَيْرُهُ فَقَالَ: فَبَيْلَمَانِيًّا أَقْمَرَ.

وَالفَيْلَمُ وَالفَيْلَمَانِيَّةُ: الْعَظِيمُ الْجُمَّةُ، وَأَنشَدَ أَبُو عُبَيْدٍ، لِلهُدَلِيِّ^٢:

وَيَحْمِي الْمُضَافَ إِذَا مَا دَعَا إِذَا فَرَّ ذُو اللَّيْمَةِ

الْفَيْلَمُ^٣

وَيُقَالُ: بَيْتٌ فَيْلَمٌ، أَي وَاسِعَةٌ الْقَم، وَفِي صِفَةِ الدَّجَالِ أَنَّهُ عَظِيمُ الْخَلْقِ عَرِيضُ النَّحْرِ.

وَالهِجَانُ: الْأَبْيَضُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَدَمَ: أَخْرِجْ نَصِيبَ جَهَنَّمَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، فَيَقُولُ يَا رَبُّ كَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ مِائَةٍ

^١ رواه النسائي وأحمد.

^٢ هو البريق الهدلي: عياض بن خويلد الخناعي. شاعر حجازي مخضرم من بني هذيل. له مع عمرو بن الخطاب حديث وله شعر أورده صاحب معجم الشعراء، يلقب بالبريق.

^٣ في ديوانه، في شعر الهدليين، من قصيدته التي مطلعها: (وَحَيِّ حُلُولِ لَهْمِ سَامِرٍ شَهِدْتُ وَشَعْبُهُمْ مُفْرَمٌ).

تَسْعَةٌ وَتَسْعِينَ" فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ احْتُفِينَا إِذَنْ فَمَاذَا يَبْقَى مِنَّا؟ قَالَ: "إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ"^١.

الاختفاء: الاستقصاء في الشيء وبلوغ الغاية منه، ومنه قولهم: أحقيت في المسألة، وسمعتُ أبا عمر يذكر عن بعض السلف أن رجلاً سَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ: وعليكم السَّلَامُ ورحمةُ الله وبركاته الزاكيات، فَقَالَ لَهُ: أَرَأَيْكَ قَدْ حَفَوْنَا ثَوَابَهَا، يُرِيدُ تَقْصِيَتَ ثَوَابِهَا وَاسْتَوْفِيَتَهُ عَلَيْنَا.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون منَعْتَنَا ثَوَابَهَا، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ حَفَوْتُ الرَّجُلَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ إِذَا مَنَعْتَهُ، أَحْفُوهُ حَفْوًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ إِلَّا سَمِعْتُ حَشْحَشَةً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: بِلَالٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِقَصْرِ مَشِيدٍ بَرِيحٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ"^٢.

وَعَنْ أَبِي كُرَيْبٍ قَالَ: حَشْحَشَةٌ، وَهِيَ حَرَكَةٌ فِيهَا صَوْتُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ متفق عليه.

^٢ أخرجه الترمذي وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح الترمذي.

^٣ هو علقمة بن عبدة الفحل: من بني تميم. شاعر جاهلي، كان معاصراً لامرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر (الحارث ابن أبي شمر الغساني) أخاً له اسمه (شأس) فشفع به علقمة ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه.

تَحْشَحْشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَمَا حَشْحَشَتْ يَبَسَ الْحِصَادِ
جَنُوبٌ^١

وَالْمَحْفُوظُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الْحَشْفَةُ، وَهِيَ الْحَرَكَةُ أَيْضًا، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْشِفْ مَعَ الْحِلْمِ حَشْفَةً مِنْ الْجَهْلِ لَمْ يَعَزِزْ أَحْ أَنْتَ
نَاصِرُهُ^٣

وَالْبَزِيْعُ: الظَّرِيفُ مِنَ النَّاسِ، شَبَّهَ القَصْرَ بِهِ لِحُسْنِهِ وَكَمَالِهِ.
- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَا مِنْ أُمَّتِي أَحَدٌ إِلَّا وَأَنَا
أَعْرِفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، قَالُوا: وَكَيْفَ تَعْرِفُهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ فِي كَثْرَةِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتَ لَوْ دَخَلْتَ صَيْرَةً فِيهَا حَيْلٌ دُهِمَ وَفِيهَا فَرَسٌ أَعْرُ مُحْجَلٌ
أَمَا كُنْتَ تَعْرِفُهُ مِنْهَا"، قَالَ: "فَإِنَّ أُمَّتِي غُرٌّ مُحْجَلُونَ مِنَ الْوُضُوءِ"^٤.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا الْحَارِثَ الْغَسَالِي، أَحَدَ بَنِي حَفْنَةَ، وَمَطْلَعُهَا: (طَحَا بِكَ
قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيْبُ).

^٢ هُوَ ابْنُ الْبَاهِلِيَّةِ: الْأَعْنَقُ الْحَبِيْبِيُّ، أَحَدُ بَنِي لُبَيْبٍ، مِنْ عَرَبِ الْبَادِيَةِ الْمَتَأَخِّرِينَ.

^٣ وَالْبَيْتُ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ، وَبَعْدَهُ:

وَرَامَتِكَ دُلَالُ الرَّجَالِ وَلَمْ تُهَبْ ... لِشَيْءٍ إِذَا مَا هَيْبَ لَلَيْتَ جَانِبُهُ

أَنَا الْأَعْنَقُ بْنُ الْبَاهِلِيَّةِ إِذْ تَدَى ... كَمَا نَلَّ عَضْبٍ لَمْ تُفَلَّلْ مَضَارِيهُ

^٤ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهَ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ الْجُزْءَ الْأَخِيرَ مِنْهُ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: صَبْرَةٌ وَهِيَ غُلَطٌ، وَالصَّوَابُ صَبْرَةٌ، وَهِيَ كَالْحَطِيرَةِ تُتَّخَذُ
لِلدَّوَابِّ مِنَ الْحِجَارَةِ وَأَغْصَانِ الشَّجَرِ وَنُحُوهَا، وَالْجَمْعُ الصَّيْرُ، قَالَ
الْأَخْطَلُ^١:

وَأَذْكَرُ عُذَانَةَ عِدَانًا مُزَمَّةً مِّنَ الْحَبَلِقِ تُبْنَى حَوْلَهَا الصَّيْرُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَخْرُجُ مِنَ الْكَاهِنِينَ رَجُلٌ
يَدْرُسُ الْقُرْآنَ دِرَاسَةً لَا يَدْرُسُهُ أَحَدٌ يَكُونُ بَعْدَهُ"^٢.

الكَاهِنَانِ: قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ^٣، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَفَهُمْ وَإِرْكَانُ^٤، فَيُقَالُ إِنَّ الرَّجُلَ
مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ^٥، وَأَصْلُ الدِّرَاسَةِ الرِّيَاضَةُ وَالتَّعَهُدُ لِلشَّيْءِ، ثُمَّ قِيلَ:

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (حَفَّ الْقَطِيرُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَّرُوا وَأَزَعَجْتُهُمْ نَوَى فِي
صَرَفِهَا غَيْرٌ).

^٢ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي "الطَّبَقَاتِ" وَابْنُ الْبَرَاءِ فِي "كَشْفِ الْأَسْتَارِ"، وَابْنُ أَبِي
"الْكَبِيرِ"، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي "الدَّلَائِلِ"، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

^٣ وَالكَاهِنَانِ هُمَا قُرَيْظَةُ وَالنَّضِيرُ وَهُمَا قَبِيلَا الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلِّ مَنْ يَتَعَاطَى عِلْمًا
دَقِيقًا: كَاهِنًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُسَمَّى الْمُنَجِّمَ وَالطَّيِّبَ كَاهِنًا.

^٤ إِرْكَانٌ: عِلْمٌ وَفَهُمْ.

^٥ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرْظِيِّ مُخَدَّثٌ مِنَ التَّابِعِينَ، لَهُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ عَالِمًا
بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: «كَانَ ثِقَةً، عَالِمًا، كَثِيرَ الْحَدِيثِ، وَرِعًا، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ الْكُتُبِ
السِّتَةِ».

درستُ القرآنَ، إذا قرأته وتعهَّدته لتحفظه، وقال أبو العباس ثعلب في قوله
تعالى: {وَلْيَقُولُوا دَرَسْتُ} : أَي تَعَلَّمْتُ، وَدَرَسْتُ الدَّابَّةَ، إِذَا رُضَّتْهَا وَذَلَّلْتَهَا
لِلرُّكُوبِ، وَدَرَسْتُ الحِنطَةَ، إِذَا دُسَّتْهَا أَوْ طَحَّنْتَهَا، قَالَ ابن ميادة^١:

يكفيك من بعض ازديار الآفاق
سمراءٍ ممَّا دَرَسَ ابنُ مِخْرَاقٍ^٢

معناه: يكفيك من زيارة الآفاق والجولان فيها هذه الناقة السمراء. ويقال:
أراد بالسمراء حنطة^٣ يطحنها.

وفي حديث عكرمة مولى ابن عباس وذكر أهل الجنة وأنهم يركبون نجبا هي
أليئ مشيا من الفراش المدروس، يريد الموطأ المهود.

^١ الرماح بن أبرد بن ثوبان الذبياني الغطفاني المضري: شاعر رقيق، هجاء، من مخضرمي الأموية
والعباسية، قالوا: (كان متعرضاً للشرب طالباً لمهاجاة الناس ومسابة الشعراء). وفي العلماء من يرى
أنه أشعر الغطفانيين في الجاهلية والإسلام، وأنه كان خيراً لقومه من النابغة. مدح من الأمويين
الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان، ومن الهاشميين المنصور، وجعفر بن سليمان، كان مقامه
بنجد، يفد على الخلفاء والأمراء ويعود. اشتهر بنسبته إلى أمه ميادة. وأخباره كثيرة.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تقول حود ذات طرفٍ برّاقٍ مَرَّاحَةٌ تَقَطُّعُ هَمَّ المِشْتَأَقِ).

^٣ ورواية الديوان تؤكد هذا المعنى إذ فيها: (هَلَّا اشْتَرَيْتَ حِنطَةً بِالرُّسْتَأَقِ سَمْرَاءٍ مِمَّا دَرَسَ ابنُ
مِخْرَاقٍ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "صَوْمُ شَهْرِ الصَّوْمِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ وَيَذْهَبُ بِمَعْلَةِ الصَّدْرِ"، قِيلَ: وَمَا مَعْلَةُ الصَّدْرِ؟ قَالَ: "حَسُّ الشَّيْطَانِ"^١.

الْمَعْلَةُ: أَصْلُهَا وَجَعٌ يَأْخُذُ الْغَنَمَ فِي بُطُونِهَا، يُقَالُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَمَعَلْتُ، أَيَّ أَصَابَهَا ذَلِكَ الْوَجَعُ، وَمِنْهُ قِيلَ: مَعَلَّ الرَّجُلُ بِصَاحِبِهِ، إِذَا وَقَعَ فِيهِ، يَرِيدُ أَنَّهُ عَضَّه بِكَلَامٍ أَوْجَعَهُ، فَمَعْلُ الصَّدْرِ مَا يَجِدُهُ الْوَاجِدُ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْغِلِّ وَالْفَسَادِ.

وهذا كحديثه الآخر أنه قال: "صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يَذْهَبُ بِوَجَعِ الصَّدْرِ"^٢.

وقد فسره أبو عبيد في كتابه، وقد يُروى هذا الحرفُ بالثقل فيقال: مَعْلَةُ الصَّدْرِ، مِنَ الْغِلِّ، كَقَوْلِهِ: "ثَلَاثُ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِوَلَاةِ الْأَمْرِ وَلِزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِ"^٣.

^١ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني، وكنز العمال للمتقي الهندي، والمعرفة لأبي نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي.

^٢ رواه النسائي، وصحح الألباني إسناده في صحيح النسائي.

^٣ أخرجه ابن ماجه وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح ابن ماجه.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: يُرَوَى: يَغِلُّ وَيُعِلُّ، فَمَنْ قَالَ يَغِلُّ - بِالْفَتْحِ - فَإِنَّهُ يَجْعَلُهُ مِنَ الْغِلِّ وَهُوَ الضَّعْفُ وَالشَّخْنَاءُ، وَمَنْ قَالَ: يُغِلُّ - بِضَمِّ الْيَاءِ - جَعَلَهُ مِنَ الْخِيَانَةِ مِنَ الْإِغْلَالِ.

أَمَّا وَجْهُ الْكَلَامِ وَإِعْرَابُهُ فَعَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُ وَمَعْنَاهُ فَإِنَّهُ يَرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ هَذِهِ الْخِلَالَ الثَّلَاثَ مِمَّا لَا يُنْجِلُ الْقَلْبَ رَبِّبٌ أَهَنُّ بَرٌّ وَطَاعَةٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي تَعْرِفُهُ النَّفُوسُ وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ.

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ: "الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَكَ فِي نَفْسِكَ"^١.

وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ الْقَلْبَ يُسْتَصْلَحُ بِهَذِهِ الْخِلَالِ وَيُعَاجَلُ نَعْلُهُ وَفَسَادُهُ بِهَا، وَأَنَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا لَمْ يَجِدْ غِلًّا فِي قَلْبِهِ عَلَى أَحَدٍ يَحْضِرُ عَلَى لُزُومِهَا وَالْمَحَافَظَةَ عَلَيْهَا، وَكَانَ أَبُو أُسَامَةَ حَمَّادُ بْنُ أُسَامَةَ الْقُرَشِيُّ يَرَوِيهِ: لَا يَغِلُّ، بِالتَّخْفِيفِ، هَكَذَا حَدَّثُونَا عَنْ مُوسَى بْنِ إِسْحَاقِ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِي كَرِيبٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ، فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَوْجُوهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنَ الْوُغُولِ وَهُوَ الدُّخُولُ فِي الشَّرِّ، وَقَلَّمَا يُقَالُ الْوُغُولُ فِي الْخَيْرِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الشَّرِّ وَلَا يُخْرِجُ مَعَهُمْ شَيْئًا: وَاعِغِلْ، قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ^٢:

^١ رواه مسلم.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يَا دَارَ مَأْوِيَةٍ بِالْحَائِلِ فَالْسَهْبِ فَالْحَبْتَيْنِ مِنْ عَاقِلِ).

فاليومَ أَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ

وبذلك سُمِّي الرَّجُلُ الدَّيْنِيُّ: وَعَلَاءً، ويقال: وَعَلَّ عَلَى الْقَوْمِ فِي الشَّرَابِ، إِذَا لَمْ يُدْعَ إِلَيْهِ، وَرَشَنَ^١ فِي الطَّعَامِ، وَبِهِ سُمِّي الطُّفَيْلِيُّ رَاشِنًا، وَهُوَ الْوَارِثُ أَيْضًا، وَهُوَ الشُّوْلَقِيُّ أَيْضًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي بَنِي كَعْبٍ: "إِنَّ رِيَّ أَمْرِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ"، قَالَ أَبِي: وَسَمَّي لَكَ؟ قَالَ: "وَسَمَّي لِي"، فَبَكَى أَبِي^٢.

وَجُهُ هَذَا أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُهُ الْقُرْآنَ عَلَى أَبِي إِثْمًا هُوَ لِيَحْفَظَهُ أَبِي وَيَتَلَقَّهَ مِنْ فِيهِ، فَلَا يَتَخَالَجُهُ عِنْدَ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ بَعْدَهُ شَكٌّ وَلَا يَتَدَاخِلُهُ رَيْبٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِ الْفِتْنَةَ فِي هَذَا الْبَابِ.

حَدَّثَنَا ابْنُ السَّمَّانِ عَنْ أَبِي بَنِي كَعْبٍ قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً خِلَافَ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَمُنَّمْنَا جَمِيعًا فَدَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا دَخَلَ فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ هَذَا فَقَرَأَ قِرَاءَةً غَيْرَ قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَقَالَ لهما رَسُولُ اللَّهِ: "اقْرَأْ"، فَقَرَأَ، فَقَالَ: "أَصَبْتُمَا"، فَلَمَّا قَالَ لهما النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي

^١ رشن: دخل وليمة لم يدع إليها.

^٢ متفق عليه.

قَالَ كَبْرَ عَلَيَّ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَى الَّذِي غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفَضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ فَرَقًا، فَقَالَ: "يَا أَبُيْ إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ وَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ مَسْأَلَةٌ تَسْأَلْنِيهَا، قَالَ: قُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّلَاثَةَ لِيَوْمٍ يَحْتَاجُ إِلَيَّ فِيهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ"^٢.

ولا وجه للحديث أعلمه غير هذا؛ إذ لا يجوز أن يكون أحدًا أقرأ لكتاب الله وأوعى له وأعلم به من رسول الله، وقد نزل به الروح الأمين على قلبه ليكون من المُنذرين بلسان عربي مبين.

^١ يعني حَطَرَ فِي قَلْبِهِ مِنَ التَّكْذِيبِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتَرَتْهُ الْحَيْرَةُ وَالِدَهْشَةُ، مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى وَصْفِهِ، وَلَمْ يَعْهَدْ بِمِثْلِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حِينَ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ وَالْكَفْرِ الَّتِي هِيَ أَوْلَى بِهَذَا النَّوعِ مِنَ التَّكْذِيبِ.

^٢ رواه مسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْمُحَدَجَ ١ فَقَالَ: "لَهُ ثُدْيٌ كَثْدِي الْمَرْأَةِ وَفِي رَأْسِهِ شُعَيْرَاتٌ كَأَنَّهَا كَلْبَةٌ كَلْبٌ أَوْ كَلْبَةٌ سِنُورٌ" ٢.
كَلْبَةُ الْكَلْبِ: مَخَالِبُهُ، وَهِيَ مِنَ الْبَازِي كَلَالِيْبُهُ.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي يُرْوَى فِي أَهْلِ الْأَهْوَاءِ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ قَامَ فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَامَ فِينَا فَقَالَ: "أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَّاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ" ٣.

زَادَ عَمْرُو فِي حَدِيثِهِ: "وَأَنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَبْجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا تَبْجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَحَلَةٌ"، فَإِنَّ الْكَلْبَ دَاءٌ يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ عَضَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ ضَرَبَ بِلُحُومِ النَّاسِ فَإِذَا أَكْثَرَ مِنْهَا أَصَابَهُ شِبْهُ جُنُونٍ فَيُقَالُ إِنَّهُ إِذَا عَمَّرَ إِنْسَانًا أَصَابَهُ

١ المحدث: الناقص الخلق، وهو ذو الثدية الذي أخبر به النبي وقتله علي يوم صفين وورد ذكره في الحديث إنه يخرج من ضئضي هذا قوم يتلون كتاب الله، رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وهم الخوارج.

٢ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني.

٣ أخرجه أبو داود وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

٤ أخرجه أبو داود وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

الْكَلْبُ فَيَعْوِي عَوَاءَ الْكَلْبِ وَمُزِقٌ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ الْعُطَاشُ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ وَلَا يَشْرَبُهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ عَنِ الْمَزْرِ^١ وَقَالُوا: إِنَّ أَرْضَنَا بَارِدَةٌ عَشْمَةٌ وَحَنُ قَوْمٌ نَحْتَرُثُ وَلَا نَقْوَى عَلَى أَعْمَالِنَا إِلَّا بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"^٢.

قوله: عَشْمَةٌ، أي يَابِسَةٌ، وقد عَشِمَ الحُبْرُ إِذَا بَيَسَ، وَعَجُوزٌ عَشْمَةٌ، وهي التي أَسَنَّتْ وَقَحَلَتْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا فِي ظِلِّ حِجْرَةٍ وَقَدْ كَادَ يَنْبَاصُ عَنْهُ الظِّلُّ^٣.

قوله: يَنْبَاصُ: أي يَنْقَبِضُ عَنْهُ الظل ويَسْبِقُهُ، يقال: باص يَبْوِصُ، إِذَا سَبَقَ، قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ^٤:

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْكِي أَنْ نَأْتِكَ تَبْوِصُ فَتَقْصُرُ عَنْهَا حُطْوَةً وَتَبْوِصُ

^١ المزر: نبيذ الشعير أو الذرة أو القمح.

^٢ أخرجه البخاري ومسلم بدون القصة.

^٣ رواه أحمد.

^٤ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة. وبعده: (وكم دوها من مهمه ومقازة وكم أرض جذب دوها وأصووص).

وقال آخر:

فلا تَعَجَلْ عَلَيَّ وَلَا تَبْصُنِي وَدالْكَنِي فَإِنِّي ذُو دَلالِكِ

وَالنَّوْصُ: التَّأخُّرُ، وَالْبَوْصُ: التَّقَدُّمُ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الضَّرِيرِ: انْتَصَتِ الشَّمْسُ، إِذَا غَابَتْ، وَهُوَ افْتَعَلَ، مِنْ النَّوْصِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَأْخُذُ اللَّهُ تَعَالَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِيَدِهِ ثُمَّ يَنْزَقُفُهَا تَرْقُفَ الرُّمَانَةِ"^١.

قوله: يَنْزَقُفُهَا، معناه يَتَلَقَّفُهَا، وَالتَّرْقُفُ اسْتِلابُ الشَّيْءِ وَسُرْعَةُ تَنَاوُلِهِ، يُقَالُ: تَرَقَّفْتُ الكُرَّةَ، إِذَا أَخَذْتَهَا بِالْيَدِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوئَهُ ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يُشَبِّكَنَّ يَدَهُ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ"^٢.

قوله: لَا يُشَبِّكَنَّ يَدَهُ، وَجْهُهُ أَنَّهُ كَرِهَ لِلْمُصَلِّيِّ ضَمَّ أَطْرَافِهِ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَعَقَّدَ أَصَابِعَهُ، كَمَا نَهَاهُ عَنِ عَقْصِ الشَّعْرِ وَعَنِ اسْتِثْمَالِ الصُّمَاءِ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَحُ أَصَابِعَهُ عِنْدَ التَّكْبِيرِ وَيُفْرِجُ بَيْنَهَا، وَقَالَ: "أَمَرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَأَنْ لَا أَكْفَّ ثَوْبًا وَلَا شَعْرًا"^٣.

^١ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني: ز ق ف.

^٢ أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع.

^٣ أخرجه البخاري ومسلم.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون إنما كره ذلك لأنه يجلب النوم إذا شبك بين أصابعه واحتبى يديه، ناه عن التعرض لنقض طهارته، وقد ذهب بعض الناس في تأويله إلى وجهٍ يُعَدُّ جدًّا وينبؤ عنه لفظ الحديث، وزعم أن تشبيك اليد كناية عن ملابسة الحُصومات والخوض فيها، واحتج بقوله: عليه السلام حين ذكر الفتن فشبك بين أصابعه وقال: "تكونون فيها هكذا"، ونزع في ذلك بيئتٍ لبعض الشعراء^١ وهو قوله:

وكتيبةٍ لبستها بكتيبةٍ حتى إذا اشتبكت نفضت بهم
أي خليت عنهم.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قام إلى الصلاة فكان هوؤه وقلبه إلى الله انصرف كما ولدته أمه"^٣.

^١ هو الفرار السلمي: جبار بن الحكم، وهو من فتاك العرب في الجاهلية، ثم جاء فيمن وفد من بني سليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفع لواءهم إلى الفرار، فكره ذلك الاسم، فقال له الفرار: إنما سميت الفرار بأبيات قلتها.

^٢ البيت مطلع قصيدة أورده صاحب الحماسة للشاعر، وهو يتبجح بأنه مهياج شرٍ وأذى، وجماعٌ بين كتائب شتى تتقاتل من دونه، ثم يخرج هو من بينهم غير مبالٍ بما يجرون إليه، ولا مفكرٍ فيما ينتج من الشر فيهم.

^٣ أخرجه أحمد، والمزي في "تهذيبه" وابن أبي شيبة وابن ماجه وابن عبد البر في "التمهيد" والنسائي في "المجتبى".

هوؤه: هَمَّتْهُ، قَالَ رُوْبَةٌ^١:

تَمَدَّهِيَ مَا شِئْتُ أَنْ تَمَدَّهِيَ فَلَسْتُ مِنْ هَوْئِي وَلَا مَا أَشْتَهِي

وقال الأصمعيُّ: يُقَالُ فُلَانٌ بَعِيدُ الْهَوِّ، أَي بَعِيدُ الْهَمَّةِ، قَالَ: ومثله السَّو، قَالَ دُو الرُّمَّة^٢:

دَامِي الْأَظْلَّ بَعِيدُ السَّوِ مَهِيَوْمٌ^٣

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْمُؤَدِّئُونَ أَطْوَلَ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^٤.

فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا يُرْوَى عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَسُئِلَ: مَا أَطْوَلَ النَّاسِ أَعْنَاقًا؟ قَالَ: الدُّنُو مِنَ اللَّهِ.

^١ وهما في ديوانه ومعهما ثالث هو: كَمْ دَقٌّ مِنْ أَعْنَاقٍ وَرِدٍ مُكَّمَةٍ.

^٢ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَعْنَ تَرَسَّمَتْ مِنْ حَرَقَاءَ مَنَزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ).

^٣ وتَمَامُ الْبَيْتِ: (كَأَنِّي مِنْ هَوَى حَرَقَاءَ مُطَّرَفٌ دَامِي الْأَظْلَّ بَعِيدُ السَّوِ مَهِيَوْمٌ). الْمَطْرَفُ: الْبَعِيرُ الَّذِي اشْتَرَى حَدِيثًا، دَامِي الْأَظْلُ: بَاطِنُ الْمَنْسَمِ، السَّوِ: الْبَعْدُ، مَهِيَوْمٌ: مَصَابٌ بَدَأَ الْعَطَشَ. شَبِهَ نَفْسَهُ بِالْبَعِيرِ الْمَرِيضِ.

^٤ رواه مسلم.

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ ذَهَبَ إِلَيْهِ النَّضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ قَالَ: إِذَا أَجَمَ النَّاسَ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طَالَتْ أَعْنَاقُهُمْ لِقَلًا يَعْشَاهُمْ ذَلِكَ الْكَرْبُ، وَرَوَاهُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ: إِعْنَاقًا، بِكَسْرِ الْأَلِفِ، أَي إِسْرَاعًا إِلَى الْجَنَّةِ، مِنْ سَيْرِ الْعَنْقِ.

وفيه وجه آخر وهو أن يُراد بالأعناق جماعات الناس، من قولهم: أتاني عنق من الناس، أي جماعة كثيرة، يريد أن المؤذنين أكثر الناس أتباعًا يوم القيامة، وأتباعهم القوم الذين أجابوهم إلى الصلوات.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الْخَوَارِجَ فَقَالَ: "إِذَا رَأَيْتَهُمْ فَأَقْرِفُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ"^١.

الْقَرْفُ: أَصْلُهُ الْحَدَشُ وَالْجَرْحُ، يُرِيدُ: إِذَا رَأَيْتَهُمْ وَقَدْ خَرَجُوا عَلَى الْأئِمَّةِ وَشَقُوا الْعَصَا فَاضْرِبُوهُمْ بِالسُّيُوفِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ تَحَلَّى ذَهَبًا أَوْ حَلَى وَلَدَهُ مِثْلَ حَرْبِصِصَةٍ أَوْ عَيْنِ جَرَادٍ كَانَ كَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^٢.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَأَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: مَا عَلَيْهِ حَرْبِصِصَةٌ وَلَا هَلْبِيسِيسَةٌ، أَي شَيْءٍ مِنَ الْحُلِيِّ، وَعَنْ الْيَزِيدِيِّ: بِالْحَاءِ وَالْحَاءِ، رَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ

^١ رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة.

^٢ رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق، ترجمة أسماء بنت يزيد بن السكن.

ذَلِكَ فِي النَّبِيِّ، يُقَالُ: مَا عَلَيْهِ حَرْبِصِيصَةٌ، وَقَلَّمَا يُقَالُ فِي الْإِيجَابِ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: وَالْحَرْبِصِيصُ أَيْضًا الْجَمَلُ الضَّعِيفُ، قَالَ وَأَنْشَدَنِي الْمُفَضَّلُ:

قَدْ أَقْطَعُ الْحَرْقَ الْبَعِيدَ بَيْنَهُ بَجْرَبِصِيصٍ مَا تَنَامُ عَيْنُهُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى"^١.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْعُلْيَا: الْمُعْطِيَةُ، وَالسُّفْلَى: السَّائِلَةُ.

وهذا وجه حسنٌ، وفيه وجه آخر أشبهه بمعنى الحديث وهو أن تكون العُلْيَا الْمُتَعَفِّفَةُ، وقد زُويَ ذَلِكَ مَرْفُوعًا عَنِ ابْنِ عَمْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُخْطَبُ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، الْيَدُ الْعُلْيَا الْيَدُ الْمُتَعَفِّفَةُ". وَرَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْيَدُ الْعُلْيَا الْمُتَعَفِّفَةُ وَالْيَدُ السُّفْلَى السَّائِلَةُ"^٢.

وَيُؤَكِّدُ هَذَا حَدِيثُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهُ دُونَ مَا أَعْطَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ حَكِيمٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ تُقْصِرَ بِي دُونَ أَحَدٍ، فزَادَهُ حَتَّى رَضِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ

^١ متفق عليه.

^٢ رواه البخاري.

السُّفْلَى"، قَالَ وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "وَمِئِي"، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَرْزَأُ بَعْدَكَ أَحَدًا شَيْئًا، فلم يقبل عطاءً ولا دِيوانًا حَتَّى مَاتَ^١.

فلو كَانَتْ يَدُ الْعُلْيَا الْمُعْطِيَةِ لكان حَكِيمٌ قد تَوَهَّم أَنَّ يَدًا خَيْرَ من يَدِ رَسُولِ اللَّهِ لقوله: وَمِنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ يُرِيدُ أن التَّعَفَّفَ من مَسْأَلَتِكَ كَهُوَ عَن مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ، فَقَالَ: "نَعَمْ"، فكان بعد ذَلِكَ لا يَقْبَلُ العَطَاءَ، وكان عُمَرُ يَقُولُ: اللهم اشهدْ أَنِي عَرَضْتُ عَلَيْهِ عَطَاءَهُ فَأَبَى ولم يَقْبَلْهُ^٢.

وَأَنشَدَنِي أَبُو عُمَرَ قَالَ أَنشَدَنَا أَبُو العباسِ ثَعْلَبُ عَن ابنِ الأعرابي:

إِذَا كَانَ بَابُ الدُّلِّ من جَانِبِ الغِنَى سَمَوْتُ إلى العُلْيَاءِ من جَانِبِ الفَقْرِ
صَبَرْتُ وكان الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَي الصَّبْرِ
يُرِيدُ التَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ، يُقال: عَلَيَّ يَعْلى عِلاءً، في المَكَارِمِ، وَعِلاءُ يَعْلو
عُلُوًّا، في الجَبَلِ ونَحْوِهِ، قال الشَّاعِرُ^٣:

وَباعَ بِنِيهِ بَعْضُهُم بِخُشْرَةِ وَبَعَثَ لُدِّيَّانَ العِلاءَ بِمالِكَ

وَرُوي فِيهِ وَجْهٌ ثالثٌ عَنِ الحَسَنِ قال: يَدُ العُلْيَا المُعْطِيَةِ وَاليدُ السُفْلَى المانِعَةُ.

^١ رواه البخاري وابن حبان في صحيحه.

^٢ رواه البخاري.

^٣ هو الخطيئة، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (فِدَى لِبَنِ حِصْنٍ ما أُرِيحُ فِائَتَهُ نِمالُ البِتَامَى عِصْمَةً في المِهالِكِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ بِلَالًا أَدَّنَ بِلَيْلٍ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ أَنْ يَرْجِعَ فَيُنَادِي: أَلَا إِنَّ الْعَبْدَ نَامَ، ثَلَاثًا^١.

فيه وجهان: أحدهما أن يكون أرادَ أنه سَهَا عَنِ الْوَقْتِ وَعَقَلَ عَنْهُ إِذْ قَدَّمَ الْأَذَانَ قَبْلَ وَقْتِهِ.

وَالْآخَرُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنْ يُعْلِمَ النَّاسَ أَنَّ عَلَيْهِ لَيْلًا وَأَنَّهُ قَدْ عَادَ لِلنَّوْمِ لِقَلَا يَعْجَلُ النَّاسُ عَنْ نَوْمِهِمْ وَسُخُورِهِمْ.

وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: أَلَا إِنَّ الرَّجُلَ تَهَنُّ.

ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: وَالتَّهْنُ النَّائِمُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ أَفْلَحَ الْأَسْنَانَ أَشْنَبَهَا، وَكَانَ سَهْلَ الْخُدَيْنِ صَلْتَهُمَا، فَعَمَ الْأَوْصَالَ، وَكَانَ أَكْثَرَ شَيْبِهِ فِي فَوْدَيْ رَأْسِهِ، وَكَانَ إِذَا رَضِيَ وَسُرَّ فَكَأَنَّ وَجْهَهُ الْمِرَاةُ وَكَأَنَّ الْجُدْرَ تُلَاحِكُ وَجْهَهُ، وَكَانَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ صَوْرٍ يَخْطُو تَكْفِيًّا وَيَمْشِي الْهُوْنِي، يَبْدُ الْقَوْمَ إِذَا سَارَعَ إِلَى خَيْرٍ أَوْ مَشَى إِلَيْهِ، وَيَسُوقُهُمْ إِذَا لَمْ يُسَارِعْ إِلَى شَيْءٍ بِمَشِيَةِ الْهُوْنِيِّ^٢.

^١ أخرجه أبو داود وعبد بن حميد، والبيهقي، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ رواه البيهقي في دلائل النبوة، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

الْفَلَجُ فِي الْأَسْنَانِ: تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الثَّنَائِيَا وَالرَّبَاعِيَا، وَالْفَرْقُ: تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ الثَّنَيْتَيْنِ، وَالنَّعْتُ مِنْهُمَا أَفْلَجٌ وَأَفْرَقٌ، وَالشَّنْبُ: مَاءٌ وَرِقَّةٌ يَجْرِي عَلَى الثَّعْرِ، وَالنَّعْتُ أَشْنَبُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^١:

لَمِيَاءُ فِي شَفْتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسُ فِي اللَّثَاتِ فِي أَنْبَاهِا شَنْبُ

وقوله: صَلَّتُ الْحَدَّيْنِ، فَإِنَّ الصَّلْتَ الْأَمْلَسُ التَّقِيُّ.

وَالفَعْمُ: الْمَمْتَلِيُّ.

وَالأَوْصَالُ: الأَعْضَاءُ، وَاحِدُهَا وَصْلٌ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٢:

إِذَا بَنَى أَبِي مُوسَى بِإِلَآءِ بَلْعَتِهِ فِقَامُ بِنَاسٍ بَيْنَ وَصْلِيكَ جَازِرُ

وَالفَوْدَانُ: نَاحِيَةُ الرَّأْسِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهُمَا فَوْدٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا تَرَى لِمَتِّي أَوْدَى الرَّمَانُ بِهَا وَشَيَّبَ الدَّهْرُ أَصْدَاغِي وَأَفْوَادِي

وقوله: كَأَنَّ الْجُدْرَ تُلَاحِكُ وَجْهَهُ، يُرِيدُ أَنَّ شَخْصَ الْجُدْرِ يُرَى فِي وَجْهِهِ كَمَا يُرَى فِي الْمِرَاةِ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَسْكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرِبُ).

^٢ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا بِلَالَ بْنَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، أَمِيرَ الْبَصْرَةِ وَقَاضِيَهَا فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَمَطَّلَعَهَا: (لَمِيَّةٌ أَطْلَالٌ بِحُزْوَى دَوَائِرُ عَفَّتْهَا السَّوَابِي بَعْدَنَا وَالْمَوَاطِرُ).

والملاحكة: شدة الملاءمة، قال الشاعر^١:

لها فخذان تحفزان محالةً وصلبًا كبنيان الصفا متلاحكًا

والصور: الميل، والنعتُ أصورُ، قال الشاعر:

ومستنبح تهوي مساقط رأسه إلى كلِّ شخص فهو للسمع أصورُ

أي مائلٌ متسمعٌ، ويُشبهه أن تكون هذه الحال إنما تحدثُ له إذا جدَّ في السير لا أن تكون خلقةً، وقد يوجدُ مثلُ هذا في عامة من يُعالج أمرًا شاقًا، ولم يختلفوا في أنه - عليه السلام - كان معتدل القناة غير أجنى ولا أصور.

والهويني: مشيةٌ فيها لينٌ، قال الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

وقوله: كان يسوق أصحابه، يريد أنه كان يقدمهم بين يديه ثم يكون من ورائهم كالسائق، وقد زوي هذا في حديث عن جابر بن عبد الله قال كان أصحاب النبي إذا خرجوا مشوا أمامه وحلوا ظهره للملائكة^٢.

^١ هو الأعشى، في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها هودة بن علي الحنفي، ومطلعها: (أتشفيك تيا أم تركت بدائكاً وكانت فتولاً للرجال كذلكا).

^٢ أخرجه ابن ماجه، وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح ابن ماجه.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ مَثَلَ بِالشَّعْرِ فَلَيْسَ لَهُ خَلَاقٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^١.

مُثَلَّةُ الشَّعْرِ: حَلْفُهُ مِنَ الخُدُودِ، وَيُرَوَّى عَنْ طَاوُوسٍ قَالَ: جَعَلَهُ اللَّهُ طَهْرَةً فَجَعَلَهُ النَّاسُ نَكَالًا.

وَفِي مُثَلَّةِ الشَّعْرِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهِ نَتْفُهُ أَوْ تَغْيِيرُهُ بِالسَّوَادِ. وَيُرَوَّى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: عَشْرُ خِصَالٍ مِنْ فِعْلِ قَوْمٍ لُوطٍ، فَذَكَرَ مِنْهَا تَصْفِيفَ الشَّعْرِ^٢.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ قَالَتْ: أَهْدَيْتَ لِي فِدْرَةً^٣ مِنْ لَحْمٍ فَقُلْتُ لِلْخَادِمِ: ارْفَعِهَا لِرَسُولِ اللَّهِ، فَإِذَا هِيَ قَدْ صَارَتْ مَرَّةً

^١ أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: "رواه الطبراني وفيه حجاج بن نصير، وقد ضعفه الجمهور".

^٢ أوردته الشيخ الألباني - رحمه الله - في السلسلة الضعيفة بلفظ: عشر خصال عملتها قوم لوط بما أهلكوا، وتزيدها أمي بخلة: إتيان الرجال بعضهم بعضًا، ورميهم بالجلاهق والخذف، ولعبهم بالحمام، وضرب الدفوف، وشرب الخمر، وقص اللحية، وطول الشارب، والصفير، ولباس الحرير، وتزيدها أمي بخلة: إتيان النساء بعضهن بعضًا. موضوع، رواه ابن عساکر في التاريخ.

^٣ فدرة: قطعة باردة من اللحم المطبوخ.

حَجْرٍ^١، فَقَصَّتِ الْقِصَّةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: "لَعَلَّهُ قَامَ عَلَى بَابِكُمْ سَائِلٌ فَأَصْفَحْتُمُوهُ" قَالَتْ: أَجَلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: "فَإِنَّ ذَلِكَ لِدَلِك"^٢.

قوله: "أَصْفَحْتُمُوهُ" أي رَدَدْتُمُوهُ خَائِبًا، أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ قَالَ: يُقَالُ صَفَحْتُ الرَّجُلَ، إِذَا أَعْطَيْتَهُ، وَأَصْفَحْتُهُ، إِذَا حَرَمْتَهُ وَرَدَدْتَهُ خَائِبًا، قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ:

ضَمِنْتُ لِمَنْ يَبْغِي الْغِنَى عِنْدَ بَابِهِ إِذَا صَفَحَ الْجَادُونَ الْأَ
يُصَفِّحُ^٣

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "النَّارُ جُبَارٌ"^٤.

هَذَا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهِ: أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ إِبَاحَةُ النَّارِ وَاقْتِبَاسُهَا مِنْ غَيْرِ إِذْ نَ مُوقِدِهَا، وَأَنَّهُ إِذَا أَحْذَ مِنْهَا جَدْوَةً لَمْ يَلْزِمَ لَهَا قِيَمَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: تَأْوِيلُهُ

^١ قطعة من حجارة.

^٢ رواه البيهقي في الدلائل بإسناد ضعيف، فيه خارجه بن مصعب: ضعفه أحمد، وقال ابن معين: «ليس بثقة» وقال الدارقطني وغيره: «ضعيف».

^٣ لم أجده في ديوانه، وبه قصيدة على الوزن والقافية.

^٤ أخرجه البخاري ومسلم بلفظ: النَّارُ جُبَارٌ وَالبُّرُّ جُبَارٌ. والجبار: الهدر والباطل. والمعنى أَنَّ مَنْ أَشْعَلَ نَارًا فِي مَلِكِهِ فَتَطَايَرَ شَرُّهَا أَوْ أَحْذَتْهَا الرِّيحُ بَحِيثٌ لَا يَمْلِكُ رَدَّهَا فَاتَّلَفَ مَالَ غَيْرِهِ فَلَا ضَمَانَ عَلَى الْمَشْعَلِ، وَأَنَّ مَنْ حَقَّرَ بَثْرًا فِي مَلِكِهِ لَيَنْتَفِعَ بِهِ أَوْ فِي الْأَرْضِ الْمَوَاتِ الَّتِي لَيْسَتْ مِلْكًا لِأَحَدٍ، ثُمَّ وَقَعَ فِيهَا آدَمِيٌّ فَلَا ضَمَانَ عَلَى الْحَافِرِ، وَلَا دِيَةَ عَلَيْهِ.

النَّارُ تَطِيرُ بِهَا الرِّيحُ فَتُحْرِقُ مَتَاعًا لِقَوْمٍ، يَرِيدُ أَنَّهُ لَا يَلِزُهُمْ مُوقَدَهَا غَرَامَةً، وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ النَّارِ يُوقَدُهَا رَجُلٌ لِيَصْطَلِيَ بِهَا أَوْ يَشْتَوِيَ عَلَيْهَا لَحْمًا وَبَيْنَ أَنْ يُوقَدَهَا عَبَثًا لَا لِأَرْبٍ فَرَأَى مَا تَجْنِي تِلْكَ هَدْرًا وَفِيمَا تَجْنِي هَذِهِ الْغَرَامَةُ. وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَزَعَمَ أَنَّهَا تَصْحِيفٌ، أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ يُحْيَى سَمِعْتُ ابْنَ الْمَنْذَرِ يَقُولُ: هَذَا تَصْحِيفٌ وَإِنَّمَا هُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي يُرَوَى أَنَّهُ قَالَ: الْبَيْتُ جُبَارٌ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ يُمِيلُونَ النَّارَ فَكَتَبَهَا بَعْضُهُمْ بِالْيَاءِ فَرَوَاهُ الْقَارِئُ مَصْحَفًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمُّوتَةٌ سَبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَفِقَ يَسُبُّهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: وَاللَّهِ لَتَكُفَّنَ عَنْ شَتْمِهِ أَوْ لِأَرْحَلَنَّكَ بِسَيْفِي هَذَا، فَلَمْ يَزِدْ إِلَّا اسْتِعْرَابًا، فَحَمَلَ عَلَيْهِ فَضْرَبَهُ ضَرْبَةً لَمْ تُجْزِ عَلَيْهِ، وَتَعَاوَى عَلَيْهِ الْمُشْرِكُونَ فَقَتَلُوهُ. قَالَ: ثُمَّ أَسْلَمَ الرَّجُلُ الْمَضْرُوبُ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ الرَّحِيلُ^٢.

قوله: لِأَرْحَلَنَّكَ، يُرِيدُ لِأَعْلُوَنَّكَ بِالسَّيْفِ ضَرْبًا، يُقَالُ: فُلَانٌ يَرْحَلُ فُلَانًا بِمَا يَكْرَهُ، أَيْ يَكْبُتُهُ بِمَكْرُوهِهِ، وَالِاسْتِعْرَابُ الْإِفْحَاشُ فِي الْقَوْلِ، فَأَمَّا الْاسْتِعْرَابُ - بِالْغَيْنِ مَعْجَمَةٌ - فَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي الضَّحْكَ خَاصَّةً.

^١ يعني بعد إسلامه سموه الرحيل، من قول الصحابي له : لأرحلنك.

^٢ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب مكارم الأخلاق باب في صدق البأس وما جاء فيه.

وقوله: تَعَاوَى عَلَيْهِ المشركون، معناه تعاوَرُوهُ فيما بينهم حتى قَتَلُوهُ، قَالَ جَرِيرٌ^١:

عَوَى الشُّعْرَاءُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَيَّ فَقَدْ أَصَابَهُمْ انتِقَامٌ

وإن كانت الرواية تعاوى فإنه مأخوذ من الغواية.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ التَّلْبَ بْنَ ثَعْلَبَةَ الْعَنْبَرِيَّ^٢ قَالَ: أَصَابَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوْثَةٌ فَرَقِي إِلَيْهِ أَنَّ عِنْدِي طَعَامًا فَاسْتَفْرَضَهُ مِنِّي^٣.
قوله: جَوْثَةٌ، بالثاء، لا أراها مَحْفُوظَةٌ، وإنما هي الحَوْبَةُ، وهي الحاجة والمَسْكَنَةُ. يُقَالُ: أَصَابَتْهُمْ حَوْبَةٌ، إِذَا ذَهَبَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ شَيْءٍ. وَقَالَ أَبُو عُمَرَ يُقَالُ: خَابَ الرَّجُلُ يُحُوبُ حَوْبًا، إِذَا افْتَقَرَ. وَيُقَالُ فِي مَعْنَاهُ: أَصَابَتْهُمْ جَالِفَةٌ وَجَارِفَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "خَمْسٌ فَوَاسِقٌ يُفْتَلَنُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْحِدَاةُ وَالْغَرَابُ الْأَبْقَعُ وَالْكَلْبُ الْعُقُورُ"^٤.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (مَتَى كَانَ الْحِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيَتِ الْعَيْثُ أَتَيْتُهَا الْحِيَامُ).

^٢ التَّلْبُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْعَنْبَرِيُّ: مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ صَحْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَكَنَ الْبَصْرَةَ.

^٣ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِالْأَفَافِ قَرِيبَةً، حَدِيثُ تَلْبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْعَنْبَرِيِّ.

^٤ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أصلُ الفِسْقِ: الخُرُوجُ من الشيء، ومنه قوله تَعَالَى: {فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} أي خَرَجَ، وسُمِّي الرجلُ فاسِقًا لانسلاخه من الخير، قَالَ ابن قُتَيْبَةَ: لا أَرَى العُرَابَ سَمَاءً فاسِقًا إِلَّا لتخلفه عَنْ أَمْرِ نُوحٍ حين أرسله ووقوعه عَلَى الجِيفَةِ وعِصْيَانِهِ إِيَّاهُ، وَحُكِيَ عَنِ الفَرَّاءِ أَنَّهُ قَالَ: لا أَحْسَبُ الفَأْرَةَ سُمِّيتْ فُؤَيْسِقَةً إِلَّا لَخُرُوجِهَا مِنْ جُحْرِهَا عَلَى النَّاسِ.

وليس يُعْجِبُنِي وَاحِدٌ مِنَ القَوْلَيْنِ، وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَقُولَا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الحِدَاةِ وَالكَلْبِ؛ إِذْ كَانَ هَذَا النَّعْتُ يَجْمَعُهُمَا وَكَانَ هَذَا اللَّقْبُ يَلْزُمُهُمَا لِرُومِهِ العُرَابِ وَالفَأْرَةَ، وَإِنَّمَا أَرَادَ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - بِالفِسْقِ الخُرُوجَ مِنَ الحُرْمَةِ، يَقُولُ: حَمْسٌ لا حُرْمَةَ لَهُنَّ وَلَا بَقِيًا عَلَيْهِنَّ وَلَا فِدْيَةَ عَلَى المُحْرَمِ فِيهِنَّ إِذَا أَصَابَهُنَّ، وَإِنَّمَا أَبَاحَ قَتْلَهُنَّ دَفْعًا لِعَادِيَتِهِنَّ لِأَنَّ كُلَّهُنَّ مِنْ بَيْنِ عَادٍ قَتَالٍ أَوْ مُؤَذِّ ضَرَّارٍ. وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِتَفْسِيحِهَا تَحْرِيمَ أَكْلِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَقَدْ ذَكَرَ مَا حَرَّمَ مِنَ المَيْتَةِ وَالدَّمِ وَالحَمِّ الحِنْزِيرِ إِلَى آخِرِ الآيَةِ ثُمَّ قَالَ: {ذَلِكُمْ فِسْقٌ} وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "العُرَابُ فَاسِقٌ" فَقَالَ رَجُلٌ: يُؤْكَلُ لَحْمُ العُرَابِ؟ قَالَتْ: لا وَمَنْ يَأْكُلُهُ بَعْدَ قَوْلِهِ: "فَاسِقٌ".

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَنْ يَأْكُلُ العُرَابَ وَقَدْ سَمَّاهُ رَسُولَ اللهِ الفَاسِقَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَهْمًا قَالَتْ: إِنِّي لِأَعْجَبُ مِمَّنْ يَأْكُلُ الْغُرَابَ وَقَدْ أذن رسولُ الله في قَتْلِهِ وَسَمَّاهُ فَاسِقًا، وَاللهُ مَا هُوَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، تُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}.

ومَّا يدلُّ عَلَى أَنَّ العرب كانت تَقْدِرُ لحمه قَوْلُ الشاعر^١:

فَمَا لَحْمُ الْغُرَابِ لَنَا بَزَادٍ وَلَا سِرْطَانُ أَهْمَارِ
الْبَرِيصِ^٢

وفيه من الفقه أن ما لا يُؤْكَلُ لحمه فلا جزاء عَلَى الْمُحْرِمِ في قتله.

^١ هو وعلقة بن الحارث الجرمي: شاعر جاهلي. من الفرسان. يماني الأصل. تداول الناس قوله: (وما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظًا، ويبغي من سفاهته كسري أظن صروف الدهر بيني وبينهم ... ستحملهم مني على مركب وعر) وكان وعلقة الجرمي، وابنه الحارث، من فرسان قضاة وأنجادها وأعلامها وشعرائها.

^٢ قاله يرد على رجل عيَّره بسوء المأكَل، وهما بيتان أوردهما الجاحظ في الحيوان:

فما بالعارِ ما عيَّرتمونا شواءُ الناهضاتِ مع الخبيصِ

فما لحم الغرابِ لنا بَزَادٍ و لا سِرْطَانُ أَهْمَارِ البريصِ

الناهض: فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران. الخبيص: ضرب من الحلوى؛ يصنع من التمر والسمن. البريص: نهر دمشق.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "فِي الْعَقِيْقَةِ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ مَكَافَتَانِ"^١.

قال أبو عبيد: والمحدِّثون يقولون شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ، أي متساويتان، وكلُّ شَيْءٍ سَاوَى شَيْئًا حَتَّى يَكُونَ مِثْلَهُ فَهُوَ مَكَافِئٌ لَهُ.

قلت: وهذا لا يُفْنَعُ فِي مَعْنَى الْحَبْرِ وَفِي بَيَانِ حُكْمِهِ وَإِنْ أَقْنَعَ فِي لَفْظِهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالتَّكَافُوفِ التَّسَاوِي فِي السِّنِّ، يَقُولُ: لَا يُعَقُّ إِلَّا بِمُسِنَّةٍ كَمَا لَا يَجُوزُ فِي الضَّحَايَا إِلَّا مُسِنَّةٌ، وَأَقْلٌ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ جَذَعًا، فَإِنْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مُسِنَّةً وَالْأُخْرَى غَيْرَ مُكَافِئَةٍ لَهَا فِي السِّنِّ لَمْ يَجْزُ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَكَافِئَتَيْنِ وَالْمُكَافَأَتَيْنِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِذَا كَفَأَتْ صَاحِبَتَهَا فَقَدْ كُوفِتَتْ مِنْ جِهَتِهَا فَهِيَ مَكَافِئَةٌ وَمَكَافَأَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ صَبَحَ حَيَّرَ يَوْمَ الْحَمِيسِ بُكْرَةً فَجَاءَ وَقَدْ فَتَحُوا الْحِصْنَ وَخَرَجُوا مِنْهُ مَعَهُمُ الْمَسَاحِيُّ فَلَمَّا رَأَوْهُ حَالُوا إِلَى الْحِصْنِ وَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ، مُحَمَّدٌ وَالْحَمِيسُ^٢.

قوله: حالوا إلى الحصن، أي تحوّلوا إليه، يقال: حُلْتُ عَنِ الْمَكَانِ، إِذَا تَحَوَّلْتَ عَنْهُ، وَمِثْلُهُ أَحَلْتُ عَنْهُ.

^١ أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

وَالْحَمِيسُ: الْجَيْشُ، وَسُمِّيَتْ حَمِيسًا لِأَنَّهَا تَحْمِسُ مَا تَجِدُهُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ مُرْقَشٌ^١:

لَا يُبْعَدُ اللَّهُ التَّلْبَبَ فِي الْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْحَمِيسُ
نَعَمْ^٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا رَكِبَ أَحَدُكُمْ الدَّابَّةَ فَلْيَحْمِلْهَا عَلَى مَلَادِهَا"^٣.

قوله: فليحملها على ملادها، أي ليحملها من الطريق على الجدد ودمام الطرق التي تستلذها الدواب، ولا يحملها على الوعثة والحزونة التي يشتد عليها السير فيها فلا تستلذها.

^١ المرقش الأكبر: عوف بن سعد بن مالك ابن ضبيعة، من بني بكر بن وائل. شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها (أسماء) وقال فيها شعراً كثيراً. وكان يحسن الكتابة. ولد باليمن، ونشأ بالعراق. واتصل مدة بالحارث أبي شمر الغساني ونادمه ومدحه. واتخذ الحارث كاتباً له. وتزوجت عشيقته أسماء برجل من بني مراد، فمرض المرقش زمناً، ثم قصدها فمات في حياها.

^٢ هو في ديوان شعره من قصيدته التي مطلعها: (هل بالديار أن تجيب صمم لو كان رسم ناطقاً كلّم) ومعنى قال الحميس: نعم، أي: هذا نعم - أي: إبل - فأغيروا عليها.

^٣ رواه الدارقطني في "الأفراد" وضعف الألباني إسناده في ضعيف الجامع وفي السلسلة الضعيفة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَايُكَ عَلَى الْجِهَادِ، فَقَالَ: "هَلْ لَكَ مِنْ بَعْلِ"، قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: "انْطَلِقْ فَجَاهِدْ فَإِنَّ لَكَ فِيهِ مُجَاهِدًا حَسَنًا"^١.

قوله: "هل لك من بعل"، يُريد هل بقي من أهلك من تلزمت طاعته من والدٍ أو والدية أو من في معناهما، يُقال: هذا بعل الدارِ وبعل الدابة، أي مالِكها، ومنه قيل لزوج المرأة بعل.

وروي عن ابن عباسٍ في قوله: {أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ} قال: ربًّا.

قال ابن أبي رَوَيْحٍ: اخْتَصَمَ رَجُلَانِ فِي نَاقَةٍ، فَمَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَيْهِمَا وَأَحَدُهُمَا يُقُولُ: أَنَا وَاللَّهِ بَعْلُهَا أَنَا وَاللَّهِ بَعْلُهَا.

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ يُرِيدُ الْجِهَادَ فَقَالَ لَهُ: "هَلْ لَكَ مِنْ حَوْبَةٍ" قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: "فَفِيهَا فَجَاهِدْ"^٢.

فَسَرُّوْهَا الْأُمُّ، وَيُقَالُ إِذَا سُمِّيَتْ حَوْبَةً لِمَا فِي تَضْيِيعِهَا مِنَ الْحَوْبِ وَهُوَ الْإِثْمُ، يُقَالُ: حَابَ الرَّجُلُ، إِذَا أَثِمَّ، يَحُوبُ حَوْبًا، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ رواه البخاري ومسلم بلفظ: أَحْيٍ وَالِدَاكَ؟، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ.

^٢ رواه البخاري ومسلم بلفظ: أَحْيٍ وَالِدَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ.

^٣ هو أمية بن حرتان بن الأسكر الليثي: شاعر جاهلي.

وإنَّ مُهاجِرِينَ تَكَنَّفَها غَدَاتِمِدٍ لَقَدْ ظَلَمًا وَحَابًا

وقال المُنَحَّلُ السَّعْدِيُّ^١:

وَيُخْبِرُنِي شَيْبَانُ أَنْ لَنْ يَعْنِي بَلَى جَيْرٍ^٢ إِنْ فَارَقْتَنِي وَحُوبٍ^٣

والحُوبُ المَرَضُ أَيضًا.

وأنشدني أبو عُمَرَ: أنشدنا أبو العباس ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي:

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِهَجْرانِ بَيْتِها وَداوَيْتُ أَقْوامًا مِرَاضًا قُلُوبُها
فأما الَّذِي داوَيْتُ بِالهَجْرِ فَاشْتَفَى بِهَجْرٍ وَأما النَفْسُ فاغْتَلَّ حُوبُها

^١ هكذا في المطبوعة (المنخل)، والصواب المخبل السعدي: ربيع بن مالك بن ربيعة بن عوف السعدي، أبو يزيد، من بني أنف الناقة، من تميم. شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام. هاجر إلى البصرة، وعمّر طويلاً، ومات في خلافة عمر أو عثمان. قال الجمحي: له شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، وكان يمدح بني قريع ويذكر أيام بني سعد (قبيلته). انظر الهامش التالي.

^٢ جَيْرٌ: حرف جواب بمعنى نعم، وَيَمِينٌ بمعنى حقاً.

^٣ وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَيُّهَلِكُنِي شَيْبَانُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِقَلْبِي مِنْ حَوْفِ الْفِرَاقِ وَجَيْبٍ). وشيبان هو ابنه، قال: الأصمعي، وأبو عبيدة، وابن الأعرابي: خرج شيبان بن المخبل السعدي بعد أن هاجر في خلافة عمر مع سعد بن أبي وقاص إلى حرب الفرس، فجزع عليه أبوه، وكان قد أسنّ وضعف، وكاد يغلب على عقله، فعمد إلى ماله ليبيعه ويلحق بابنه، فمنعه علقمة بن هودّة، وأعطاه فرسه، وقال له: أنا أكلم لك عمر في ردّ ابنك.

قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: اغْتَلَّ، مِنْ الْعُلَّةِ.

وَفِي الْبَعْلِ وَجْهٌ آخَرٌ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ بَعْلِ، عَلَى وَزْنِ وَعِلٍّ، يَرِيدُ: هَلْ فِي أَهْلِكَ مَنْ بَعِلَ؟ أَيْ ضَعُفَ وَعَجَزَ عَنِ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ.

أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: يُقَالَ: بَعِلَ الرَّجُلُ وَجَزَّ وَبَقِرَ، إِذَا تَحَيَّرَ فَلَمْ يَهْتَدِ لِأَمْرِهِ، وَامْرَأَةٌ بَعِلَةٌ، إِذَا كَانَتْ بَلْهَاءَ لَا تُحْسِنُ أَنْ تَلْبَسَ ثِيَابَهَا وَتُصَلِّحَ أَمْرَ نَفْسِهَا.

وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى: بَعِلَ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ، فَهُوَ بَعْلٌ، حَكَاهَا ابْنُ السِّكِّيتِ عَنْ يُونُسَ قَالَ: يُقَالَ: بَعَلَ الرَّجُلُ، إِذَا صَارَ بَعْلًا، يَبْعَلُ، وَأَنْشَدَ:

يَا رَبِّ بَعْلٍ سَاءَ مَا كَانَ بَعْلٌ

فَالْبَعْلُ عَلَى هَذَا مَعْنَاهُ الْكَلَّ مِنَ الْعِيَالِ، يُقَالَ: أَصْبَحَ فُلَانٌ بَعْلًا عَلَى أَهْلِهِ، أَيْ تَفَلًّا عَلَيْهِمْ وَكَلًّا.

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ: أَنَّهُ جَاءَهُ رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ، فَقَالَ لَهُ: "هَلْ فِي أَهْلِكَ مِنْ كَاهِلٍ" يُرْوَى: مَنْ كَاهِلٌ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: مَعْنَاهُ هَلْ فِيهِمْ مَنْ أَسَنَّ وَصَارَ كَهْلًا ضَعِيفًا.

وَرَأَيْتُ بَعْضَ أَهْلِ النَّظَرِ يَذْهَبُ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا تَأْوَلَهُ أَبُو عُبَيْدٍ وَيُرْوَاهُ: هَلْ فِي أَهْلِكَ مِنْ كَاهِلٍ؟ عَلَى وَزْنِ قَاتِلٍ، قَالَ: يُقَالَ: فُلَانٌ كَاهِلٌ بَنِي فُلَانٍ، إِذَا رَأَسَهُمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمْ فَاعْتَمَدُوهُ لِمَا يَنْوِبُهُمْ. وَأَصْلُهُ مِنْ كَاهِلِ الظَّهْرِ؛ لِأَنَّهُ

المُعْتَمَد عَلَيْهِ فيما يُحْتَمَل، والعَرَبُ تُقُولُ: تَمِيمٌ كَاهِلٌ مُضَرٌّ؛ لِأَنَّ العَدَدَ فِيهِمْ، وَسَعْدٌ كَاهِلٌ تَمِيمٌ، والمعنى أَنَّهُ قَالَ للرجل: هل في أَهْلِكَ مَنْ تَعْتَمِدُهُ للقيام بِأَمْرِهِمْ إِذَا غَبَتَ عَنْهُمْ؟ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي هَذَا الحَبَرِ: مَا هُمْ إِلَّا أَصْيَبِيَّةٌ صِعَارٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ قَتَلَهُ نَبِيًّا"^١.

معناه أَنَّ الأنبياءَ لَا يَقْتُلُونَ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ القِتْلَ؛ لِأَنَّ العَلَطَ فِي الأحكامِ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِمْ، والأئِمَّةُ إِذَا يَجْتَهِدُونَ فِي الأحكامِ، والغَلَطُ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا فِي مَنْ قَتَلَهُ النَّبِيُّ عُقُوبَةً لَهُ عَلَى كُفْرِهِ، كَأَبِي بِنِ حَلْفٍ^٢، قَتَلَهُ رَسُولُ اللهِ

^١ أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة.

^٢ أَبِي بِنِ حَلْفٍ: أَحَدُ رُوُوسِ قَرِيشٍ وَكِبَارِهِمْ، وَهُوَ أَخُو أُمَيَّةِ بِنِ حَلْفٍ الَّذِي اشْتَهَرَ بِتَعْذِيهِ لِبَلالِ بْنِ رَبَاحٍ، قُتِلَ أَبِي بِنِ حَلْفٍ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ فِي العَامِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ عَلَى يَدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الرَّجُلُ الوَحِيدُ الَّذِي قَتَلَهُ الرَّسُولُ: فَقَدْ أُسِرَ أَبِي بِنِ حَلْفٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَمَّا افْتَدَى مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنِ عِنْدِي فَرَسًا أَعْلَفُهَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ ذَرَّةٍ، لَعَلِّي أَقْتَلُكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ أَنَا أَقْتَلُكَ عَلَيْهَا، إِنْ شَاءَ اللهُ). فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ أَقْبَلَ أَبِي بِنِ حَلْفٍ تَرْكُضَ فَرَسِهِ تَلِكُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاعْتَرَضَ رِجَالَ الْمُسْلِمِينَ لَهُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (اسْتَأْخَرُوا)، فَاقْتَرَضُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَرْبَةٍ فِي يَدِهِ، فَرَمَى بِهَا أَبِي بِنِ حَلْفٍ، فَكَسَرَتْ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ثَقِيلًا، فَاحْتَمَلُوهُ حَتَّى لَوُوا بِهِ، وَطَفَفُوا يَقُولُونَ لَهُ: لَا بَأْسَ،

عقوبة، لا فيمن قتله تطهيراً له كما عجز، رَجَمَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ طُهْرَةً لَهُ وَكَفَّارَةً لِدَنْبِهِ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ قَالَ لَهُ: إِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَى، وَأَتَمَّا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "بَخ! ذَلِكَ مَالٌ رَابِعٌ، أَوْ رَائِحٌ"^١.

قوله: "رابح"، أي ذو ربح، كقوله: ناصب، أي ذو نصب، قَالَ النَّابِعَةُ:

كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ^٢

وَأَمَّا الرَّائِحُ فَهُوَ الْقَرِيبُ الْمَسَافَةِ الَّذِي يَرُوحُ خَيْرُهُ وَلَا يَعُزُّبُ نَفْعُهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

سَأَطْلُبُ مَالًا بِالْمَدِينَةِ إِنِّي أَرَى عَازِبَ الْأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَاضِلُهُ

وقوله: بَخ، كلمة إعجاب، وقد تُخَفَّفُ وتُثَقَّلُ، فإذا كُرِّرَتْ فالاختيارُ أن ينوَّنَ الأوَّلُ وَيُسَكَّنَ الثاني، وهكذا هو في كل مُثَنَّى، كقولهم صَهْ صَهْ وَطَابِ طَابِ،

فقال أبي: ألم يقل لي: (بل أنا أفتلك، إن شاء الله)، فانطلق به أصحابه، فمات ببعض الطريق، فدفنوه.

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وتماهه: (كَلَيْنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أُفَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ).

ونحوهما، قَالَ الأَحْمَرُ: فِي بَخٍ أَرْبَعِ لُغَاتٍ: الْجَزْمُ وَالْحَفْضُ وَالتَّشْدِيدُ وَالتَّخْفِيفُ،
وَأَنشَدَ:

رَوَّافِدُهُ أَكْرَمُ الرَّافِدَاتِ بَخٍ لَكَ بَخٍ لِبَخْرِ خَضَمٍ

وقال آخر^١:

بَخٍ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلودِ^٢

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْكُهَّانِ فَقَالَ: "لَيْسَ بِشَيْءٍ"، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ كَلِمَةً تَكُونُ حَقًّا، قَالَ: "تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهُ الْجَبِّيُّ فَيَقْدِفُهُ فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَفَرَّ الدَّجَاجَةَ وَيَبْرِدُونَ فِيهِ مِائَةَ كِدْبَةٍ"^٣.

^١ هو أعشى همدان: عبد الرحمن بن عبد الله، ينتمي إلى قبيلة همدان اليمانية، وهو شاعر فصيح من شعراء الدولة الأموية، وكان إلى ذلك أحد الفقهاء القراء من أهل الكوفة. ولما ثار عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على بني أمية وعاملهم على العراق الحجاج بن يوسف، خرج معه أعشى همدان يقاتل ويقول الشعر في مديحه وهجاء الحجاج، وكان كثير التحريض لأهل العراق على الخروج على الحجاج، ثم جيء به إلى الحجاج أسيراً بعد مقتل ابن الأشعث، فأمر به الحجاج فضربت عنقه.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يَأْيُ الْإِلَهِ وَعِزَّةُ ابْنِ مُحَمَّدٍ وَجُدودِ مَلِكٍ قَبْلَ آلِ تَمُودِ).
وتمام الشاهد: (بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَادِجٌ بَخٍ لَوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلودِ).

^٣ رواه مسلم.

قوله: "كَقَرِّ الدَّجَاجَةِ"، هكذا قَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ، فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَإِنَّهُ يُرِيدُ صَوْتَهَا، يُقَالُ لِلدَّجَاجَةِ إِذَا قَطَعَتْ صَوْتَهَا: قَرَّتْ تُقَرُّ قَرًّا وَقَرِيرًا، فَإِذَا رَجَعَتْ فِيهِ قِيلَ: قَرَّتْ قَرَّةً وَقَرَّتْ قَرِيرًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَإِنْ قَرَّتْ هَاجَ الهَوَى قَرَقِيرَهَا^١

وقال آخر:

صوتُ الشَّقْرَاقِ إِذَا قَالَ قَرَّرَ^٢

فأظهِرَ التَّضْعِيفَ عَلَى الحِكَايَةِ، وَالمَعْنَى أَنَّ الجَنِّيَّ يُقْذِفُ تِلْكَ الكَلِمَةَ إِلَى وِلْيَةِ الكَاهِنِ فَيَتَسَامَعُ بِهَا الشَّيَاطِينُ كَمَا تُؤْذِنُ الدَّجَاجَةُ بِصَوْتِهَا صَوَاحِبَاتِهَا فَتتَجَاوَبُ، وَمِنْ شَأْنِهَا أَنَّ الوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ إِذَا صَاحَتْ صَاحَ سَائِرُهُنَّ، وَكَذَلِكَ البَطُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الطَّيْرِ فَيَكُونُ صَوْتُ الوَاحِدَةِ مِنْهَا قَدْ جَلَبَ صَوْتُ مِائَةِ مِنْهُنَّ. وَفِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ، وَهُوَ أَنَّ تَكُونَ الرِّوَايَةَ: كَقَرِّ الرُّجَاجَةِ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةُ اللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "المَلَائِكَةُ تُحَدِّثُ فِي العَنَانِ فَتَسْمَعُ الشَّيَاطِينُ الكَلِمَةَ فَتَقْرُهَا فِي أُذُنِ الكَاهِنِ كَمَا تُقَرُّ القَارُورَةُ فَيَزِيدُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ".

^١ وتمامه: (وَمَا ذَاتُ طَوْقٍ فَوْقَ عُودِ أَرَاكَةِ وَإِنْ قَرَّتْ هَاجَ الهَوَى قَرَقِيرَهَا).

^٢ يصف إبلاً وجرعها، وتمامه: (كَأَنَّ صَوْتَ جَرَعِهَا المُنْحَدِرِ ... صَوْتُ السَّقْرَاقِ إِذَا قَالَ قَرَّرَ).

فَدِكْرُهُ الْقَارُورَةُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الرِّوَايَةِ بِالزُّجَاجَةِ فِي حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: قَرَرْتُ الْكَلَامَ فِي أُذُنِ الرَّجُلِ أَقْرُهُ قَرًّا، وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْقَرُّ تَرْدِيدُكَ الْكَلَامَ فِي أُذُنِ الْأَبْنَمِ حَتَّى يَفْهَمَهُ، وَالْقَرُّ صَبُّ الْمَاءِ دَفْقَةً وَاحِدَةً.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتِرَاقَ السَّمْعِ وَاحْتِطَافَ الْجِيَّتِيِّ الْوَحْيِ قَالَ: "فَيَقْدِفُهُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يُرْقُونَ فِيهِ"^١.

قَوْلُهُ: يُرْقُونَ، أَي يَتَرَيَّدُونَ، يُقَالُ: رَقَى فُلَانٌ عَلَى الْبَاطِلِ إِذَا تَقَوَّلَ: مَا لَمْ يَكُنْ، وَأَصْلُهُ مِنَ الرُّقِيِّ، وَهُوَ الصُّعُودُ وَالِارْتِفَاعُ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُمْ يَرْتَفِعُونَ إِلَى الْبَاطِلِ وَيَدْعُونَ فَوْقَ مَا يَسْمَعُونَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْمَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا"^٢.

^١ ذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية، بلفظ: ولكنهم يرقفون فيه.

^٢ رواه أبو داود، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

هذا يُتَأَوَّلُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ الثِّيَابُ كِنَايَةً عَنِ الْعَمَلِ الَّذِي يَمُوتُ عَلَيْهِ وَيُحْتَمُّ لَهُ بِهِ، وَيُدَلَّلُ عَلَى ذَلِكَ حَدِيثُ الْأَعْمَشِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُبْعَثُ الْعَبْدُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ"^١. وَعَنْ مَجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } قَالَ: وَعَمَلَكَ فَأَصْلِحْ. وَيُقَالُ: فُلَانٌ دَنَسُ الثَّوْبِ، إِذَا كَانَ خَبِيثَ الْفِعْلِ وَالْمَذْهَبِ، وَلَبَسَ الرَّجُلُ ثَوْبَ غَدَرٍ، إِذَا غَدَرَ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^٢:

وإني بحمدِ الله لا ثوبَ غادرٍ لَبِسْتُ ولا من ربيّةٍ اتَّقَعَّ

وقال آخرُ:

^١ رواه مسلم.

^٢ هو غيلان بن سلمة الثقفي: صحابي جليل، أسلم في السنة الثامنة من الهجرة وشهد حجة الوداع، وكان أحد وجوه ثقيف ومقدميهم، كان يجلس في أيام المواسم فيحكم بين الناس. ولما أسلم كان تحتَه عشرُ نِسوةٍ، فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا، فَلَمَّا كَانَ فِي عَهْدِ عُمَرَ طَلَّقَ نِسَاءَهُ، وَقَسَمَ مَالَهُ بَيْنَ بَنِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَقَالَ: إِنِّي لِأَطْنُ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ، فَقَدَفَهُ فِي نَفْسِكَ، وَلَعَلَّكَ أَلَّا تَمُكِّثَ إِلَّا قَلِيلًا، وَإِيْمُ اللَّهِ، لَثَرَجَعَنَّ نِسَاءُكَ، وَلَثَرَجَعَنَّ فِي مَالِكَ، أَوْ لَأَوْرَثَهُنَّ مِنْكَ، وَلَا مُرْنَ بِقَبْرِكَ، فَيُرْجَمَ كَمَا رُجِمَ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ.

لَاهُمْ إِنَّ عَامَرَ بْنَ جَهْمٍ أُوذِمَ حَجًّا فِي ثِيَابٍ
دُسْمٍ^١

والوجه الآخر أن يُراد بالثياب ما يلبس ويُكتسى، يُرِيدُ أَهْمُ يُبَعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ وَعَلَيْهِمْ ثِيَابُهُمْ ثُمَّ يُحْشَرُونَ إِلَى الْمَوْقِفِ عُرَاءً؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاءَ عُرَاءَ عُرَاءً"^٢.

وَيُرَوَى عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ: حَسِّنُوا كَفِّي فَإِنَّ الْمَيِّتَ يُبَعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا^٣.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ نَاصِحَ آلِ فُلَانٍ قَدْ أَبَدَّ عَلَيْهِمْ، فَهَضَّ رَسُولُ اللَّهِ فَلَمَّا رَأَاهُ الْبَعِيرُ سَجَدَ لَهُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الْبَعِيرِ ثُمَّ قَالَ: "هَاتِ السِّقَارَ"، فَجِيءَ بِالسِّقَارِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَأْسِهِ^٤.

^١ و(ثيابٍ دُسمٍ)؛ أي: و(السِّخَّةُ) و(الدَّسْمُ): الوَضْرُ والدَّنَسُ. ويقال للرجل من قبيل الحجاز إذا تَدَسَّسَ بِمَدَامِ الْأَخْلَاقِ: (إِنَّهُ لَدَسِيمُ النَّوْبِ). ومعنى البيت: أنه أحرم بالهَجِّ وهو مُتَدَسِّسٌ بِالذَّنُوبِ.

^٢ متفق عليه.

^٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: "أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها" ثم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن الميت يُبعثُ في ثيابه التي يموتُ فيها".

^٤ رواه البيهقي وأبو نُعَيْمٍ، كلاهما في دلائل النبوة.

السِّفَارُ: الزِّمَامُ، يُقَالُ: أَسْفَرْتُ البعيرَ، جعلتُ له سِفَارًا، وقال أبو زَيْدٍ: السِّفَارُ الحَدِيدَةُ التي يُخْطَمُ بها البعيرُ، وفيه لُغَةٌ أُخرى: سَفَرْتُ البعيرَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ دُخِثَ لَهُ شَاةٌ ثُمَّ صُنِعَتْ فِي الإِرَةِ حَتَّى نَضِجَتْ^١.

الإِرة: مستوقد النار، يقال: وأرثُ إِرَةً، إِذَا حَفَرْتَ لها حَفِيرَةً، وَيُجْمَعُ عَلَى الإِرينَ، والإِرةُ أَيضًا لَحْمٌ يُطْبَخُ فِي كَرِشٍ، وقد رُوِيَ أَنَّ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّ أَهْدَى لرسول الله إِرَةً، أَي لَحْمًا فِي كَرِشٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا يَقْصُ إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ أَوْ مُخْتَالٌ"^٢.

بلغني عن ابن سُرَيْجٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ هَذَا فِي الحُطْبِ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَمراءَ كانوا يتولَّوْهَا بأنْفُسِهِمْ فَيُقْصُونَ فِيهَا عَلَى الناسِ وَيَعْظُونَهُمْ، والأَمْمُورُ مَنْ يَخْتاره

^١ أخرجه النسائي في "الكبرى" وأبو يعلى وأبو القاسم البغوي في "الصحابة" والطبراني في "الكبير" والحاكم والبيهقي في "الدلائل".

^٢ أخرجه ابن ماجه وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح ابن حبان. و"لا يَقْصُ عَلَى النَّاسِ" معناه: لا يُجَدِّثُهُمْ وَيَعْظُمُهُمْ وَيَخْطُبُهُمْ، "إِلَّا أَمِيرٌ" لهم، كما كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الخَطِيبُ والوَاعِظُ والأَمِيرُ، "أَوْ مَأْمُورٌ"، أي: مَأْمُورٌ وَمَكْلَفٌ مِنَ الأَمِيرِ وَالْحَاكِمِ، "أَوْ مُخْتَالٌ"، أي مرآء طالب للرياسة.

الأئمة فينصبونه لذلك، ولا يكادون يختارون له إلا رضا من الناس فاضلاً، وما سوى ذلك فإنه لا يكاد ينتدب له من الناس إلا مرءٍ مختالٍ.

وفيه قول آخر هو أنه أراد به الفتوى في الأحكام، ويشهد له حديث حذيفة وسئل عن شيء فقال: إنما يُفتي أحدٌ ثلاثة: من عرف النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوحَ أو رجلاً ولي سلطاناً فلا يجد من ذلك بدءاً أو متكلف.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يعرض حياً فقال رجل: خيرُ الرجالِ رجالٌ جاعلُ رماحهم على مناسج خيولهم لا يسو البرود من أهل نجدٍ، فقال: كذبت، بل خيرُ الرجالِ رجالُ أهلِ اليمنِ، الإيمانُ يمانٍ، آلُ لحمٍ وجذامٍ وعاملة^١.

منسج الفرس بمنزلة الكاهل من الإنسان، قال أبو عمرو هو المنسج بكسر الميم وفتح السين، وهو من البعير حاركٌ، ومن الحمار سيساء.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن سلمة بن الأكوع قال: لما أغار عبد الرحمن بن عيينة الفزاري على سرح رسول الله ناديت: يا صباحاه، ثم خرجت أقفو في آثارهم فألحق رجلاً فأرشقه بسهم فوقع في نعض كفيه فقلت:

حُذِّها وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

^١ أخرجه أحمد والطبراني في مسند الشاميين والحاكم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

قَالَ: فَمَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِمْ حَتَّى أَلْقُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُمْحًا وَثَلَاثِينَ بُرْدَةً، لَا يُلْقُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا، قَالَ: وَأَتَاهُمْ عَيْنُهُ بِنِ بَدْرِ مُدًّا هُمْ فَعَعِدُوا يَتَضَحَّوْنَ وَقَعَدْتُ عَلَى قَرْنِ فَوْقَهُمْ، فَنَظَرَ عَيْنُهُ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ فَقَالُوا: لَقِينَا مِنْهُ الْبَرْحَ^١. فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ.

قَوْلُهُ: أَرْشُقُهُ، يُرِيدُ أَرْمِيهِ، يُقَالُ: إِذَا رَمَى أَهْلُ النَّضَالِ شَوْطًا ثُمَّ عَادُوا قَدْ رَشَقُوا رَشَقًا، وَالاسْمُ مِنْهُ الرَّشْقُ، بِكسر الرَّاءِ، وَنُغْضُ الْكَتِفِ فَرْعُ الْكَتِفِ، وَسُمِّيَ نُغْضًا لِأَنَّهُ يَنْغُضُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا أَسْرَعَ أَيِ يَتَحَرَّكَ مِنْهُ، يُقَالُ أَنْغَضَ الرَّجُلُ رَأْسَهُ، إِذَا حَرَّكَه.

وقوله: الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ، يُرِيدُ الْيَوْمَ يَوْمَ هَلَاكِ اللَّئَامِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: لَيْئِمٌ رَاضِعٌ، وَهُوَ الَّذِي يَرْضَعُ الْعَنَمَ لَا يَحْلُبُهَا فَيُسْمَعُ صَوْتُ الْحَلَبِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

لَا يَحْلُبُ الضَّرْعَ لَوْمًا فِي الْإِنَاءِ وَلَا يُرَى لَهُ فِي نَوَاحِي الصَّخَنِ

آثَارُ^٢

^١ رواه مسلم. «فناديت: يا صباحاه»، والمعنى: صرخت بصوت عالٍ؛ لئبئة أهل المدينة «ما زلت أرميهم وأعقر بهم»، والعقر: ضرب قوائم البعير والفرس بالسيف، ثم استعمل في القتل، «إلا جعلت عليه آرامًا من الحجارة»، يعني: أخذته وجمعته في مكانٍ ووضعت عليه علاماتٍ من الحجارة كي يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، «قالوا: لقينا من هذا البرح»، أي: أصابتنا منه الشدة والمشقة.

^٢ هو لرجل من الأعراب ينسب ابن عم إلى اللؤم والتوحش:

والبُرْدَةُ: شَمْلَةٌ من صُوفٍ مُخَطَّطَةٌ وَجَمَعُهَا بُرْدٌ.

والآرام: الأعلام من الحجارة يُهْتَدَى بها، واحداها إِرْمٌ، كَانَ يُعْلَمُ عليها لِيَعْرِفَ مَكَانَهَا فَيَلْتَقِطُهَا عند انصرافه، قال الكُمَيْتُ^١:

وَاسْتَشْتَيْتُ بِنَا مَصَادِرُ شَيْءٍ بَعْدَ نَهْجِ السَّبِيلِ ذِي الأَرَامِ

وقوله: وَهُمْ يَتَضَحَّوْنَ، أَي يَتَعَدَّوْنَ، وَالضَّحَاءُ: العَدَاءُ.

والقَرْنُ: جُبَيْلٌ منفرد.

والبَرْخُ: شِدَّةُ الأَذَى، ومنه قولهم: بَرَّخَ بِي الأَمْرُ، قَالَ جَرِيرٌ^٢:

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْعُوفٍ أَضَرَّ بِهِ بَرْخُ الهَوَى وَعَذَابٌ غَيْرُ تَقْتِيرِ

قَالَ الكِسَائِيُّ: يُقَالُ: لَقِيْتُ مِنْهُ الأَمْرَيْنِ، وَالبَرَحَيْنِ، وَالقُتْرَيْنِ، وَالأَقْوَرَيْنِ وَالأَقْوَرِيَّاتِ، كلها: الدواهي والبلايا.

أحب شيء إليه أن يكون له ... حلقوم واد له في جوفه غاز

لا تعرف الريح مساءه ومصباحه ... ولا يشب إذا أمسى له ناز

لا يحلب الضرع لؤمًا في الاناء ولا ... يرى له في نواحي الصحن آثار

^١ في ديوانه والهاشميات، من قصيدته التي أنشدها بحضرة الإمام أبي جعفر، ومطلعها: (مَنْ لِقَلْبٍ مُتَمِّمٍ مُسْتَهَامٍ غَيْرِ مَا صَبَوَةٍ وَلَا أَحْلَامِ).

^٢ في ديوانه، من قصيدته التي يمدح فيها يزيد بن عبد الملك، ومطلعها: (حَيِّ الدِيَارِ عَلَى سَنِي الأَعاصِيرِ أَسْتَنْكَرْتَنِي أَمْ صَنَّتْ بِتَخْيِيرِي).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو بَجْرَبَةٍ"^١.

يذهبُ عامَّةُ الناسِ في قوله: "لَا حَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ" إِلَى أَنَّ الْحَلِيمَ لَا يَسْلَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَثْرَةٌ أَوْ تُوجَدَ مِنْهُ زَلَّةٌ، عَلَى مَعْنَى قَوْلِهِمْ: الْجَوَادُ يَعْثُرُ، وَكَقَوْلِهِمْ: الْكَرِيمُ مَنْ عُدَّتْ هَفَوَاتُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ.

وَالَّذِي عِنْدِي فِي هَذَا خِلَافٌ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ذُو عَثْرَةٍ يَفْتَضِي الْعَدَدَ وَالكَثْرَةَ، كَقَوْلِكَ: فَلَانٌ ذُو عَقْلِ وَأَدَبٍ، وَزَيْدٌ ذُو مَالٍ وَنَشَبٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ الْحَلِيمُ بِكَثْرَةِ الْعَثَرَاتِ وَالتَّهَافُتِ فِي الزَّلَاتِ؛ لِأَنَّهُ بِالسُّخْفِ أَشْبَهُهُ وَإِلَى السَّفَهِ أَقْرَبُ؛ وَإِنَّمَا وَجْهُهُ أَنَّ الْمَرْءَ لَا يُوصَفُ بِالْحِلْمِ وَلَا يَتَرَقَّى إِلَى دَرَجَتِهِ حَتَّى يَرْكَبَ الْأُمُورَ وَيَجْرِبَهَا فَيَعْثُرُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَيَعْتَبِرَ بِهَا وَيَسْتَبِينَ مَوَاضِعَ الْخَطَا فَيَجْتَنِبُهَا، وَهَكَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: "لَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ".

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَنَّهُ حَمَى غَرَزَ النَّقِيعِ^٢ لِحَيْلِ الْمُسْلِمِينَ"^٣.
الْغَرَزُ: نَوْعٌ مِنَ الثَّمَامِ دَقِيقٌ لَا وَرَقَ لَهُ يَنْبُتُ فِي الْقَيْعَانِ وَعَلَى شُطُوطِ الْأَهَارِ.

^١ أخرجه الترمذي، وأحمد، وإسناده ضعيف.

^٢ النقيع واد كبير من أودية الحجاز، جنوب المدينة المنورة، من أكبر روافد وادي العقيق، وفي الحديث «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَى النَّقِيعَ لِحَيْلِهِ».

^٣ رواه البخاري.

وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِيَرْفَأَ خَادِمِيهِ: كَمْ تَعْلِفُونَ هَذَا الْفَرَسَ؟ لِفَرَسٍ رَأَاهُ، قَالَ: ثَلَاثَةَ أَمْدَادٍ أَوْصَاعٍ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ هَذَا لَكَافٍ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِيُعَالِجَنَّ عَزَرَ النَّتِيعِ. قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: النَّقْعُ: الْقَاعُ، يُقَالُ انزَلَ بِذَلِكَ النَّقْعِ، أَي بِذَلِكَ الْقَاعِ، وَالْجَمْعُ النَّقْعَانُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَهُ عَنِ الْهَجْرَةِ فَقَالَ: "وَيْحَكَ! إِنَّ شَأْنَ الْهَجْرَةِ شَدِيدٌ؛ فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ" قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: "فَهَلْ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا"، قَالَ نَعَمْ! قَالَ: "فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَبْرُكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا"^١.

قَوْلُهُ: لَنْ يَبْرُكَ، مَعْنَاهُ لَنْ يَنْفُصَكَ، يُقَالُ: وَتَرَهُ يَبْرُكُ تَبْرُكًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَنْ يَبْرُكُمْ أَعْمَالُكُمْ} وَقَالَ تَعَالَى: {لَا يَلْتَكُمُ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا} مَعْنَاهُ أَيْضًا لَا يَنْفُصُكُمْ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: فِيهِ لُغَتَانِ: أَلَتْ يَأْلَتْ أَلَّتْ، وَوَلَتْ يَلَيْتُ لَيْتًا.

^١ رواه البخاري ومسلم. فاعْمَلْ بِالْخَيْرِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ، أَي: مِنْ وَرَاءِ الثُّرَى وَالْمَدِينِ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الثُّرَى: الْبِحَارَ، وَالْقَرْيَةَ: الْبَحِيرَةَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أُتِيَ بِأَبِي شُمَيْلَةَ^١ وَهُوَ سَكْرَانٌ فَقَبَضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ ثُمَّ قَالَ: "اضْرِبُوهُ"، فَضَرَبُوهُ بِالْيَبَابِ وَالنَّعَالِ وَبِأَيْدِيهِمْ وَالْمَيْتِخَ^٢.

قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْمَيْتِخُ: الْعَصَا الْخَفِيفَةُ.

وَأَخْبَرَنَا ابْنُ دَاسَةَ قَالَ: قَالَ أَبُو دَاوُدَ قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: الْمَيْتِخَةُ الْجَرِيدَةُ الرَّطْبَةُ. وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عُمَرَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ عَنْ ابْنِ نُجْدَةَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ: يُقَالُ لِلْعَصَا الْمَيْتِخَةُ، بِسُكُونِ التَّاءِ، وَالْمَيْتِخَةُ، الْيَاءُ قَبْلَ التَّاءِ، وَالْمَيْتِخَةُ، بِتَشْدِيدِ التَّاءِ، فَمَنْ قَالَ مَيْتِخَةً فَهُوَ مِنْ: وَتَخَ يَتَخُ، مِفْعَلَةٌ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ: مَيْتِخَةً فَهُوَ مِنْ تَاخَ يَتَوَخُ، وَمَنْ قَالَ: مَيْتِخَةً فَهِيَ فِعْيَلَةٌ، مِنْ مَتَخَ الْجَرَادُ، إِذَا أَرَزَّ أذْنَابَهُ فِي الْأَرْضِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حَدَّ الْحَمْرِ أَخْفُ الْحُدُودِ. وَأَكْثَرُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَلَغَ بِهِ فِي الْحَمْرِ أَرْبَعِينَ، وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ شَطْرَ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ تَشَاوَرَ الصَّحَابَةُ فِي ذَلِكَ فَبَلَّغُوا بِهِ حَدَّ الْقَذْفِ ثَمَانِينَ.

^١ أبو شميلة الشنعي: كان رجلاً قد غلب عليه الخمر، فأتي به سكران إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

^٢ رواه ابن الأعرابي في معجمه: ١٠٣٨.

وعن ابن عباس قال: لم يفت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر حداً. قال: وشرب رجل فسكّر فلقي يميل في الفج، فانطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما حاذى دار العباس انفلت فدخل على العباس فالتزمه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فضحك وقال: "أفعلها" ولم يأمر فيه بشيء^١.

وفي هذا دلالة على أن للإمام أن يعفو عن شارب الخمر وإن كان من حقوق الله فليس كحد الزنا والسرقه ونحوهما.

وقوله: لم يفت، يريد لم يؤقت، يقال: وقت يفت، بالتخفيف، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْثُوتًا}.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: في قصة محلب بن جثامة حين قتل الرجل فأبى عينه بن حصن أن يقبل الغير، قال: فقام رجل من بني ليث يُقال له مكيتل، عليه شكة، فقال: يا رسول الله إني ما أجد لما فعل هذا في عرة الإسلام مثلاً، إلا غنماً وردت فرمي أولها فنفر آخرها، اسنن اليوم وعير غداً^٢.

^١ رواه أبو داود.

^٢ أخرجه أحمد في مسنده، وأبو داود في سننه، وابن ماجه.

الغَيْرُ تُفَسِّرُ الدِّيَةَ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ، وَالشِّكَّةُ السِّلَاحُ، قَالَ
الْبَاغِي^١:

وَإِنَّ تِلَادِي إِنْ ذَكَرْتُ وَشِكَّتِي وَمُهْرِي وَمَا ضَمَّتْ إِلَيَّ الْأَنَامُ

وَيُجْمَعُ عَلَى الشِّكِّ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ^٢:

وَالْحَيْلُ عَابِسَةٌ نَضَحَ الدِّمَاءُ بِهَا تَنَعَى ابْنُ أَرْوَى^٣ عَلَى فُرْسَانِهَا الشِّكِّ

وَيُقَالُ: رَجُلٌ شَاكٌ فِي السِّلَاحِ وَشَاكِي السِّلَاحِ.

وَعُرَّةُ الْإِسْلَامِ: أَوْلَاهُ.

وَقَوْلُهُ: اسْنُنِ الْيَوْمَ وَغَيْرَ غَدًا، مَثَلٌ، يَرِيدُ إِنَّكَ إِنْ لَمْ تُقْصَ مِنْهُ غَيَّرْتَ سُنَّتَكَ
وَبَدَّلْتَهَا.

وَالسُّنَّةُ مَأْخُودَةٌ مِنَ السَّنِّ، وَهُوَ إِمْرَأُكُ الْمِسْنُ عَلَى الْحَشْبَةِ وَنَحْوِهَا، فَإِذَا تَأَثَّرَ
لَهُ فِيهَا طَرَائِقٌ، فَكُلُّ طَرِيقَةٍ مِنْهَا سَنَةٌ.

^١ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (دَعَاكَ الْهَوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلَ وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ
وَالشَّيْبُ شَامِلٌ).

^٢ فِي دِيَوَانِهِ، مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَرِثِي فِيهَا عَثْمَانَ بْنَ عِفَانَ وَيَذْكَرُ قَتْلَهُ، وَمَطَّلَعَهَا: (إِنِّي وَرَبِّ الْهَدَايَا
فِي مَشَاعِرِهَا وَحَيْثُ يُقْضَى نَذُورُ النَّاسِ وَالنُّسُكُ).

^٣ ابْنُ أَرْوَى عَثْمَانَ بْنَ عِفَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّهِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لَيْلَةَ وُلْدِ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ارْتَجَسَ إِيوَانُ كِسْرَى فَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً وَحَمَدَتْ نَارَ فَارِسٍ وَلَمْ تَحْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ أَلْفَ عَامٍ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةٌ سَاوَةً، وَرَأَى الْمُؤَبِّدَانُ إِبْرَاهِيمًا صِعَابًا تَفُودُ خَيْلًا عِرَابًا وَقَدْ قَطَعَتِ الدَّجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا، فَبَعَثَ كِسْرَى عَبْدَ الْمَسِيحِ بَنَ عَمْرٍو الْغَسَّالِيَّ إِلَى سَطِيحٍ يَسْتَحْبِرُهُ عِلْمَ ذَلِكَ وَيَسْتَعْبِرُهُ رُؤْيَا الْمُؤَبِّدَانِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُحِزْ إِلَيْهِ سَطِيحُ جَوَابًا، فَأَنْشَأَ عَبْدُ الْمَسِيحِ يَقُولُ:

أَصُمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ	أَمْ فَادَ فَازِمًا بِهِ شَأُو الْعَنَنِ
يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ	أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنِ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بْنِ حَجْنِ	أَبْيَضُ فُضْفَاضُ الرِّدَائِ وَالْبَدَنِ
رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنِ	لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِيبَ الزَّمَنِ
جُبُوبُ بِي الْأَرْضِ عَلْنَدَاةٌ شَزْنِ	يَرْفَعُنِي وَجَنَ وَهَوِي بِي وَجُنِ
حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي	تَلْفُهُ فِي الرِّيحِ بَوْعَاءُ الدِّمَنِ

فَلَمَّا سَمِعَ سَطِيحُ شِعْرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: عَبْدُ الْمَسِيحِ، عَلَى جَمَلٍ مُشِيحٍ، جَاءَ إِلَى سَطِيحٍ، وَقَدْ أَوْفَى عَلَى الضَّرِيحِ، بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَاسَانَ، لَارْتِجَاسٍ

^١ ازلم: ذهب مسرعًا.

^٢ الجاجي: جمع جوجو، وهو عظام الصدر.

الإيوان، ومُحَمَّدُ النَّيِّرَانِ، وَرُؤْيَا الْمُؤَبِّدَانَ، رَأَى إِبِلًا صِعَابًا، تَقُودُ حَيْلًا عِرَابًا،
 قَدْ قَطَعَتِ الدَّجَلَةَ وَأَنْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، إِذَا كَثُرَتِ التَّلَاوَةُ،
 وَظَهَرَ صَاحِبُ الْأَهْرَاقَةِ، وَحُمِدَتْ نَارُ فَارِسَ وَعَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَاوَةَ، وَعَاضَ وَادِي
 السَّمَاءِ، فَلَيْسَتْ الشَّامُ لِسَطِيحِ شَأْمًا، وَلَا بَابِلُ لِلْفَرَسِ مُقَامًا، يَمْلِكُ مِنْهُمْ
 مُلُوكٌ وَمَمْلَكَاتٌ، عَلَى عَدَدِ الشُّرُفَاتِ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ. ثُمَّ قَضَى سَطِيحُ
 مَكَانَهُ^١.

الغَطْرِيفُ: السَّيِّدُ، رَجُلٌ غَطْرِيفٌ مِنْ قَوْمِ غَطْرِيفَةَ، وَقَوْلُهُ: فَفَادَ، أَي مَاتَ،
 يُقَالُ: فَادَ الرَّجُلُ يَفُودُ، إِذَا مَاتَ، وَفَادَ يَفِيدُ، إِذَا تَبَخَّرَ، قَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي
 حَازِمٍ^٢:

يَا فَارِسًا مَا فَادَ أَوَّلَ فَارِسٍ تَقَفًا إِذَا انْفَلَتَ الْعِنَانُ مِنَ الْيَدِ

ورواه بعضهم: فاز، ومعناها واحد، يقال: فاز الرجل وفوز، إذا مات، وسميت
 المفازة لأنها مهلكة.

وقوله: فازم به شأؤ العنن، سمعت أبا عمر يقول: سألت أبا العباس عن ذلك
 فقال: ازم: قبض.

والشأؤ: السباق إلى غاية.

^١ انظر: كتب السيرة النبوية.

^٢ في ديوانه، والبيت مطلع القصيدة.

وَالْعَنَ ههنا المَوْتُ، يُرِيدُ أَنَّ المَوْتَ عَرَضَ لَهُ فَفَقَبَضَهُ، يُقَالُ: عَنَّ لِي أَمْرٌ، أَي عَرَضَ.

وقوله: يا فاضل الحُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ، قَالَ أَبُو العَبَّاسِ: هذا كما يُقَالُ: أَعَيْتَ فلانًا وِفلانًا، قَالَ: وقد يعمل فيه الإعرابُ إِذَا قِيلَ رَأَيْتُ رجلاً قَلتَ مَنَّا، وَإِذَا قِيلَ رَأَيْتُ رجلينِ قَلتَ مَنَيْنِ، وفي الجميع مَنُونٌ، قَالَ: وأنشد الفراء^١:

أتوا ناري فقلتُ مَنُونٌ أنتم فقالوا الجِنُّ قُلْتُ عِمُوا
ظلاماً^٢

وقوله: فَضَفَّاضُ الرِّداءِ والبدنِ، فَإِنَّ الضَّفَفَ الواسِعُ، وَسَعَةُ الرِّداءِ والبدنِ كِنَايَةٌ عَن سَعَةِ الصِّدْرِ وَرَحْبِ الذراعِ عَن لابسِهِ، قَالَ الشاعر^٣:

^١ هو لتأبط شراً: ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر. شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإبراق) ويقال إنه كان ينظر إلى الظبي في الفلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رحمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ونارٍ قد حَصَّاتُ بُعَيْدَ هَدِيٍّ بدارٍ ما أريدُ بها مُقاماً).

^٣ هو أبو الطمحان القيني: حنظلة بن شرقي، أحد بني القين، من قضاة. شاعر، فارس، معمر، مخضرم عاش في الجاهلية، وكان فيها من عشراء الزبير بن عبد المطلب، وهو ترب له، أدرك الإسلام وأسلم ولم ير النبي (صلى الله عليه وسلم). وهو صاحب البيت المشهور: (أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه) يروى أنه جاور بني جديلة (من طيء) فوقع حرب

مَعِيَ كُلُّ فَضْفَاضِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا سَرَى فِيهِ الْمُدَامُ
فَنَيْقُ^١

أراد بالقميص ما يَشْتَمَلُ عَلَيْهِ الْقَمِيصُ مِنْ بَدَنِ لَابِسِهِ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ لِلرَّجُلِ
السَّخِي: إِنَّهُ لَعَمْرُ الرَّدَائِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

عَمْرُ الرَّدَائِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا عَلَقَتْ لِضَحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وَأَنشَدُونَا عَنِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ:

رَمَوْهَا بِأَثْوَابٍ خِخَافٍ فَلَنْ تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُنْفَرَا

أراد بالأثواب الأبدان، ومثله كثير.

وَالْعَلْنَدَاءُ: الْبَعِيرُ الصُّلْبُ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: يُقَالُ: نَاقَةٌ عَلْنَدَاءٌ وَجَمَلٌ عَلْنَدَاءٌ،
بِالْهَاءِ، وَتَجْمَعُ عَلَى الْعَلَانِدِ وَالْعَلْنَدِيَّاتِ.

بينهم وبين بني الغوث عرفت (بحرب الفساد) فأسر فيها أبو الطمحان فمدح في شعره بجير بن
أوس بن حارثة فاشتراه وأعتقه. ارتكب جناية فطلبه الحاكم ففر ثم لجأ إلى مالك بن سعد أحد
بني شميخ من فزارة فأجاره وآواه وأكرمه إلى أن مات.

^١ في شعره من قصيدته التي مطلعها: (كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ يَوْمًا بِزُورَةَ صَالِحٍ وَبِالْقَصْرِ ظِلٌّ دَائِمٌ
وَصَدِيقٌ).

وَالشَّرْنُ الْمُعْيَى مِنَ الحَفَا، يُقَالُ: شَرَنَ البَعِيرُ شَرْنًا، وَقَدْ يَكُونُ الشَّرْنُ الَّذِي يَمْشِي فِي شِقْوٍ، وَالشَّرْنُ النَّاحِيَةُ، وَالشَّرْنُ الحَزُونَةُ، وَيُقَالُ: بَاتَ فُلَانٌ عَلَى شَرْنٍ، أَيْ عَلَى قَلْقٍ يَتَقَلَّبُ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ، قَالَ ابْنُ هَرْمَةَ:

إِلَّا تَقَلَّبَ مَكْرُوبٍ عَلَى شَرْنٍ كَمَا تَقَلَّبَ تَحْتَ القَرَّةِ الصَّرْدُ

وقوله: يرفعني وجن، فإنه جمع وجين، قال أبو عمر: وهو العارض من الأرض يُنْقَادُ وهو غليظٌ، لم يزل هذا البعيرُ يرفعني مرة ويخفضني أخرى. والجأجئ: عِظَامُ الصَّدرِ.

والقطن: ما بين الوركين، يُقُولُ إِنَّ السَّيْرَ قَدْ هَزَلَهَا وَأَخَذَ مِنْ لِحْمِهَا حَتَّى عَرِيَ مِنْهُ فَبَدَتْ عِظَامُهُ. والبوغاء: دُقَاقُ التُّرابِ.

وقوله: أوفى على الضريح، يريد القبرَ المَضْرُوحَ، وهو المشقوق في الأرض طَوَّلًا، فَإِذَا كَانَ مَلْحُودًا لَمْ يُسَمَّ ضَرِيحًا. والمُشَيِّح: الجادُّ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الإِطْنَابَةِ^١:

^١ عمرو بن عامر بن زيد مائة بن عامر، من قبيلة الخزرج، أمه الإطنابة بنت شهاب بن زبَّان من بني القين بن جَسْر: شاعر جاهلي قديم، وأحد فرسان العرب، ويقال: إنه كان ملكاً على المدينة في الجاهلية، ملكه عليها النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وفي بعض الأخبار أنه كان ملك الحجاز.

وَضَرِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ^١

ويقال أيضاً: رَجُلٌ شَيْحَانُ، قَالَ تَأْبَطُ شَرًّا^٢:

إِذَا خَاطَ عَيْنِيهِ كَرَى النُّومَ لَمْ يَزَلْ لَهُ كَالِيٌّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ

فَاتِكِ^٣

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَطَبَ فَاطِمَةَ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي قَدْ وَعَدْتُهَا لِعَلِيٍّ وَلَسْتُ بِدَجَالٍ"^٤.

وهو أحد الشعراء الذين نُسبوا إلى أمهم لا إلى أبيهم، ولم تذكر المصادر سبب ذلك، ويُروى أنه قاد الخزرج في معركة كبيرة لقي فيها الأوس يقودهم معاذ بن النعمان.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا مَنْ مُبْلِعُ الْأَحْلَافِ عَنِّي فَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةَ لِلنَّصِيحِ).
وتمام البيت: (وإِعْطَائِي عَلَى الْمَكْرُوهِ مَالِي وَضَرِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمُشِيحِ).

^٢ ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهمي، من مضر: شاعر عداء، من فتاك العرب في الجاهلية. كان من أهل تهامة. شعره فحل، استفتح الضبي مفضلياته بقصيدة له، مطلعها: (يا عيد مالك من شوق وإيراق) ويقال إنه كان ينظر إلى الضبي في الغلاة فيجري خلفه فلا يفوته. قتل في بلاد هذيل وألقي في غار يقال له (رخمان) فوجدت جثته فيه بعد مقتله.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنِّي لَمُهِدٍ مِنْ نَنَاءٍ فَقَاصِدٌ بِهِ لِابْنِ عَمِّ الصِّدْقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكِ).

^٤ رواه البزار وابن سعد.

قوله: "لَسْتُ بِدَجَّالٍ" معناه لَسْتُ بِخَدَّاعٍ وَلَا مُلَبَّسٍ أَمْرَكَ عَلَيْكَ، وَالِدَجَّلُ الْخَلْطُ، وَيُقَالُ الطَّلِيُّ، وَسُمِّيَ مَسِيحُ الضَّلَالَةِ دَجَّالًا لِخَلْطِهِ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ حَنِيفَةَ النَّعَمِ^١ أَتَاهُ فَأَشْهَدَهُ لِيَتِيمٍ فِي حِجْرِهِ بِأَرْبَعِينَ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي كَانَتْ تُسَمَّى الْمُطَيَّبَةَ^٢ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَأَيْنَ يَتِيمُكَ يَا أَبَا حَذِيمٍ" وَكَانَ قَدْ حَمَلَهُ مَعَهُ، قَالَ هُوَ ذَاكَ النَّائِمُ، قَالَ: وَكَانَ شِبْهَ الْمُحْتَلِمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لَعَظَمْتُ هَذِهِ هِرَاوَةَ يَتِيمٍ"^٣.

قوله: "هِرَاوَةُ يَتِيمٍ"، يُرِيدُ شَخْصَهُ وَجُثَّتَهُ، شَبَّهَهُ بِالْهِرَاوَةِ، وَهِيَ عَصَا تَكُونُ مَعَ الرِّعَاءِ، وَتُجْمَعُ عَلَى الْهِرَاوَى، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ^٤:

^١ هو حنيفة التميمي: من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. روى عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حديثاً في إبل الصدقة. كان أكثر الناس بعيراً بالبادية، لذا سمي حنيفة النعم.

^٢ أي الطيبة التي استطيبها القوم لكونها من خيار الإبل.

^٣ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني.

^٤ العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمى، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم. ويدعى فارس العبيد - بالتصغير - وهو فرسه. وكان بدوياً قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ينزل في بادية البصرة، ومات في خلافة عمر.

وتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى فَلَا غَيْرَ لَدَيْهِ وَلَا
نَكِيرًا

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ جَابِرًا قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَهُ فِي بَعْضِ
مَغَازِيهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَعَجَّلَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيَتَعَجَّلْ" فَأَقْبَلْنَا
وَأَنَا عَلَى جَمَلٍ أَرْمَكَ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ^١، وذكر حديثًا.
الأَرْمَكُ: الأَوْرُقُ مِنَ الْإِبِلِ: وَالرُّمَكَةُ وُرْقَةٌ يعلوها سَوَادٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْحِصْبِ
فَاعْطُوا الرُّكْبَ أَسِنَّتَهَا"^٢.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَرَادَ بِالْأَسِنَّةِ الْأَسْنَانَ، يَرِيدُ: أَمْكِنُوهَا مِنَ الْمَرْعَى، قَالَ: وَلَا
تُعْرَفُ الْأَسِنَّةُ فِي الْكَلَامِ إِلَّا أَسِنَّةُ الرِّمَاحِ، فَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَإِنَّهُ أَرَادَ جَمْعَ
السِّنِّ فَقَالَ أَسْنَانَ ثُمَّ جَمَعَ الْأَسْنَانَ، فَقَالَ أَسِنَّةً، فَصَارَ جَمْعُ الْجَمْعِ، هَذَا وَجْهٌ
فِي الْعَرَبِيَّةِ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَدْرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ مُزِيرٌ).

^٢ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ. وَجَمَلٌ أَرْمَكَ أَي: جَمَلٌ يُخَالِطُ حُمْرَتَهُ سَوَادًا، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَي:
عَلَامَةٌ، أَوْ لَيْسَ فِيهِ لُتْعَةٌ مِنْ غَيْرِ لَوْنِهِ، أَوْ لَا عَيْبَ فِيهِ.

^٣ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظٍ: "فَاعْطُوا الْإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ"، أَي أَعْطُوا تِلْكَ الدَّوَابَّ حَظَّهَا مِنَ الرَّعْيِ
وَالرَّاحَةِ وَالْأَكْلِ فِي الْعُشْبِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِتَخْفِيفِ السَّيْرِ وَالتَّبَاطُؤِ بِهَا.

وفيه وَجْهٌ آخَرُ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، قَالَ أَبُو دَاوُدَ، أَرَاهُ السِّنْجِيَّ^١، قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ هَذَا فَقَالَ: يَرِيدُ ارْعَوْهَا وَأَحْسِنُوا رَعِيَهَا حَتَّى تَسْمَنَ وَتَحْسَنَ فِي عَيْنِ النَّاطِرِ فَيَمْنَعَهُ حُسْنُهَا مِنْ نَحْرِهَا، فَكَأَمَّا اسْتَجَنَّتْ مِنْهُ بِسِنَانٍ، وَأَنْشَدَ لِحَالِدِ بْنِ الظِّيفَانَ:

لَهُ إِبِلٌ فَرَشٌ^٢ ذَوَاتُ أَسَنَةٍ صُهَابِيَّةٌ حَانَتْ عَلَيْهِ حَقُوقُهَا

قَالَ غَيْرُهُ: أَسَنَتْهَا مَرَاعِيهَا، يَرِيدُ أَنَّهَا تَتَّقَوِي بِهَا عَلَى السَّيْرِ فَتَكُونُ الْقُوَّةَ لَهَا كَالسِّنَانِ.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: "أَعْطُوا السِّنَّ حَظَّهَا"، أَيِ مِنَ السِّنِّ، وَالسِّنُّ الرَّعْيِيُّ، قَالَ النَّابِغَةُ^٣:

ضَلَّتْ حُلُومُهُمْ عَنْهُمْ وَغَرَّهُمْ سَنُّ الْمُعِيدِيِّ فِي رَعِيٍّ وَتَعَزَّبِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّتْ بِهِ سَحَابَةٌ فَرَعَدَتْ فَقَالَ: "تَنْصَلَّتْ هَذِهِ، أَوْ تَنْصَلِتُ هَذِهِ، تَنْصُرُ بَنِي كَعْبٍ".

^١ سُلَيْمَانَ بْنِ مَعْبُدِ أَبُو دَاوُدَ السَّنْجِيَّ الْمَرْوُذِيِّ: مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ، أَخَذَ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَالنَّضْرِ بْنِ شَمِيلٍ. وَكَانَ ثِقَةً.

^٢ الْفَرَشُ: الْكَبِيرَةُ الْمَسْنَةُ.

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (إِنِّي كَأَنِّي لَدَى النُّعْمَانِ حَبْرُهُ بَعْضُ الْأَوْدِ حَدِيثًا غَيْرَ مَكْدُوبٍ).

قوله: تَنصَلَّتْ، معناه جاءت وأقبلت، من قولك: نَصَلَّ عَلَيْنَا فُلَانٌ، إِذَا خَرَجَ عَلَيْكَ مِنْ طَرِيقٍ أَوْ ظَهَرَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَأَمَّا تَنصَلَّتْ فَمَعْنَاهُ تَنَحَّوْا وَتَقْصِدُوا، يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا تَشَمَّرَ لِلْأَمْرِ وَتَجَرَّدَ لَهُ: قَدْ انصَلَّتْ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: سَيْفٌ صَلَّتْ، وَقَدْ أَصَلَّتْ صَاحِبُهُ، وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ^١ يَصِفُ عَيْرًا وَأُنْتًا:

فَرَاخٌ مُنصَلِتًا يَحْدُو حَلَائِلَهُ أَدْنَى تَقَادُفِهِ التَّفْرِيبُ وَالْحَبَبُ

وقوله: تَنْصُرُ بَنِي كَعْبٍ، معناه تجودهم وتمطرهم، قَالَ أَبُو عبيدة: يُقَالُ: نَصَرَ الْمَطْرُ أَرْضَ فُلَانٍ، إِذَا جَادَهَا وَعَمَّهَا، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ^٢:

إِذَا انصَلَحَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ فَوَدَّعِي بِإِلَادِ تَمِيمٍ وَأَنْصُرِي أَرْضَ عَامِرٍ

وقال في قوله: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} أَي لَنْ يَنْصَعَ اللَّهُ لَهُ وَلَنْ يَرْزُقَهُ، قَالَ: وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ يَسْأَلُ النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ نَصُرَنِي نَصَرَهُ اللَّهُ.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِجَةٍ سَرِبَ).

^٢ هو للراعي النميري، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَحَارِ بِنَ عَبْدٍ لِلدُّمُوعِ الْبُؤَادِرِ وَلِللَّجْدِ أَمْسَى عَظْمُهُ فِي الْجَبَائِرِ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ هَيَّ أَنْ يُنْفَخَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُتَنَفَسَ فِيهِ^١.

هَيَّهِ عَنِ النَّفْخِ فِي الْإِنَاءِ لِمَعْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ إِنَّمَا يُنْفَخُ فِيهِ لِشِدَّةِ حَرَارَتِهِ، وَالطَّعَامُ الْحَارُّ الشَّدِيدُ الْحَرَارَةَ ضَارٌّ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدُ مِنْ أَمَارَاتِ الْجَشَعِ وَقِلَّةِ مَلَكَتِ النَّفْسِ.

وَالْآخَرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ رَيْقِهِ فَيَعَافَهُ الطَّاعِمُ لَهُ وَيَسْتَقْدَرُهُ مَوَاقِلُهُ؛ إِذْ كَانَ التَّقَرُّزُ فِي بَابِ الطَّعَامِ وَالتَّنْظُفُ فِيهِ مِنَ الْغَالِبِ عَلَى طِبَاعِ أَكْثَرِ النَّاسِ، نَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ لِئَلَّا يُفْسِدَ الطَّعَامَ عَلَى مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى كَرِهَ تَنَفُّسَهُ فِي الْإِنَاءِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْتَمُ فِي الْقِيَامَةِ عَلَى الْعَبْدِ وَيُنْطِقُ يَدَيْهِ وَجِلْدَهُ بِعَمَلِهِ فَيَقُولُ: إِنِّي وَعَزَّتْكَ لَقَدْ عَمِلْتَهَا وَإِنَّ عِنْدِي الْعِظَائِمَ الْمُطْمَرَاتِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَعْلَمُ بِهَا مِنْكَ، أَذْهَبَ فَقَدْ غَفَرْتُهَا لَكَ"^٢.

^١ متفق عليه.

^٢ رواه ابن مردويه في تفسيره - كما في الدر المنثور للسيوطي ١٦٦/٦ - والحديث ضعيف جداً؛ من أجل يزيد بن سنان، وأبي يحيى الكلاعي.

قوله: الْمُطَمَّرَات، يُرِيدُ الْمُخَبَّات، يُقَالُ: طَمَّرْتُ الشَّيْءَ، إِذَا خَبَأْتَهُ حَيْثُ لَا يُدْرَى، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْحَفَائِرِ تَحْتَ الْأَرْضِ: الْمَطَامِيرُ، وَاحِدُهَا مَطْمُورَةٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُ"^١.

وَجَهَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يَكُونَ إِذَا كَرِهَ أَنْ يُكْتَبَ شَيْءٌ مَعَ الْقُرْآنِ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؛ تَعْظِيمًا لِلْقُرْآنِ وَتَنْزِيهًا لَهُ أَنْ يُسَوَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلَامِ غَيْرِهِ، وَهَذَا كُنْهِيهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعِ، فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: تَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ أَقْرَأَ وَأَنَا رَاكِعٌ^٢.

كَرِهَ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ الْإِنْسَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَيَكُونَا عَلَى السَّوَاءِ فِي الْمَحَلِّ وَالْمَوْقِعِ، لَا أَعْرِفُ لِلْحَدِيثِ وَجْهًا غَيْرَهُ؛ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ أَذِنَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ فِي الْكِتَابِ عَنْهُ، وَكَانَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو

^١ رواه مسلم.

^٢ رواه مسلم.

صحيفةً يُسمِّيها الصادقة، وخطب - عليه السلام - حُطْبَةً بِمَنَى فقام أبو شاة الكَلْبِيُّ^١ فاستكثبها فقال: "اكتبوها لأبي شاة"^٢.

وشكا إليه رجلٌ سوءَ الحِفظِ فقال: "استعن بيمينك"^٣، أي اكتب وأثبت عني لا تنساه.

وعن قيس بن عبادٍ أنه انطلق إلى عليٍّ هو ورجلٌ آخرُ يُقالُ له الأشترُ، فقالا: هل عهد إليك رسولُ الله عهدًا لم يعهده إلى الناسِ عامةً؟ فأخرج كتابًا من قراب سيفه فقال: لا إلا هذا، فإذا فيه: "المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم، ألا ولا يُقتل مؤمنٌ بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهده، ومن أحدث حديثًا فعلى نفسه، ألا ومن أحدث حديثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين لا يُقبلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ"^٤.

^١ وأبو شاه (رجل من أهل اليمن) ويقال إنه كلبى ويقال فارسي أجداده من الأبناء الذين قدموا اليمن في نصره سيف بن ذي يزن.

^٢ رواه البزار في مسنده البحر الزخار، مسند أنس بن مالك: ٨٦٠١.

^٣ رواه الترمذي في الجامع، أبواب العلم، باب ما جاء في الرخصة فيه: ٢٧١٤، وقال: هذا حديثٌ إسنادُهُ ليسَ بِذَلِكَ القَائِمِ وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ، يَقُولُ: الحَلِيلُ بْنُ مِرَّةٍ مُنْكَرُ الحَدِيثِ.

^٤ رواه البخاري.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَبْلَ ابْنِ صَيَّادٍ^١، فَوَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ عِنْدَ أُطْمِ بَنِي مَعَالَةَ، وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ الْحُلْمَ يَوْمَئِذٍ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: "أَتَشْهَدُ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ"، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لَهُ: أَتَشْهَدُ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَرَضَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: "آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ"^٢.

قوله: رَضَّهَ، أي ضَعَطَهُ وضمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ، ومنه رَضُّ الْبِنَاءِ، وهو إِلْصَاقُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} ومنه التَّرَاصُّ فِي الصُّفُوفِ وهو التَّقَارِبُ وَالتَّدَانِي، وَأَنشَدَنِي أَبُو عُمَرَ أَنشَدَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَنشَدَنَا أَبُو الْمَكَارِمِ:

مَا لَقِيَ الْبَيْضُ مِنَ الْحَرْقُوصِ مِنْ مَارِدٍ لَصٍّ مِنَ اللَّصُوصِ
يَدْخُلُ بَيْنَ الْعَلَقِ الْمَرْصُوصِ بِمَهْرٍ لَا غَالٍ وَلَا رَخِيسِ

^١ كان في المدينة غلاماً يُقال له: ابنُ صَيَّادٍ، واسمُه: صَافِي، مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، وَقَدْ شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ هُوَ الدَّجَّالُ، وَقِصَّةُ ابْنِ صَيَّادٍ مُشْكِلَةٌ وَأَمْرُهُ مُشْتَبِهٌ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ الْكَذَّابِينَ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ الَّذِي يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

قَالَ أَبُو الْمَكَارِمِ: الْحَرْفُوصُ دُوَيْبَةُ يُقَالُ لَهَا عَاشِقُ الْأَبْكَارِ؛ لِأَنَّهَا تَلْزَمُ فَرْوَجَ الْأَبْكَارِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: "أَبِي حَبَّاتُ لَكَ حَبِيئًا" فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ الدُّخُّ، فَقَالَ: "أَحْسَنَ فَلَئِنْ تَعَدَّوْا قَدْرَكَ"^١.

وَالدُّخُّ: الدُّخَانُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَسَأَلَ عَرَبٌ عَيْنَهُ فَلَحَّحًا تَحْتَ رِوَاقِ الْبَيْتِ يَعْشَى
وَفِيهِ لَعْنَةٌ أُخْرَى وَهُوَ الدُّخُّ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ سَأَلَ ابْنَ صَيَّادٍ عَنْ ثُرْبَةِ الْجَنَّةِ فَقَالَ: دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ^٢، فَقَالَ: "صَدَقَ"^٤.

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ قيل هو لأحد الأعراب، وتامه:

لَا حَيْرَ فِي الشَّيْخِ إِذَا مَا الْجَلْحَا وَسَأَلَ عَرَبٌ عَيْنَهُ وَلَحَّحًا
وَكَانَ أَكْثَلًا دَائِمًا وَسَحَا تَحْتَ رِوَاقِ الْبَيْتِ يَعْشَى الدُّخَا
وَأَثْنَتِ الرَّجُلُ فَصَارَتْ فَحَا وَكَانَ وَصْلُ الْغَانِيَاتِ إِحَا

^٣ «دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ»، وَهُوَ الدَّقِيقُ الْخَالِصُ الْبَيْضُ، «مِسْكٌ»، يَعْنِي أَنَّهَا فِي الْبَيْضِ دَرْمَكَةٌ وَفِي الطَّيِّبِ مِسْكٌ.

^٤ رواه مسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ عَلَى قَبْرِهِ النَّقْلُ.
النَّقْلُ: الْحِجَارَةُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: النَّقْلُ الْحِجَارَةُ كَالْأَثَانِي، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: النَّقْلُ
وَالْعَدْرُ وَالْجِرْلُ كُلٌّ هَذَا الْحِجَارَةُ مَعَ الشَّجَرِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: النَّقْلُ الْحِجَارَةُ
الصِّغَارُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْمُنْقَلَةُ^١ فِي الْجِرَاحِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُخْرَجُ مِنْهَا عِظَامٌ صِغَارٌ
كَالنَّقْلِ.

وَعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ^٢ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّتَاهُ أَكْشَفِي لِي عَنِ الْقُبُورِ،
فَكَشَفَتْ لِي فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَقْبَرٌ لَا مُرْتَفَعَةٌ وَلَا لَاطِئَةٌ مَسْطُوحَةٌ عَلَيْهَا حَصْبَاءٌ مِنْ
حَصْبَاءِ الْعَرِصَةِ^٣.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَدِّنُ
مُؤَمَّنٌ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الْأَيْمَةَ وَاعْفِرْ لِلْمُؤَدِّينَ"^٤.

^١ الْمُنْقَلَةُ: الشَّجَّةُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهَا كِسْرُ الْعِظَامِ.

^٢ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ (٣٥ - ١٠٧ هـ): تَابِعِي مَدَنِي، وَأَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَأَحَدُ
فُقَهَاءِ الْمَدِينَةِ السَّبْعَةِ مِنَ التَّابِعِينَ. وَلَدَ فِي خِلَافَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ تَوَفَّى أَبُوهُ سَنَةَ ٣٦ هـ،
فَلَمْ يَدْرِكْهُ الْقَاسِمُ، وَنَشَأَ فِي حَجْرِ عَمَتِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، فَتَفَقَّهَ مِنْهَا، فَكَانَ مِنْ
أَعْلَمِ النَّاسِ بِحَدِيثِهَا.

^٣ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

^٤ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَهُ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ.

مَعْنَى الضَّمَانِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الرَّعَايَةُ لِلشَّيْءِ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الدُّعَاءِ لِلْمُسَافِرِ: فِي حِفْظِ اللَّهِ وَضَمَانِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

رِعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْتَقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ

وقال الفرزدق^٢:

أَنَا الضَّامِنُ الرَّاعِي عَلَيْهِمْ وَإِنَّمَا يُدَافِعُ عَنِّ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ
مثلي^٣

^١ في حماسة أبي تمام أنه أعرابي من هذيل، وهما بيتان:

رِعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... وَلِلَّهِ أَنْ يَشْتَقِيكَ أَغْنَى وَأَوْسَعُ

يَذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالَّذِي ... أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَلَا إِسْتَهْزَأَتْ مِنِّي هُنَيْدَةُ أَنْ رَأَتْ أَسِيرًا يُدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْحِجْلِ).

^٣ حج الفرزدق فعاهد الله بين الباب والمقام ألا يهجو أحداً وأن يقيد نفسه حتى يجمع القرآن حفظاً، فلما قدم البصرة قيد نفسه وحلف ألا يطلق قيده عنه حتى يجمع القرآن، وقال (ألم ترني عاهدت ربي وإنني لبين رتاجٍ قائماً ومقام) وبلغ نساء بني مجاشع فحش البعيث وجريه بمن فأتين الفرزدق مقيداً فقلن: قبح الله قيديك وقد هتك جريه عورات نسائك، فأغضبته ففرض قيده وقال قصيدة يجييهما، منها: فإن يك قيدي كان نذراً نذرته فما بي عن أحساب قومي من شغل أنا الضامن الراعي عليهم وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي.

ف قوله: الإمام ضامنٌ، تأويله أنه يحفظُ على القومِ صلاحَهم ويَرعاها لهم، وليس من ضمان العرامة في شيء، ويُقال إنه قد ضمن الدعاء لهم.

وعن ثوبان قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لا يؤمُّ رجلٌ قومًا فيحُصُّ نفسه بدعوةِ دُوهم، فإن فعلَ فقد حان"¹.

- في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لا يضُرُّ المرأةَ الحائضَ والجُنُبَ أَنْ لا تَنقُضَ شَعْرَهَا إِذَا أَصَابَ الْمَاءُ سُورَ الرَّأْسِ"، أَوْ قَالَ: "سُورَ الرَّأْسِ"².

قوله: سُورَ الرَّأْسِ، يريد أعلى الرأس، وكلُّ مرتفع سُور، ومن هذا سُورُ البِناةِ، ولِفُلانٍ سُورَةٌ في المجدِّ والكرم، أي رفعة وعلاء، قال النابغة³:

ألم تر أن الله أعطاك سورةً يُرى كلُّ ملكٍ دُوهاً يتذبذبُ

¹ رواه أبو داود والترمذي، وصحح الألباني إسناده في صحيح الترمذي.

² أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان، وإسناده ضعيف فيه أبو الزبير المكي، صدوق يدلس وقد عنعنه.

³ في ديوانه من اعتذاريته الشهيرة إلى النعمان بن المنذر، ومطلعها: (أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتمُّ منها وأنصبُ).

ومنه قيل: رجلٌ سَوَّازٌ، وهو الَّذِي يُسْرِعُ فِيهِ الشَّرَابُ فترتفع سَوْرَتُهُ إِلَى رَأْسِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ^١:

وَشَارِبٍ مُرْبِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمَنِي لَا بِالْحُصُورِ وَلَا فِيهَا
بِسَوَّارٍ^٢

وَيُرَوَى بِسَاءَرٍ، وَهُوَ الَّذِي يُسَيِّرُ فِي الْكَأْسِ سُورًا، أَي بِيَقِي فِيهَا بَقِيَّةً، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ: مُسَيِّرًا، مِنْ أَسَأَرْتُ، وَلَكِنَّهُمْ رَبَّمَا حَرَجُوا مِنْ بِنَاءِ الرَّبَاعِيِّ إِلَى الثَّلَاثِيِّ، كَقَوْلِهِمْ: جَبَّارٌ، مِنْ أَجَبَرْتُ، وَدَرَّكٌ، مِنْ أَدْرَكْتُ. وَأَمَّا شَوْرُ الرَّأْسِ فَلَا أَعْرَفُهُ، وَأَرَاهُ شَوَى الرَّأْسِ، جَمْعُ شَوَاةٍ، وَهِيَ حِلْدَةُ الرَّأْسِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ هو الأخطل: غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق) واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تياهاً، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها. وكانت إقامته طوراً في دمشق مقر الخلفاء من بني أمية. وحيناً في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه. وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة.

^٢ في ديوانه من قصيدته في مدح يزيد بن معاوية ومطلعها: (تَغَيَّرَ الرَّسْمُ مِنْ سَلْمَى بِأَحْفَارٍ وَأَقْفَرَتْ مِنْ سَلْمَى دِمْنَةُ الدَّارِ).

^٣ هو الأعشى، وسبق ذكره وتفسيره.

قالت قتيلة ما له قد جللت شيبًا شواته

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ قَنَتَ صَبِيحَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يُقُولُ: "اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَيْعَةَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"^١، فَدَعَا لَهُمْ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ صَبِيحَةَ الْفِطْرِ تَرَكَ الدُّعَاءَ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ لَمْ تَدْعُ لِلنَّفَرِ؟ فَقَالَ: "أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ قَدِمُوا" قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ يَذْكُرُهُمْ نَفَجَتْ بِهِمُ الطَّرِيقُ يَسُوقُ بِهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَسَارَ ثَلَاثًا عَلَى قَدَمَيْهِ وَقَدْ نُكِبَ بِالْحَرَّةِ، قَالَ: فَنَهَجَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى قَضَى الدُّنْيَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "هَذَا الشَّهِيدُ وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ"^٢.

قوله: نَفَجَتْ بِهِمُ الطَّرِيقُ، أي رَمَتْ بِهِمُ الطَّرِيقُ فُجَاءَةً، يُقَالُ: نَفَجَتْ الرِّيحُ، إِذَا جَاءَتْ بَعْتَةً، وَرِيَاخٌ نَوَافِجٌ، وَمِنْهُ انْتِفَاجَةُ الْأَرْزَبِ. وَقَوْلُهُ: فَنَهَجَ، يَرِيدُ بِهِ نَزَعَ الْمَوْتَ، يُقَالُ: نَهَجَ الرَّجُلُ يَنْهَجُ، إِذَا عَلَاهُ الرَّبْوُ، وَأُنْهَجَ إِهْجًا مِثْلَهُ.

^١ إلى هنا رواية البخاري وابن حبان في صحيحه.

^٢ والجزء الأخير رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ جُهِيسَ بْنَ أَوْسٍ النَّحَعِيِّ^١ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا حَيٌّ مِنْ مَدْحِ عُبَابٍ سَلَفَهَا وَلُبَابٍ شَرَفَهَا، كِرَامٌ غَيْرُ أَبْرَامٍ، نُجْبَاءٌ غَيْرُ دُحْضِ الْأَقْدَامِ، وَكَائِنٌ قَطَعْنَا إِلَيْكَ مِنْ دَوِيَّةٍ سَرَبِخٍ وَدِيمُومَةٍ سَرَدِحٍ وَتَنُوفَةٍ صَحْصَحٍ، يُضْحِي أَعْلَامُهَا قَامِسًا وَمُئَمِّسِي سَرَابُهَا طَامِسًا، عَلَى حَرَاجِيحٍ كَأَنَّهَا أَخَاشِبُ بِالْحَوْمَانَةِ مَائِلَةٌ الْأَرْجُلِ، وَقَدْ أَسْلَمْنَا عَلَى أَنَّ لَنَا مِنْ أَرْضِنَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَهُدَايَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مَدْحِجٍ وَعَلَى أَرْضِ مَدْحِجٍ حَيٌّ حُسْدٌ رُقْدٌ زُهْرٌ". وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ كِتَابًا عَلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ لَوْقَتِهَا وَإِتْيَاءَ الزَّكَاةِ بِحَقِّهَا وَصَوْمَ رَمَضَانَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ وَفِي يَدِهِ أَرْضٌ بَيْضَاءُ قَدْ سَقَتْهَا الْأَنْوَاءُ فَنِصْفُ الْعُشْرِ، وَمَا كَانَتْ مِنْ أَرْضٍ ظَاهِرَةِ الْمَاءِ فَالْعُشْرُ، شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنَيْسِ الْجُهَنِيِّ.

قوله: عُبَابٌ سَالِفُهَا، الْعُبَابُ أَوَّلُ الْمَاءِ وَمُعْظَمُهُ، يَرِيدُ أَنَّهُمْ أَهْلُ سَابِقَةٍ وَشَرَفٍ.

^١ جُهِيسُ بْنُ أَوْسٍ النَّحَعِيُّ: صَحَابِيُّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَذَكَرَهُ الرَّمَحْشَرِيُّ فِي الْفَائِقِ بِحُطِّهِ: جُهِيسُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَشْرِ بْنِ يَاسِرِ بْنِ جُشَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرٍ كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ فِي جَمَهَرَةِ النَّسَبِ، وَاسْمُهُ الْأَرْقَمُ، هَكَذَا ضَبَطَهُ بِالشِّينِ الْمَعْجَمَةِ.

والأبرام: اللثام، واجدهم برم، يقال: رجل برم، وهو الذي لا يخرج مع أصحابه في الميسر شيئاً.

ودحّض الأقدام: جمع داحض، وهم الذين لا ثبات لهم ولا عزيمة في الأمور، ويقال ذلك أيضاً للساقط المرتبة، من قولك: دحّض الرجل دحضاً، إذا زلت قدمه، ودحّضت حجته، إذا بطلت. والدوية: الأرض الملساء التي لا نبات بها.

والسريخ: الأرض الواسعة، وأنشدني الحسن بن خالد قال أنشدنا ابن دريد أنشدنا أبو حاتم أنشدنا الأصمعي لشاعر يصف القطا:

عَدَتْ فِي رَعِيلٍ ذِي أَدَاوَى مَنُوطَةٍ بَلْبَاتِهَا مَدْبُوعَةٍ لَمْ تُمَرِّحْ
إِذَا سَرِيخٌ غَطَّتْ مَجَالَ سَرَابِهِ تَمَطَّتْ فَحَطَّتْ بَيْنَ أَرْجَاءِ سَرِيخِ

وقوله: وديمومة سردح، فإن الديمومة المفازة المتفادفة الأرجاء التي يدوم فيها السير فلا يكاد ينقطع.

والصردح، بالصاد: المكان المستوي، فأما بالسين فهو السرداح، قال الأصمعي: وهي الأرض اللينة التي تُنبت النَّصْبِي^١، وتُجمع على السرداح. والصَّحْصَح: المكان المستوي الواسع، وهو الصَّحْصَحان أيضاً.

^١ النَّصْبِي: نَبْتُ الرَّعِي.

وأخبرني أحمد بن أبي ذر أنا ابن دريد أنا أبو حاتم عن الأصمعي قال: لقيتُ
أعرابياً فقلت: ممن أنت؟ قال: أسديٌّ، قلت: من أي البلاد؟ قال: من أهل
عُمان، قلت: فأني لك هذه الفصاحة؟ قال: إنّا سكنا بأرضٍ لا نسمعُ بها
باخجةَ التّيّار، قلت: فصِف لي أرضك، قال: سيفٌ^١ أفِيحٌ وفضاءٌ صحّصَح
وجبلٌ صلدَحٌ ورمْلٌ أصبَحٌ، قلت: فما مالك؟ قال: النّحلُ، قلتُ: فأين أنت
عن الإبل؟ قال: إنّ النّحلَ حملها غداءً وسَعفُها ضياءً وجذعُها بناءٌ وكرْبُها
صِلاءٌ وليفُها رِشاءٌ وحوصُها وعاءٌ وقرؤها إناءٌ.

قال: الباخجةُ: الصّوت، والصّلدَحُ: الشديد الصّلب، وهو الصّردح أيضاً،
والأصبَحُ: لونٌ إلى الحمرة، وقرُو النّحلة: أصلها يُنقَر فيجعلُ كالجفنةِ.
وقوله: يُضحي أعلامها قامساً، يريد بالأعلام الجبال الطّوال، واحدها علمٌ،
يريد أن جبالها تبدو أو ترتفع للنّاظر مرّةً وتغيّب أخرى، وذلك أن لمعان
الآل^٢ يطفو بالأشخاص في رأي العين ويرسُب بها.
والقُموسُ: أن يغيّب الشيء في الماء.

^١ السيف: ساحل البحر.

^٢ السراب.

وَطُمُوسُ السَّرَابِ: دُرُوسُهُ، يريد أنه يذهب مرّةً ويعودُ أخرى، كقول الشاعر^١:

يَبْدُ تَرَى قِيْرَاهُكُمْ طُمُوسًا بَوَادِيًا مَرًّا وَمَرًّا قُمُوسًا

وكان الأشبه أن يكون: وسرّاهُ طامياً، وكيف يقُمُوسُ الجبلُ ويغيبُ في سرّاب طامِس! وأراه إنّما قال: قامِسًا، بلفظ الواحد؛ لأنّه ردّه إلى كل علم من أعلامها، قال الكسائي: العَرَبُ تأتي بلفظ الجماعة والمعنى واحد، وأنشد:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدًا^٢

أراد بالألبان اللبن، ولذلك قال: وبرّد، قال أبو العباسِ ثعلبٌ: وقد تأتي العَرَبُ بلفظ الواحد تُريدُ به الاثنين كقوله:

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدِ جَبْهَتَهُ أَوْ الْحِرَاءَ وَالكَتَدَ

^١ هو العجاج، في ديوانه، من أرجوزته التي مطلعها: (يا صاح هل تعرف رسماً مكرسا قتل نعم أعرفه وأبلسا).

^٢ وتماه:

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنَ الْأَسَدِ ... جَبْهَتَهُ أَوْ الْحِرَاءَ وَالكَتَدَ

بَالَ سُهَيْلٍ فِي الْفُضِيخِ فَفَسَدَ ... وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدَ

مَعْنَاهُ أَنَّ الْفُضِيخَ يَفْسُدُ عِنْدَ طُلُوعِ سُهَيْلٍ فَكَأَنَّهُ بَالَ فِيهِ، وَالْفُضِيخُ رَطْبٌ يَشْدُخُ وَيَبْدُ، وَقَالَ بَرَدٌ أَي وَبَرَدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَقُلْ وَبَرَدَتْ لِأَنَّهُ لَا يَرُدُّهَا إِلَى الْأَلْبَانِ.

قَالَ: أَرَادَ الْخَرَائِينَ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو نَضْرٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ الْأَعْرَابِيِّ عَنِ الْمُنْضَلِّ قَالَ: الْخَرَائِتانُ مِنَ الْأَسَدِ كِتْفَاهُ، قَالَ: وَتَأْتِي بِالوَاحِدِ فِي مَعْنَى الْجَمِيعِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْرٍ}، فَإِلْيَاسُ هُنَا فِي مَعْنَى الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ اسْتَنْتَنِي مِنْهُ جَمَاعَةٌ بِقَوْلِهِ: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}، فَمُحَالٌ أَنْ يَسْتَنْتَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ وَاحِدٍ.

وَالْحَرَاجِيحُ: وَاحِدُهَا حُرْجُوجٌ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ الطَّوِيلَةُ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو هِيَ النَّاقَةُ الضَّامِرَةُ.

وَالْأَخَاشِبُ: جَمْعُ الْأَخْشَبِ، وَهُوَ كُلُّ جَبَلٍ خَشِنٍ غَلِيظٍ الْحَجَارَةِ.

وَالْحَوْمَانَةُ: وَاحِدَةُ الْحَوَامِينِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هِيَ أَمَاكِينُ غِلَاطٌ مُنْقَادَةٌ.

وَالْهُدَّابُ: وَرَقُ الْأَرطَى، وَالوَاحِدَةُ هُدَّابَةٌ، وَكُلُّ مَا لَمْ يَنْبَسِطْ وَرَقُهُ كَالطَّرْفَاءِ وَنَحْوِهِ فَوَرَقُهُ هَدْبٌ وَهُدَّابٌ، وَمِنْهُ هَدْبُ النَّوْبِ.

وَقَوْلُهُ: حُسْدٌ، مَعْنَاهُ أَهْمُ أَهْلِ احْتِشَادٍ وَمَعُونَةٍ.

وَالرَّفْدُ: جَمْعُ رَافِدٍ، وَهُوَ الْمُعِينُ، وَالرَّفْدُ: الْمَعُونَةُ.

وَقَوْلُهُ: سَقَّتْهَا الْأَنْوَاءُ، أَي سَقَّتْهَا السَّمَاءُ، وَالْأَنْوَاءُ النُّجُومُ، وَاحِدُهَا نَوْءٌ، وَكَانَ مِنْ مَذْهَبِ الْعَرَبِ أَنْ يُضَيِّفُوا وَفُوعَ الْمَطَرِ إِلَى الْأَنْوَاءِ، فَخَرَجَ هَذَا عَلَى عَادَةِ كَلَامِهِمْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ السَّوْمِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ^١.

السَّوْمُ: الرَّعْيُ، يُقَالُ: سَامَتِ الْمَاشِيَةُ، إِذَا رَعَتِ، فَهِيَ سَائِمَةٌ، وَأَسَامَهَا صَاحِبُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: { فِيهِ تُسَيَّمُونَ } قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: قَالَ الْمُفَضَّلُ: أَصْلُ هَذَا أَنَّ دَاءً يَقَعُ عَلَى النَّبَاتِ فَلَا يَنْحَلُّ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَيَذُوبُ، فَإِنْ أَكَلَ مِنْهُ الْمَالُ^٢ قَبْلَ ذَلِكَ هَلَكَ، قَالَ: فَرُبَّمَا نَدَّ الْبَعِيرُ فَأَكَلَ مِنْهُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَمَاتَ، فَأَيُّ كَلْبٍ أَكَلَ مِنْ لَحْمِهِ كَلِبٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُدَيْلٍ كَانَتَا إِحْدَاهُمَا حُبْلَى فَضَرَبَتْهَا ضَرْبًا مِمَّحْبَطٍ فَأَسْقَطَتْ، فَحَكَمَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ بِعُرَّةٍ^٣.
الْمِحْبَطُ: عَصَا يُحْبَطُ بِهَا وَرَقُ الْعِضَاءِ، وَهُوَ أَنْ يَضْرِبَ أَغْصَانَ الشَّجَرِ فَيَتَحَاتَّ الْوَرَقُ فَيُعْلَفَ الْمَاشِيَةَ، يُقَالُ: حَبَطْتُ الْوَرَقَ حَبْطًا، فَالْحَبْطُ الْفِعْلُ، وَالْحَبْطُ - مَفْتُوحُ الْبَاءِ - الْاسْمُ، وَالهَشُّ نَحْوُ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ مُوسَى: { وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي }.

^١ رواه ابن ماجه، والحاكم، وابن عدي، وضعف الألباني إسناده في السلسلة الضعيفة: ٤٧١٩.

^٢ المال: الإبل.

^٣ رواه عبد الرزاق في المصنف، باب نذر الجنين: ١٨٣٤٦.

^٤ شجر كبير له شوك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ نَضْلَةَ بْنَ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ لَفِيَهُ
بِمَرِيَيْنَ، وَهَجَمَ عَلَيْهِ شَوَائِلُ لَهُ، فَسَقَاهُ مِنْ أَلْبَاهَا^١.

الْمَرِي: الناقة الغريزة، وسُمِّيَتْ مَرِيًّا لِأَنَّهَا تُمْرَى، أَي تُحَلَبُ، قَالَ الْكَسَائِيُّ:
الْمَرِيُّ: الْغَرِيرَةُ، وَهِيَ الصَّفِيُّ وَالْحَنْجُورُ وَالرُّهْشُوشُ وَالْمُجَالِحُ.

وَأَخْبَرَنَا أَبُو رَجَاءِ الْعَنْوِيُّ نَا أَبِي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَنَسِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قِيلَ لِأَعْرَابِي:
مَا أَعَدَدْتَ لِلشِّتَاءِ؟ قَالَ: جُلَّةَ رُبُوضًا، وَصِصِيَّةَ سُلُوكًا، وَنَاقَةَ جَالِحًا، وَشِمْلَةَ
مُكَوِّدَةً، وَقُرْمُوصًا دَفِينًا ثُمَّ لَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ، قَالَ: يُرِيدُ جُلَّةَ تَمْرٍ مَلَاءً، وَقَرْنًا
يُثْلَعُ بِهِ التَّمْرُ، وَشِمْلَةَ تَبْلُغُ الْكَادَةَ، وَهِيَ أَصْلُ الْفَخِذِ، وَالْقُرْمُوصُ سَرَبٌ فِي
الْأَرْضِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

جاء الشتاء ولما أخذ
يا ويح كفي من حفر القراميص
رَبْضًا

^١ نضلة بن عمرو الغفاري، له صحبة، كان يسكن البادية ناحية العرج، وقد على النبي صلى الله
عليه وسلم، فأقطعته أرضًا بالصفراء.

^٢ رواه أحمد في المسند، حديث نضلة بن عمرو الغفاري: ١٨٩٦٢.

وقال رُوْبَةٌ فِي كَلَامِ لَهُ: مَا افْتَحَصَ طَائِرٌ اُفْحُوَصَةَ وَلَا تَقْرَمَصَ سَبْعٌ قَرْمُوَصَةَ
إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ.

وَالشَّوَالُ: جَمْعُ شَائِلَةٍ، وَهِيَ الَّتِي شَالَ لَبْنُهَا، أَي ارْتَفَعَ وَخَفَّ، وَهِيَ الشَّوْلُ
أَيْضًا، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ حِلْزَةَ^١:

لَا تَكْسَعُ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَنِ
النَّاتِجُ^٢

وَيَقَالُ: إِنَّمَا سَمِيَتْ شَوْلًا لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي ضَرْعِهَا إِلَّا شَوْلٌ مِنَ اللَّبَنِ، أَي بَقِيَّةُ
مِنْهُ، فَقِيلَ لَهَا شَوْلٌ، لِأَنَّهَا ذَاتُ شَوْلٍ، يُقَالُ لِبَقِيَّةِ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ وَلبقِيَّةِ الْمَاءِ
فِي الْمَزَادَةِ: شَوْلٌ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: إِذَا أَتَى عَلَى النَّاقَةِ مِنْ يَوْمِ حَمَلِهَا سَبْعَةُ أَشْهُرٍ خَفَّ لَبْنُهَا،
فَهِيَ يَوْمَئِذٍ شَائِلَةٌ، وَجَمَعُهَا شَوْلٌ، وَإِذَا شَالَتْ بِذَنْبِهَا بَعْدَ اللَّقَاحِ فَهِيَ شَائِلَةٌ،
وَجَمَعُهَا شَوْلٌ.

^١ الحارث بن ظليم بن حلزة البشكري: من عظماء قبيلة بكر بن وائل، كان شديد الفخر بقومه حتى ضرب به المثل فقيل «أفخر من الحارث بن حلزة»، من أخباره ما كان من أمر الاحتكام إلى عمرو بن هند لأجل حل الخلاف الذي وقع بين قبيلتي بكر وتغلب.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (يا أيُّها المزمعُ ثمَّ إنَّني لا يَتَبَنَّكَ الحازي وَلَا الشاحِجُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ جَاءَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا الشَّيْءَ يَعْظُمُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِهِ أَوْ الْكَلَامَ بِهِ مَا نُحِبُّ أَنْ لَنَا، يَعْنِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَوْقَدُ وَجَدْتُمُوهُ" قَالُوا نَعَمْ، قَالَ: "ذَٰكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ"^١.

قوله: "ذاك صريح الإيمان"، يريد أن صريح الإيمان هو الذي يعظم ما تجدوناه في صدوركم ويمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في قلوبكم، ولولاه لم تتعاضموا ذلك ولم تُنكرُوهُ، ولم يُرد أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان، وكيف تكون إيماناً وهي فعل الشيطان وكَيْدُهُ؟ ألا تُراه - عَلَيْهِ السَّلَام - يَقُولُ وَسُئِلَ عَنْ هَذَا أَوْ نَحْوِهِ فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ"^٢.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: "اللَّهُمَّ مَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ حَلَفْتُ مِنْ حَلْفٍ أَوْ نَذَرْتُ مِنْ نَذْرٍ فَمَشِيئَتِكَ بَيْنَ يَدَيْ دَلِكِ كُفْلِهِ، مَا شِئْتَ كَانَ، وَمَا لَا تَشَاءُ لَا يَكُونُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ،

^١ أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد والنسائي في (السنن الكبرى).

^٢ أخرجه أبو داود وأحمد والنسائي في (السنن الكبرى) وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي

اللَّهُمَّ مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتُ، وَمَا لَعَنْتُ مِنْ لَعْنَةٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتُ^١.

قوله: "فَمَشِيئَتُكَ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ كُلِّهِ" مَعْنَاهُ تَقْدِيمُ شَرْطِ الْاِسْتِثْنَاءِ فِي إِيمَانِهِ وَتُدْوَرِهِ وَمَوَاعِيدِهِ، وَتَعْلِيلُهُ بِإِيَّاهَا بِمَا سَبَقَ مِنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ فِيهَا، وَفِي هَذَا مَا دَلَّ عَلَى جَوَازِ تَقْدِيمِ الْاِسْتِثْنَاءِ أَمَامَ الْيَمِينِ، وَفِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ أَعْمَلَ الْاِسْتِثْنَاءَ مِنْ غَيْرِ اتِّصَالٍ بِالْكَلَامِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَهُوَ مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقوله: "اللَّهُمَّ مَا صَلَّيْتُ مِنْ صَلَاةٍ فَعَلَى مَنْ صَلَّيْتُ وَمَا لَعَنْتُ مَنْ لَعْنٍ فَعَلَى مَنْ لَعَنْتُ"، الوجه في إعرابه أن يُرْفَعَ الْأَوَّلُ وَيَنْصَبُ الثَّانِي، وَهُوَ عَلَى مَذْهَبِ الدُّعَاءِ وَالْمَسْأَلَةِ دُونَ الْحِكَايَةِ وَالْإِخْبَارِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَاتِي وَثَنًا لِي عَلَى مَنْ أَكْرَمْتَهُ بِصَلَاتِكَ وَأَهْلَيْتَهُ لثَنًا لِي، وَاصْرَفْ لِعَنِي وَسَيِّئِي إِلَى مَنْ اسْتَوْجَبَ لِعَنِكَ وَاسْتَحَقَّ عُقُوبَتَكَ.

وَهَذَا كَحَدِيثِهِ الْآخَرَ الَّذِي يَرْوِيهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنِّي شَرَطْتُ عَلَى رَبِّي أَيُّ عَبْدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ سَبَبْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِ صَلَاةً وَرَحْمَةً"^٢.

^١ أخرجه أحمد والحاكم والطبراني في الكبير، وضعفوا إسناده.

^٢ رواه البخاري ومسلم بألفاظ قريبة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يُحْطُّ^١، فَمَنْ صَادَفَ مِثْلَ حَطِّهِ فَذَاكَ"^٢.

ذَكَرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: الْحَطَّاطُ هُوَ الَّذِي يُحْطُّ بِإِصْبَعِهِ فِي الرَّمْلِ وَيَزْجُرُ، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ: يُقَالُ لِلْحَطَّائِنِ اللَّذِينَ يُحْطُّهُمَا الْحَطَّاطُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَزْجُرُ ابْنًا عِيَانٍ، فَإِذَا زَجَرَهُمَا قَالَ ابْنِي عِيَانٍ أَسْرَعًا الْبَيَانَ، هَذَا جُمْلَةٌ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الْحَطِّ.

وليس في هذا مَفْنَعٌ لِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقِفَ عَلَى صَوْرَةِ الْحَطِّ وَحَقِيقَتِهِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَأَوْضَحَهُ، قَالَ: يَأْتِي صَاحِبُ الْحَاجَةِ إِلَى الْحَازِي^٣ فَيُعْطِيهِ حُلْوَانًا وَهُوَ جُعْلُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: اقْعُدْ حَتَّى أَحْطَّ لَكَ، قَالَ: وَبَيْنَ يَدَيْ الْحَازِي غُلَامٌ مَعَهُ مِيلٌ^٤، ثُمَّ يَأْتِي إِلَى أَرْضٍ رِخْوَةٍ فَيَحْطُّ حُطُوطًا كَثِيرَةً بِالْعَجَلَةِ؛ لِئَلَّا يَلْحَقَهَا الْعَدُوُّ، قَالَ: ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَمْحُو عَلَى مَهْلٍ حَطَّيْنِ حَطَّيْنِ، فَإِنْ بَقِيَ مِنْهَا خَطَّانٌ فَهُمَا عَلَامَةُ النَّجَاحِ، فَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي ذَيْنِكَ الْحَطَّيْنِ ابْنِي عِيَانٍ، فَيَقُولُ

^١ إشارة إلى ما يعرف بعلم الرَّمْلِ والحَطِّ عند العرب.

^٢ رواه مسلم. فَمَنْ وَاقَفَ فِيمَا يُحْطُّهُ حَطَّهُ، فَذَاكَ، أَي: فَهُوَ الْمَصِيبُ، وَالْمَعْنَى: لَوْ وَاقَفَ خَطُّ الرَّجُلِ حَطًّا ذَلِكَ النَّبِيِّ فَهُوَ مُبَاحٌ، لَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ مَوَافَقَتِهِ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْعَمَلِ بِالْحَطِّ.

^٣ الحَازِي: الْكَاهِنُ.

^٤ الْحُلْوَانُ وَالْجُعْلُ: الْأَجْرَةُ.

^٥ عود.

الحازي: ابني عيان أسرع البیان، وإن بقي حطُّ واحدٌ فهو علامة الخيبة، وقال الشاعر^١:

جَرَى ابْنَا عِيَانٍ بِالسَّوَاءِ الْمُضْهَبِ

ذكره لنا أبو عمر عن أبي العباس ثعلب عن ابن الأعرابي، قال: وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْحَطُّ الَّذِي يُحْطُهُ الْحَازِي عِلْمٌ قَدِيمٌ تَرَكَهُ النَّاسُ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: جَل وَعَز: {أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ عِلْمٍ} قال: "الحطُّ"^٢.

رَفَعَهُ لَنَا ابْنُ فِرَاسٍ، وَالْأَكْثَرُونَ يَقْفُونَهُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ.

وأخبرني أبو عمر أنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يُقَالُ لِمَا يَأْخُذُهُ الْكَاهِنُ: الْحُلُوانَ وَالنَّشْغَ وَالصِّهْمِيمَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ نَهَى عَنِ مَرَايِي الْقُبُورِ.

الْمَرَايِي - إن كانت محفوظة - فإي لا أعلمها إلا من الرئية.

^١ هو الراعي النميري، في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها بني عدي بن جندب، ومطلعها: عَمَّتْ بَعْدَنَا أَجْرَاعُ بَكْرِ فَتَوَلَّبَ فَوَادِي الرِّدَاهِ بَيْنَ مَلْهَى فَمَلَعِبَ). وتمام البيت: (وَأَصْفَرَّ عَطَافٍ إِذَا رَاحَ رُبُّهُ جَرَى ابْنَا عِيَانٍ بِالسَّوَاءِ الْمُضْهَبِ).

^٢ رواه أحمد.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الزُّبَيْدَةُ بئرٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ فِي رَابِيَةِ لَا يَعْلُوهَا الْمَاءُ، كَرِهَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ يُشَقَّ الْقَبْرُ ضَرِيحًا كَالزُّبَيْدَةِ لَا يُلْحَدُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِعَيْرِنَا^١. وَمَا أَرَى هَذَا مُحْفُوظًا؛ فَعَنِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَرَاثِي^٢.

فَأَرَى هَذَا ذَاكَ بَعِيْنِهِ، صَحَّفَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ مِنَ الْمَرَاثِي: النَّيَّاحَةُ وَمَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَاهَا مِنْ تَأْبِينِ الْمَيِّتِ، عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ مَذَاهِبُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قَوْلِ الْمَرَاثِي وَنَصْبِ النَّوَاحِ عَلَى قُبُورِ مَوْتَاهُمْ، فَأَمَّا الْمَرَاثِي الَّتِي فِيهَا ثَنَاءٌ عَلَى الْمَيِّتِ وَدَعَاءٌ لَهُ فَغَيْرٌ مَكْرُوهَةٌ؛ وَقَدْ رَثَى رَسُولُ اللَّهِ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَنَدَبْتَهُ فَاطِمَةُ بِكَلَامٍ مَذْكُورٍ عَنْهَا، وَرَثِيَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ بِمَرَاثٍ رَوَاهَا الْعُلَمَاءُ وَلَمْ يَكْرَهُوا إِِنْشَادَهَا، وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْإِسْطِطَابَةِ^٣ فَقَالَ: "أَوْلَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ: حَجْرَيْنِ لِلصَّفْحَتَيْنِ وَحَجْرٍ لِلْمَسْرُوتِ"^٤.

^١ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ رواه أحمد وابن ماجه.

^٣ الْإِسْطِطَابَةُ: الْإِسْتِنْجَاءُ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَنْجِي تَطْيِبُ نَفْسَهُ بِإِزَالَةِ الْخُبْثِ عَنِ الْمَخْرَجِ.

^٤ أخرجه الروياني في (المسند) والطبراني والبيهقي، بإسناد صحيح أو حسن.

الصَّفْحَتَانِ: نَاحِيَتَا الْمَخْرَجِ، وَصَفْحَةٌ كُلُّ شَيْءٍ جَانِبُهُ.

وَالْمَسْرُوبَةُ: مَجْرَى الْغَائِطِ، وَسُمِّيَ مَسْرُوبَةً لِأَنَّهُ مُمَرُّ الْحَدَثِ وَمُسِيلُهُ، يُقَالُ: سَرَبَ الْمَاءُ يَسْرُبُ، إِذَا سَالَ وَجَرَى، وَوَعَاءٌ سَرَبٌ، إِذَا كَانَ لَا يَزَالُ يَفْطُرُ مَا فِيهِ، وَفَلَانٌ سَرَبُ الْوِعَاءِ، إِذَا كَانَ لَا يَكْتُمُ سِرًّا، وَالسَّرَبُ - مَفْتُوحُ الرَّاءِ - الْمَاءُ يَخْرُجُ مِنْ عَيُونِ الْحَزْرِ إِذَا صُبَّ فِي الْمَزَادَةِ الْجَدِيدَةِ لِكَيْ يَنْتَفِخَ مَوَاضِعُ الْحَزْرِ، يُقَالُ: سَرَبَ قَرِيبَتَكَ يَا هَذَا، وَمِنْهُ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ^١:

كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبٌ

يُرْوَى سَرَبٌ، بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَسَرِبٌ، بِكَسْرِهَا، فَمِنْ فَتْحِ الرَّاءِ قَالَ مَعْنَاهُ الْمَاءُ، وَمِنْ كَسْرِ قَالَ: مَعْنَاهُ السَّائِلُ، وَقَالَ جَرِيرٌ^٢:

نَعَمْ فَاهْلًا دَمْعُكَ غَيْرَ نَزْرٍ كَمَا عَيَّنْتَ بِالسَّرِبِ الطَّبَابَا

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ: أَصَبْتُ شَارِفًا مِنْ مَعْنَمِ بَدْرٍ وَأَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ شَارِفًا فَأَخْتَتُهُمَا بِيَابِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَمْرَةٌ فِي الْبَيْتِ وَمَعَهُ قَيْنَةٌ تُعْنِيهِ:

أَلَا يَا حَمْرَ ذَا الشُّرْفِ النَّوَاءِ

^١ فِي دِيَوَانِهِ، وَهُوَ مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ، وَتَمَامُهُ: (مَا بَالَ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكُبُ... كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَةٍ سَرَبٌ).

^٢ فِي دِيَوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا: (أَقْلَبِي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا).

فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا فَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ حَوَاصِرَهُمَا وَأَخَذَ أَكْبَادَهُمَا، فَنَظَرْتُ إِلَى مَنْظَرٍ أَقْطَعَنِي، فَاذْطَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَتَعَيَّظَ عَلَيْهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عِبِيدُ آبَائِي، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ يُقَهِّقِرُ^١. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: فَغَنَّتِ الْكَرِينَةَ^٢.

كَانَ ابْنُ السَّمَّاكِ يَرْوِيهِ: ذَا الشَّرْفِ النَّوَى، بِفَتْحِ الشِّينِ وَالرَّاءِ فِي الشَّرْفِ وَفَتْحِ النُّونِ فِي النَّوَى، وَقَصْرُهُ عَلَى وَزْنِ اللَّوَى، وَهَكَذَا يَرْوِيهِ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ. وَأَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ الْقَقَالُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ أَنَّهُ رَوَاهُ أَيْضًا كَذَلِكَ وَفَسَّرَهُ فَقَالَ: النَّوَى الْبُعْدُ، وَالنَّوَى جَمْعُ النَّوَاةِ.

وَالرِّوَايَةُ وَالتَّفْسِيرُ مَعًا غَلَطٌ، وَإِنَّمَا هُوَ النَّوَاءُ، مَكْسُورَةُ النُّونِ مَمْدُودَةُ الْأَلْفِ، عَلَى وَزْنِ الرَّوَاءِ، وَأَنْشَدَنِيهِ أَبُو عُمَرَ:

أَلَا يَا حَمْرَ ذَا الشَّرْفِ النَّوَاءِ وَهَنَّ مَعْقَلَاتُ
بِالْفِنَاءِ^٣

^١ رواه البخاري.

^٢ الكرينة: المغنية الضاربة بالعود أو الصنج.

^٣ وفي الرواية: فغنت قينة، فقالت في غنائها:

أَلَا يَا حَمْرَ لِلشَّرْفِ النَّوَاءِ وَهَنَّ مَعْقَلَاتُ بِالْفِنَاءِ

ضع السكين في اللبات منها فضرجهن حمرةً بالدماءِ

القصيدة إلى آخرها.

والشُّرْفُ: جَمْعُ الشَّارِفِ، وهي المُسِنَّةُ مِنَ النَّوْقِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، أَنَاخَ بِكُمْ الشُّرْفُ الْجُونُ"، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشُّرْفُ الْجُونُ؟ قَالَ: "فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ"^١.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الشُّرْفُ ههنا فِتْنٌ تَتَّصِلُ أَوْقَاتُهَا وَتَطُولُ أَزْمَانُهَا حَتَّى تَصِيرَ كَالشُّرْفِ مِنَ الْإِبِلِ، وهي النَّوْقُ الْمَسَانُ وَالنَّوَاءُ السِّمَانُ.

وَالنَّيِّ: السِّمْنُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: نَوَتِ النَّاقَةُ تَنْوِي فَهِيَ نَاوِيَةٌ وَهِنَّ نَوَاءٌ. وَقَالَ يَعْقُوبُ^٢: نَوَتْ نَوَايَةً وَنَوَايَةً.

قَالَ الرَّاجِزُ:

لَطَالَمَا جَرَزْتُكَ جَرًّا حَتَّى نَوَى الْأَعْجَفُ وَاسْتَمَرًّا^٣

وأطعم من شرائحها كبابا ملهوجة على وهج الصلابة

فأنت أبا عمارة للمرجى لكشف الضر عنا والبلاء

^١ أخرجه الحاكم وابن حبان بإسناد صحيح.

^٢ ابن السكيت.

^٣ وبعدهما: (فاليوم لا آلو الركاب شراً)، «جرّاً» من «هلم جرّاً»، مأخوذ من الجرّ في السوق، وهو أن تترك الإبل والغنم ترعى في السير. والأعجف: الهزيل، و«نوى» صار له نيّ وهو الشحم.

وقوله: يُفْهَقِر، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: الْفَهْقَرِيُّ: الْإِحْضَارُ^١، فَيَكُونُ عَلَيَّ هَذَا أَنَّهُ أَسْرَعُ فِي الْإِنْصِرَافِ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: يُقَالُ: رَجَعَ الْفَهْقَرِيُّ، إِذَا رَجَعَ وَرَاءَهُ وَوَجَّهَهُ إِلَيْكَ.

وَالْكَرِينَةُ: الْمَغْنِيَّةُ. وَقَدْ احْتَجَّ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحَدِيثِ فِي إِطْطَالِ أَحْكَامِ السَّكْرَانِ، وَقَالُوا: لَوْ لَزِمَ السَّكْرَانُ مَا يَكُونُ مِنْهُ فِي حَالِ سُكْرِهِ كَمَا يَلْزِمُهُ فِي حَالِ صِحْوِهِ لَكَانَ الْمُخَاطَبُ رَسُولَ اللَّهِ بِمَا اسْتَقْبَلَهُ بِهِ حِمْزَةٌ كَافِرًا مُبَاحَ الدَّمِّ. وَقَدْ ذَهَبَ عَلَيَّ هَذَا الْقَائِلُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْهُ إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الْخَمْرِ فِي زَمَانِ كَانَ شَرْبُهَا مُبَاحًا، وَإِنَّمَا حُرِّمَتْ الْخَمْرُ بَعْدَ عَزْوَةِ أَحُدٍ، قَالَ جَابِرٌ: اصْطَبَحَ نَاسُ الْخَمْرِ يَوْمَ أَحُدٍ ثُمَّ قَتَلُوا آخَرَ النَّهَارِ شُهَدَاءَ. فَأَمَّا وَقَدْ حُرِّمَتْ فَشَرْبُهَا مَعْصِيَةٌ وَمَا تَوَلَّدَ مِنْهَا لَازِمٌ، وَرُحِصُ اللَّهُ لَا تَلْحَقُ الْعَاصِينَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَقِيَ الْعَدُوَّ فِي بَعْضِ مَعَازِيهِ فَقَالَ: "حَمَّ لَا يُنْصَرُونَ"^٢.

يَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي مَعْنَاهُ إِلَى أَنَّهُ دُعَاءٌ، وَأَرَى أَبَا عُبَيْدٍ قَدْ أَشَارَ إِلَى نَحْوِ مِنْ هَذَا، وَبَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ كَيْسَانَ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْهُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى فَقَالَ: هُوَ إِخْبَارٌ مَعْنَاهُ: وَاللَّهِ لَا يُنْصَرُونَ، وَلَوْ كَانَ دُعَاءً لَكَانَ مَجْزُومًا، وَقَالَ

^١ أَحْضَرَ الْقَرْسُ: وَتَبَّ فِي عَدُوِّهِ بِقُوَّةٍ.

^٢ رواه الترمذي وأبو داود، وصحح الألباني إسناده.

أهل التفسير: حَامِيمِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَأَنَّهُ حَلَفَ بِاسْمٍ مِنْ
أَسْمَاءِ اللَّهِ أَهْمٌ لَا يُنْصَرُونَ، ويدلّ على هذا قول الشاعر:

يُذَكِّرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرٌ فَهَلَّا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ
التَّقْدِيمِ^١

أي يذكّرني الله.

وَيُقَالُ لِلسُّورِ الَّتِي تُفْتَحُ أَوَائِلُهَا بِحَامِيمٍ: أَلِ حَامِيمٍ، وَالْعَامَّةُ يَدْعُونَهَا: الْحَوَامِيمَ،
وقيل لأعرابي: أَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا؟ قَالَ نَعَمْ، الْقَلَاقِلُ، يَرِيدُ السُّورَ الَّتِي
تُفْتَحُ أَوَائِلُهَا بِقُلْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ وَعِنْدَ عَائِشَةَ
قَيِّتَانِ تُغْنِيَانِ فِي أَيَّامِ مَعِي، وَالتَّيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُضْطَجِعٌ مُسَجِّى ثَوْبُهُ عَلَى

^١ قال أبو بكر بن دريد: لما كان يومُ الجمل، والتقى الناسُ، خرج رجلٌ من بني أسدٍ، فلقى محمد
بنَ طلحة بنَ عبّيد الله - وكان يُسَمَّى السَّجَّادَ من كثرةِ سجوده وطُولِ صلاته - فحمل عليه
الأسديُّ، فلما عَشِيَهُ قال: حم - وكانت شعار أصحاب علي رضوان الله عليه - فمضى بِطَعْنَتِهِ
ولم يلتفتْ إلى قوله، ثم أنشأ الأسديُّ يقول:

وَأَشَعَتْ قَوَامَ بآيَاتِ رَبِّهِ ... قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمَ
هَتَكْتُ بِصَدْرِ الرَّمْحِ جَنِبَ قَمِيصِهِ ... فَخَرَّ صَرِيحاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْقَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعاً ... عَلِيّاً وَمَنْ لَا يَتَّبِعِ الْحَقَّ يَظْلَمُ
يُذَكِّرُنِي "حم" وَالرَّمْحَ شَاجِرٌ ... فَهَلَّا تَلَا "حم" قَبْلَ التَّقْدِيمِ؟

وَجْهِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ يُصْنَعُ هَذَا؟! فَكَشَفَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ وَجْهِهِ وَقَالَ: "دَعُّهُنَّ يَا أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهَا أَيَّامٌ عِيدٌ"^١.

القَيْنَةُ عند العامة: المُعْنِيَةُ لا تعرف غيرها، والقَيْنَةُ عند العرب: الأمة، والقَيْنُ: العبدُ، والقِيَانُ: الإماءُ، قَالَ زُهَيْرٌ^٢:

رَدَّ الْقِيَانُ جِمَالَ الْحَيِّ فَاحْتَمَلُوا إِلَى الظَّهِيرَةِ أَمْرٌ بَيْنَهُمْ لَبِئْ

وَالْقَيْنَةُ أَيضًا: الماشِطَةُ، وهي التي تُزَيِّنُ العرائسَ، يقال: قد قَيَّنْتَهَا، فهي مُقَيَّنَةٌ، وإنما قِيلَ للمغنية قَيْنَةٌ إِذَا كَانَ الغناء صِنَاعَةً لها، والقَيْنُ الصانع عند العرب، إلا أن الغالب عَلَيْهِ الصانع بالحديد، وأراد بالقَيَّتَيْنِ ههنا جاريتين^٣ كانتا عندها تُنشدان شِعْرًا.

وبيان ذَلِكَ ما رُوي في هذا الحديث من وَجْهِ آخِرٍ أَنَّهُ دَخَلَ وعندها جاريتان من الأنصار تُعَنِّيَانِ بشِعْرٍ قِيلَ في يوم بُعث، وهو يومٌ من أيام الجاهلية المذكور.

^١ متفق عليه.

^٢ زهير بن أبي سلمى، وهو في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (بَانَ الخَلِيطُ ولم يَأُؤُوا لِمَنْ تَرَكَوا وَرَوْدُوكَ اشْتِيقًا أَيَّةً سَلَكَوا).

^٣ الجارية: البنت الصغيرة التي لم تبلغ.

والعرب تُثبت مآثرها بالشعر فَتَرَوِيهَا أولادها وعبيدها فيكثر إنشادهم لها وروايتهم إياها فيتناشده السامر في القمراء والنّادي بالفناء والسّاقية على الرّكي والآبار، ويتزّتم به الرفاق إذا سارت بها الركاب، وكل ذلك عندهم غناء، ولم يُرد بالغناء ههنا ذكّر الحنا والابتهار بالنساء والتعريض بالفواحش وما يُسمّيه المُجّان وأهل المواخير غناءً.

والعرب تقول: سمعتُ فلاناً يُعني بهذا الحديث، أي يجهر به ويصرخ ولا يورّي ولا يكتفي، قال أبو عاصم: أخذ بيدي ابن جريج ووقفني على أشعب الطماع^١ فقال: غنّ^٢ ابن أخي ما بلغ من طمعك، فقال: بلغ من طمعي أنه ما زفت بالمدينة امرأة إلا كسحت بيتي رجاء أن يُهدى إلي. يقول: أخبر ابن أخي مجاهراً بذلك غير مُساترٍ، ومن هذا قول ذي الرّمة^٣:

أحبُّ المكانَ القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير مُعجم

^١ أشعب الطماع: رجل من أهل المدينة يقال له أشعب الطماع، وهو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير، يعرف بابن أم حميدة، ويضرب بطمعه المثل. روى قليلاً عن: عكرمة، وسالم، وأبان بن عثمان. وكان صاحب مزاح وتطفيل، ومع ذلك كُذِب عليه.

^٢ غنّ ابن أخي: يعني أخيره.

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا أيُّ هذا المنزل الدارسِ إسلامٍ وسُقيت صوب الباكر المتعجم).

أي أجهرُ الصَّوْتِ بذكرها ولا أكثي عنها حِذَارَ كاشِحٍ أو خوفًا من رقيب، وعلى هذا تأوّل بعضُ العلماء قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ"^١، أي يَجْهَرُ بِهِ، وقد يُروى هذا التفسير مرفوعًا أو موصولًا بحديث مرفوع^٢، فكلُّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِشَيْءٍ وَوَالَى بِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَصَوْتُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ غِنَاءٌ، وَأَكْثَرُهُ فِيمَا شَاقَ مِنْ صَوْتٍ أَوْ شَجَا مِنْ نَعْمَةٍ وَلَحْنٍ، وَلِذَلِكَ قِيلَ: غَنَّتِ الْحَمَامَةُ وَتَغْنَى الطَّائِرُ، قَالَ الْجُنُونُ^٣:

أَيَا قَاتَلَ اللهُ الْحَمَامَةَ غُدُوَّةً عَلَى الْعُصْنِ مَاذَا هَيَّجَتْ حِينَ غَنَّتِ
وقال آخر^٤:

^١ رواه البخاري.

^٢ هذه الزيادة في رواية البخاري عن أبي هريرة: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَزَادَ غَيْرُهُ: يَجْهَرُ بِهِ).

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (فَمَا وَجَدُ أَعْرَابِيَّةً قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ).

^٤ هوسؤارُ بنُ المِضْرَبِ: سوار بن المِضْرَبِ السعدي: شاعر إسلامي ذكر المبرد أنه هرب من الحجاج وقال: (أقاتلي الحجاج إن لم أزر له = دراب وأترك عند هند فؤاديا) والمِضْرَبُ سمي بذلك لأنه شُبِّهَ بِامْرَأَةٍ فَحَلَفَ أَحْوَهَا لِيضْرِبَنَهُ بِالسَيْفِ مِائَةَ ضَرْبَةٍ، فَضْرِبُهُ فَعَشِي عَلَيْهِ، فَسُمِّيَ مُضْرَبًا لِذَلِكَ.

تَعْنَى الطَّائِرَانِ بَيْنِ سَلْمَى عَلَى عُصَيْنٍ مِنْ عَرَبٍ
وَبَانَ^١

وأنشدني ابن داسة أنشدني الرِّبْقِيَّ أنشدني عبدُ الله بن شبيب لأعرابي^٢ من
عَبَسٍ باع ناقةً لَهُ فَسَمِعَ حَنِينَهَا وَهِيَ فِي سَقِينَةٍ فَقَالَ:

لِعَمْرِي لَعْنُ أَصْبَحَتْ فِي دَارِ تَوَلَّبٍ يُغْنِيكَ بِالْأَسْحَارِ دِيكَ
فَلَنْ تَرِدِي مَاءَ الطَّوِيِّ وَلَنْ تَرِي أَبَانِينَ مَا غَنَى الْحَمَامُ الْهُوََاتِفُ

^١ من قصيدته التي رواها صاحب الاختيارين، ومطلعها: (أَلَمْ تَرِنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَيَّ طَوَيْثُ الْكَشْحِ
عَنْ طَلَبِ الْعَوَانِي).

^٢ وهما في أبيات أنشدها "أبو ربيعة" في كتاب النسيب، نقلها عنه أبو العلاء المعري في رسالة
الصاهل والشاجح، والأبيات:

حلفتُ يميناَ للأصاخيِّ بَرَّةً ... وأخرى على أمانها أنا حالِفُ
لقد شاقني تحنُّانُ عَجَلَى ودونها ... من الدَّرْبِ بابٌ مُعْلَقٌ وسَقَائِفُ
لِعَمْرِي لَعْنُ أَصْبَحَتْ فِي دَارِ تَوَلَّبٍ ... يُغْنِيكَ بِالْأَسْحَارِ دِيكَ فِرَاقِفُ
لقد طال ما غنيت في الشَّوْلِ لم تزر ... خليلاً ولم يَأْلَفْ بك الحَيِّ آلِفُ
وكم من حبيبٍ قد أزرَّت حبيبَه ... وآخر قد نجَّته وهو ذائِفُ
وكلُّ المطايا بعدَ عَجَلَى ذميمةٌ ... قلائدُ والميرياتُ الطرائِفُ

^٣ ديك قراقف: أي يحرك رأسه إذا صاح.

وعلى هذا المعنى جعلوا صلصلة الحديد وأطيط الرِّحال غِنَاءً، وقال بعضُ
المُسَجِّين^١:

إِذَا شِئْتُ غَنَائِي الْحَدِيدُ وَأَوْتَيْتُ مَصَارِعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ^٢
الْمَنَادِيَا^٣

وقال آخَرُ:

وَلِي مُسَمِعَانُ وَزَمَارَةٌ وَظِلُّ ظَلِيلٍ وَحِصْنٌ^٤
أَمَقُّ^٣

^١ هو أبو محجن الثقفي: عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير ابن عوف: أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩ هـ، وروى عدة أحاديث. وكان منهمكاً في شرب النبيذ، فحده عمر مراراً، ثم نفاه إلى جزيرة بالبحر. فهرب، ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس، فكتب إليه عمر أن يحبسه، فحبسه سعد عنده. واشتد القتال في أحد أيام القادسية، فالتمس أبو محجن من امرأة سعد (سلمى) أن تحل قيده، وعاهدها أن يعود إلى القيد إن سلم، وأنشد أبياتاً في ذلك، فخلت سبيله، فقاتل قتالاً عجبياً، ورجع بعد المعركة إلى قيده وسجنه. فحدثت سلمى سعداً بخبره، فأطلقه وقال له: لن أحذك أبداً. فترك النبيذ وقال: كنت أنف أن أتركه من أجل الحد. وتوفي بأذربيجان أو بجران.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (كفى حَزناً أن تُطعنَ الخيلُ بالِقنا وأصبحَ مشدوداً عليَّ وَتَاقياً). ورواية الشاهد في القصيدة على النحو الآتي: (إِذَا قُمْتُ غَنَائِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ مَصَارِعُ مِنْ دُونِي تُصِمُّ الْمَنَادِيَا).

^٣ المِسْمِعَان: القَيْدَان، وَالزَّمَارَةُ: السَّاجُورُ وَالْعُلُّ، وَالْحِصْنُ: السِّجْنُ، وَالْأَمَقُّ: الطَّوِيلُ.

وأنشدني الأصمعي:

ما إن رأيت من مُغَنِّيَاتِ ذواتِ آذَانٍ وَجُمُجَمَاتِ

أَصْبَرَ مِنْهُنَّ عَلَى الصُّمَاتِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هَذَا يَصِفُ إِبْلًا، قَالَ: وَغِنَاؤُهُنَّ صَرِيْفُهُنَّ بِأَنْيَاهِنَّ وَذَلِكَ مِنَ النَّشَاطِ، فَإِذَا ضَجَرَتْ الْإِبِلُ رَعَتْ، قَالَ: وَالصُّمَاتُ هَهُنَا الْعَطَشُ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: الْغِنَاءُ أَطِيطُ الرَّحَالِ، وَالصُّمَاتُ السَّكُوتُ، وَمِثْلُ هَذَا فِي كَلَامِهِمْ كَثِيرٌ.

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ رَخَّصَ فِي غِنَاءِ الْأَعْرَابِ وَهُوَ صَوْتُ كَالْحَدَاءِ يُسَمَّى النَّصْبَ، إِلَّا أَنَّهُ رَقِيقٌ؛ فَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَرَجْنَا مَعَ عُمَرَ فِي الْحَجِّ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالرُّوْحَاءِ كَلَّمَ الْقَوْمُ رَبَّاحَ بْنَ الْمُعْتَرَفِ وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ بِغِنَاءِ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا لَهُ: أَسْمِعْنَا وَقَصِّرْ عَنَّا الْمَسِيرَ، قَالَ إِنِّي أَفْرُقُ^١ عُمَرَ، فَقَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى عُمَرَ فَكَلَّمُوهُ فَقَالَ: يَا رَبَّاحُ أَسْمِعْهُمْ وَقَصِّرْ عَنْهُمْ الْمَسِيرَ، فَإِذَا أَسْحَرْتَ فَارْفَعْ فَأَكْ، فَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ يَتَعَتَّى.

فهذا وما أشبهه مما يُدعى غناءً لم يرَ به عُمُرٌ بأسًا ولم يرَ فيه إثماً؛ لأنَّه حُداءٌ يُقَصِّرُ المسيرَ ويُحِثُّ المَطِيَّ ويُخَفِّفُ عَنِ المسافرِ.
ونحو هذا قولُ نُصَيْبٍ^١:

فَهَلْ يَمْتُنِّي اللهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّتْ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَطَيَّرْتُ مَا بِي مِنْ نُعَاسٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ
- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ الَّذِي فِي
السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ الضُّرَّاحُ، وَهُوَ عَلَى مَنَا الْكَعْبَةِ"^٢.
قَوْلُهُ: عَلَى مَنَا الْكَعْبَةِ، أَي عَلَى قَدْرِهَا، وَيُقَالُ بِجَدَائِهَا، يَقُولُ دَارِي مَنَا دَارِ
فُلَانٍ، أَي بِجَدَائِهَا.

^١ نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر فحل، مقدم في النسب والمدائح. كان عبداً أسود وكان له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولم يتزوجهن العرب، ف قيل له: ما حال بناتك؟ فقال: صبيت عليهن من جلدي فكسدن عليّ! وعناهن الشاعر بقوله: (كانت بنات نصيب حين ضنّ بما=عن الموالى ولم تحفل بما العرب).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا يا عقاب الوكرِ وكرِ ضريّةٍ سقيت العوّادي من عقابٍ ومن وكر).

^٣ أخرجه الطبراني، وابن مردويه، وعبد الرزاق في المصنف، وسنده ضعيف.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ أَنَّهُ قَالَ: "حُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْبَعْلِ طَوِيلِ الْأُذُنَيْنِ فَعَمَلْتُ بِأُذُنَيْهَا وَقَبَضْتُ الْأَرْضَ"^١.

قوله: "فَعَمَلْتُ بِأُذُنَيْهَا" أي طارت فكانت الأذنان لها كالجناحين، والطائر إذا أمعن في الطيران وأبعد في الجو فقد عمِلَ وأعملَ جناحيه، وكذلك هو في سير الإبل، يُقال: أَعَمَلْتُ الْمَطِيَّةَ فِيهَا مُعْمَلَةً، وناقَةٌ يَعْمَلَةٌ، وَنَوْقٌ يَعْمَلَاتٌ، وَبَعِيرٌ يَعْمَلِيٌّ. ومن هذا قولُ لقمان بن عاد حين وصفَ أحدَ إخوته للمرأة التي خطبها: خذي مني أخي ذا العِفاق، صَفَّاقٌ أَفَّاقٌ، يُعْمَلُ الناقَةَ والسَّاق.

وفي رواية أخرى من هذا الحديث: أَنَّهُ رَكِبَ الْبُرَاقَ وَفِي فَخْذَيْهَا جَنَاحَانِ يَحْفِزُهُمَا رِجْلَيْهَا^٢.

وقوله: "قَبَضْتُ الْأَرْضَ" يُرِيدُ النَّجَاءَ وَالسَّرْعَةَ، يُقَالُ: قَبَضْتُ الدَّابَّةَ تَقْبِضُ قَبْضًا، مُتَحَرِّكَةً الْبَاءِ، وَقَبَاضَةً، وَإِنَّهُ لَقَبِيضٌ بَيْنَ الْقَبْضِ، وَالْقَبَاضَةُ إِذَا كَانَ سَرِيعًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

^١ رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى.

^٢ في رواية ابن سعد السابقة.

كيف تَرَاهَا وَالْحُدَاةُ تَقْبِضُ^١

وقال آخر:

أَتَتْكَ عَيْرٌ تَحْمَلُ الْمَشِيئَا تُعْجِلُ ذَا الْقَبَاضَةِ الْوَحِيَّآ

أَنْ يَرْفَعَ الْمُتَزَرَ عَنْهُ شَيْئَا

الْمَشِيئِي وَالْمَشُؤُ: الدَّوَاءُ الَّذِي يُسَهِّلُ الْبَطْنَ، يَقُولُ: مَنْ يَشْرِبُهُ لَا يُلْبِثُهُ أَنْ يَرْفَعَ مِئْزَرَهُ عَنْهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِحُرَيْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^٢: "هَيَّأْ حَتَّى تَسِيرَ إِلَى بَيْتِ قَوْمِكَ حَتَّعِمٍ وَذِي الْخُلْصَةِ فَتَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَكْسِرَ

^١ وتماه في اللسان: (كَيْفَ تَرَاهَا وَالْحُدَاةُ تَقْبِضُ بِالْعَمَلِ لَيْلًا وَالرِّحَالُ تَنْعِضُ).

^٢ جرير بن عبد الله البجلي: صحابي جليل من صحابة رسول الله ﷺ ومن أحبهم إليه، كان جرير سيد قومه بجيلة، وكان جميل الوجه حسن الصورة، حتى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «جرير يوسف هذه الأمة»، دعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبات والهدى، نُقِلَ عَنْ جَرِيرِ قَوْلِهِ: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ. وَلَقَدْ شَكَّوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ تَبَّئْتُهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا». أَسْلَمَ وَقَوْمُهُ فِي رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهَجْرَةِ، فَبَعَثَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى رَأْسِ فَرَسَانٍ مِنْ بَجِيلَةَ لَهْدَمِ ذِي الْخُلْصَةِ (صَنَمٍ بِالسَّرَاةِ كَانَتْ قِبَالَ بَجِيلَةَ وَخَتْمٌ وَبَاهِلَةٌ وَدَوْسٌ وَالْأَزْدُ يَعْبُدُونَهُ).

صَمَمَهُمْ" فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ قَلَعٌ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا"^١.

القَلْعُ: الَّذِي لَا يَثْبُتُ فِي السَّرَجِ، وَقَدْ قَلَعَ قَلْعَةً، يُقَالُ: رَجُلٌ قَلَعٌ، مِثْلَ عَمَلٍ، مِنْ الْعَمَلِ، وَلَيْثٌ، مِنْ طُولِ اللَّبْثِ بِالْمَكَانِ، وَقُرَأَ بَعْضُهُمْ: {لَا يَثْبُتُ فِيهَا أَحْقَابًا}، وَقَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْبَةَ^٢:

حَتَّى شَاهَا كَلِيلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ بَاتَتْ طِرَابًا وَبَاتَ اللَّيْلُ لَمْ يَمِ

يُرِيدُ أَنَّ الْبَقْرَ بَاتَتْ طِرَابًا إِلَى الْبَرْقِ وَبَاتَ الْبَرْقُ لَمْ يَمِ، وَالْعَمَلُ مِنْ صِفَةِ الْبَرْقِ.

وَيُقَالُ رَجُلٌ قَلَعٌ، بِكَسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ اللَّامِ، وَالْأَمِيلُ مِثْلُ الْقَلْعِ، وَهُوَ الَّذِي إِذَا رَكَضَ الدَّابَّةَ^٣ مَالَ سَرِيعًا فزَالَ عَنْ مَتْنِهَا.

وَقَالَ الْأَعَشَى^٤:

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِّ ضَاحِيَةً جَنَيْتُ فُطَيْمَةَ لَا مِيلٌ وَلَا عَزْلُ

^١ رواه أبو عبيد المهروي في الغريبين في القرآن والحديث، وابن عساكر في تاريخ دمشق.

^٢ في ديوانه في شعر الهذليين، من قصيدته التي مطلعها: (يا لَيْتَ شِعْرِي أَلَا مَنَجِي مِنَ الْهَرَمِ ... أم هل على العيش بعد الشيب من ندم).

^٣ رَكَضَ الدَّابَّةَ: ضَرَبَ جَنْبَهَا بِرِجْلِهِ لِيَحْتَنُّهَا عَلَى السَّيْرِ.

^٤ من معلقته الشهيرة: (وَدَعِ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ).

والأَمِيلُ أَيْضًا هُوَ الَّذِي إِذَا رَكِبَ كَانَ فِي شِقِّهِ، قَالَ الشاعِرُ^١:
 لَمْ يَزَكِبُوا الْحَيْلَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَرَمُوا فَهَمْ ثِقَالٌ عَلَى أَعْجَازِهَا مِيلٌ
 وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا رَاكِبًا وَأَبُوهُ
 يَمْشِي، فَقُلْتُ: أَتَرَكَبُ وَأَبُوكَ يَمْشِي؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَأْتِبِلُ، أَي لَا يَثْبُتُ عَلَى
 الْإِبِلِ. وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ: فَارَسٌ ثَبَّتْ، إِذَا كَانَ لَا يَزُولُ عَنْ مَثْنِ فَرَسِهِ،
 كَمَا يُقَالُ: ثَبَّتُ الْجَنَانَ، إِذَا كَانَ رَابِطًا الْجَأْشِ. وَأَنْشَدَنِي أَبُو عَمَرَ عَنْ أَبِي
 الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ^٢:

الرُّمْحُ لَا أَمَلًا كَفِّي بِهِ وَاللِّبْدُ لَا أَتْبَعُ
 تَرْوَالَهُ^٣

^١ هو جرير، في ديوانه، وهو أحد بيتين أولهما: (تلقى السليطي والأبطال قد كلّموا وسط الرجال بطيناً وهو مفلول).

^٢ هو لابن زيابة التيمي، من قصيدة له في (الحماسة) مطلعها: (نبئت عمراً غارزاً رأسه ... في سنة يوعده أخواله).

^٣ في شرح الحماسة: هذا التمدح منه تعريضٌ بخصمه وإزراءٌ بفروسيته، وإشارةٌ إلى أن أضداد هذه الأوصاف مجتمعة فيه. فيجوز أن يكون المعنى: إني لا أقتصر من تعاطي أنواع السلاح على الرمح فقط، ولكنني أجمع في الاستعمال بينها. ويجوز أن يكون المعنى: إني أستعمل رمحي بأطراف أصابعي لحذقي واقتداري، ولا أخذه بجميع كفي. واللبد لا أتبع ترواله، أراد: ألزم ظهر دابتي، وإن مال اللبد لم أمل معه.

يَقُولُ إِنْ انْحَلَّ الْحِزَامُ فَمَالَ اللَّبْدُ لَمْ أَمِلْ مَعَهُ، وَقَوْلُهُ: الرَّمْحُ لَا أَمْلَأُ كَفِّي بِهِ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا أَنَّهُ لِحِدْقِهِ بِالطَّعَانِ لَا يَشُدُّ عَلَى الرَّمْحِ بِجَمِيعِ كَفِّهِ وَإِنَّمَا يَخْتَلِسُ الطَّعْنَ حَلْسًا، وَالْقَوْلُ الْآخَرُ أَنَّ الرَّمْحَ لَا يَمْلَأُ كَفَّهُ بِأَنْ يَشْغَلَهَا عَنْ غَيْرِهِ مِنَ السِّلَاحِ لَكِنَّهُ يَقَاتِلُ مَعَ الرَّمْحِ بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قِيلَ: أَيُّ أَمْوَالِنَا أَفْضَلُ؟ قَالَ: "الْحَرْثُ وَالْمَاشِيَةُ"، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْإِبِلُ؟ قَالَ: "تِلْكَ عَنَاجِيحُ الشَّيَاطِينِ"^١.

العناجيح: نجائب الإبل، واحدها عنجوج، يريد أنها مطايا الشياطين، وهذا مثل ضربه، يريد أنها قد يسرع إليها الدعر والتفار، وهذا كقوله في الإبل: "إنها جن من جن خلقت"^٢.

^١ رواه عبد الرزاق في المصنف، باب الزرع: ٢٢٠٨٤.

^٢ رواه الشافعي وضعف الألباني إسناده في ضعيف الجامع الصغير وزيادته.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الشَّمُوسَ بِنْتَ النُّعْمَانَ قَالَتْ: رَأَيْتُهُ يُؤَسِّسُ مَسْجِدَ قُبَاءٍ، فَكَانَ زُبَّانًا حَمَلًا الْحَجَرَ الْعَظِيمَ فَيُصْهِرُهُ إِلَى بَطْنِهِ فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ لِيَحْمِلَهُ فَيَقُولُ: "دَعَهُ وَاحْمَلْ مِثْلَهُ"^١.

قوله: يُصْهِرُهُ إِلَى بَطْنِهِ، أَي يُدْنِيهِ إِلَى بَطْنِهِ رَافِعًا لَهُ إِلَيْهِ. وفيه لغتان: يقال: صَهَرَهُ وَأَصْهَرَهُ، بمعنى قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ، وَمِنْهُ مُصَاهَرَةُ النِّكَاحِ، وَهِيَ الْمُوَاصَلَةُ وَالْمُقَارَبَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا} قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَرَادَ بِالنَّسَبِ قَرَابَةَ النَّسَبِ وَبِالصِّهْرِ قَرَابَةَ النِّكَاحِ، قَالَ: وَالصِّهْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَى الْقَرَابَةِ، يُقَالُ: فُلَانٌ مُصْهِرٌ بِنِي فُلَانٍ، إِذَا قَارَبَهُمْ فِي النَّسَبِ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ زَهْرٍ^٢:

قَوْدُ الْجِيَادِ وَإِصْهَارُ الْمُلُوكِ وَصُبُّ رُؤْيُ مَوَاطِنَ لَوْ كَانُوا بِهَا سَمَّوَا

قَالَ: لَمْ يُرِدْ حُتُونَةَ الْمُلُوكِ إِنَّمَا أَرَادَ الْقَرَابَةَ مِنْهُمْ. وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ فَيَهْصِرُهُ إِلَى بَطْنِهِ، أَي يَجْدِبُهُ.

^١ الشَّمُوسُ بِنْتُ النُّعْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ مَجْمَعِ بْنِ الْعَطَافِ بْنِ ضَبِيعةِ بْنِ زَيْدٍ: تَزَوَّجَهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ضَبِيعةِ فَوَلَدَتْ لَهُ. وَأَسْلَمَتِ الشَّمُوسُ بِنْتَ النُّعْمَانَ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَضَرَتْ مَعَهُ حِينَ أُسِّسَ مَسْجِدُ قُبَاءٍ.

^٢ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَأَبُو نَعِيمٍ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ.

^٣ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا هَرَمَ بْنَ سَنَانَ الْمَرِي، وَمَطْلَعُهَا: (قَفْ بِالْدِيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ الْكَرْمَ، فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ"^١.

قوله: "إِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ" يُرِيدُ الْكَرِيمَ، وَقَدْ يُنْعَتُ الْفَاعِلُ بِالْمُصْدَرِ، كَقَوْلِهِمْ: رَجُلٌ عَدْلٌ، وَرَجُلٌ صَوْمٌ، بِمَعْنَى صَائِمٌ، وَنَوْمٌ، بِمَعْنَى نَائِمٌ، وَقَدْ يُنْعَتُ بِهِ الْمَفْعُولُ أَيْضًا كَقَوْلِكَ: رَجُلٌ رِضًا، وَهَذَا دِرْهَمٌ ضَرَبَ الْأَمِيرُ، وَجَاءَنِي الْخَلْقُ، يُرِيدُ الْمَخْلُوقِينَ، فَإِذَا نَعَتَ الْفَاعِلَ بِالْمُصْدَرِ كَانَ الْوَاحِدُ وَالْجَمِيعُ وَالْمَذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ فِيهِ سَوَاءً، يُقَالُ: رَجُلٌ كَرْمٌ وَقَوْمٌ كَرْمٌ وَامْرَأَةٌ كَرْمٌ وَنِسَاءٌ كَرْمٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

وَأَنْ يَعْزِينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرْمٍ عِجَافٍ

أَيُّ عَنِ نِسَاءٍ كَرَامٍ.

^١ رواه مسلم وابن حبان في صحيحه.

^٢ قال ابن أبي الدنيا في كتاب النفقة على العيال: أَنَشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيُّ لِعَيْسَى الْحَبْطِيِّ:

لَقَدْ زَادَ الْحَيَاةَ إِلَيَّ حُبًّا ... بَنَانِي إِهْمٌّ مِنَ الضَّعَافِ

مَخَافَةً أَنْ يَذُقَنَّ الْبُؤْسَ بَعْدِي ... وَأَنْ يَشْرَبْنَ رَنْقًا بَعْدَ صَافٍ

فَإِنْ يَعْزِينَ إِنْ كُسِيَ الْجَوَارِي ... فَتَنْبُو الْعَيْنُ عَنْ كَرْمٍ عِجَافٍ

فَلَوْلَا ذَلِكَ قَدْ سَوَّمْتُ مُهْرِي ... وَفِي الرَّحْمَنِ لِلضُّعَفَاءِ كَافٍ

والمعنى في تغيّره - عَلَيْهِ السَّلَام - هذا الاسم إلى غيره أَنَّ الكَرَمَ عندهم اسمٌ مُشْتَقٌّ من الكَرَمِ، واسمُهُ التَّلِيدُ عندهم إِنَّمَا هُوَ الجُفْنَةُ والحَبْلَةُ، وهما أَصْلُ شجرِ الكَرَمِ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ: الحَبْلَةُ، بفتح الباءِ، وجَوَزَ غَيْرُهُ الحَبْلَةُ، ساكنةُ الباءِ، والأسماءُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: اسمٌ مُشْتَقٌّ واسمٌ مَوْضُوعٌ، وإِنَّمَا لَقَّبُوهُ كَرَمًا لِأَنَّ شَارِبَ الخَمْرِ الَّتِي تُتَّخَذُ من عَصِيرِهِ يتعاطى الكَرَمَ إِذَا شَرِبَهَا، كما سَمَّوْهَا رَاحًا، لِأَنَّ شَارِبَهَا يَرْتَاخُ لِلنَّدَى وَيَنْبَسِطُ لِلجُودِ والسَّخَاءِ، وقد قال بعضُ الشعراءِ:

والكَرْمُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الكَرَمِ

وقال آخرٌ يمدحُ رجلاً بمعاقرَةِ الخَمْرِ وَيَزَعُمُ أَنَّهَا كَرَمٌ^١:

حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجَّ دَارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ
أَتَاهُ المَشْيِبُ عَلَى شَرِبِهَا فَكَانَ كَرِيمًا فَلَمْ يَنْزِعِ

^١ هو حميد الأحمي، دخل على عمر بن عبد العزيز، وهو القائل:

شربت المدام فلم أقلعِ وعوتبتُ فيها فلم أسمعِ
حُمَيْدُ الَّذِي أَمَجَّ دَارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلِعِ
علاه المشيبُ على حبها وكان كريمًا فلم ينزعِ

^٢ جر كلمة الأصلع على المجاورة لكلمة الشيبية.

وقال حسان بن ثابت^١:

لا تنفري يا ناق منه فإنه شرابٌ حمرٍ مسعرٌ حُرُوبٍ

ومثلُ هذا في الشعر كثير.

فراى عليه السلام أنّ في تسليم هذا الاسم لهم تفرير المعنى الذي تأولوه من الكرم فيها، وأشفق أن يكون حسناً اسمها يدعُوهم إلى شربها ويحسن لهم تناول المحرم منها، وفي النفوس من الشغف بها والميل إليها ما لا حاجة مع ذلك إلى أن تُهزَّ وتُحرَّك بالثناء عليها، فلذلك رأى أن يسلبه هذا الاسم وأن يسقطه عن رتبة الكرم، وجعله اسماً للمسلم الذي يتقي شربها ويرى الكرم في تركها، وكل ذلك تأكيد لحمة الخمر وتأيد لها، والله أعلم.

ونحو هذا حديث ابن عمر أنّه كان يكره أن يُقال السّلم، بمعنى السلف، وكان يقول: الإسلام لله عزّ وجلّ، ضنّ بالاسم الذي هو موضوع للطاعة أن يُمتنّه في غيرها، وصانه عن أن يُبتدل فيما سواها.

وعن أبي هريرة أنّ رجلاً كان يُهدي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم كلُّ عامٍ راوية حمرٍ، فأهداها إليه عامًا وقد حرّمت، فقال: "إنها قد حرّمت"، قال الرجل "أفلا أبيعها؟ قال: "لا"، قال: أفلا أكارمُ بها اليهود؟ قال: "إنّ الذي

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (نقرت قُلوصي من حجارة حرةٍ بُيّت على طلق اليدين

حَرَمَهَا حَرَمَ أَنْ تُكَارِمَ بِهَا الْيَهُودَ، قَالَ كَيْفَ أَصْنَعُ بِهَا؟ قَالَ: "سُنَّهَا فِي الْبَطْحَاءِ"^١.

قوله: سُنَّهَا، أي صَبَّهَا، وَالسَّنُّ: الصَّبُّ السَّهْلُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ وَصَفَ الدَّجَالَ فَقَالَ: "أَعْوُرُ عَيْنِ الْيَمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ"^٢.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ عِنْدِي مِنَ الْوَاضِحِ الَّذِي يُسْتَعْنَى بِظَاهِرِهِ عَنْ تَفْسِيرِهِ، وَقَدْ بَقِيََتْ زَمَانًا أَحْسِبُهُ أَرَادَ بِالْعِنَبَةِ الطَّافِيَةِ الْحَبَّةَ مِنَ الْعِنَبِ تَطْفُو عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَدَقَةَ الْعَوْرَاءَ الْقَائِمَةَ فِي الْمُقْلَةِ النَّاتِيَةَ مِنْ أَشْبَهَ شَيْءٍ بِهَا، حَتَّى أَخْبَرَنِي مُحِبٌّ عَنْ أَبِي عُمَرَ صَاحِبِنَا قَالَ: سُئِلَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ فَقَالَ: الطَّافِيَةُ: الْعِنَبَةُ الَّتِي خَرَجَتْ عَنْ حَدِّ نَبْتَةِ أَخْوَاتِهَا فَعَلَتْ وَنْتَأَتْ وَظَهَرَتْ، يُقَالُ: طَفَا الشَّيْءُ إِذَا عَلَا وَظَهَرَ، وَمِنْهُ الطَّافِي مِنَ السَّمَكِ، وَأَنْشَدَ لِبَعْضِهِمْ يَهْجُو رَجُلًا وَيَعِيْبُهُ بِالْجَهْلِ وَالنَّرَقِ^٣:

^١ رواه مسلم بألفاظ قريبة.

^٢ رواه البخاري ومسلم.

^٣ هو هريم بن جواس التميمي، أحد بني عامر من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، له إدراك وهو مخضرم، وكان يهاجي الأغلب العجلي الراجز، وقد وافقه بسوق عكاظ فقال له:

قبحت من سالفة ومن قفا** عبد إذا ما رسب القوم طفا

فُبِّحَتْ مِنْ سَالِقَةٍ وَمِنْ قَفَا شَيْخٌ إِذَا مَا رَسَبَ الْقَوْمُ طَفَا
يُرِيدُ أَنَّ الْخُلَمَاءَ إِذَا تَرَزُّنُوا فِي مَجَالِسِهِمْ طَفَا هُوَ، أَي عَلَا وَظَهَرَ بِجَهْلِهِ.
قَالَ: وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: رُوي فِي حَدِيثٍ آخَرَ مِنْ أَمْرِ الدَّجَالِ: أَنَّهُ وُلِدَ
مَقْبُورًا^١.

وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّهُ وَضَعَتْهُ جِلْدَةً مُصَمَّتَةً، فَقَالَتِ الْقَابِلَةُ: هَذِهِ سِلْعَةٌ^٢ فَقَالَتْ: بَلْ
فِيهَا وُلْدٌ وَهُوَ مَقْبُورٌ فِيهَا، وَقَدْ كَانَ يَنْقُرُ فِي بَطْنِي، فَشَقُّوا عَنْهُ فَلَمَّا رَأَى
الدُّنْيَا وَمَسَّهُ الْهَوَاءَ اسْتَهَلَّ صَارِحًا، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْحِشْعَةُ: الْوَلَدُ الَّذِي يُبْقَرُ
عَنْهُ بَطْنٌ أُمَّهُ إِذَا مَاتَ وَهُوَ حَيٌّ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ بَدْرِ
إِلَى الْمَدِينَةِ اسْتَقْبَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ يُهَيِّئُوهُمْ بِالْفَتْحِ وَيَسْأَلُوهُمْ عَمَّنْ قُتِلَ، فَقَالَ

فما صفا عدوكم ولا صفا** كما شرار البقل أطراف السفا

فقال له من أنت وبيك؟ قال:

أنا غلام من بني مقاعس** الضارين فلك الفوارس

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث للهروي، والتكملة والذيل والصلة للصغاني.

^٢ ورم مثل الخراج.

سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ^١: مَا قَتَلْنَا أَحَدًا بِهِ طُعْمٌ، مَا قَتَلْنَا إِلَّا عَجَائِزَ صُلْعًا^٢، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ وَقَالَ: "أَوْلَيْكَ يَا بَنَ سَلَمَةَ الْمَلَأُ"^٣.

والملا: الرؤساء والأشراف، يقال: هُوَ لاءٍ ملاٌ بني فلانٍ، أي ساداتهم، ومن هذا قول النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ: "اللَّهُمَّ عَلَيْكَ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ"^٤، يريد الرؤساء منهم، وهم الملاُ بالقصر والهمز، فأما الملا، مقصورًا غير مهموز، فالمُتَسَعُّ من الأرض، قَالَ الشاعر:

أَلَا غَنِيَّانِي وَارْزَعَا الصَّوْتِ بِالْمَلَا فَإِنَّ الْمَلَا عِنْدِي يَزِيدُ الْمَدَى بُعْدَا

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ زِيَادَ بْنَ عِلَاقَةَ^٥ قَالَ: كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَّا وَرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، فَشَجَّهْتُ، فَأَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

^١ سلمة بن سلامة بن وقش: صحابي، من الأنصار من بني عبد الأشهل، شهد بيعة العقبة الأولى والثانية. ولما هاجر النبي إلى يثرب، آخى بينه وبين أبي سبرة بن أبي رهم العامري، وشهد سلمة مع النبي المشاهد كلها. وقيل أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب استعمله على اليمامة. توفي سلمة بن سلامة بن وقش سنة ٤٥ هـ، وعمره ٧٠ سنة، ودفن في المدينة المنورة.

^٢ هذه استعارة: أي قَتَلْنَا مَنْ لَا اعْتِدَادَ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَلَا قَدْرَ.

^٣ رواه البيهقي في دلائل النبوة، بلفظ: أَوْلَيْكَ يَا بَنَ أَخِي الْمَلَأُ.

^٤ متفق عليه.

^٥ زياد بن عِلَاقَةَ أَبُو مَالِكِ الْغَطَفَانِيُّ الثُّعَلِيُّ: تابعي كوفي من الثَّقَاتِ الْمَعْمَرِينَ، يُقَالُ: إِنَّهُ أَدْرَكَ ابْنَ مَسْعُودٍ.

يَا حَيْرَ مَنْ يَمْشِي بِنَعْلِ أَوْهَبَهُ لِنَهْدَةٍ وَهَدٍ
لَا يُسْبِغَنَّ سَلْيَ وَجَلْدِي

فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "لا".

وفي رواية:

أَوْ هِبَةٍ لِنَهْدَةٍ وَهَدٍ

وَقَالَ: غَيْرُهُ أَوْهَبَهُ، مِنَ الْهَيْبَةِ، وَهُوَ أَصَوَّبٌ.

قَوْلُهُ: بِنَعْلِ فَرْدٍ، فِيهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ يُجْعَلَ الْفَرْدُ مِنْ نَعْتِ النَّعْلِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ، مَعَ سِقُوطِ هَاءِ التَّأْنِيثِ؛ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ لَيْسَ فِيهِ عِلْمُ التَّأْنِيثِ فَتَذْكَيرُهُ جَائِزٌ، كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ وَالنَّارِ وَالْبَيْتِ وَالْحَرْبِ وَنَحْوِهَا. أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَرَ أَنَا تَعَلَّبَ عَنْ سَلَمَةَ عَنِ الْفَرَّاءِ قَالَ: الْعَرَبُ تَحْتَرِي عَلَى تَذْكَيرِ كُلِّ مَوْثُثٍ لَيْسَ فِيهَا عِلْمُ التَّأْنِيثِ، وَأَنْشَدَ:

فَلَا مُزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَاهَا

^١ الفرد: هي النعل التي لم تُخصف، ولم تخرز بالخصف.

^٢ هو لعامر بن جوين الطائي، يصف أرضاً مخصبة بكثرة ما نزل عليها من الغيث.

وأراد بالنعل الفزد: السُّمُط التي لم تُخَصَف ولم تُطَارَقْ، والعربُ تمدحُ بركةِ النِّعالِ وتَجَعَلُها من لباسِ المُلوكِ وزِيِّ أَهْلِ النِّعْمَةِ، قال النابغة^١:

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاهُمْ يُحْيُونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ

وَالْوَجْهَ الآخِرُ أَنْ يُجْعَلَ النِّعْلُ مُضَافَةً إِلَى الفَزْدِ، كَأَنَّهُ قَالَ: يَا مَنْ هُوَ فَزْدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ، عَلَى مَذْهَبِ قَوْلِ الأَعْشى^٢:

يَا حَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ المَطِيَّ وَلَا يَشْرَبُ يَوْمًا بِكَفٍّ مَنْ بَجَلَا

يقول: إنما تشرب بكفك ولست ببخيل، ولبس النِّعالِ من حَاصِرِ زِيِّ العربِ، وكذلك لبسُ العَمَائِمِ، وكانت الفُرْسُ تَلْبَسُ الحِفافَ والقَلَانِسَ.

والتَّهْدُ: الفُرْسُ المَطْهَمُ، والأُنْتَى هَدَّةٌ، وَكُلَّ ضَحْمٍ هَدَّةٌ، قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الأَبْرَصِ^٣:

فَذاكَ عَصْرٌ وَقَدْ أَرَانِي تَحْمِلُنِي هَدَّةٌ سُرْحُوبٌ

^١ في ديوانه، من قصيدته التي مدح فيها عمرو بن الحارث الغسائي، ومطلعها: (كَلْبِنِي لَهُمْ يَا أُمَيْمَةَ ناصِبٍ وَكَلِيلِ أَفَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ).

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًّا وَإِنَّ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا).

^٣ في معلقته الشهيرة: (أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقُطَيَّاتُ فَالْدَنُوبُ).

والسُّرْحُوبُ: الخفيفة، يُقال: فَرَسٌ سُرْحُوبٌ، والسُّرْحُوبُ الطويلُ أيضاً، وقال الأصمعيّ: سمعتُ بعضَ الأعرابِ يَقُولُ، السُّرْحُوبُ: ابنُ آوى، والسُّرْعوبِ ابنُ عُرْس.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَبْعَثُ اللَّهُ السَّحَابَ فَيَضْحَكُ أَحْسَنَ الضَّحِكِ وَيَتَحَدَّثُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ"^١.

قوله: يَضْحَكُ، أَرَادَ أَنَّهُ يَنْجَلِي عَنِ الْبَرْقِ كَمَا يَقْتَرُ الضَّاحِكُ عَنِ الثَّغْرِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْاسْتِعَارَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

إِذَا لَاحَ بَرْقُ الْعُورِ غُورِ تَهَامَةٍ تَجَدَّدَ مِنْ شَوْقِ عَلِيٍّ ضُرُوبُ
فَطَوْرًا تَرَاهُ ضَاحِكًا فِي ابْتِسَامَةٍ وَطَوْرًا تَرَاهُ قَدْ عَلَاهُ قُطُوبُ

^١ رواه أبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث: ض ح ك.

^٢ في الحماسة البصرية: وَقَالَ آخِرُ:

صبا البرق نجديا فهاج صبابتي ... كأني لنجدي البروق نسيب
بدا كانصداع اللئيل عن وجهه صبحه ... وتطرده بين الأراك جنوب
فطورا تراه ضاحكا في ابتسامه ... وطورا تراه قد علاه قطوب
إذا هاج برق العور غور تهامة ... تهيج من شوقي عليّ ضروب

وهذا كقولهم: ضَحِكَتِ الْأَرْضُ، إِذَا أُخْرِجَتْ نَبَاتُهَا وَزَهَرَتْهَا، قَالَ ابْنُ مُطَيْرٍ^١:

كُلَّ يَوْمٍ بِأَفْحُوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ
السَّمَاءِ^٢

وقال الأعشى يصف روضة^٣:

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بَعِيمٍ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ
جَعَلَ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ نَبَاتُهَا وَمَقَابِلَتَهُ إِيَّاهَا مُضَاحِكَةً؛ لِأَنَّهُ إِتْمَا يَنْمَى بِطُلُوعِهَا
عَلَيْهِ وَتَتَفَتَّقُ أَنْوَارُهُ بِمَا يُوَثِّرُ فِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَقُوَّتِهَا.

والكوكب: معظم النبات.

والشَّرِق: الريان الممتلئ، وفي نحو هذا قَوْلُهُمْ: بَكَتِ السَّمَاءُ وَبَكَتِ السَّحَابُ،
إِذَا جَادَتِ بِالْمَطَرِ، قَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ سَحَابًا:

^١ الحسين بن مطير بن مكمل الأسدي: شاعر متقدم في القصيد والرجز، من مخضرمي الدولتين
الأموية والعباسية. له أماديح في رجالهما. وكان زيه وكلامه كزبي أهل البادية وكلامهم. وفد على
معن بن زائدة لما ولي اليمن، فمدحه، ولما مات معن رثاه.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَيَّنَ أَهْلُ الْقَبَابِ بِالِدَّهْنَاءِ أَيَّنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ).

^٣ في معلقته الشهيرة: (وَدِعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ).

إِذَا مَا هَبَطْنَ الْأَرْضَ قَدْ مَاتَ عُودُهُ بَكَيْنَ لَهَا حَتَّى يَعِيشَ
هَشِيمًا^١

ومثله هذا كثير في الكلام والشعر.

وأما قوله: يتحدث أحسن الحديث، ففي الخبر أن حديثه الرعد، وذلك أنه شَبَّهه بالحديث من المتكلم؛ لأنه ينبئ عن المطر ويخبر عن وقوعه وقرب مجيئه، فصار كالمُحدِّث به، وهذا كقولهم: نعم المحدث الدفتر، وفي نحو من هذا قول نُصَيْبٍ^٢:

فَعَاجُوا فَأَثَنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ أَذِنَ فِي قَطْعِ الْمَسَدِ وَالْقَائِمَتَيْنِ
وَالْمِنْجَدَةِ^٣.

^١ في شرح حماسة أبي تمام: يصف سحائب ماطرة، يقول: إذا نزلت الأرض الجدبة قد ييس عودها مطرن به حتى يثبت التبت البالي.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها سليمان ابن عبد الملك، ومطلعها: (أقول لركب قافلين رأيتهم قفا ذات أو شال ومولاك قارب).

^٣ رواه أحمد في المسند، وذكره الهيثمي في مجمع، وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير.

هذا في الحَرَمِ وشَجَرِهِ، وإِذَا أذِنَ فِي قَطْعِهَا لِأَنَّهَا تُرْفِقُ^١ المَارَةَ والمسَافِرِينَ ولا تَضُرُّ بِأَصُولِ الشَّجَرِ.

والمَسْدُ: أصله اللَّيْفُ، ولا أراه عَنِ اللَّيْفِ بَعَيْنِهِ خِصُوصًا دُونَ غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ كُلُّ مَا يُمَسَدُ بِهِ حَبْلٌ مِنْ نَبَاتٍ وَلِحَاءِ شَجَرٍ وَنَحْوِهِ، يُقَالُ: مَسَدْتُ الحَبْلَ، إِذَا أَجَدْتِ فَتْلَهُ، وَرَجُلٌ مَمْسُودٌ، إِذَا كَانَ مَجْدُولَ الحَلْقِ، وَقَدْ يَكُونُ المَسْدُ مِنْ جُلُودِ الإِبِلِ وَمِنَ اللَّيْفِ وَمِنَ الحُوصِ، قَالَ الرَّاجِزُ:

يا مَسَدَ الحُوصِ تَعَوِّذْ مَنِّي إِنْ تَكُ لَدُنَّا لَيِّنًا فَإِيَّيَّ

ما شِئْتَ مِنْ أَشْمَطِ مُفَسِّئِنٍ

والمِنْجَدَةُ: يُقَالُ إِنَّهَا عَصَا خَفِيفَةٌ يُسَاقُ بِهَا الدَّوَابُّ وَيَرْتَفِقُ بِهَا المُسَافِرُ، وَهِيَ أَيْضًا القَضِيبُ الَّذِي يَكُونُ مَعَ النَّجَادِينَ يُصَلِّحُونَ بِهِ حَشَوَ الثِّيَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِهَا العُودَ الَّذِي تُحْشَى بِهِ حَقِيبَةُ الرَّحْلِ وَأَحْنَاؤُهُ لِيَتَنَجَّدَ وَيَرْتَفِعَ، قَالَ ثَعْلَبٌ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجَادُ نَجَادًا لِأَنَّهُ يَرْفَعُ الثِّيَابَ وَيَرِيدُ فِيهَا، وَالنَّجْدُ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَنشَدَ^٢:

حَتَّى كَأَنَّ بِلَادَ الفُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشْيِ عَبَقَرٍ بَجَلِيلٍ وَتَنَجِيدٍ

^١ تنفع.

^٢ هو لذي الرمة، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (يا دار مية لم يترك لنا علمًا تقادّم العهد والهوخ المراويذ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أَبَا عَامِرٍ الَّذِي يُلقَّبُ بِالرَّاهِبِ^١ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ حَسُودًا، فَسَاعَةً بَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ بَايَعُوهُ تَغْيِيرَ وَحْبَتِ وَعَابِ الْحَنِيفِيَّةِ.

قوله: حَبَّتْ، هكذا يُروى بالتاء التي هي أخت الطَّاء، يُقال: رَجُلٌ حَبِيتٌ وهو الفاسدُ الرديءُ، كالحَبِيتِ سواء، وليس هذا من الإخبارات في شيء، إنما الإخبارُ من الخُشوع، يُقالُ منه: رَجُلٌ مُحْبِتٌ، وقال اللحياني: رَجُلٌ حَبِيتٌ نَبِيتٌ، أي حَسِيسٌ حَقِيرٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلْفٍ قَدِمَ فِي فِدَاءِ أَبِيهِ، وَكَانَ أَسِرَّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ عِنْدِي فَرَسًا أَجْلَهَا كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا مِنْ دُرَّةٍ، أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا، فقال رسول الله: "بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"^٢.

^١ أبو عامر الراهب: عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان الأوسي، أحد بني ضبيعة بن زيد من الأوس، لم يسلم، وظل يناصر رسول الله ﷺ في الإسلام العداء، وسمَّاه الرسول أبو عامر الفاسق. ابنه هو حنظلة بن أبي عامر، من صحابة رسول الله محمد ﷺ، والذي عُرف باسم غَسِيل الملائكة.

^٢ رواه ابن إسحق في السيرة النبوية.

قوله: أُجِلُّهَا، معناه أَعْلِفُهَا، وَالْعَرَبُ تَضَعُ الْإِجْلَالَ مَوْضِعَ الْإِعْطَاءِ، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: يُقَالُ: أَتَيْتُ فُلَانًا فَمَا أَجَلَّنِي وَلَا أَحْشَانِي، أَي مَا أَعْطَانِي جَلِيلَةً وَلَا حَاشِيَةً، وَهِيَ صِعَاؤُ الْمَالِ^١.

وَالْفَرْقُ: مِكْيَالٌ، يُقَالُ إِنَّهُ يَسَعُ سِتَّةَ عَشَرَ رَطْلًا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَبْعَثِ أَنَّهُ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ فِي بَيْتِي أَتَانِي مَلَكَانِ فَأَنْطَلَقَا بِي إِلَى مَا بَيْنَ الْمَقَامِ وَزَمْرَمٍ، فَسَلَقَانِي عَلَى فَقَائِي ثُمَّ شَقَّا بَطْنِي، فَأَخْرَجَا حِشْوَتِي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: شَقَّ قَلْبَهُ، فَشَقَّ قَلْبِي، فَأَخْرَجَ عَلَقَةً سَوْدَاءَ، فَأَلْقَاهَا، ثُمَّ أَدْخَلَ الْبَرْهَرَهَةَ، ثُمَّ دَرَّ عَلَيْهِ مِنْ دُرُورٍ مَعَهُ، وَقَالَ: قَلْبٌ وَكَيْعٌ وَاعٍ..". فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ.

قوله: سَلَقَانِي، معناه ضَرَبَا بِي الْأَرْضَ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّلَقِ وَهُوَ الضَّرْبُ، وَقَدْ فَسَّرَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ.

وَأَمَّا الْبَرْهَرَهَةُ فَقَدْ أَكْثَرَتْ السُّؤَالَ عَنْهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا قَوْلًا يَلِيْقُ بِمَعْنَى الْحَدِيثِ يَقْطَعُ بِصِحَّتِهِ، وَإِنَّمَا أَصْلُهَا فِي اللَّغَةِ أَنَّ الْجَارِيَةَ الْبَيْضَاءَ النَّاعِمَةَ الَّتِي تَرْتَجُ لِرَطوبَتِهَا يُقَالُ لَهَا الْبَرْهَرَهَةُ، وَكُتِبَتْ فِيهَا إِلَى الْأَزْهَرِيِّ^٢ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ أَنَّهُ

^١ المال: الإبل.

^٢ أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر الهروي اللغوي الشافعي، الملقب بالأزهري (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) نسبة إلى جده الأزهر عالم من علماء اللغة العربية، عاش في العصر العباسي، ولد في هراة في خراسان، ثم انتقل إلى بغداد، عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في

تَصْحِيفٌ مِنْ بَعْضِ النَّقْلَةِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي يَرَوِي أَنَّهُ شُقَّ قَلْبُهُ ثُمَّ
عُسِلَ فِي طَسْتٍ زَهْرَةٍ^١، فَعَرَّفَ الرَّهْرَةَ وَجَعَلَهُ الْبَرْهْرَةَ، فَأَفْسَدَهُ، قَالَ: وَيُقَالُ:
لِلطَّسْتِ الْوَاسِعِ الَّذِي لَا فَعْرَ لَهُ: طَسْتُ زَهْرَةٍ وَرَحْرَحٌ.

وَكُنْتُ قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَهْمَلَ هَذَا الْحَرْفَ وَلَا أَتَكَلَّمَ فِي تَفْسِيرِهِ إِلَى أَنْ
وَجَدْتُ هَذِهِ الْقِصَّةَ بغيرِ هَذَا اللَّفْظِ عَلَى نَحْوِ مَا أَرَوَيْهِ لَكَ، فَعَنْ أَبِي دَرٍّ قَالَ:
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ: "أَتَانِي مَلَكَانِ^٢ وَقَصَّ
الْقِصَّةَ بِطُوبَاهَا، وَذَكَرَ أَنَّهُ شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ إِلَى أَنْ قَالَ: "فَدَعَا بِسِكِّينَةٍ كَأَنَّهَا دِرْهَمَةٌ
بَيْضَاءُ فَأَدْخَلَتْ قَلْبِي^٣ الْحَدِيثَ.

العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم، ووقع أسيراً في يد القرامطة، فكان مع
فريق من هوازن «يتكلمون بطباعهم البدوية ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن» كما قال في مقدمة
كتابه «تهذيب اللغة»، ومن كتبه «غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء»، و«تفسير القرآن»،
و«فوائد منقولة من تفسير للمزني» وغيرها.

^١ طَسْتٌ زَهْرَاهُ: وَاسِعٌ قَرِيبُ الْقَعْرِ.

^٢ رواه الدارمي في سننه، باب كيف كان أول شأن النبي صلى الله عليه وسلم: ١٤.

فَوَقَعَ لِي عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْبَرْهَرَهَةِ سَكِينَةً^١ بَيْضَاءَ صَافِيَةَ الْحَدِيدَةِ شَبَّهَهَا
بِالْبَرْهَرَهَةِ مِنَ النِّسَاءِ فِي بَيَاضِهَا وَصَفَاءِ لَوْنِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وَقَوْلُهُ: "قَلْبٌ وَكَيْعٌ"، معناه مَتِينٌ صُلْبٌ، يُقَالُ: سِقَاءٌ وَكَيْعٌ، إِذَا أَحْكَمَ خِرْزُهُ
لَعْلًا يَسْرِبُ مَاءُهُ، وَقَدْ اسْتَوَكَعَ السِّقَاءُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُمْ
فَأُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي جَبَلَهُمْ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ إِنِّي إِنْ آتَيْتُهُمْ بِهِ يُفْلَعُ رَأْسِي كَمَا
تُفْلَعُ الْعِزَّةُ"^٢.

قَوْلُهُ: يُفْلَعُ، معناه يُشَقُّ، يُقَالُ: فْلَعُ فُلَانٌ رَأْسَ فُلَانٍ، إِذَا شَقَّه بِحِجْرٍ أَوْ نَحْوِهِ،
وَتَفْلَعُ الشَّيْءُ إِذَا تَشَقَّقَ.

وَالْعِزَّةُ: يُقَالُ إِنَّهَا بَقْلَةٌ إِذَا قَطَعْتَ خَرَجَ مِنْهَا لَبَنٌ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْعِزَّةُ نَبْتُ
يُنْبَتُ مِثْلَ الْمَرْزُجُوشِ^٣ مُتَفَرِّقًا. وَأَخْبَرَنِي الرَّهْنِيُّ عَنْ ثَعْلَبٍ قَالَ: الْعِزَّةُ شَجَرَةٌ
تَنْبَتُ عِنْدَ حِجْرَةِ الضَّبَابِ فَتَخْرُجُ الضَّبَّةُ فَتَمْرَغُ عَلَيْهَا فَيُقَالُ فِي الدَّلِّ إِنَّهُ
لَأَدْلُ مِنْ عِزَّةِ الضَّبِّ.

^١ قال ابن دحية: والصواب السكينة، بالتخفيف، لذكرها بعد شق البطن، وإنما عنى بها فعيلة من
السكون وهي أكثر ما تأتي في القرآن بمعنى السكون والطمأنينة.

^٢

^٣ في المعرب للجواليقي: المرزجوش، والمرذقوش، ليسا من كلام العرب، وإنما هما بالفارسية.

ورواه بعضهم: يُقْلَعُ رَأْسِي، بالقاف، وهو تَصْحِيفٌ، وإنما يُقْلَعُ بالفاء، لأنَّ هذه اللَّفْظَةُ بإزاءِ قوله في الرَّوَايةِ الأُخْرَى من هذا الحديث: إِيَّيَّيْ إِنْ آتَمَّ بِهِ يُثْلَعُ رَأْسِي كَمَا تُثْلَعُ الحُبْرَةُ. والثَّلْعُ: الهَشْمُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ هَوَازِنَ لَمَّا أَهْرَمُوا دَخَلُوا حِصْنَ تَمِيمٍ فَتَأَمَّرُوا فَقَالُوا: الرَّأْيِيُّ أَنْ نُدْخَلَ فِي الحِصْنِ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ فَاشِيَتِنَا وَأَنْ نَبْعَثَ إِلَى مَا قَرَّبَ مِنْ سَرْحِنَا وَحَيْلِنَا الجَشْرَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّا لَا نَأْمَنُ أَنْ يَأْتِنَا بِضُبُورٍ^١، فِي قِصَّةٍ فِيهَا طَوْلٌ.

الفاشِيَةُ: الإِبِلُ والعَنَمُ السائِمةُ المنتشرةُ فِي المرعى، ومُتِمَّتْ فَاشِيَةً لِأَنَّهَا تَفْشُو، أَي تَظْهَرُ وتَنْتَشِرُ، ومن هذا فَنُا السِّرُّ.

وفي حديث آخر: "إِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَضْمُوا فَوَاشِيَكُمْ"^٢.

والحَيْلُ الجَشْرُ: مَا أُرْسِلَ مِنْهَا فِي الرُّطْبِ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، قَالَ الأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: مَا لَ جَشْرٌ، إِذَا كَانَ لَا يَأْوِي إِلَى أَهْلِهِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الجَشْرُ بُقُولُ الرَّبِيعِ، هَذَا الأَصْلُ فِيهِ، فَإِذَا قِيلَ: جَشَرْنَا الدَّوَابَّ، كَانَ مَعْنَاهُ أَرْسَلْنَاهَا فِي الجَشْرِ. وَالضُّبُورُ: الدَّبَابَاتُ الَّتِي تُقَدَّمُ إِلَى أَصُولِ حَيْطَانِ الحُصُونِ، وَاحِدُهَا ضَبِيرٌ.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ صححه الألباني في صحيح الجامع، ورواه البخاري ومسلم بلفظ: فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَسِيرِهِ إِلَى بَدْرٍ: أَنَّهُ مَضَى حَتَّى قَطَعَ الْخَيْوْفَ وَجَعَلَهَا يَسَارًا ثُمَّ جَزَعَ الصُّفَيْرَاءَ، ثُمَّ صَبَّ فِي دَقْرَانَ حَتَّى أَفْتَقَ مِنَ الصَّدْمَتَيْنِ^١.

الْخَيْوْفُ: جَمْعُ حَيْفٍ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ مَا ارْتَفَعَ عَن مَوْضِعِ الْمَسِيلِ وَانْحَدَرَ مِنْ غِلَظِ الْجَبَلِ.

وَجَزَعَ الصُّفَيْرَاءَ: أَي قَطَعَهَا عَرْضًا، وَلَا يَكُونُ الْجَزْعُ بِمَعْنَى الْقَطْعِ إِلَّا عَرْضًا، وَمِنْهُ جِزْعُ الْوَادِي، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: هُوَ مُنْعَرِجُهُ بَحِثٍ يَنْعَطِفُ.

وَأَفْتَقَ: مَعْنَاهُ خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الْوَادِي إِلَى فَتْقٍ مِنَ الْأَرْضِ وَهُوَ مَا انْفَرَجَ وَاتَّسَعَ مِنْهَا. وَيُقَالُ: أَفْتَقَ السَّحَابُ إِذَا انْكَشَفَ انْكَشَافَةً فَكَانَتْ مِنْهُ فَرْجَةٌ بَيْنَ السَّحَابَتَيْنِ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٢:

تُرِيكَ بِيَاضَ عُرَّتِهَا وَوَجْهَهَا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا

^١ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَرَاخَ فَرِيْقُ جَبْرَتِكَ الْجَمَالَا كَأَهْمَ يُرِيدُونَ إِحْتِمَالَا).

وأراد بالصدّمتين جانبي الوادي، وسُميتا صدّمتين لأنهما لضيق المسلك الذي يشقُّهُما كأنهما يتصادمان، كالجبلين المتقابلين يُسميان الصّدْفَيْن لأنهما يتصادفان ويتلاقيان، ويُقال لناحية الوادي: العُدوة، قال الشاعر^١:

سَقَى الْإِلَاهُ عُدُواتِ الْوَادِي وَجَوْفَهُ كُلِّ مُلْثٍ غَادِي

وفي قصة بدرٍ من روايته أن رجلاً من بني غفارٍ قال: أَقْبَلْتُ وَاِبْنَ عَمِّ لِي حَتَّى صَعَدْنَا عَلَى حَبْلِ وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ عَلَى إِحْدَى عُجْمَتِي بَدْرٍ، الْعُجْمَةُ الشَّامِيَّةُ، نَنْتَظِرُ الْوُقُوعَةَ.

الحبل: من جبال الرَّمْلِ، وهو قطعة من الرَّمْلِ ضخمة ممتدة على وجه الأرض، والعُجْمَةُ من الرَّمْلِ: الجُمُهورُ المُتراكم منه يُشرف على ما حوله.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا هَاجَتْ رِيحٌ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيحًا وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا"^٢.

قوله: "اجْعَلْهَا رِيحًا"، يريدُ اجْعَلْهَا لِقَاحًا لِلسَّحَابِ، وَلَا تَجْعَلْهَا رِيحًا، يُرِيدُ لَا تَجْعَلْهَا عَذَابًا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: لَا تَلْقَحِ السَّحَابَ إِلَّا مِنْ رِيحٍ، وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ: إِذَا كَثُرَتْ الْمُؤْتَفِكَاتُ زَكَّتِ الْأَرْضُ، وَتَصْدِيقُ

^١ هو رؤية، في ديوانه، وهو مطلع الأرجوزة، وبعده: (كُلُّ أَحْشَى حَالِكِ السَّوَادِ مَا كَانَ إِلَّا طَلَقَ الْأَهْمَادِ).

^٢ أخرجه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في (معرفة السنن والآثار) بإسناد حسن.

هذا في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وبَيَّانه ما ذكر ابنُ عباس، قَالَ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَعْني آيَةَ الرَّحْمَةِ: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ} قَالَ: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} وَقَالَ يَعْني فِي آيَةِ الْعَذَابِ: {وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} وَقَالَ: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا صَرْصَرًا}.

والمؤتفكات: الرِّيح إِذَا اِحتَلَفَتْ وَكانت لِشِدَّتِها كَأَنَّها تَقْلِبُ الأَرْضَ، وَمن هَذَا قولُهُم: أَفَكْتُ الرَّجُلَ عَن رَأْيِهِ: إِذَا صَرَفْتُهُ عَنهُ، وَمنهُ سُمِّي الكَذِبُ إِفْكَاً لِأَنَّهُ قَدْ قَلِبَ عَنِ الحَقِّ إِلى الباطل، وَسُمِّيَتْ مَدائِنُ قوم لوطٍ المُؤتَفِكات لِانْقِلابِها، قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَالْمُؤتَفِكاتُ بِالْخاطِئَةِ}.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَذَكَرَ قِصَّةَ هَلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ وَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ رُفِعَتِ القَرْيَةُ حَتَّى كَانَتْ أَصْوَاتُ الطَّيْرِ لَتَسْمَعُ فِي جَوْ السَّمَاءِ قَالَ: فَمَنْ أَصَابَتْهُ تِلْكَ الأَفِكةُ أَهْلَكَتُهُ.

وَمِنْ هَذَا أَيضاً حَدِيثُ بَشِيرِ بْنِ الحِصَّاصِيَّةِ^١ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: "إِمنَّ أَنْتَ؟" فَقَالَ: مِنْ رِبِيعَةَ، قَالَ: "أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ لَوْلَا رِبِيعَةُ لَأْتَفَكَّتِ الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا"، أَي انْقَلَبَتْ بِأَهْلِهَا.

^١ بشير بن معبد بن شراحيل بن سبع بن ضبار بن سدوس، كان اسمه في الجاهلية نذيراً، ولما هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم سماه بشيراً وأنزله الصفة. والخصاصية أمة.

فَأَمَّا حَدِيثُهُ الْآخِرُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى فِي السَّمَاءِ اخْتِيَالًا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى رِيحًا سَأَلَ اللَّهُ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَإِذَا رَأَى فِي السَّمَاءِ اخْتِيَالًا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَدَخَلَ وَخَرَجَ وَأَقْبَلَ وَأَذْبَرَ^١. فَإِنَّ الْاِخْتِيَالَ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَهِيَ السَّحَابَةُ الَّتِي يُحَالُ بِهَا الْمَطَرُ، يُقَالُ: حَيَّلَتْ السَّمَاءُ وَتَحَيَّلَتْ، إِذَا أَرَتْ أَنَّهَا مَاطِرَةٌ، وَالْحَالُ: السَّحَابُ الَّذِي يُحِيلُكَ الْمَطَرَ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

أَتَيْنَاكَ رُؤَادًا وَوَفْدًا وَشَامَةً لَخَالِكَ خَالِ الصَّدَقِ يَابْنَ الْأَكَارِمِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمَّهِ فَيَكُونُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَلَكَ فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا"^٣.

^١ متفق عليه.

^٢ هو الفرزدق، وقد قلب الخطابي قافيته (مُجْدٍ وَنَافِعٍ) إِلَى (يَابْنَ الْأَكَارِمِ) وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْبَةَ الثَّقَفِيِّ، وَأُمُّهُ أُمُّ الْحَكَمِ ابْنَةُ أَبِي سَفْيَانَ، وَمَطْلَعُهَا: (أَهَاجُ لَكَ الشُّوقَ الْقَدِيمَ حَبَالَهُ مَنَارِلُ بَيْنَ الْمُنْتَضَى فَلِالصَّانِعِ). وَصَوَابُ الشَّاهِدِ: (أَتَيْنَاكَ زَوَارًا وَوَفْدًا وَشَامَةً لَخَالِكَ خَالِ الصَّدَقِ مُجْدٍ وَنَافِعِ).

^٣ متفق عليه.

قوله: يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، تَفْسِيرُهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّ النُّطْفَةَ إِذَا وَقَعَتْ فِي الرَّحِمِ فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهَا بَشَرًا طَارَتْ فِي بَشْرِ الْمَرْأَةِ تَحْتَ كُلِّ ظُفْرٍ وَشَعْرٍ، ثُمَّ تَمَكَّتْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ تَنْزَلُ دَمًا فِي الرَّحِمِ، فَذَلِكَ جَمْعُهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَشْرَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ^١ قَالَ: "وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِيَّاكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ"^٢.

الْفِرْعُ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا بِمَعْنَى الرُّعْبِ، يُقَالُ: فِرِعَ الرَّجُلُ، إِذَا رَعِبَ، وَأَفْرَعْتُهُ، أَي رَعَبْتَهُ، وَالْآخَرُ بِمَعْنَى النُّصْرَةِ وَالْإِنْجَادِ، يُقَالُ: فِرَعْتُ إِلَى فُلَانٍ، أَي التَّجَأْتُ إِلَيْهِ، فَأَفْرَعَنِي، أَي نَصَرَنِي، وَيُقَالُ أَيْضًا: فِرَعَنِي، قَالَ الشَّاعِرُ^٣:

^١ يعني الأنصار.

^٢ من رواية محمد بن عمر الواقدي و هو متروك متهم بالوضع.

^٣ هو الكَلْحَبَةُ العَرِينِي: هبيرة بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين التميمي اليربوعي: شاعر جاهلي، من فرسان تميم وساداتها. يقال له (فارس العزادة) وهي فرسه، ويعرف بالكَلْحَبَةُ (ومعناه: صوت النار ولهبها).

فَقُلْتُ لَكَاسٍ أَجْمِيهَا فَإِنَّمَا حَلَلْنَا الْكَثِيبَ مِنْ زَرُودٍ
لِنَفْرَعَا^١

أي لنغيث.

ويقال: فَرَعَ الرَّجُلُ مِنْ نَوْمِهِ، أَيِ انْتَبَهَ، وَأَفْرَعْتُهُ، إِذَا أَنْبَهْتَهُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَعَ مِنْ نَوْمِهِ مُحْمَرًا وَجْهَهُ^٢.

وفي حديثٍ لَهُ آخِرٌ: "أَلَا أَفْرَعْتُمُونِي"، يريد ألا أنبهتموني.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: "سَلِ اللَّهَ الْهُدَى وَأَنْتَ تَعْنِي بِهَذَاكَ هِدَايَةَ الطُّرُقِ، وَسَلِ اللَّهَ السَّدَادَ وَأَنْتَ تَعْنِي بِذَلِكَ سَدَادَ السَّهْمِ"^٣، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "وَأَنْتَ تَذْكُرُ مَكَانَ قَوْلِكَ وَأَنْتَ تَعْنِي".

^١ في المفضليات من أبياته التي مطلعها: (فَإِن تَنْجُ مِنْهَا يَا حَزِيمَ بْنَ طَارِقٍ ... فَقَدْ تَرَكْتَ مَا حَلَفَ ظَهْرُكَ بَلْقَعًا)، ومنها قوله:

أَمْرُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعِجِ اللَّوَى ... وَلَا أَمْرٌ لِلْمَعْصِيَةِ إِلَّا مُضِيْعًا

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشَرَ الْكَرْيَهَةَ أَوْشَكَتْ ... حِبَالُ الْهُوَيْنَا بِالْفَتَى أَنْ تَقَطَّعًا

^٢ رواه ابن أبي شيبة في المصنف، باب من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها: ٣٩٩٩٧.

^٣ رواه مسلم بالفاظ قريبة.

معنى هذا الكلام أنّ الرامي لا يرمي إلا بالسهم الذي قد سُوي قَدْحُه وأصْلَح ريشُه وفوقُه، حتّى يَعْتَدِل ويتسَدّد، وأنّه مهما قَصَرَ عَنْ شيء من هذا لم يتسَدّد رَمِيه ولم يَمْضْ نحو العَرَض سَهْمُه، فأَمِر الدَّاعي إِذَا سأل الله السَّدَادَ أَن يُحْطِرَ بباله صِفَةَ هذا السَّهْمِ المُسَدَّدِ، وأن يُحْضِرْها لِذِكْرِهِ ليكون ما يسأل الله منه على شكله ومثاله، وكذلك هذا المعنى في طلب الهدى، جعل هداية الطُّرُق مَثَلًا لَهُ إِذْ كَانَ الهُدَاةُ لَا يَجُوزُونَ عَنِ القَّصْدِ، وَلَا يَعْدِلُونَ عَنِ المَحْجَّةِ إِمَّا يَرْكَبُونَ الجَادَّةَ وَيَلْزَمُونَ مَهْجَهَا، يَقُولُ: فَلْيَكُنْ مَا تَوَّعَّه من الهدى وتسلَّكه من طريقه كذلك.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، حِجَابُهُ التُّورُ، لَوْ كَشَفَ طَبَقَهَا أَحْرَقَ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، وَأَضَعُ يَدَهُ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا".^١

قوله: يَخْفِضُ القِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يريد بالقِسْط - والله أعلم - الرِّزْقَ الَّذِي هُوَ قِسْطُ كُلِّ أَحَدٍ وَقِسْمُهُ من قُوَّتِهِ وَمَعَاشِهِ، فَالْحَفْضُ تَقْتِيرُهُ وَتَضْيِيقُهُ، وَالرَّفْعُ بَسْطُهُ وَتَوْسِيعُهُ، يُرِيدُ أَنَّهُ مُقَدِّرُ الرِّزْقِ وَقَائِمُهُ عَلَى الحِكْمَةِ فِيهِ وَالمَصْلِحَةَ فِي مَقْدَارِهِ.

^١ رواه مسلم.

وفيه وَجْهٌ آخِرٌ وهو أن يكون أراد بالقِسْطِ الميزانَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} الآية، وَسُمِّيَ الميزانُ قِسْطًا لِأَنَّ القِسْطَ العَدْلَ، وبالميزانِ يَقَعُ العَدْلُ فِي القِسْمَةِ، فلهذا سُمِّيَ الميزانُ قِسْطًا، وَإِنَّمَا هَذَا مَثَلٌ فِيمَا يُدِيرُهُ مِنْ أَمْرِ الخَلْقِ وَيُنْشِئُهُ مِنْ حُكْمِهِ وَمَعْضِيهِ مِنْ مَشِيئَتِهِ فِيهِمْ، يَرْفَعُ قَوْمًا وَيَضَعُ آخَرِينَ، وَهُوَ الخَافِضُ الرَّافِعُ العَدْلُ الحَكِيمُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ.

وَسُبْحَاتُ وَجْهِهِ: جَلَالُهُ وَنُورُهُ، هَكَذَا فَسَّرُوهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَعْنَاهُ، فَأَمَّا اسْتِثْقَاةُ مِنَ اللُّغَةِ فَمِنْ قَوْلِكَ: سَبَّحْتُ اللهُ، أَي نَزَّهْتُهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَبَرَأْتُهُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَنَقَصٍ، وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ التَّسْبِيحِ التَّبْعِيدُ، مِنْ قَوْلِكَ: سَبَّحْتُ فِي الأَرْضِ، إِذَا تَبَاعَدْتَ فِيهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {كُلُّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ} قَالَ الأَعْمَشِيُّ^١:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ

يَقُولُ: مَا أَبْعَدَ الفَخْرَ مِنْ عَلْقَمَةَ.

وَمَعْنَى الكَلَامِ أَنَّهُ لَمْ يُطْلَعْ الخَلْقُ مِنْ جَلَالِ عَظَمَتِهِ إِلَّا عَلَى مِقْدَارِ مَا تُطِيقُهُ قُلُوبُهُمْ وَتَحْتَمِلُهُ قُوَاهُمْ، وَلَوْ أَطْلَعَهُمْ عَلَى كُنْهِ عَظَمَتِهِ لَانْخَلَعَتْ أَفْئِدَتُهُمْ وَزَهَقَتْ أَنْفُسُهُمْ، وَلَوْ سَلَّطَ نُورَهُ عَلَى الأَرْضِ وَالجِبَالِ لاختَرَقَتْ وَذَابَتْ، كقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى: {فَلَمَّا تَخَلَّى رُؤْيُهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}.

^١ فِي دِيوَانِهِ مِنْ قِصِيدَتِهِ الَّتِي يَهْجُو فِيهَا عَلْقَمَةَ بِنِ عِلَالَةَ الصَّحَابِيِّ وَبِمَدْحِ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ، فِي المُنَافَرَةِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُمَا، وَمَطْلَعُهَا: (شَاقَتَكَ مِنْ قَتَلَةٍ أَطْلَاهَا بِالشِّطِّ قَالُوا تَرَى إِلَى حَاجِرٍ).

وقوله: واضع يده لمسيء النهار، يُريد أنه لا يعاجله بالعقوبة بل يُمهله ليتوب ويرجع، يقال: وضع فلان يده عن فلان، أي كف عنه.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّ هِنْدًا بِنْتَ عُتْبَةَ لَمَّا أَسْلَمَتْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِجَدِيَيْنِ مَرْضُوفَيْنِ وَقَدَّ^١.

المرضوف والرضيف من اللحم: المشوي على الرضاف، وهي الحجارة تُوقد عليها النار حتى إذا حميت ألقى عليها اللحم لينشوي، وهو الحنيد، وأراد بالقد: سقاء صغيراً من لبن، قال ابن السكيت: القد جلد السخلة الماعزة، يقال: ما تجعل قدك إلى أديمك^٢.

- في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أَنَّ نَعْلَهُ كَانَتْ مُعَقَّبَةً مُحْضَرَةً مُلْسَنَةً^٣.

^١ انظر: المجموع المغيب في غريب القرآن والحديث لأبي موسى المدني، والعباب الزاخر للصغاني، وإمتاع الأسماع للمقريزي، والمسائل والأجوبة لابن فتيبة.

^٢ في مجمع الأمثال للميداني: (ما يجعل قدك إلى أديمك؟)، القد: مسك السخلة، والأديم: الجلد العظيم، أي ما يملك على أن تقيس الصغير من الأمر بالعظيم منه، يُضرب في إخطاء القياس.

^٣ انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني.

المُعَقَّبَةُ: التي لها عَقَبٌ، والمُخَصَّرَةُ: التي قد قُطِعَ حَصْرَاهَا، والمَلْسَنَةُ: يقالُ هي التي قد تُرِكَ لها لِسَانٌ، وَلِسَانُهَا: الهَيْئَةُ النَّاتِيَةُ مِنْ مُقَدِّمِهَا، قَالَ الشاعر^١:

إِلَيْكَ امْتَطَيْنَا الحِضْرَمِيَّ المَلْسَنَا^٢

وحكى ابنُ دُرَيْدٍ عَن يُونُسَ قَالَ: حَزَمْتُ النُّعْلَ رَأْسُهَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا حَزْمَتُهُ فِيهَا لَسِنَةٌ وَمَلْسَنَةٌ، فَإِذَا عَرَضَ رَأْسُهَا فِيهَا المُخْتَمَّةُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: إِنَّمَا هِيَ الحِزْمَةُ، والحِزْمَةُ أَيضًا الدَّائِرَةُ الَّتِي عِنْدَ الأنْفِ وَسَطَ الشِّفَةِ العَلِيَا، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ عَنِ الأَحْمَرِ بِالحَاءِ غَيْرِ مَعْجَمَةٍ.

وَمَّا جَاءَ فِي الحَدِيثِ مِنْ نُعُوتِ أَدَاتِهِ، عَن أَنَسٍ قَالَ: كَانَتْ قَبِيْعَةُ سَيْفِ رَسُوْلِ اللهِ فَضَّةً^٣.

^١ هو أبو نواس: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح (١٤٦ - ١٩٨ هـ) شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الحصب، وعاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره خمرياتة.

^٢ في ديوانه، من قصيدته التي يمدح فيها الفضل بن يحيى البرمكي، ومطلعها: (طَرَحْتُمْ مِنَ التَّرْحَالِ ذِكْرًا فَعَمَّنَا فَلَوْ قَدْ شَخَّصْتُمْ صَبَّحَ المَوْتُ بَعْضَنَا). وتمام الشاهد: (إِلَيْكَ أبا العَبَّاسِ مِنْ دُونِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الحِضْرَمِيَّ المَلْسَنَا).

^٣ أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وصحح الألباني إسناده.

وَقَبِيعَةُ السَّيْفِ: وهي التي على رأس القائم، ويُقال لها: الثُّومَةُ، أَيضًا.
وفي حديث آخر: أَنَّ رَوْثَةَ سَيْفِهِ كَانَتْ فِضَّةً.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ قِمَاعُ سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَرِقًا.

وعن أَبِي الْبَحْتَرِيِّ وَهَبِ بْنِ وَهَبٍ عَنْ رِجَالٍ ذَكَرَهُمْ قَالُوا: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ
سَيْفٌ يُسَمَّى ذَا الْفَقَّارِ، وَآخِرُ يُقَالُ لَهُ الْمِخْدَمُ، وَآخِرُ يُقَالُ لَهُ
الرَّسُوبُ^١.

الْمِخْدَمُ: الْقَاطِعُ، وَالْحَدْمُ: الْقَطْعُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخْدَمًا^٣

^١ أخرجه التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ والطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ، بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ.

^٢ قال الجاحظ في البيان والتبيين: وأنشدني أبو قطن الغنويّ، وهو الذي يقال له شهيد الكرم،
وكان أبين من رأيتُه من أهل البدو والحضر:

فلو كنتُ مولى قيس عيلان لم تجد ... عليّ لمخلوق من الناس درهما

ولكنني مولى قضاة كلها ... فلست أبالي أن أدين وتغرما

وأولئك قوم بارك الله فيهم ... على كلّ حال ما أعفّ وأكرما

جفاة المحز لا يصيبون مفصلا ... ولا يأكلون اللحم إلا تخدمنا

^٣ وتماهه: (جفاة المحز لا يصيبون مفصلا * ولا يأكلون اللحم إلا تخدمنا) يقول: هم ملوك، لا
حذق لهم بنحر الإبل والغنم ولهم من يتولى ذلك عنهم، ولا يأكلون اللحم إلا تخدمنا: أي ليس بهم
شره فإذا أكلوا اللحم تخدموا قليلا قليلا.

وَالرُّسُوبُ: الماضي، أُخِذَ مِنْ رُسُوبِ الشَّيْءِ فِي الْمَاءِ إِذَا غَابَ فَذَهَبَ سُفْلًا، يُرِيدُ أَنَّهُ يَرُسُبُ فِي الضَّرْبِ فِيغِيبُ فِيهَا، قَالَ الْهَذَلِيُّ يَصِفُ سَيْفًا:
أَبْيَضُ كَالرَّجَعِ رُسُوبٌ إِذَا مَا ثَاخَ فِي مُحْتَقَلٍ
يَحْتَلِي^٢

وأراد بالرجع: الماء، ومن هذا قول الله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} أي ذات المطر، وكان لبعض الصحابة سيفٌ يُقال له المرسب.
- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "أَحِلُّوا لِلَّهِ يَغْفِرَ لَكُمْ"^٣.
قَالَ ابْنُ ثَوْبَانَ: أَحِلُّوا، يُرِيدُ أَسْلِمُوا.

هكذا سمعته يُروى بالحاء، فإن كان محفوظاً فمعناه الخروج من خطر الشرك إلى حل الإسلام، من قولهم: أحل الرجل، إذا خرج من الحرم إلى الحل، وأحل إلى

^١ هو المتنخل: مالك بن عويمر بن عثمان بن حبيش الهذلي، من مضر، أبو أثيلة: شاعر من نوابع هذيل. أثبت له صاحب الأغاني (صوتاً) من قصيدة قالها في رثاء ابنه أثيلة. وقال الأمدى: شاعر محسن، قال الأصمعي: هو صاحب أجود قصيدة طائية قالتها العرب.

^٢ في شعره بديوان الهذليين، من قصيدته التي مطلعها: (هل تعرف المنزل بالأهليل ... كالوشم في المعصم لم يجمل).

^٣ أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق.

في يمينه، إذا خرج من عهدتها ببر أو كفارة أو استثناء أو نحوها، وكذلك أحلَّ في نذره، قال ذو الرمة^١:

أرشتُ بها عينك حتى كأنما تُحلَّان من سفح الدُموع بها نذرا

وكُلُّ مَنْ خَرَجَ مِنْ حَظْرٍ إِلَى إِبَاحَةٍ فَهُوَ مُحِلٌّ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يُدْعَى الْمُحِلَّ؛ لِاسْتِبَاحَتِهِ الْقِتَالَ فِي الْحَرَمِ، قَالَ الشَّاعِرُ يُشَبِّبُ بَابِنَةَ الزُّبَيْرِ^٢:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مَعْنَى عَزَلٍ بِذِكْرِ الْمُحِلَّةِ أُحْتِ
الْمُحِلُّ^٣

وقد جاء في بعض الحديث: "مَنْ أَحَالَ دَخَلَ الْجَنَّةَ"^٤.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لَقَدْ جَشَّاتْ نَفْسِي عَشِيَّةً مُشْرِفٍ وَيَوْمَ لَوِي حُزْوِي فُقُلْتُ لَهَا صَبْرًا).

^٢ رملة بنت الزبير أخت عبد الله.

^٣ وهذا الشعر منسوب لمحمد بن عبد الله النميري قالها في زينب أخت الحجاج، ومنسوب أيضاً لخالد بن يزيد بن معاوية في رملة بنت الزبير:

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ مَعْنَى عَزَلٍ ... يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُحْتِ الْمُحِلَّ
تَرَاءَتْ لَنَا يَوْمَ فَرِحَ الْأَرَاكُ ... بَيْنَ الْعِشَاءِ وَبَيْنَ الْأَصَلِ
كَأَنَّ الْقُرْنُفَلَ وَالرَّجْبِيلَ ... وَرِيحَ الْخُرَامِي وَدُوبَ الْعَسَلِ
يُعَلِّ بِه بَرْدُ أَنْبَاهَا ... إِذَا مَا صَعَا الْكَوْكَبُ الْمُعْتَدِلُ

^٤ رواه أبو عبيد الهروي في الغريبين في القرآن والحديث.

أخبرني أبو عمر أَخْبَرَنَا أبو العَبَّاسِ ثَعْلَبُ عَنِ ابْنِ الأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَحَالٌ، يُرِيدُ أَسْلَمَ.

وليس هذا من الإحلال، هذا من الإحالة، يُقَالُ: أَحَالَ الرَّجُلُ، إِذَا تَحَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى غَيْرِهِ، يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الأَنْتِقَالَ مِنْ دِينِ الكُفْرِ إِلَى مِلَّةِ الإسلامِ. وروى هذا الحديث محمدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ البُخَارِيُّ فَقَالَ: "أَجِلُّوا اللَّهَ يَغْفِرْ لَكُمْ"، بالجيم، أَي أَسْلِمُوا، والتَّفْسِيرُ مَوْضُوعٌ بالحديث - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَيُّهُمَا الصَّحِيحُ.

وقال بَعْضُ أصحابنا: يُرِيدُ بقوله: أَجِلُّوا اللَّهَ، أَي قولوا يا ذا الجلالِ، أو آمنوا باللهِ ذِي الجلالِ، وهذا كما روي: "الطُّوا يَا ذا الجلالِ"¹.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "المؤمنُ مُكْفَّرٌ"². قوله: "المؤمنُ مُكْفَّرٌ"، معناه أَنَّهُ مُرَّرًا فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ يُنْكَبُ وَتُصِيبُهُ المِكَارَةُ فَتَكُونُ كَفَّارَةً لذنُوبِهِ.

¹ أخرجَه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

² أخرجَه الحاكم في المستدرك على الصحيحين.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ: "إِنَّ عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَلَا تُتَنَازَعِ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بَوَاحًا أَوْ بَرَاخًا"^١.

قوله: بَوَاحًا، يريدُ ظاهرًا بادياً، ومنه قولهم: باح بالشيء يبوح به بَوَاحًا وبُوحًا، إذا أذاعه وأظهره، والبراح مثله أو قريب منه، وأصل البراح: الأرض القفر التي لا أنيس بها ولا بناء فيها، قال الشاعر:

وقد أجوبُ البلدَ البرَاحا المَرْمَرِيسَ القفرة
الصَّحَّاحَا^٢

وأخبرني أبو عمَر أنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي قال: يُقالُ: لَقِيْتُهُ صَرْحَةً بَرَحَةً، أي لَقِيْتُهُ ظاهراً بادياً.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فِي الشَّمْسِ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: هُوَ قَانِتٌ، فَقَالَ لَهُ: "اذْكُرِ اللَّهَ"^٣.

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ الرجز لابن العمياء في لسان العرب، وتماه:

بالقوم لا مرضى ولا صحاحا إن ينزلوا لا يرقبوا الإصباحا

وإن يسيروا يجعلوا الرواحا

^٣ رواه عبد الرزاق في المصنف، باب: لا نذر في معصية الله: ١٥٨٢٩.

القنوت: السكوت، ههنا، وكان هذا الرجل قد نذر أن يُقومَ في الشَّمس ساكتًا لا يتكلم، فأمره أن يذكر الله وأن لا يسكتَ عن الخير.

وعن زيد بن أرقم قال: كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ، يُكَلِّمُ أَحَدُنَا صَاحِبَهُ إِلَى جَنْبِهِ بِحَاجَتِهِ، فَنَزَلَتْ: { وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } فَأَمَرْنَا بِالسُّكُوتِ وَهَيِّنَا عَنِ الْكَلَامِ.

والقنوتُ في أشياء غير هذا، منها الطاعة، ومنها القيام، ومنها الدعاء.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: "لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ، عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ السَّلَامُ عَلَيْكَ"^١.

قوله: "عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ"، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا كَانَ تَجْرِي عَلَيْهِ عَادَتُهُمْ فِي تَحِيَّةِ الْمَوْتَى وَإِحْبَارٌ عَنْ مَذْهَبِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ عَلَى جِهَةِ الْأَمْرِ بِهِ وَالتَّعْلِيمِ فِيهِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ حِينَ دَخَلَ الْمَقْبَرَةَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ"^٢، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ذَلِكَ، فَجَعَلَ التَّسْلِيمَ عَلَى الْمَوْتَى كَهُوَ عَلَى الْأَحْيَاءِ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا

^١ أخرجه أبو داود والنسائي في السنن الكبرى، والترمذي، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبي داود.

^٢ رواه مسلم.

أَرَادَتْ تَحِيَّةَ الْمَيِّتِ قَدَّمَتْ اسْمَهُ عَلَى الدُّعَاءِ وَالتَّسْلِيمِ، وَهُوَ بَيِّنٌ فِي الْكَلَامِ
وَالشَّعْرِ، قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ^١:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ إِنْ شَاءَ أَنْ
يَتَرَحَّمَا^٢

وقال الشَّمَاخُ^٣:

عَلَيْكَ سَلَامٌ مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمُمَزَّقِ

وكانت إذا أرادت تحية الحي قدّمت لفظ السلام، كقول لقيط الإيادي حين
كتب إلى قومه يُنذِرهم بِكِسْرَى^٤:

^١ عبدة بن يزيد (الطيب) بن عمرو بن علي، من تميم: شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية
والإسلام. كان أسود، شجاعاً. شهد الفتوح، وقاتل الفرس مع المنى بن حارثة، والنعمان بن مقرن،
بالمدائن وغيرها. وكانت له في ذلك آثار مشهودة، وله فيها شعر. وهو صاحب المراثية التي منها:
وما كان قيس هلكته هلك واحد... ولكنه بنيان قوم تهدما، يقال: إنه أرثى بيت قائلته العرب.

^٢ في ديوانه، وهو مطلع الأبيات، وبعده: (تَحِيَّةٌ مَنْ أَلْبَسَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ إِذَا زَارَ عَنْ شَحَطِ بِلَادِكَ
سَلَّمَا).

^٣ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نِعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ
بِالْأَمْسِ يُسْبِقُ).

^٤ لقيط بن يعمر بن خارجة بن عوثبان الإيادي: شاعر جاهلي فحل وخطيب مصقع، يقدر أنه
من رجال القرن الرابع الميلادي، وهو ما يجعله من أقدم الشعراء، وهو من أهل الحيرة، كان يحسن
الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف)، فكان من كتّابه والمطلعين على أسرار دولته ومن

سَلَامٌ فِي الصَّحِيفَةِ مِنْ لَقِيَطٍ إِلَى مَنْ بِالْجَزِيرَةِ مِنْ إِيَادٍ
 بَأَنَّ اللَّيْثَ كَسَرَى قَدْ أَتَاكُمْ فَلَا يَحْسِبُكُمْ سُوقُ
 وكقول بعض الأعراب^٢ لابنه وقد بعث به إلى بعض الأمراء يستميحه:
 إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ
 الرَّحِيمِ^٣

مقدمي مترجميه، وقد أنذر قبيلته إياداً في قصيدة تعد من غرر الشعر بأن كسرى وجه جيشاً لغزوه، وسقطت القصيدة في يد من أوصلها إلى كسرى فسخط عليه وقطع لسانه ثم قتله.
^١ في ديوانه، وهما مطلع القصيدة، وبعدهما: (أَتَاكُمْ مِنْهُمْ سِتُونَ أَلْفًا يُرْجُونَ الْكِنَائِبَ كَالْجَرَادِ).
^٢ هو أبو دلامة، والشاهد في الديوان مطلع القصيدة.
^٣ ذكر ابن شبة في كتاب أخبار البصرة أن أبا دلامة كتب إلى سعيد بن دعلج وكان يومئذ يتولى الأحداث بالبصرة وأرسلها إليه من بغداد مع ابن عم له:

إِذَا جِئْتَ الْأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ الرَّحِيمِ
 وَأَمَّا بَعْدَ ذَلِكَ فَلِي عَرِيمٌ مِنَ الْأَعْرَابِ قُبْحٌ مِنْ عَرِيمٍ
 لُزُومٌ مَا عَلِمْتُ لِبَابِ دَارِي لُزُومَ الْكَلْبِ أَصْحَابَ الرَّقِيمِ
 لَهُ مِئَةٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أُخْرَى وَنِصْفُ التَّصْفِ فِي صَلِّ قَدِيمٍ
 دَرَاهِمٌ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شَيْخُ بَنِي تَمِيمٍ
 أَتُونِي بِالْعَشِيرَةِ يَسْأَلُونِي وَلَمْ أَكُ فِي الْعَشِيرَةِ بِاللَّتِيمِ

فسير له ابن دعلج ما طلب.

وهكذا هُوَ في كلِّ دُعَاءٍ بِحَيْرٍ، وبه نطق كتابُ الله جل وعز فَقَالَ: {سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ}، {سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ}، وقال في قصَّةِ إبراهيم: {رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ}.

فأما الدُّعَاءُ بِالشَّرِّ فقد جَرَتْ عَادَتُهُمْ فيه بتقديم اسمِ المَدْعُوِّ عَلَيْهِ غالبًا، كقولك: عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وعليه غَضَبُ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ}، وقال في قصَّةِ المَلَاعِنَةِ: {وَالْحَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ}، وقال {عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ}، وقال زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلمَى^١:

تَحَمَّلَ أَهْلُهَا عَنْهَا فَبَادُوا عَلَىٰ آثَارِ مَا ذَهَبَ الْعَفَاءُ

ومثْلُ هذا في الكلام كثير.

وفي التَّسْلِيمِ لَعْنَتَانِ: يُقَالُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ، وَوُقُوعُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ فِيهِ بِمَعْنَى التَّفْخِيمِ.

أخبرني الرُّهْنِيُّ أَخْبَرَنِي ابْنُ كَيْسَانَ قَالَ: دُخُولُ الْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الْأَسْمَاءِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّجْنِيسِ وَالتَّعْظِيمِ، فَالتَّعْرِيفُ كَقَوْلِكَ: الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ، وَالتَّجْنِيسُ، كَقَوْلِكَ: الشَّاءُ حَيْرٌ مِنَ الْإِبِلِ وَالدَّهَبُ حَيْرٌ مِنَ الْفِضَّةِ، وَالتَّعْظِيمُ

^١ في ديوانه من قصيدته التي يصف فيها داراً تحمل عنها أهلها، ومطلعها: (عَفَا مِنْ آلِ فَاطِمَةَ الْجَوَاءِ فِيمَنْ فَالْقَوَادِمُ فَالْحِسَاءُ).

كقولك: حَسُنُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، ثُمَّ تَقُولُ: الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ
والعباس بن عبد المطلب.

فيه لغةٌ ثالثةٌ، قَالَ الْفَرَّاءُ تَقُولُ الْعَرَبُ: سَلِّمْ، بِمَعْنَى سَلَامٍ، كَمَا قَالُوا: حِلٌّ
وَحِلَالٌ وَحَرْمٌ وَحَرَامٌ، قَالَ: وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْعَرَبِ^١:

وَقَفْنَا فَقُلْنَا إِيَّهِ سَلِّمْ فَسَلِّمْتُ كَمَا انْكَلَّ بِالْبَرْقِ الْعَمَامُ اللَّوَائِحُ

وكانوا يستحسنون أن يقولوا في أول الكلام: سَلَامٌ عَلَيْكَ، بِمَعْنَى التَّحِيَّةِ، وَفِي
آخِرِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكَ، بِمَعْنَى الْوَدَاعِ، الْأَوَّلُ كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ^٢:

أَمْنَزَلْتِي مَيِّ سَلَامٌ عَلَيْكُمَا هَلِ الْأَزْمُنُ اللَّائِي مَضَيْنَ رَوَاجِعُ

والآخر كقول جرير^٣:

يَا أُخْتِ نَاجِيَةَ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرَّحِيلِ وَقَبْلَ لَوْمِ الْعَدَلِ

^١ هو لذي الرمة، وهو بيت فرد في ملحق ديوانه بلفظ: (مررن فقلنا: إيهِ سَلِّمْ فَسَلِّمْتُ ... كما
اكتل بالبرق الغمام اللوائح).

^٢ في ديوانه، وهو مطلع القصيدة، وبعده: (وَهَلِ يَرْجِعُ التَّسْلِيمَ أَوْ يَكْشِفُ الْعَمَى ثَلَاثُ الْأَثَانِي
وَالرُّسُومُ الْبَلَاغِ).

^٣ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لَمَنْ الدِّيَارُ كَأَهَّا لَمْ تُحَلِّلِ بَيْنَ الْكِنَاسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ).

وقال الشافعي، فيما رَوَى الرَّبِيعُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَنْهُ فِي تَسْلِيمِ الْمُصَلِّي: أَقْلُ مَا يَكْفِي الْمُصَلِّي مِنْ تَسْلِيمِهِ أَنْ يَقُولَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ نَقَصَ مِنْ هَذَا حَرْفًا عَادَ فَسَلَّمَ.

فِيُشْبَهُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ السَّلَامُ فِي مَذْهَبِهِ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَرَّ حَذْفَ الْأَلْفِ وَاللَّامِ جَائِزًا.

وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ" ^١.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيِّ: "أَنْتَ الذَّائِدُ عَنْ حَوْضِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَدُودٌ عَنْهُ الرِّجَالُ كَمَا يُدَادُ الْبَعِيرُ الصَّادُ" ^٢.

الْبَعِيرُ الصَّادُ: هُوَ الَّذِي بِهِ الصَّيْدُ، وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الرَّأْسِ لَا يَقْدِرُ مِنْ أَجْلِهِ أَنْ يَلْوِي عُنُقَهُ، وَبِهِ يَشْبَهُ ذُو الْكِبْرِ فَيَقَالُ: رَجُلٌ أَصِيدٌ، إِذَا كَانَ مِنْ كِبَرِهِ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى أَحَدٍ، وَيَقَالُ إِنَّهُ دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالشُّؤُونِ، يَقَالُ: بَعِيرٌ أَصِيدٌ، وَبِهِ صَيْدٌ، كَمَا يَقَالُ: أَجِيدٌ وَأَعِيدٌ، مِنَ الْجَيْدِ وَالْعَيْدِ.

^١ أخرجه البخاري في (الأدب المفرد)، والبخاري، والطبراني في (المعجم الكبير) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع.

^٢ رواه أبو نعيم في صفة النفاق ونعت المنافقين، فضائل علي.

وقال ابن السكيت: الصَّادُ والصَّيْدُ داءٌ يصيب الإبل في رؤوسها فيسيل من أنوفها، مثلُ الرِّبْدِ، وتسمو عند ذلك برؤوسها.

وتقدير قوله: "بَعِيرٌ صَادٌ" تقدير قوله: رَجُلٌ مَالٌ، أي ذُو مَالٍ، وكَبَشٌ صَافٌ، أي ذو صوفٍ، ومثله يومٌ رَاحٌ، ذو رِيحٍ شديدة، والأصل: رَائِحٌ، ويوم طَانٌ، أي كثيرُ الطين، وكما حَقَّفُوا الحائِجَةَ فقالوا حاجة يقال صَادَ البَعِيرُ يَصَادُ، كما قالوا: عَارَ بَصْرُهُ يَعَارُ، ولغَةُ أهل الحجاز: صَيَدَ البَعِيرُ يَصِيدُ، وَعَوَرَ يَعَوِرُ، يُثَبِّتُونَ الألفَ والياءَ، فهو صَايِدٌ، بلا هَمْزٍ، وعَاوِرٌ.

قَالَ المبردُ: كُلُّ فَعْلٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ مِمَّا عَيْنُهُ يَاءٌ أَوْ وَاوٌ إِذَا كَانَتْ مَعْتَلَةً سَاكِنَةً نَحْوُ: قَالَ يَقُولُ وَبَاعَ يَبِيعُ وَخَافَ يَخَافُ وَهَابَ يَهَابُ، فَإِنْ مَوْضِعَ العَيْنِ مِنْهُ يُهَمَزُ، نَحْوُ: قَاتِلٍ وَخَائِفٍ وَبَائِعٍ، فَإِنْ صَحَّتِ العَيْنُ مِنَ الفِعْلِ صَحَّتْ مِنَ اسْمِ الفَاعِلِ، نَحْوُ: عَوَرَ فَهُوَ عَاوِرٌ، وَصَيَدَ البَعِيرُ فَهُوَ صَايِدٌ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الجِنِّ أَتَاهُ فِي صُورَةِ شَيْخٍ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَمْرٌ بِإِفْسَادِ الطَّعَامِ وَقَطْعِ الأَرْحَامِ، وَإِنِّي تَأْتِي إِلَى اللهِ، فَقَالَ: "بُنَسَ لَعَمْرُو اللهُ عَمَلُ الشَّيْخِ المُتَوَسِّمِ وَالشَّابِّ المُتَلَوِّمِ"^١.

الشَّيْخُ المُتَوَسِّمُ: هُوَ المُتَحَلِّي بِسِمَةِ الشُّيُوخِ.

^١ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

والشابُّ المُتَلَوِّمُ: هُوَ الْمُتَعَرِّضُ لِلْأُئِمَّةِ بِالْفِعْلِ الْقَبِيحِ، يُقَالُ: تَلَوَّمَ الرَّجُلُ، إِذَا تَعَرَّضَ لِلْأُئِمَّةِ، كَمَا يُقَالُ، تَحَمَّدَ، مِنَ الْحَمْدِ، وَمِثْلُهُ تَجَبَّبَ وَتَوَدَّدَ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "طَلَاقُ الْأُمَّةِ تَطْلِيْقَتَانِ وَقَرُوهَا حَيْضَتَانِ"^١.

قوله: قَرُوهَا حَيْضَتَانِ، أَصْلُ الْقَرَاءِ الْوَقْتُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ: رَجَعَ فُلَانٌ لِقَرْنِهِ وَقَارِنَهُ، أَي رَجَعَ لِقَوْتِهِ الْمَعْلُومِ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

كَرِهْتُ الْعَفْرَ عَفْرَ بَنِي شُلَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِنِهَا
الرِّيَاحُ^٣

فَالْقَرُّ: زَمَانُ الْعِدَّةِ، وَلِذَلِكَ وَقَعَ هَذَا الْاسْمُ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْحَيْضِ وَالطُّهْرِ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا اعْتَبَرُوا وَقْتِ مَعَاوَدَتِهِمَا، وَكِلَاهُمَا يَتَعَاقَبَانِ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ لِمِيقَاتِ مَعْلُومٍ.

وَقَدْ يَحْتَجُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَنْ يَرَى الْعِدَّةَ بِالْحَيْضِ وَمَنْ لَا يَرَى الطَّلَاقَ مَعْتَبَرًا بِالرِّجَالِ، إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يُضَعِّفُونَهُ.

^١ رواه ابن ماجه في السنن، والحاكم في المستدرک علی الصحیحین، وأبو داود في سننه.

^٢ هو مالك بن الحارث أخو بني كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل.

^٣ في ديوانه بشعر الهدليين، من قصيدته التي مطلعها: (تقول العاذلات أكلت يوم ... لرجلة مالك عنق شحاح).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ قَبْطِيًّا يَتَحَدَّثُ إِلَى مَارِيَةَ، فَأَمَرَ عَلِيًّا بِقَتْلِهِ^١، قَالَ عَلِيٌّ: فَأَخَذْتُ السِّيفَ وَذَهَبْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَقِيَّ عَلَى شَجَرَةٍ فَرَفَعَتِ الرِّيحُ ثَوْبَهُ فَإِذَا هُوَ حَصُورٌ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: "إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ"^٢.

الحصور: الذي لا يأتي النساء، وهو المَجْبُوبُ في هذا الحديث، سُمِّيَ حَصُورًا لأنه حُصِرَ عَنِ الْجِمَاعِ، أَي حُسِرَ عَنْهُ وَمُنِعَ مِنْهُ، جَاءَ عَلَى وَزْنِ فَعُولٍ، وَمَعْنَاهُ مَفْعُولٌ، كَمَا قَالُوا: شَاءَ حَلُوبٌ وَفَرَسٌ رَكُوبٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فِي قِصَّةِ يَحْيَى {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا}، قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: حُلِقَ يَحْيَى مِنْ غَيْرِ شَهْوَةٍ فَجَاءَ بِغَيْرِ شَهْوَةٍ، يُرِيدُ أَنَّ حَلْفَهُ كَانَ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَمْ يَكُنْ عَنْ شَهْوَةٍ بَشَرِيَّةٍ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: {قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ} الْآيَةَ.

^١ قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُرد حقيقة الأمر بقتله، وإنما أراد إظهار براءة الرجل للناس، وإشاعة الحق وتجليته، ولا أدل على ذلك من قوله عليه الصلاة والسلام: (بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب)، ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم قصد حقيقة القتل لقتله عليٌّ من فوره ولما جاز له رضي الله عنه أن يستبطن تنفيذ الحكم.

^٢ رواه مسلم بألفاظ قريبة.

وقوله: شفاء العيِّ السُّؤال، فإن العيِّ ههنا الجهل، يُقال: عيِّ الرجلُ بأمره
يعيًّا عيًّا، إذا لم يَهْتَدِ لَهُ، قَالَ الشاعر^١:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيْتُ
بَبِيضَتِهَا الْحَمَامَةُ^٢

^١ هو عبيد بن الأبرص: عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من مضر، أبو زياد: شاعر، من دهاة الجاهلية وحكمائها. وهو أحد أصحاب (المجمهرات) المعدودة طبقة ثانية عن المعلقات. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظرات ومناقضات. وعُمر طويلاً حتى قتله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم بؤسه.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي يصف فيها سوء الحال الذي نزل بقومه بني أسد: ومطلعها: (يا عَيْنِ
فَأَبْكِي مَا بَنِي أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ). وما زائدة. ورواية الشاهد كما في الديوان: (بَرِمَتْ بَنُو
أَسَدٍ كَمَا بَرِمَتْ بَبِيضَتِهَا الْحَمَامَةُ).

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ أُحْتِ شَدَادِ بْنِ قَيْسٍ^١ بَعَثَتْ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ، عِنْدَ فِطْرِهِ، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ مَرْتِبَةً لَكَ^٢ مِنْ طَوْلِ النَّهَارِ وَشِدَّةِ الْحَرِّ^٣.

هكذا قال مرتبة، والصواب مرثاة، يقال: رثيت للحَيِّ، وهو أن يقع في مكروه فتوجعت له أرثي له رثياً ومرثاةً، ورثيت الميت أرثيه مرتبةً، وهو أن تبكيه وتذكر محاسنه.

أخبرني أبو رجاء العنويُّ نا أبي حدثني أبو أيوب سليمان بن أيوب قال: قيل للكُمَيْت: لِمَ لَمْ تَرِثْ أَخَاكَ؟ فَقَالَ إِنَّ مَرْتِبَتَهُ لَا تَرِدُ مَرَزِيَّتَهُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "تَبَقَّه وَتَوَقَّه"^٥.

^١ في المطبوعة: شداد بن قيس، والصواب شداد بن أوس: شداد بن أوس بن ثابت (١٧ ق. هـ - ٦٤ هـ): صحابي وراوي حديث نبوي من الأنصار من بني عمرو بن مالك بن النجار من الخزرج، وهو ابن الصحابي أوس بن ثابت، وابن أخي الصحابي حسان بن ثابت. وأخته الصحابية أمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ أَوْسِ الْأَنْصَارِيِّ.

^٢ يعني شفقةً عليك.

^٣ رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، وابن أبي الدنيا في الورع.

^٤ قاله لأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

^٥ أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم. وفي رواية: تنقَّ وتوقَّ، ومعناه: تخير الصديق ثم احذره.

قوله: "تَبَّه"، يُرِيدُ: اسْتَبَقَ نَفْسَكَ وَلَا تُعْرَضْهَا لِلتَّلْفِ، وَتَوَقَّهْ: أَي تَحَرَّزْ مِنْ الْآفَاتِ وَتَبَاعَدْ مِنَ الْمَهَالِكِ وَالْمِعَاطِبِ. وَهَذَا خِلَافُ قَوْلِ مَنْ يَزْعَمُ أَنَّ التَّوَكَّلَ إِذَا هُوَ فِي الْاِسْتِسْلَامِ وَتَرَكَ الْحَذَرَ وَالتَّوَقِّيَّ، وَلَا يَرَى أَنَّ لِلْأُمُورِ عِلَلًا وَأَسْبَابًا قَدْ تَعَبَّدَنَا اللَّهُ بِمِرَاعَاتِهَا وَاسْتَأْثَرَ بِعِلْمِ الْغَيْبِ فِيهَا، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَدْفٍ مَائِلٍ^١ فَأَسْرَعَ الْمَشْيَ وَقَالَ: "كَرِهْتُ مَوْتَ الْقَوَاتِ"^٢.

قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحِيرِ: لَيْسَ يَنْبَغِي لِأَحَدِنَا أَنْ يَصْعَدَ فَوْقَ بَيْتٍ فَيَتَرَدَّى مِنْهُ ثُمَّ يَقُولُ هَكَذَا قَضَى عَلَيَّ، وَلَكِنْ يَحْتَرِزُ وَيَحْتَاطُ، فَإِنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ عِلْمٌ أَنَّهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قِصَّةِ الْعُرَيْنِيِّينَ^٣: أَهْمُّ لَمَّا اسْتَأْفُوا الْإِبِلَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ فِي طَلَبِهِمْ قَافَةً، فَأَتَى بِهِمْ فَأَمَرَ فُقِطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ

^١ حائط أو جدار مائل.

^٢ أخرجه أحمد وأبو يعلى، وابن أبي عاصم في «الدييات» والبيهقي في «شعب الإيمان».

^٣ في الخبر أن ناساً من غزينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاجتوؤوها فقال: لو خرجتم إلى إبلنا فأصبتم من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا، فمالوا على الرعاء فقتلواهم واستأفوا الإبل وارتدوا عن الإسلام، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأتى بهم ففقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركوا بالحرّة حتى ماتوا.

وَسَمَرَ أَعْيُنَهُمْ، قَالَ أَنْسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمْ يَكْدِمُ الْأَرْضَ بِفِيهِ حَتَّى مَاتُوا عَطَشًا^١.

القافه: جمع قائف، وهو الذي يقوف الآثار ويتبّعها، قال الأصمعي: يقال: فلان يَفُوفُ الأثر ويقتافه ويقترفه، قال: والتأيين مثله، قال أوس بن حجر^٢:

يقول له الراؤون هَذَا رَاكِبٌ يُؤَبِّنُ شَخْصًا فَوْقَ عَلِيَاءَ وَاقِفٌ

وقوله: يَكْدِمُ الأرضَ، أي يَقْبِضُ عليها بأسنانه، يُقال: كدم وكزَمَ وأزَمَ وعزَمَ، بمعنى عَضَّ، والعرب تُقُولُ: ما بَقِيَ من مرعانا إلا كُدَامَةٌ، أي بَقِيَّةٌ تكدمها المال^٣ بأسنانها ولا تشيع منها.

وقد تكلم العلماء في هذا وفي أمر النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَمَلِ أَعْيُنِهِمْ؛ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ نُزُولِ الْأَحْكَامِ فِي الْحُدُودِ وَقَبْلَ تَحْرِيمِ الْمَثَلَةِ. وَقَالَ أَبُو الزِّنَادِ: لَمَّا فَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ عَاتَبَهُ اللَّهُ فَأَنْزَلَ: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} الآية.

^١ رواه البخاري بألفاظ قريبة.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (تَنَكَّرَ بَعْدِي مِنْ أُمَيْمَةَ صَائِفٌ فَبِرْكَ فَأَعْلَى تَوَلَّى قَالِمُخَالِفُ).

^٣ المال: الإبل.

وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا فَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ قَدْ كَانُوا سَمَلُوا أَعْيُنَ الرُّعَاةِ وَقَتَلُوهُمْ، يُرِيدُ أَنَّهُ جَارَاهُمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ }.

وَعَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَنَّ الْعُرَيْبِينَ لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا مَجْهُودِينَ مَضْرُوبِينَ قَدْ كَادُوا يَهْلِكُونَ، فَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُنَحِّيَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ فَأَخْرَجَهُمْ إِلَى لِقَاحٍ بِقَيْفَاءِ الْخَبَارِ^١ مِنْ وَرَاءِ الْحِمَى، فِيهَا مَوْئِلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ اسْمُهُ يَسَارٌ، فَمَتَلُوهُ ثُمَّ مَثَلُوا بِهِ وَاسْتَأْفُوا اللَّقَاحَ. وذكر الحديث بطوله.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْمُسْلِمَ الْمُسَدَّدَ لِيُدْرِكَ دَرَجَةَ الصُّوَامِ الْقَوَامِ بِآيَاتِ اللَّهِ بِحُسْنِ ضَرِيَّتِهِ"^٢.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: "الضَّرِيَّةُ الطَّبِيعَةُ"^٣، قَالَ زُهَيْرٌ^٤:

^١ خارج المدينة غربي وادي العقيق، كان بها إبل الصدقة.

^٢ أخرجه أحمد وابن وهب في (الجامع) والطبراني، ولفظه: (بِحُسْنِ خُلُقِهِ وَكَرَمِ ضَرِيَّتِهِ) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع.

^٣ والمعنى أن طبيعته كريمة وسمحته وسهلة.

^٤ في ديوانه من قصيدته التي يمدح فيها هرم بن سنان المري، ومطلعها: (فبِالدِّيارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقَدَمُ بَلَى وَعَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِيمُ).

وَمِنْ ضَرِيْبَتِهِ التَّفْوَى وَيَعْصِمُهُ مِنْ سَيِّئِ الْعَثَرَاتِ اللَّهُ وَالرَّحْمُ
 قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ يُشِيْدُهُ: وَالرُّحْمُ، بِالضَّمِّ، وَالرُّحْمُ:
 الرَّحْمَةُ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَسْمَاءَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ
 أُمِّي قَدِمَتْ عَلَيَّ رَاغِمَةً مُشْرِكَةً، أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: "نَعَمْ فَصِلِي أُمَّكَ"^١.
 قَوْلُهَا رَاغِمَةً: أَي كَارِهَةً لِإِسْلَامِي وَهَجْرَتِي، وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: مَعْنَاهُ هَارِبَةٌ
 مِنْ قَوْمِهَا، وَاحْتِجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: {وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي
 الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} وَأَنْشَدَ لِلْجَعْدِيِّ^٢:

وَكَانَ زِيَادٌ ثِمَالًا لَنَا وَنَعَشًا كَفَى غَيْبَةَ الْغُيْبِ
 كَطَوْدٍ نَلُوْدُ بِأَكْنَفِهِ عَزِيْزِ الْمُرَاعِمِ وَالْمَهْرَبِ

وَلَوْ كَانَ أَرَادَ هَذَا الْمَعْنَى لَقَالَ مُرَاعِمَةً، لَا رَاغِمَةً، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بِنِ الْعَلَاءِ
 يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: {يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا}: الْخُرُوجَ عَنِ الْعَدُوِّ يُرْغِمُ
 أَنْفَهُ.

^١ متفق عليه.

^٢ النابغة الجعدي، في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (سَمَا لَكَ هَمٌّ وَلَمْ تَطْرِبِ وَبَتَّ بِيَتْتِ وَلَمْ
 تَنْصَبِ). وليس فيها الشاهد الأول، والشاهد الثاني بلفظ: (كَطَوْدٍ يُلَادُ بِأَرْكَانِهِ عَزِيْزِ الْمُرَاعِمِ
 وَالْمَهْرَبِ).

وفي رواية: فُؤَلْتُ: أَتَنَّنِي أُمِّي وهي راعبة، أفَاعَطِيهَا؟ قال: "نَعَمْ فَصَلِيهَا"، هَكَذَا قَالَ رَاعِبَةٌ، من الرَّعْبَةِ، وأصل الرَّعْبَةُ الحِرْصُ والسَّوَالُ، ومن هذا قول الدَّاعِي: اللهم إِنِّي أَرَعَبُ إِلَيْكَ فِي كَذَا، أَي أَسْأَلُكَ بِحِرْصٍ وَفَاقَةٍ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُولُ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ؟ فَقَالَ: "لَا وَجَدتَ لَا وَجَدتَ"^١.

قَوْلُهُ: مَنْ دَعَا إِلَى الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ، يَرِيدُ: مَنْ وَجَدَ الْجَمَلَ؟ فَدَعَا إِلَيْهِ صَاحِبَهُ لِيَرِدَّهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ تُنْشَدَ الضَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ، فَلِذَلِكَ قَالَ: "لَا وَجَدتَ".

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَهُ فَقَالَ: عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، قَالَ: "الْعِنُ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الحُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ، أَعْتَقِ النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرَّقَبَةَ"، قَالَ: أَوْ لَيْسَا وَاحِدًا؟ قَالَ: "لَا، عِنَقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعَتِقِهَا وَفُكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي ثَمَنِهَا، وَالْمَنِحَةُ الْوَكُوفُ، وَالْفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ"^٢.

قَوْلُهُ: أَقْصَرْتَ الحُطْبَةَ، أَي جِئْتَ بِهَا قَصِيرَةً، يُقَالُ: أَكْبَرَ الرَّجُلُ، إِذَا جَاءَ بِالْكَبِيرَةِ، وَأَصْغَرَ، إِذَا جَاءَ بِالصَّغِيرَةِ، وَمِثْلُهُ: أَذْكَرَتِ الْمَرْأَةُ، إِذَا جَاءَتْ بِوَلَدٍ

^١ رواه مسلم.

^٢ رواه الدارقطني في السنن، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده.

ذَكَرٍ، وَأَنْتَ، إِذَا جَاءَتْ بَأْتِي، وَأُدْهَتْ، إِذَا جَاءَ وَلَدُهَا ذَاهِيًا، وَأَحْمَقْتُ،
مِنَ الحُمُقِ، وَأَكَاسَتْ، مِنَ الكَيْسِ، قَالَ الشاعِرُ:

فَلَوْ كُنْتُمْ لِكَيْسَةٍ أَكَاسَتْ وَكَيْسُ الأُمِّ أَكَيْسُ
لِلبَيْنِنا^١

وكذلك قوله: أَعْرَضْتَ المسأَلَةَ، معناه جئتَ بها عَرِيضَةً، والعَرَضُ عند العرب
السَّعَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: { وَجَنَّةٍ عَرُضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ } يريد - والله
أَعْلَمُ - سَعَتَهَا، دُونَ العَرَضِ الَّذِي هُوَ خِلَافُ الطُّولِ، قَالَ الشاعِرُ^٢:
كَأَنَّ بِلَادَ اللهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الخَائِفِ المَطْلُوبِ كِفَّةٌ حَابِلٌ
وقال مالك بن الرِّيبِ^٣:

^١ وهو في أبيات ذكرها الجاحظ في البيان والتبيين لرجل يخاطب لولاد أخيه، منها:

عفاريتنا عليّ وأكل مالي وعُجْرًا عن أناسٍ آخرينا

فهلّا غير عمّكم ظلمتم إذا ما كنتم متظلمينا

فلو كنتم لكَيْسَةٍ أَكَاسَتْ وكَيْسُ الأُمِّ أَكَيْسُ للبَيْنِنا

ولكنّ أُمُّكُمْ حَمَقْتُ فجعتم غثائًا ما نرى فيكم سَمِينا

^٢ هو الطرماح، وهو في ديوانه أول بيتين، والآخر منهما: (يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَبِيَّةٍ تَيْمَمَهَا تَرْمِي
إِلَيْهِ بِقَاتِلِ).

^٣ مالك بن الريب بن حوط بن قرط المازني التميمي شاعر، من الظرفاء الأدباء الفتاك. اشتهر في
أوائل العصر الأموي. ورويت عنه أخبار في أنه قطع الطريق مدة. وراه سعيد بن عثمان بن عفان،

ولا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا عَلَى الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَا
 و"أَفْعَلٌ" ينصرف في الكلام عَلَى وجوه: يُقَالُ: أَفْعَلْتُ الشَّيْءَ، بمعنى عَرَضْتَهُ
 للفاعل، كقولك: أَقْتَلْتُ الرَّجُلَ، إِذَا عَرَضْتَهُ لِلْقَتْلِ، وتكونُ "أَفْعَلْتُ" بمعنى
 أَصَابَنِي ذَلِكَ، كقولك: أَفْحَطْتُ، مِنَ الْفَحْطِ، وَأَسْنَتُ، مِنَ السَّنَةِ، ويكون
 "أَفْعَلٌ" بمعنى حَانَ ذَلِكَ مِنْهُ، كما قِيلَ: أَرَكَبَ الْمُهْرُ، وَأَقْطَفَتِ الثَّمَرَةُ، ويكون
 أَفْعَلْتُ الشَّيْءَ بمعنى وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ، كقولك: أَحْمَدْتُ الرَّجُلَ، إِذَا وَجَدْتَهُ
 مَحْمُودًا، وَأَبْخَلْتَهُ، إِذَا وَجَدْتَهُ بَخِيلًا.

وأما قوله: "أَعْتَقِ النَّسَمَةَ وَفُكَّ الرَّقَبَةَ" وسؤال الأعرابي مُسْتَفْرَقًا بينهما فقد
 سَبَقَ مِنْ بَيَانِهِ مَا وَقَعَ بِهِ الْفَصْلُ بَيْنَهُمَا لَمَنْ تَأَمَّلَهُ، وَإِبْضَاحُ ذَلِكَ أَنَّ الْإِعْتِاقَ
 فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِهْمَاءُ الشَّيْءِ غَايَتَهُ.

بالبادية في طريقه بين المدينة والبصرة، وهو ذاهب إلى خراسان وقد ولّاه عليها معاوية (سنة ٥٦)
 فأثبته سعيد على ما يقال عنه من العبث وقطع الطريق واستصلحه واصطحبه معه إلى خراسان،
 فشهد فتح سمرقند، وتنسك. وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في (مرو) وأحس بالموت فقال قصيدته
 المشهورة، وهي من غر الشعر، وعدّها ٥٨ بيتاً، مطلعها: ألا ليت شعري هل ابترت ليلة.. يجنب
 الغضى أزجي القلاص النواجيا.

^١ في ديوانه من قصيدته الشهيرة المشار إليها في الهامش السابق، وبعده: (خذاني فخراني بتوي
 إليكما

فقد كنتُ قبلَ اليومَ صعباً قيادياً).

أخبرني أبو عمَرَ أنا أبو العَبَّاسِ ثعلب عن ابن الأعرابي قَالَ: تَقُولُ: العرب للشيء إِذَا بلغ الغاية: قد عَتَقَ، قَالَ: وقال أعرابي: هذا أَوَانُ عَتَقَتِ الشُّقْرَاءُ، أَي سَبَقْتُ، ومعناه بَلَغَتْ غايةَ الشَّوْءِ، قَالَ: وَيُقَالُ: جَارِيَةٌ عَاتِقٌ، إِذَا أُذْرِكْتُ مَدْرَكَ النِّسَاءِ، وإِعْتَاقُ النِّسْمَةِ حَقِيقَتُهُ إِعْتَاقُ ذِي النِّسْمَةِ، والنِّسْمَةُ النِّفْسُ، وَسُمِّيَتْ نِسْمَةً لِتَنْسُمَهَا الرِّيحُ.

فإِعْتَاقُ النِّسْمَةِ إِتْمَا هُوَ إِطْلَاقُهَا مِنَ الْمَلِكِ وَتَخْلِيصُهَا مِنَ الرِّقِّ، وَأَمَّا الْفَكُّ فإِنَّمَا هُوَ كَالْحَلِّ وَالْفَتْحِ، يُقَالُ: فَكَّكْتُ يَدَ الرَّجُلِ، إِذَا فَتَحْتَهَا عَمَّا فِيهَا، وَسَقَطَ فَلَانٌ فَانْفَكَّتْ رِجْلُهُ، أَي انْخَلَعَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبَيَّنَ مِنَ الْمِفْصَلِ، فَالْفَكُّ عَلَى هَذَا إِتْمَا يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الْإِرْخَاءِ مِنَ الْوَثَاقِ وَالتَّنْفِيسِ عَنْهُ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي تَمَنِّيهَا"، أَي تُعِينَ غَيْرَكَ فَتُشَارِكُهُ فِيهَا، لَيْسَ بِأَنْ تَنْفَرِدَ بِهَا، وَفِي هَذَا مِنَ الْفَقْهِ أَنَّ الْكَلِمَةَ مِنَ خَطَابِ الشَّرِيعَةِ إِذَا أَمَكْنَ حَمْلُهَا عَلَى الْإِفَادَةِ لَمْ تُحْمَلْ عَلَى التَّكْرَارِ وَالْإِعَادَةِ، وَلِذَلِكَ طَالِبُ الْأَعْرَابِيُّ بِالْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ فِيهِمَا.

وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ، وَهِيَ الْعَزِيرَةُ الَّتِي يَكْفُ دُرُّهَا، أَي يُقَطَّرُ.
وَالْقَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحْمِ الْكَاشِحِ: الْعَطْفُ عَلَيْهِ وَالرُّجُوعُ إِلَى بَرِّهِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ"^١.

معنى الظِّلِّ: العِزُّ والمَنْعَةُ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

فَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى الظِّلِّ أَوْ فِي ظِلَالِهِ ظَلَمْتُ وَلَكِنْ لَا يَدِي لَكَ بِالظُّلْمِ

أَي لَوْ كُنْتُ ذَا عِزٍّ أَوْ فِي ظِلَالِ ذِي عِزَّة.

وفيه وجه آخر وهو أن يكون أراد بالظِّلِّ السِّتْرَ، كما يَقُولُ القَائِلُ للرجل الشَّرِيفِ: أَنَا فِي ظِلِّكَ، أَي فِي سِتْرِكَ وَدِرَاكِ، وَلَا أزالَ اللَّهُ عَنَّا ظِلِّكَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الكَلَامِ، وَمِنْ هَذَا ظِلُّ الشَّجَرَةِ، وَكَذَلِكَ ظِلُّ اللَّيْلِ إِنَّمَا هُوَ سِتْرُهُ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ^٣:

قَدْ أَعْسَفُ النَّازِحَ الْمَجْهُولَ مَعْسِفُهُ فِي ظِلِّ أَحْضَرَ يَدْعُو هَامَهُ الْبُومُ

^١ رواه الترمذي وأحمد والطبراني، بإسناد حسن.

^٢ هو الفرزدق، في ديوانه، وهو أحد بيتين في عمر بن لجأ، وهما:

مَا أَنْتَ إِذْ قَرَّمَا تَمِيمٍ تَسَاوِيَا أَخَا التَّيْمِ إِلَّا كَالشَّيْطَانِ فِي الْعَظْمِ

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى الْعِزِّ أَوْ فِي ظِلَالِهِ ظَلَمْتُ وَلَكِنْ لَا يَدِي لَكَ بِالظُّلْمِ

^٣ في ديوانه، من قصيدته التي مطلعها: (أَنَّ تَرَسَّمْتُ مِنْ حُرْقَاءَ مَنْزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ).

والمعنى عَلَى الْوَجْهَيْنِ مَعًا إِيْجَابُ طَاعَةِ الْأَمِّمَةِ وَالْأَمْرُ بِلِزُومِ الْجَمَاعَةِ، يَقُولُ: اسْتَظَلُّوا بِظِلِّهِمْ وَلَا تَشْفُوا الْعَصَا بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، وَيُصَدِّقُهُ حَدِيثُهُ الْآخَرُ عَنْ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا السُّلْطَانِ الَّذِي ذَكَتَ لَهُ الرِّقَابُ وَخَضَعَتْ لَهُ الْأَجْسَادُ مَا هُوَ؟ قَالَ: "ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، فَإِذَا أَحْسَنَ فَلَهُ الْأَجْرُ وَعَلَيْكُمْ الشُّكْرُ، وَإِذَا أَسَاءَ فَعَلَيْهِ الْإِضْرُ وَعَلَيْكُمْ الصَّبْرُ"^١.

يريد بالإضر: الوزر، وأصل الإضر العهد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} أي عهدي.

وقد يكون الظلُّ أَيْضًا بِمَعْنَى الْقُرْبِ وَالِدُنُوِّ، كَقَوْلِكَ: أَظَلَّنِي الْأَمْرُ وَأَظَلَّنَا شَهْرُ الصَّوْمِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالَ أَبُو صَخْرٍ الْهُدَلِّيُّ^٢:

وَرَتَّقَتِ الْمَنِيَّةُ فَهِيَ ظِلٌّ عَلَى الْأَبْطَالِ ذَانِيَةُ الْجَنَاحِ

والمعنى عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: الْقُرْبُ وَالِاخْتِصَاصُ.

وفيه وجه آخر وهو أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ظِلُّ اللَّهِ، أَي خَلِيفَتُهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي إِمْرَاءِ أَحْكَامِهِ وَإِقَامَةِ حُدُودِهِ، وَهَذَا مِنْ كَلَامِ التَّقْرِيبِ لَا مِنْ كَلَامِ التَّحْقِيقِ، وَذَلِكَ أَنَّ الظلَّ يُرَى أَبَدًا خَلِيفَةً لِلشَّمْسِ فِي ذَوَاتِ الْأَشْخَاصِ.

^١ ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته.

^٢ في قصيدته بديوان الحماسة ومطلعها: (رأيت فضيلة القرشي لما ... رأيت الخيل تشجر بالرماح). والشاهد بعد البيت الأول، وليس هذان البيتان في ديوان أبي صخر.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي بِعَرَفَاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"^١.

قوله: "أكثر دُعائي"، يريد: أكثر ما أفتخ به دُعائي، وذلك أن الداعي يفتتح دُعاءه بالثناء على الله ويُقدّمه أمام مسألته، فسمّى الثناء دعاءً؛ إذ كان مُقدّمةً له وذريعةً إليه، على مذهبهم في تسمية الشيء باسم سببه.

قال الحسين بن الحسن المروزي: سألت سفيان بن عُيينة عن هذا فقلت له: هذا ثناء وليس بدعاء! فقال: أما بلغك حديث منصور عن مالك بن الحارث يقول الله تعالى: "إذا شغل عبي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين"^٢، فقال: هذا تفسيره، ثمّ قال: أما بلغك ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى ابن جُدعان يطلب فضله ونائله فقال:

أَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ

إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

ثمّ قال: يا حُسيْنُ هذا مخلوقٌ يكتفي بالثناء عليه دون مسألته، فكيف بالخالق جلّ وعز.

^١ رواه البيهقي.

^٢ أخرجه البيهقي في (الاعتقاد) والترمذي، والدارمي، بألفاظ متقاربة.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِّمُ"^١.

ذكره أبو عبيد في كتابه فقال: الحَبَطُ أَنْ تَأْكُلَ الدَّابَّةُ فَتُكْثِرَ حَتَّى يَنْتَفِخَ لَدُنْكَ بَطْنُهَا أَوْ تَمْرَضَ عَنْهُ، يُقَالُ: حَبِطَتْ تَحْبِطُ حَبَطًا.

وهذا حديث طويل لم يذكر أبو عبيد منه إلا هذا الفصل، وفيه أمثال ومعانٍ يُتَّجَعُ إِلَى ذِكْرِهَا وَتَفْسِيرِ الْمُشْكَلِ مِنْهَا، وَنَحِبُ أَنْ نَسْرُدَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ لِنُبَيِّنَ مَوَاضِعَهَا مِنْهُ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ: "إِنَّ أَحْوَفَ مَا أَحَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ وَزَهْرَةِ الدُّنْيَا"، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ وَلَكِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ حَضِرَةٌ، وَمِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعَ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِّمُ، إِلَّا أَكَلَةَ الْخَضِرِ تَأْكُلُ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ حَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ ثُمَّ أَفَاضَتْ فَاجْتَرَّتْ، مَنْ أَحَذَ مَالًا بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَحَذَ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ"^٢.

^١ رواه البخاري ومسلم، في حديث طويل.

^٢ التخريج السابق.

قوله: "إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ وَلَكِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ حَضِرَةٌ"، مثلًا، يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ الْمَالَ وَاكْتِسَابَهُ غَيْرَ مُحَرَّمٍ، وَلَكِنَّ الْاِسْتِكْتَارَ مِنْهُ وَالخُرُوجَ مِنْ حَدِّ الْاِقْتِصَادِ فِيهِ ضَارٌّ، كَمَا أَنَّ الْاِسْتِكْتَارَ مِنَ الْمَاكِلِ مُسَقِّمٌ وَالاِقْتِصَادَ فِيهِ مَحْمُودٌ.

ونظيرُ هذا من الكلام قولُ الأحنفِ بنِ قيسٍ وقيل له: الحياءُ خَيْرٌ كله، فَقَالَ: إِنَّ مِنْهُ ضَعْفًا، يُرِيدُ أَنَّ مَا خَرَجَ مِنْ حَدِّ الْاِعْتِدَالِ لَمْ يَكُنْ خَيْرًا، لَكِنْ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ ضَعْفًا وَخَوْرًا، كَالجُودِ إِذَا أَفْرَطَ صَارَ سَرَفًا، وَكَالشَّجَاعَةِ إِذَا أَفْرَطَتْ صَارَتْ تَهَوُّرًا، وَكَالحَزْمِ إِذَا أَفْرَطَ صَارَ جُبْنًا، إِلَى مَا أَشْبَهَ هَذَا.

وقوله: "الدُّنْيَا حُلُوءٌ حَضِرَةٌ"، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الشَّيْءَ الْمَشْرِقَ حَضِرًا، تَشْبِيهًا لَهُ بِالنباتِ الْأَخْضَرِ، وَيُقَالُ إِذَا سَمِيَ الْحَضِرُ حَضِرًا لِحُسْنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَيُقَالُ: بَلَ سُمِّيَ حَضِرًا لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي مَكَانٍ أَحْضَرَ مَا حَوْلَهُ، يُقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ الْمَنْظَرُ مُونِقَةٌ تُعْجِبُ النَّاطِرِينَ وَتَحْلَى فِي أَعْيُنِهِمْ فَيَدْعُوهُمْ حُسْنُهَا إِلَى الْاِسْتِكْتَارِ مِنْهَا، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَضَرَّرُوا بِهِ، كَالْمَاشِيَةِ إِذَا اسْتَكْتَرَتْ مِنَ الْمَرْعَى حَبِطَتْ.

وسمعتُ الأزهرِيَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ: هُمَا مَثَلَانِ:

أما قوله: "وَأَنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِّمُّ" فهو مَثَلُ الْمَفْرِطِ الْحَرِيصِ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَمَنْعِهِ ذَا الْحَقِّ مِنْ حَقِّهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّبِيعَ يَنْبِتُ أَحْرَارَ

العُشْبُ الَّتِي تَحْلُولِيهَا الْمَاشِيَةُ فَتَسْتَكْثِرُ مِنْهَا حَتَّى تَنْتَفِخَ بِطُوقِهَا فَتَهْلِكُ، كَذَلِكَ الَّذِي يَجْمَعُ الدُّنْيَا وَيَجْرِصُ عَلَيْهَا وَيَمْنَعُ ذَا الْحَقِّ حَقَّهُ مِنْهَا يَهْلِكُ فِي الْآخِرَةِ بِدُخُولِ النَّارِ وَاسْتِجَابِ الْعَذَابِ.

وَأَمَّا مَثَلُ الْمُقْتَصِدِ الْمَحْمُودِ فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِلَّا آكَلَةَ الْخَضِرِ فَإِنَّمَا أَكَلْتُ حَتَّى إِذَا امْتَلَأْتُ خَوَاصِرُهَا اسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ أَرْتَعْتُ"، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَضِرَ لَيْسَ مِنْ أَحْرَارِ الْبُقُولِ الَّتِي تَسْتَكْثِرُ مِنْهَا الْمَاشِيَةُ فَتَنْهَكُهُ أَكْلًا، وَلَكِنَّهُ مِنَ الْجَنْبَةِ الَّتِي تَرَعَاهَا بَعْدَ هَيْجِ الْعُشْبِ وَيُبْسِيهَا، وَأَكْثَرُ مَا رَأَيْتُ الْعَرَبَ يَقُولُونَ الْخَضِرَ لِمَا كَانَ أَحْضَرَ مِنَ الْحَلِيِّ الَّذِي لَمْ يَصْفُرْ، وَالْمَاشِيَةُ مِنَ الْإِبِلِ تَرَعُ مِنْهُ سِنًّا سِنًّا وَلَا تَسْتَكْثِرُ مِنْهُ وَلَا تَحْبَطُ بِطُوقِهَا عَنْهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ طَرَفَةُ فَبَيَّنَ أَنَّهُ يَنْبْتُ فِي الصَّيْفِ فَقَالَ^١:

كَبَنَاتِ الْمَخْرِ يَمَادَنْ إِذَا أَنْبَتَ الصَّيْفُ عَسَالِيحَ الْخَضِرِ

فَالْخَضِرُ مِنْ كَلَاءِ الصَّيْفِ فِي الْقَيْظِ وَلَيْسَ مِنْ أَحْرَارِ الْبُقُولِ الرَّبِيعِ، وَالنَّعْمَ لَا تَسْتَوْبِلُهُ وَلَا تَحْبَطُ بِطُوقِهَا عَنْهُ.

^١ فِي دِيْوَانِهِ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا: (أَصْحَوْتُ الْيَوْمَ أَمَّ شَاقَتَكَ هُرِّ وَمِنْ الْخُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعْرِزٌ).

- فِي حُرُوفٍ مِنْ حَدِيثِ طَهْفَةَ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ النَّهْدِيِّ^١ لَمَّا وَقَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي كِتَابِهِ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ حَبَةِ الْعَرْنِيِّ وَفَسَّرَهُ فَقَالَ فِيهِ: "قَدْ نَشِيفَ الْمُدْهَنُ^٢ وَيَيْسَ الْجِعْثُنُ^٣ وَسَقَطَ الْأَمْلُوجُ^٤ وَمَاتَ الْعُسْلُوجُ^٥".

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْأَمْلُوجُ: جَمْعُ الْأَمَالِجِ، وَهُوَ وَرَقٌ كَالْعِيدَانِ يَكُونُ لَضَرْبٍ مِنْ شَجَرِ الْبَرِّ.

وفيه أيضاً: ولنا نعمٌ أغفال، لا تبضُّ بِلَالٍ، ووقيرٌ قليلُ الرِّسْلِ كثيرُ الرِّسْلِ، أصابته سنةٌ حمراءٌ مؤزلةٌ لَيْسَ بِهَا عَکَلٌ وَلَا هَلٌّ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْوَقِيرُ: الْعَنَمُ، وَالرِّسْلُ: اللَّبَنُ، وَالرِّسْلُ: مَا يُرْسَلُ مِنْهَا إِلَى الْمَرَعَى، يَرِيدُ أَنَّهَا كَثِيرَةُ الْعَدَدِ قَلِيلَةُ اللَّبَنِ.

^١ طهفة بن زهير النهدي: وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع حين وفد أكثر العرب، فكلمه بكلام فصيح، وأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله، وكتب له كتاباً إلى قومه بني نهد بن زيد.

^٢ المدهن: آلة الدهن، وقارورة الدهن.

^٣ الجعثن: أصول الشجر والنبات.

^٤ الأملوج: نوى شجر المهل.

^٥ العسلوج: ما لأن واخضر من قضبان الشجر والكرم أول ما ينبت.

^٦ رواه أبو نعيم في المعرفة، والديلمي في مسند الفردوس، في حديث طويل.

وفيه أيضاً: ولكم العارضُ والقريشُ، قال ابن قتيبة: العارضُ: المريضة، وهي التي أصابها كسر، والقريشُ: هي التي وضعت حديثاً، كالتفساء من النساء. وقال الأصمعي: فرسُ فريش، إذا حُمل عليها بعد التتاج بسبع، وهي كالرُبِّي. وفيه أيضاً: لا يُمنع سرحُكم ولا يُعضدُ طلحُكم ولا يُحبسُ درُكم، ما لم تُضمروا الإماق وتأكّلوا الرِّباق، قال ابن قُتيبة: وأصله الإماق، ثمَّ تُخفّف الهمزة، وهو من المأقة، والمأقة: الأنفةُ والحدة، يُقال: رجُلٌ معقٌ، إذا كان ذلك فيه، وإِما أراد بالإماق ههنا النكتُ والعذر، وسمي ذلك إِماقاً لأنه يكون من الأنفة والحميّة من أن يسمّعوا أو يُطيعوا ويُذعنوا بما ألزموه في أموالهم. هذا كلّه في كتاب ابن قُتيبة.

وفيه عن عمران بن الحصين: قد نشف المدهنُ وبيس الجعثنُ وسقط الأملوج من البكارَةِ. وفسرهُ العذريُّ فقال: يُريدُ البكرَ السمينَ يُدرِكُهُ الهزالُ. يريد أن السمينَ الذي قد علاه بما ارتعى من هذا الشجر قد سقط عنه فسماه باسم المزعى؛ إذ كان سبباً له كقول الشاعر يصف غيئاً:

أقبل في المُستنِّ من ربابه أسنمةُ الآبالِ في

سحابة^١

^١ وتماهما: أقبل كالمستن من ربابه ... كأنما الوابل في مصابه ... أسنمة الآبال في سحابة

وقوله: ووقير قليل الرِّسَل كثير الرِّسَل، قَالَ العُدْرِي: قوله: كثير الرِّسَل أي شديد التَّفَرَّق في طلب المرعى.

هذا أشبهه من قول ابن قُتَيْبَةَ إِنَّمَا كَثِيرَةُ العَدَد قَلِيلَةُ اللَّبَن؛ لِأَنَّ الحَال الَّتِي ذَكَرَهَا أَشْبَهه بِصِفَةِ الجَدْب، وَكَيْفَ يَصِفُهَا بِكَثْرَةِ العَدَد وَهُوَ يَقُولُ فِي أَوَّلِ هَذَا الحَدِيث: مَاتَ الوَدِيُّ وَهَلَكَ الهَدْيِيُّ، وَالهَدْيِيُّ: الإِبِلُ، وَهِيَ أَبْقَى عَلَى السَّنَةِ مِنَ الغَنَمِ، فَإِذَا هَلَكَ الإِبِلُ كَيْفَ تَسَلَّمَ الغَنَمُ وَتَنَمَّى حَتَّى يَكْثُرَ عَدَدُهَا، وَإِنَّمَا الوَجْهُ مَا قَالَه العُدْرِيُّ، وَهُوَ أَنَّهُ وَصَفَ قِلَّةَ المرعى وَعَزَّ الشَّجَرَ وَأَنَّ الغَنَمَ تَنَتَشَرُّ فِي طَلَبِ الرِّعْيِ أَرْسَالًا مُتَفَرِّقِينَ.

وقال العُدْرِي فِي رَوَايَتِهِ: وَلِكُمُ الفَارِضِ وَالفَرِيضِ، مَكَانَ الفَرِيضِ، وَالفَرِيضُ وَالفَارِضُ: المُسِنَّ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ: {لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ} وَفِي هَذِهِ الرَوَايَةِ: مَا لَمْ تُضْمَرُوا الرَّمَاقُ وَتَأْكَلُوا الرِّيَاقَ. قَالَ العُدْرِيُّ: وَالرَّمَاقُ التَّفَاقُ.

وَهَذَا هُوَ المَحْفُوظُ، وَهُوَ مُصَدَّرٌ: رَامَقْنِي رَمَاقًا، وَهُوَ نَظَرُ الكَاشِحِ الَّذِي يُضْمَرُ العِدَاوَةَ، فَذَلِكَ التَّنْظُرُ مِنْهُ يَدُلُّ عَلَى نَعْلِ الضَّمِيرِ وَسُوءِ الدِّخْلَةِ، يَقُولُ: مَا لَمْ يَفْعَلُوا هَذَا وَلَمْ يَخَالَفْ ظَاهِرُ أَمْرِكُمْ بَاطِنَهُ.

وفيه وجهٌ آخر وهو أن يكون ذلك من قولك: رَمَقْتُ عَلَى فلان، بمعنى ضَيَّقْتُ عَلَيْهِ، وَعَيْشُ فلانٍ رِماقٌ، أي ضيقٌ، ومعروفه رِماقٌ، أي يَسِيرٌ، قَالَ الرَّاجِزُ^١:

مَا وَجِزُ مَعْرُوفِكَ بِالرِّماقِ وَلَا مُؤاخِثُكَ بِالْمِذاقِ

يُقول: ما لم تَضُقْ صدوركم من أداءِ الحقِّ الواجب في أموالكم ولم تمنعوا من ذلك لأنه نفاقٌ ونكثٌ للعهد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا تُوبَ بِالصَّلَاةِ فَأَتْتَوْهَا وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتَمُّوا"^٢.

قوله: "تُوبَ بِالصَّلَاةِ"، أي دُعِيَ إِلَيْهَا، وَالأَصْلُ فِي التَّوْبِ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا جَاءَ فَرِعًا أَوْ مُسْتَصْرِحًا لَوْحَ بَثْوَبِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ كالدُّعاءِ وَالإِنذارِ، ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى سُمِّيَ الدُّعاءُ تَتْوِبِيًّا، قَالَ الشاعِر:

يَأْوِي إِلَى ساحتِهِ الْمُتَوَّبُ

^١ هو رؤبة، وهو في ديوانه من أرجوزته التي يمدح فيها بلال بن أبي بردة، ومطلعها: (قَدْ سَأَفِي مِنْ نازِعِ المِساقي قَدَّرَ وَحاجاتُ امرئٍ تَوَاقِي).

^٢ متفق عليه.

أي المستغيث، وقال ذو الرمة^١:

وإنَّ ثَوْبَ الدَّاعِي لها يالَ خِنْدِفٍ فِيا لَكَ مِنْ دَاعٍ مُعَرِّ ومُكْرِمٍ

والعامَّة لا تعرفُ التَّوْبَ في الأذانِ إلا قولَ المؤدِّنِ في أذانِ الفجرِ: الصَّلَاةُ حَيْرٌ من النَّوْمِ، قالَ: وإمَّا سُمِّيَ هذا القولُ تَثْوِيًّا لأنَّ المؤدِّنَ يرجعُ إِلَيْهِ مرةً بعدَ أُخْرَى فيقولُه، يُقالُ: ثابَّتْ إلى المريضِ نَفْسُهُ، إذا رَجَعَتْ إِلَيْهِ قُوَّتُهُ، وثابَّ إلى المرءِ عَقْلُهُ، ومنه اشتقَّ الثَّوْبُ، وتأويلُه ما يَثُوبُ إليك من فَضْلِ اللهِ في جزاءِ الأعمالِ الصالحةِ، وبه سُمِّيتِ المرأةُ تَيْبًا، وذلكَ لأنَّها تَثُوبُ إلى أهلِها من بيتِ زوجها.

وهذه مُقَطَّعاتٌ من الحديثِ لم يَحْضُرْني إسنادُها:

- جاء في الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتى قومَه فأضَلَّهُم.

حدَّثني الحسنُ بنُ خِلاَّدٍ قالَ: سَمِعْتُ أبا مُوسَى الَّذِي يُعْرَفُ بِالْحامِضِ يرويُه قالَ: ومعناه أَنَّهُ وَجَدَهُم ضالًّا، تقولُ العَرَبُ: أتيتُ بَنِي فُلانٍ فأحمدُهُم، أي وجدْتُهُم محمودين، وأبْجَلْتُهُم، وجدْتُهُم بُجلاءَ، وأضَلَلْتُهُم، وجدْتُهُم ضالًّا، قالَ الشاعرُ:

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (ألا أَيُّهَذَا المنزلِ الدارِسِ إِسْلِمٍ وَسُقِّيتِ صَوْبَ الباكِرِ المَعْتَمِ).
المعتميم).

أَوْ وَجَدَ شَيْخٌ أَصْلَ نَافِثَةٍ حِينَ تَوَلَّى الْحَجِيجُ
وَانْدَفَعُوا^١

ومن هذا قول عمرو بن معديكرب لبني سُلَيْمٍ: يا بني سليم قاتلناكم فما
أَجَبْنَاكُمْ، وهاجَبْنَاكُمْ فما أَفْحَمْنَاكُمْ، وسألناكم فما أَبْجَلْنَاكُمْ، يُرِيدُ ما
وجدناكم جُبْنَاءَ ولا بُخْلَاءَ ولا مُفْحَمِينَ، وقال آخر:

فَأَصَمَّمْتُ عَمْرًا وَأَعَمَيْتُهُ عَنِ الْجُودِ وَالْفَخْرِ يَوْمَ الْفَخَارِ
أَي وَجَدْتُهُ أَصَمَّ أَعْمَى.

- وفي حديثه: أن خُلِقَ كَانٌ سَجِيَّةٌ ولم يكن تَلَهُوْقًا^٢.

التَّلَهُوْقُ: التَّصَنُّعُ فِي الْكَلَامِ وَالْحَدِيثِ، يُقَالُ: هَوَّقَ الرَّجُلُ بِلِسَانِهِ، إِذَا أَظْهَرَ
مِنَ الْقَوْلِ مَا لَا يُضْمَرُهُ بِقَلْبِهِ.

- وفي حديثه: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي عَمِيرٍ فَرَأَهُ مَكْبُوتًا^٣.

^١ ضمن أبيات لها قصة في: أمثال العرب للمفضل الضبي.

^٢ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٣ رواه أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري ومسلم بألفاظ قريبة. وأبو عمير هو المذكور في حديث: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم سليم، ولها ابن من أبي طلحة، يكنى أبا عمير، وكان يمازحه، فدخل عليه، فرآه حزينا، فقال: ما لي أرى أبا عمير حزينا؟ فقالوا: مات نغره الذي كان يلعب به، فجعل يقول: أبا عمير، ما فعل النغير؟».

أي: حزينًا كمدًا، ومثله المأكوم والموكوم.

- وفي حديثه: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ إِذَا صَارَتِ الشَّمْسُ كَالْأَثَرِ^١.

أراه من ثُروب الشَّحْم، وهي سماحيق رفاق من الشحم تشبه الشمس بها إذا رَقَّ ضَوْؤُهَا عند العشيِّ ووضَعَفَ نُورُهَا عند اقتراب غروبها، وواحد الثُّروب ثَرْبٌ، والأَثَرِ جَمْعُ الجمع، كأنه جمع الثَّرْبِ أَثَرًا ثُمَّ جمعها آثارب.

- وفي حديثه أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ أَرَاهُ مِنَ الْأَنْصَارِ: "أَنْتَ طَيِّبٌ طَيِّبُ الْوَرَقِ"^٢.
ويقال إنه قال: ذَلِكَ لِعِمَارٍ، يريد بالورق النسل والولد، يُقَالُ لِلصَّبِيَّانِ: الْوَرَقُ تشبيهاً لهم بالورق الذي يتولد من الأغصان، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: وَرَقُ الْقَوْمِ أَحْدَاثُهُمْ، وَأَنْشَدَ^٣:

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٣ وهو هلدبة بن الخشرم: هلدبة بن خشرم العذري: من شعراء بادية الحجاز، وهو شاعر فصيح مقدم، وكان راوية الخطيئة، وأكثر شعره ما قاله في أواخر حياته حين سجن وقبيل قتله، وكان هلدبة قد قتل زيادة بن زيد العذري في خلاف نشب بينهما فقتل به قودًا، وشعر هلدبة في رويته وبديته سواء عند الأمن والخوف، لقدرته وسكون جأشه وقوة غريزته، عاش حتى زمن معاوية بن أبي سفيان وتوفي نحو سنة ٥٠ هـ.

تَرَى وَرَقَ الْفَيْتَانِ فِيهَا كَأَنَّهم دَرَاهِمُ مِنْهَا جَائِزَاتُ
وَرُؤُفٌ^١

وَيُرَوَى أَنَّ عَمَّارًا دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: "مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطِيبِ"^٢.

ومعنى الطيب ههنا: الطاهر، كقوله جَلَّ وَعَزَّ: {فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} أي طاهرًا.

- وفي حديث: أَنَّهُ لَعَنَ الرُّكَاكَةَ^٣.

وتفسيره: الَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الضَّعْفُ، أَي ضَعْفُ الْعَيْرَةِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَطَرٌ رِكٌّ، أَي: ضَعِيفٌ.

وَيُقَالُ: رَجُلٌ رَكِيكٌ وَرُكَاكَةٌ، إِذَا كَانَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ.

- وَفِي حَدِيثِهِ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ الَّتِي سَمَّتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَدَتَ إِلَى سِمٍّ لَا يُطْنِي^٤: أَي لَا يَسْلَمُ مِنْهُ مَنْ سَمَّ بِهِ، يُقَالُ: أَفْعَى لَا تُطْنِي، أَي لَا يُفْلِتُ سَلِيمُهَا.

^١ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَتُنَكِّرُ رَسَمَ الدَّارِ أَمْ أَنْتَ عَارِفٌ أَلَا لَا بَلِ الْعِرْفَانُ فَالْدَمْعُ ذَارِفٌ).

^٢ أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه، وصحح الألباني إسناده في صحيح ابن ماجه.

^٣ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٤ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

- وَفِي حَدِيثِهِ: أَنَّهُ لَعَنَ الْعَارِفَةَ^١.

يريدُ بالعارفة التي تَجُرُّ ناصيتها عند المُصيبة، يقال: عَرَفْتُ ناصيةَ الفرس، إذا جَرَزَها.

- وَفِي حَدِيثِهِ: أَنَّهُ أَقْطَعَ مِنْ أَرْضِ الْمَدِينَةِ مَا كَانَ عَفَاءً^٢.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: عَفَاءُ الْأَرْضِ مَا كَانَ عَافِيًا، أَي دَارِسًا لَيْسَ فِيهِ لِمُسْلِمٍ وَلَا لِمُعَاهِدٍ شَيْءٌ.

- وَفِي حَدِيثِهِ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُهْدِي إِلَيْهِ كُلَّ عَامٍ رَاوِيَةً مِنْ خَمْرٍ، فَجَاءَهُ بِهَا عَامَ حُرْمَتٍ، فَهَتَّتَهَا فِي الْبَطْحَاءِ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "فَبَعَّهَا"^٣.

قَوْلُهُ: هَتَّتَهَا، مَعْنَاهُ صَبَّهَا فَانْدَفَعَتْ وَهِيَ تَهَبُّ، أَي تَحْكِي صَوْتَ الْمُخْنُوقِ، وَهُوَ الْهَتَيْتُ، وَبَعَّهَا: كَالأَوَّلِ، إِلَّا أَنَّهُ أَكْثَرُ وَأَوْسَعُ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْبِعَاعِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْمَطْرِ، يُقَالُ: بَعَّ الْمَطْرُ بَيْعَ بَعًّا وَبِعَاعًا.

- وَفِي حَدِيثِهِ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَقَابِرَ فَقَالَ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَصَبْتُمْ خَيْرًا بَجِيلًا وَسَبَقْتُمْ شَرًّا طَوِيلًا"^٤.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٣ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٤ رواه ابن ماجه في السنن كتاب الجنائز.

الْبَجِيلُ: الضَّحْمُ، يُقَالُ: رَجُلٌ بَجِيلٌ وَبَجَالٌ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُمْ: بَجَلُ فُلَانٍ فُلَانًا، إِذَا عَظَّمَهُ.

- وفي حديثه: أَنَّ أَصْحَابَهُ لَمَّا هَاجَرُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبْشَةِ قَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: امْكُثُوا فَأَنْتُمْ سَيُومٌ^١.

تفسيره في الحديث الأمان، قالوا: السيوم: الآمنون.

وفي قصة النجاشي أيضا أنهم لما دخلوا عليه قال لهم: نُحِرُوا، أَي: تَكَلَّمُوا، وَلَسْتُ أَدْرِي أَهْوَى مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَمْ لَا، وَقَدْ كَانَ النَّجَاشِيُّ مُسْتَعْبَدًا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَلَّكَ.

- في حديثه أَنَّهُ قَالَ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ: "مَنْ كَانَ مَعَهُ تُفْلٌ فَلْيَصْطِنِعْ"^٢.
يُرِيدُ بِالتُّفْلِ الدَّقِيقَ وَنَحْوَهُ مِمَّا لَا يُشْرَبُ فَيَكُونُ سَوِيْقًا أَوْ نَحْوَهُ.

- وفي حديثه: أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَقَطَّ فِي رَأْسِهِ وَارْبَدَّ وَجْهُهُ وَوَجَدَ بَرْدًا فِي أَسْنَانِهِ^٣.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٣ رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى.

الوقظُ لَعَةً: في الوقذ، يريدُ أَنَّهُ كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ تُقْلَ رَأْسُهُ، مِنْ قَوْلِكَ: وَقَذْتُ الرَّجُلَ أَقْدَهُ، وَقَذْتَهُ الْحُمَى، وَمِنْهُ الْمَوْقُودَةُ الَّتِي حَرَّمَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَهِيَ الدَّبِيحَةُ تُضْرَبُ بِخَشَبٍ أَوْ غَيْرِهِ مِمَّا تَقْتُلُ بِثِقَلِهِ حَتَّى تَرْهَقَ نَفْسُهَا.

وَارِبَدٌ: مِنَ الرَّبْدَةِ، وَهِيَ لَوْنٌ إِلَى الْكُمُودَةِ وَالسَّوَادِ.

وفيه وجه آخر وهو أن يُرَوَى بِالطَّاءِ الَّتِي هِيَ أخت التَّاءِ، يُقَالُ: ضَرَبَهُ فَوْقَطَهُ، إِذَا صَرَعَهُ صَرَعَةً لَا يَقُومُ مِنْهَا، وَالْمَوْقُوطُ الصَّرِيعُ.

- وَفِي حَدِيثِهِ: أَنَّهُ صَلَّى فِي مَسْجِدِ بَيْتِي فِيهِ عَيْشُومَةٌ^١.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْعَيْشُومُ نَبْتُ، قَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الْحَمَّاضُ إِذَا بَيَسَ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ^٢:

كَمَا تَنَاوَحَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومٌ

وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ الْخُزَاعِيِّ: هِيَ شَجَرَةٌ خَضْرَاءُ كَأَنَّهَا إِذْخَرَةٌ، قَالَ: وَقَالَ الْأَزْرَقِيُّ: فَيُقَالُ لَهُ مَسْجِدُ الْعَيْشُومَةِ؛ فِيهِ عَيْشُومَةٌ خَضْرَاءُ أَبَدًا فِي الْخُصْبِ وَالْجَدْبِ.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أَنَّ تَرَسَّمَتْ مِنْ حَرَقَاءَ مَنزِلَةً مَاءُ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ). وتمام الشاهد: (لِلْحَيِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلٌ كَمَا بَحَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومٌ).

- فِي حَدِيثِهِ: أَنَّهُ أَعْطَى الْعَطَايَا يَوْمَ حُنَيْنٍ فَارِعَةً مِّنَ الْغَنَائِمِ^١.
 يريد أنه أعطأها من رأس الغنائم ومن أعلاها قبل أن تُخَمَّسَ وَتُقَسَّم، وأصله
 من: فَرَعَ الشَّيْءُ، إِذَا طَالَ وَارْتَفَعَ، وَرَجُلٌ فَارِعٌ الْجِسْمُ، إِذَا كَانَ طَوِيلًا مُشْرِفًا.
 - وَفِي حَدِيثِهِ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَرَّ بِامْرَأَةٍ كَانَتْ تَنْظُرُ وَتَعْتَأُ،
 فَدَعَتْهُ أَنْ يَسْتَبْضِعَ مِنْهَا^٢.

قوله: تَنْظُرُ، أَي تَتَكَهَّنُ، وَتَعْتَأُ: مِنْ عِيَاةِ الرَّجْرِ.

وَالاسْتَبْضَاعُ: نَوْعٌ مِنْ نِكَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ النِّكَاحُ عِنْدَهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ
 أَنْحَاءٍ، وَهُوَ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذَا يُذَكَّرُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

- وَفِي حَدِيثِهِ أَنَّهُ قَالَ: "تَفْتَحُ الْأَرْيَافُ فَيُخْرِجُ إِلَيْهَا النَّاسُ ثُمَّ يُبْعَثُونَ إِلَى
 أَهْلِيهِمْ إِنَّكُمْ بِأَرْضِ جَرْدِيَّةٍ"^٣.

الْجَرْدِيَّةُ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْجَرْدِ، وَهِيَ كُلُّ أَرْضٍ لَا نَبَاتَ بِهَا وَلَا شَجَرَ، يُقَالُ:
 جَرَدَتِ الْأَرْضُ جَرْدًا، وَسَنَةٌ جَرْدَاءٌ، أَي قَحْطَةٌ.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ انظر كتب السيرة النبوية.

^٣ انظر: مغازي الواقدي، وإمتاع الأسماع للمقريزي.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: سَأَلْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالَتْ: سَنَةٌ جَرِدَتْ وَأَيْدٍ جَمَدَتْ وَحَالٌ جَهْدَتْ فَهَلْ فَاعِلٌ لِلخَيْرِ أَوْ دَالٌّ عَلَيْهِ، رَحِمَ اللَّهُ مَنْ رَحِمَ وَأَقْرَضَ مِنْ لَا يَظْلَمُ.

- وَرَوَى بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ حَدِيثًا إِنْ فَلَانًا كَانَ حَرَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^١.

وَفَسَّرَهُ فَقَالَ: إِنْ أَشْرَفَ الْعَرَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَمَّسُونَ فِي دِينِهِمْ إِذَا حَجَّ أَحَدُهُمْ لَمْ يَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ رَجُلٍ مِنَ الْحَرَمِ وَلَمْ يَطْفُفْ إِلَّا فِي ثِيَابِهِ، فَكَانَ لِكُلِّ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ رَجُلٌ مِنْ قَرِيشٍ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَرَمِيٌّ صَاحِبُهُ. - وَفِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ قَالَ: انْطَلَقْنَا مَعَهُ إِلَى بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَطْعِمِينَا، فَجَاءَتْ بِدَشِيشَةٍ فَأَكَلْنَاهَا^٢.

الدشيشة: لغة في الجشيشة^٣.

- وَفِي حَدِيثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى صَعْدَةَ يَتَّبِعُهَا حُدَاقِيٌّ عَلَيْهِهَا قَوْصَفٌ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا قَرَفَرُهَا.

^١ انظر: الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد الهروي.

^٢ رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وضعف الألباني إسناده في ضعيف الترغيب والترهيب.

^٣ الجشيش: حنطة تطحن قليلا فتجعل في قدر ويلقى فيها لحم أو تمر فيطبخ.

رُوي ذَلِكَ عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي كِتَابِ غَرِيبِ الْحَدِيثِ لَهُ، قَالَ: وَالصَّعْدَةُ: الْأَتَانُ، وَالْحُدَاقِي: الْجَحْشُ، وَالقَّوْصَفُ: الْقَطِيفَةُ، وَالقَرَقَرَةُ ظَهْرُهَا. تم أحاديث النبي.

وهذا أيضاً زيادات في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم:

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَثَلُ مَا آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، وَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ فِيهَا أَجَارِدٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى إِثْمًا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً"^١.

حَدَّثَنِيهِ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْمَاعِيلِيُّ^٢ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَجَادِبُ، بِالْجِيمِ وَالذَّلِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَحْبَرَنِي أَبُو يَعْلَى نَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ بِإِسْنَادِهِ فَقَالَ: أَحَارِبُ، بِالْحَاءِ وَالرَّاءِ.

^١ متفق عليه.

^٢ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي (٢٧٧ - ٣٧٠ هـ)

(هـ) أحد كبار شيوخ الشافعية في عصره.

واللَّفْظَانِ مَعًا غَلَطٌ وَتَصْحِيفٌ، وَإِنَّمَا هُوَ الْأَجَارِدُ، بِالْجِيمِ وَالرَّاءِ وَالِدَالِ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الْأَجَارِدُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَا تُنْبِتُ، يُقَالُ أَرْضٌ جَرْدَاءٌ وَمَكَانٌ أَجْرَدٌ، وَالْجَرْدُ مِنَ الْأَرْضِ فُضَاءٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ أَطْرَقَ مُسْلِمًا فَعَقَّتْ لَهُ الْفَرَسُ كَانَ كَأَجْرِ سَبْعِينَ فَرَسًا حَمَلَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^١.

قوله: "عَقَّتْ لَهُ الْفَرَسُ" معناه حَمَلَتْ، واللغة العالية: أَعَقَّتْ، بالألف، يقال: أَعَقَّتْ الْفَرَسُ تُعَقُّ، فَهِيَ مُعَقٌّ وَعَقُوقٌ، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ فَلَمَّا فَاتَهُ ذَاكَ رَامَ بِيضَ

الْأَنُوقِ^٣

وقال: أَقَصَّتِ الْفَرَسُ وَالْأَتَانُ، فِي أَوَّلِ حَمَلِهَا، وَأَعَقَّتْ، إِذَا اسْتَبَانَ حَمَلُهَا، وَيُقَالُ: إِذَا سَبَّيْتُ عَقُوقًا إِذَا نَبَتِ الْعَقِيقَةُ فِي بطنِهَا عَلَى الْوَلَدِ، وَهِيَ الشَّعْرُ الَّذِي يُوَلَدُ بِهِ الْوَلَدُ.

^١ رواه ابن الملقن في تحفة المحتاج بإسناد صحيح أو حسن، كما اشترط على نفسه في المقدمة.

^٢ ينسب إلى معاوية بن أبي سفيان وهو في ديوانه.

^٣ وهو مثل يضرب لما لا يكون ولا يوجد.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "الْحِفُّوا الْمَالَ بِالْفَرَائِضِ، فَمَا أَبَقَتِ السِّهَامُ فَلَأُولَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٌ"^١.

قوله: أُولَى، معناه أدنى وأقرب نسبًا، مأخوذٌ من الوَلِي، وهو الثُّرْب، قَالَ الشَّاعِرُ^٢:

وَشَطَّ وَوِي النَّوَى إِنَّ النَّوَى قَذَفَ نَيَّاحَةً غَرَبَةً بِالْدَّارِ أَحْيَانًا
ومنه اشْتُقَّ الْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي الْيَتِيمَ أَمْرَهُ، وَعَلَى الْمَرْأَةِ عَقْدَ نِكَاحِهَا لِأَنَّهُ قَدْ
جُعِلَ أَقْرَبَ النَّاسِ مِنَ الْمَوَالِي عَلَيْهِ.

وقد يَحْتَجُّ بِهَذَا الْحَدِيثِ مَنْ لَا يَرَى الْأَخَوَاتِ مَعَ الْبَنَاتِ عُصْبَةً، وَهُوَ مَذْهَبُ
ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْهٍ، وَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا خَاصًّا فِي الْعُمُومَةِ
مَعَ الْعَمَّاتِ وَبَنِي الْعُمُومَةِ وَبَنِي الْإِخْوَةِ وَمَنْ أَشْبَهَهُمْ مِنَ الْعُصْبَةِ إِذَا كَانَ مَعَهُمْ
أَخَوَاتٌ، وَلَيْسَ هَذَا فِي الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ وَالْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ؛ لِأَنَّ مَنْ تَرَكَ امْرَأَةً
وَأُمَّمًا وَبَنِينَ وَبَنَاتٍ أَوْ إِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ فَلَا خِلَافَ أَنَّ الْبَاقِي بَعْدَ فَرَضِ الْمَرْأَةِ

^١ متفق عليه. والحديث في توزيع الموارث وقسمتها على مستحقيها.

^٢ هو الكميته، في ديوانه وهو بيت فرد بلفظ: (وَشَطَّ وَوِي النَّوَى إِنَّ النَّوَى قَذَفَ نَيَّاحَةً غَرَبَةً بِالْدَّارِ أَحْيَانًا).

والأمم بين البنين والبنات أو الإخوة والأخوات للدُّكر مثل حَظِّ الأنثيين، ولو كَانَ الحديث على ما تَأَوَّلُوهُ كَانَ الباقي بعد فَرَضِ المرأةِ والأمِّ لابنٍ أو للأخ دون أخواته.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الشَّمْسَ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَارَنَهَا وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارْقَهَا"^١. وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "إِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ"^٢.

فيه أقوال: أحدها أَنَّ قَرْنَيْ الشَّيْطَانِ نَاحِيَتَا رَأْسِهِ، وَقِيلَ: قَرْنَاهُ جَمْعُهُ اللَّذَانِ يُعْرِيهُمَا بِإِضْلَالِ الْبَشَرِ، يُقَالُ: هَؤُلَاءِ قَرْنٌ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَالُ: مَعْنَى الْقَرْنِ الْإِقْتِرَانُ، يُرِيدُ أَنَّهُ يَظْهَرُ مَعَ الشَّمْسِ مَقَارِنًا لَهَا، وَقِيلَ مَعْنَى الْقَرْنِ: الْقُوَّةُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرُونَ لِدَوَاتِ الْقُرُونِ أَسْلِحَةٌ، يُقُولُ: إِنَّ الشَّمْسَ إِذَا تَطْلَعَتْ حِينَ قُوَّةِ الشَّيْطَانِ، أَي وَقْتُ يَقْوَى فِيهِ أَمْرُ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ أَنَّ عَبْدَةَ الشَّمْسِ يَرْضُدُونَ بِصَلَاتِهِمْ وَقْتَ بُزُوعِهَا، فَإِذَا بَزَعَتْ سَجَدُوا لَهَا، وَذَلِكَ مِنْ تَسْوِيلِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ، فَهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لِتَكُونَ صَلَاةً مِنْ عَبَدِ اللَّهِ فِي غَيْرِ وَقْتِ صَلَاةٍ مَنْ عَبَدَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

^١ ذكره الألباني في هداية الرواة وصححه إسناده.

^٢ رواه مسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ^١ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مُرَاسِلًا، يَعْنِي نَيْبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ: "فَهَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ"^٢.

قَالَ الْكِسَائِيُّ: امْرَأَةٌ مُرَاسِلٌ، وَهِيَ الَّتِي مَاتَ زَوْجُهَا أَوْ طَلَّقَهَا، وَقَالَ الْمَازِنِيُّ نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْشَدَ^٣:

يَمْشِي هُبَيْرَةٌ بَعْدَ مَقْتَلِ شَيْخِهِ مَشْيَ الْمُرَاسِلِ بُشِّرَتْ بِطَلَاقِ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ عَلَى جَيْشِ السَّلَاسِلِ، قَالَ: فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا جَبَلَ طَبِئٍ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَنْظَرُوا رَجُلًا يَتَجَنَّبُ بِنَا الطَّرِيقَ وَيَأْخُذُ بِنَا الْمَقَاوِرَ، فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا رَافِعَ بْنَ عَمْرٍو فَإِنَّهُ كَانَ رَيْبِلًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ^٤.

قَالَ الْمُحَدِّثُ: فَسَأَلْتُ طَارِقَ بْنَ شَهَابٍ مَا الرَّيْبِلُ؟ قَالَ: اللَّصُّ الَّذِي يَعْزُو الْقَوْمَ وَحَدَهُ.

^١ هو جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

^٢ رواه البخاري ومسلم، وليس عندهما لفظة (مراسلا).

^٣ هو لجرير، في ديوانه من قصيدته لبني ربيعة بن مالك، ومطلعها: (سيروا فربُّ مُسَبِّحِينَ وَقَائِلٍ هَذَا شَقًّا لَيْتِي رَيْبَعَةٌ بَاقِي).

^٤ رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق.

وأراه الرَّبْبَل، الحَرْفُ السَّقِيمُ قَبْلَ الحَرْفِ الصَّحِيحِ، قَالَ اللِّيثُ: يُقَالُ: ذِئْبٌ رِبَالٌ، وَلِصُّ رِبَالٌ، وَهُوَ مِنَ الجِرَاءِ وَارْتِصَادِ الشَّرِّ، يُقَالُ: فَعَلَ ذَلِكَ عَن رَابِلَتِهِ وَحُبَّتِهِ.

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في خبرٍ ذكره في كتاب الديباج، خرج أوفى بن مطر وشهاب الخزاعي وفلان يترابلون، أي يعزّون ويشرّفون وحدهم. وقال غيره: كان أوفى بن مطر وسليك بن سلكة وتأبط شراً والشنقرى يُسمّون ربابيل العرب؛ لأنهم كانوا يعزّون على أرجلهم وحدهم.

قال: وسُمِّي الأسدُ: رببالاً؛ لأنّه يُغيّر وحده؛ قال ابن دُرَيْدٍ: اشتقاق الرِّبَالِ فِي اسْمِ الأَسَدِ مِنْ تَرْبُلٍ لِحِمِهِ وَغِلْظِهِ، وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ، فَعَلَى هَذَا القَوْلِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ رَبِيلاً عَلَى مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ قَطُّ إِلَّا قَالَ حِينَ يَنْهَضُ مِنْ جُلُوسِهِ: "اللَّهُمَّ بِكَ ابْتَسَرْتُ وَإِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ وَبِكَ اعْتَصَمْتُ"^١.

قوله: "ابْتَسَرْتُ" أي ابتدأتُ بسفري، وكلّ شيء أخذته غضّاً فقد بَسَرْتَهُ وَابْتَسَرْتَهُ، يُقَالُ: ابْتَسَرْتُ المَاءَ، إِذَا أَخَذْتَهُ سَاعَةً يَنْزِلُ مِنَ المُنْزَنِ، وَالبُسْرُ: المَاءُ سَاعَةً يُمَطَّرُ، وَبَسَرْتُ النَبَاتَ أَبْسُرُهُ بَسْرًا، إِذَا رَعَيْتَهُ غَضًّا.

^١ رواه البيهقي في السنن الكبرى.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ النِّسَاءَ مِنْ أَسْفَهِ الشُّفَهَاءِ إِلَّا صَاحِبَةَ الْقِسْطِ وَالسِّرَاجِ"^١.

قَالَ بَقِيَّةٌ: هي التي تقوم على رأس زوجها بالسراج تُوضِّئُه الماء.

وأراد بالقِسْطِ الإِنَاءَ الَّذِي تُوَضِّئُه فِيهِ، والقِسْطُ: نِصْفُ صَاعٍ، قاله أبو عبيد وغيره.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ مَنَحَ مَنِحَةً وَرِقٍ أَوْ لَبَنٍ أَوْ هَدَى زُقَاقًا فَهُوَ عَدْلٌ رَقَبَةٌ"^٢.

مَنِحَةُ الْوَرِقِ: هي الْقَرْضُ، قاله أحمد بن حنبل، ومعنى المنيحة إباحة المنفعة مع استيفاء الرقبة، ومنه مَنِحَةُ الْعَنَمِ، وهو أن تمنحه شاةً حلوبًا يشرب لبنها فإذا جُبَّتْ رَدَّهَا إِلَى صَاحِبِهَا.

في هذا دلالة على أَنَّ عَيْنَ الْقَرْضِ مَا دَامَتْ بَاقِيَةً كَانَتْ مِلْكًا لِلْمُقْرِضِ وَإِنْ كَانَتْ دَرَاهِمٌ أَوْ دَنَانِيرٌ كغيرها من المتاع.

وقوله: هدى زُقَاقًا، معناه تَصَدَّقَ بِزُقَاقٍ مِنَ النَّخْلِ فجعله هَدِيًّا، والزُّقَاقُ الطريقة المستوية الْمُصْطَقَّةُ مِنَ النَّخْلِ، وهو السِّكَّةُ أَيْضًا، إِلَّا أَنَّ السِّكَّةَ أَوْسَعُ مِنَ الزُّقَاقِ.

^١ رواه الطبراني في مسند الشاميين، وذكره الطبري في التفسير.

^٢ أخرجه الترمذي وأحمد، وصحح الألباني إسناده في صحيح الترمذي.

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ أَوْ فَرَسٌ مَأْمُورَةٌ"^١.

ويحتمل أن يكون معنى قوله: هَدَى زُقَافًا، من هِدَايَةِ الطَّرِيقِ والدَّلَالَةِ عليه، والله أعلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"^٢.

معنى الإحصاء في اللغة على ثلاثة أوجه: أحدها الإحصاء الَّذِي هُوَ بمعنى العَدِّ، كقوله تَعَالَى: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، والثاني بمعنى الإِطَاقَةِ، كقوله سبحانه: {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ}، أي لن تطيقوه، والثالث بمعنى العقل والمَعْرِفَةِ، وَيُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: أَحْصَيْتُ كُلَّ الْقُرْآنِ إِلَّا حَرْفَيْنِ، يريد: أَدْرَكْتُ عِلْمَهُ وَعَقَلْتُ مَعْنَاهُ. ويقال: فلان ذو حِصَاةٍ، إِذَا كَانَ ذَا عَقْلٍ وَتَحْصِيلٍ، قال الشاعر^٣:

وَأَنَّ لِسَانَ الْمَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ حِصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلٌ

^١ رواه أحمد في السنن والبيهقي في السنن الكبرى والطبراني في المعجم الكبير.

^٢ متفق عليه.

^٣ هو طرفة، في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (لِهِنْدٍ بِحِرَانِ الشَّرِيفِ طُلُوعٌ تَلُوخٌ وَأَدْنَى عَهْدِهِنَّ مُحِيلٌ).

فَمَنْ حَمَلَ الْخَبَرَ عَلَىٰ مَعْنَى الْإِحْصَاءِ الَّذِي هُوَ الْعَدُّ قَالَ إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ يَعِدُّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ ذَاكِرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُثْنِيًّا عَلَيْهِ بِهَا، وَاسْتَدَلَّ فِي ذَلِكَ بِأَنَّ التَّسْعَةَ وَالتَّسْعِينَ لَمَا كَانَتْ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ ثُمَّ عَطَفَ بِالْإِحْصَاءِ عَلَيْهَا عَلِيمٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ إِحْصَاءَ الْعَدَدِ دُونَ غَيْرِهِ.

وَمَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْإِطَاقَةِ قَالَ: مَعْنَاهُ أَنْ يُطِيقُ الْقِيَامَ بِحَمَلِهَا فِي مَعَامَلَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ بِهَا وَمُطَابَقَةِ النَّفْسِ بِمَوَاجِبِهَا، فَيُخْطِرُ بِقَلْبِهِ مَعْنَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ إِذَا سَمَّاهُ عَفْوًا وَعَفْوَرًا فَيَرْجُو مَغْفِرَةَ اللَّهِ وَعَفْوَهُ، وَيَحْذَرُ نِقْمَتَهُ إِذَا قَالَ الْمُنْتَقِمَ، وَيَتَّقِي بِمَا وَعَدَ مِنَ الرَّزْقِ وَتَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسُهُ إِلَى مَا ضَمِنَهُ مِنْهُ إِذَا قَالَ الرِّزَاقَ، وَإِذَا قَالَ رَقِيبَ رَاقِبِ رَبِّهِ وَعَلِمَ أَنَّهُ مَطَّلَعٌ عَلَى سِرِّهِ، إِلَى مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا مَعَانِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ.

وَأَمَّا مَنْ تَأَوَّلَهُ عَلَى الْإِحْصَاءِ الَّذِي هُوَ الْعَقْلُ وَالْمَعْرِفَةُ قَالَ: مَعْنَاهُ مَنْ عَرَفَهَا وَعَقَلَ مَعَانِيهَا وَأَمِنَ بِهَا اسْتَحَقَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ.

وهذه الأقاويل الثلاثة كلها متوجهة غير بعيدة، والله أعلم.

حروف في حديث أم زرع:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً اجْتَمَعْنَ فَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَحْبَابِ
أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: ابْنَةُ أَبِي زَرِّعٍ وَمَا ابْنَةُ أَبِي زَرِّعٍ
طَوُّعٌ أَبِيهَا وَطَوُّعٌ أُمُّهَا وَعَظِيمٌ جَارَتُهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَصِفْرُ رِدَائِهَا^١.

لم يقع هذا الحرف فيما فَسَّرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، يريد بذلك أَنَّ أعلاها شَطْبٌ غير
عبل، فرداؤها صِفْرٌ لا يمتلئ منه، وأسفلها رِدَاحٌ ثقيل يَمَلَأُ الكِسَاءَ إِذَا تَغَطَّتْ
به، وتوصف به النساء، ويُحمد ذَلِكَ من خلقهن، يقال قضيب في كتيب،
قَالَ الْأَعَشَى^٢:

صِفْرُ الرِّدَاءِ وَمِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ إِذَا تَأْتَى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ عَنِ لِبَاسِ الْقَسِيِّ الْمُتَرَجِّ^٣.
قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: يَعْنِي بِالْمُتَرَجِّ ههنا الْمُشْبَعُ حُمْرَةً.

وَلَسْتُ أَعْرِفُ حَقِيقَةَ هَذَا وَلَا أَدْرِي مَا أَصْلُهُ، فَأَمَّا الْقَسِيُّ فَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى
مَوْضِعٍ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي كِتَابِهِ، وَيُقَالُ إِنَّ الْقَسِيَّ هُوَ الْقَزِيَّ، أَيِ الْمَعْمُولِ
مِنَ الْقَزِ.

^١ رواه البخاري ومسلم.

^٢ في ديوانه من قصيدته الشهيرة: (وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرِّجَالُ).

^٣ رواه مسلم.

- فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَنْذَرَهُمْ فَقَالَ أَبُو هَبَبٍ: هَدَّ مَا سَحَرَكُمُ صَاحِبُكُمْ.

قوله: هَدَّ ما سَحَرَكُم، كلمة تعجب، معناها: ما أسحر صاحِبَكُم وما أعلمه بالسحر، تُقُولُ العرب: هَدَّ الرَّجُلُ رَجُلًا، أي ما أشده من رَجُلٍ وَأَشَجَّعَهُ، ويقال: هَدَّكَ من رَجُلٍ، بمعنى حَسْبُكَ، وأنشد ابن الأعرابي^١:

وَلِي صَاحِبٌ فِي الْغَارِ هَدَّكَ صَاحِبًا^٢

يصف ذئبًا.

قَالَ: ومعنى هَدَّكَ أي ما أجَلَّهُ وما أنبَلَّهُ، والهَدُّ الرَّجُلُ الجوادُ الكريم.

^١ هو للقتال الكلابي: عبيد بن مجيب بن المضرحي، من بني كلاب بن ربيعة: شاعر فتاك، بدوي، من الفرسان، يكنى أبا المسيب. أدرك أواخر الجاهلية، وعاش في الإسلام إلى أيام عبد الملك بن مروان (المتوفى ٨٦هـ) وسجن مرة في المدينة لقتله ابن عم له اسمه زياد. وفر من السجن. وتبرأت منه عشيرته.

^٢ في ديوانه من قصيدته التي مطلعها: (أُيْرِسِلُ مَرَوَانَ الْأَمِيرُ رِسَالَةً لِيَأْتِيَهُ إِلَيَّ إِذْ نَ لَمْضَلُّ). وتمام الشاهد: (وَلِي صَاحِبٌ فِي الْغَارِ هَدَّكَ صَاحِبًا هُوَ الْجَوْنُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعَلِّلُ).

آخر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين
وعلى جميع الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين رضي الله
تعالى عنهم أجمعين والحمد لله على الدوام وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه الكرام والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً.

انتهى الجزء الثاني من غريب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويليه الجزء الثالث في غريب أحاديث الصحابة

المراجع

وهي منشورة في الهوامش

من هذا الكتاب

للمراسلة والتواصل:

محمد علي حسين

mali_١١١@hotmail.com

الكويت تليفون ٩٨٨٦٦٩٠٣

مصر تليفون ٠١٠٩٩٦٩٤١٤٠

تعريف



- محمد علي حسين (أبو زهرة)

- لغوي وباحث في التراث الإسلامي

- موجه في مادة اللغة العربية - مواليد نبروه - مصر ١٩٦٢ م

- مهتم بنشر التراث في سلسلة صدر منها ستة وعشرون عملاً، جمعاً ودراسة واختصاراً وتحقيقاً، هي: (مختصر كتاب العزلة للخطابي - هذا نبينا كأننا نراه - دولة بني العباس - دولة بني أمية - الثائران: الحسين وابن الزبير - معاوية كسرى العرب - خلافة علي بن أبي طالب - خلافة ذي النورين عثمان بن عفان - خلافة الصديق والفاروق - محمد رسول رب العالمين - - علي ومعاوية يوم صفين - الفتنة ووقعة الجمل لسيف بن عمر - التعازي والمراثي للمبرد - محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني - الداء والدواء لابن القيم - أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي - النساء لابن قتيبة - بهجة المجالس لابن عبد البر - تهذيب تاريخ ابن خياط - مختصر زاد المعاد - قصة الإيمان منذ آدم حتى محمد - العواصم من القواصم لابن العربي - حقوق آل البيت

في مفهوم ابن تيمية - الشواهد الشعرية في معجم البلدان لياقوت الحموي
- مختصر فضائل القرآن لأبي عبيد) إضافة إلى كتابين آخرين خارج السلسلة
هما: "علماء معاصرون نصرُوا الإسلام"، وكتاب "غرباء".
وكلها كتب منشورة على مواقع نشر الكتب الإلكترونية مثل موقع: نور،
وموقع فولة بوك (في صفحة: محمد علي أبو زهرة).